إيمانى

"لا حدّ لإيمانى بعظمة مصر وقدرتها
على قيادة العالمين، ولا حدّ لإيمانى
برسالة الإسلام وصلاحيتها لهداية
الإنسانية وهذا ما كرست حياتى من
أجل تحقيقه أو الموت فى سبيله."

أحمد حسين

الجزء الأول — الطبعة الثانية

١٩٤٦

المجد لمصر

إيماني

آليت على نفسي أن أقضي حياتي مجاهدًا من أجل مصر ومجدها ، وكل الذي أطمع فيه أن أملأ قلوب الجيل الجديد إيمانًا بمصر وعظمتها ، وثقة بأنفسهم ، وطموحًا للمثل الأعلى .

أحمد حسين



الأستاذ احمد حسين
مؤلف هذا الكتاب بروحه وكفاحه وقلبه وقلمه



الدكتور مصطفى الوكيل

سطر هذا الكتاب بدمه وتضحياته فى سبيل مصر والعرب والمسلمين

كلمة الناشر

هذا كتاب أصدر الأستاذ احمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة طبعته الأولى في سنة ١٩٣٦ ، ولما يمض على تاسيس مصر الفتاة أكثر من ثلاث سنوات ، وأشار فى آخر صفحات الكتاب الى أنه لايزال مفتوحا . واليوم وبعد انقضاء عشر سنوات على نفاذ الطبعة الأولى قد تضخم كتاب مصر الفتاة ، وان لم يزل مفتوحا ، وأصبح من اللازم اعادة كتابته وترتيبه وتنسيقه .

فى هذه العشر سنوات الماضية نمت شجرة مصر الفتاة وترعرعت وتأصلت جذورها فى تربة الحياة المصرية وامتدت فروعها حتى شملت سائر البلاد العربية وطبقت شهرتها وأنباؤها وتعاليمها الخافقين .

وفى هذه العشر سنوات الماضية استشهد من أبطال مصر الفتاة فى ميدان الوغى وحومة الجهاد من استشهد ، وسجن من سجن ، واضطهد من اضطهد .

وفى هذه العشر سنوات تخلف عن جهاد مصر الفتاة من تخلف ، وسار فى ركبها من سار ، وغيرت الحوادث والتجارب من خطط مصر الفتاة وأساليب مصر الفتاة .

وفى هذه العشر سنوات قامت حكومات فى مصر ، وسقطت حكومات ، ووقعت انقلابات فى اثر انقلابات .

وفى خلال هذه السنوات العشر اندلعت نيران حرب ضروس جبارة عصفت بأوربا عصفا وأغرقت الدنيا فى طوفان من الدم وأسقطت دولا عظمى من عليائها وبوأت أمما أخرى مكان الزعامة والصدارة .

ومن خلال ذلك كله تنطلق مصر الفتاة متفاعلة مع الحوادث المحلية والعالمية مندفعة نحو غايتها ومهمتها الكبرى فى تحرير وادى النيل من نير الاستعمار الأجنبى ، وتوحيد البلاد العربية فى وطن واحد ، وبعث الأمة الاسلامية الى سابق مجدها وعزها . ولما كان كتاب «ايمانى» هو بمثابة دستور لهذه الحركة الروحية الكبرى ، التى لم تشهد لها مصر مثيلا فى تاريخها الحديث ، فقد طلبت من الاستاذ احمد حسين زعيم هذه الحركة وقائدها أن يعيد اصدار كتاب «ايمانى» متضمنا تاريخ كفاحنا هذه السنوات الطويلة مشتملا على برامجنا وخططنا ومبادئنا واضعا الأسس لحياة الشرق الجديدة .

وهاهو الكتاب بين أيديكم فاقرأوا ثم احكموا ، وانى لمغتز كل الاعتزاز أن يكون لى نصيب متواضع فى اخراج هذا الكتاب .

ابراهيم شكرى

سكرتير حزب مصر الفتاة

الى من كانت حياته أشرف لواء تلتف حوله مصر الفتاة
الى مثلى الاعلى فى الاخلاص والوطنية والاخلاق والتضحية
الى من تمنيت على الله لو بقى لمصر وذهبت
الى من كان أملى فى الدنيا وبات اليوم أملى فى الآخرة
الى شهيد الشهداء وبطل الابطال
الى الدكتور مصطفى الوكيل نائب رئيس حزب مصر الفتاة
الذى استشهد فى حومة الوغى فى برلين فى مارس سنة ١٩٤٥

اعانى

— ١ —

سهرة في الصعيد

كنا في رحلة كشفية في صعيد مصر ، على رأسها حامد افندي نبيه المدرس بالمدرسة الخديوية ، وكان يرافقنا أستاذ الكشافة الكبير عبد الله سلامه افندى ، وكان معسكرنا على ضفة النيل الغربية في الأقصر . .
هبطنا إلى أرض المعسكر في وقت الظهيرة وكانت الشمس تسطع وترسل أشعتها الملتهبة ، وكان علينا أن نبادر بتشييد الخيام حتي نجد ما نستظل به فأخذنا نعمل ونعمل حتى انتهينا من هذه المهمة الشاقة بعد مجهود دام ساعتين . وكان الحر يتفصد من جباهنا خلالها وقد أخذ منا التعب كل مأخذ فاستلقينا في الخيام أشبه بالمغمى عليهم ، ناسين أننا لم نتناول طعاماً منذ الأمس وأن الساعة قد قاربت الثالثة بعد الظهر . . وكنت أحس في أعماق نفسي بخيبة أمل فقد كنت أمني نفسي برحلة سعيدة ممتعة فاذا بنا نبدأ وسط الهجير والتعب . . وها نحن ملقون داخل الخيام ، أنفاسنا مبهورة ، وصدورنا ضيقة فنحن في حالة أقرب إلى الأغماء منها إلى النوم كما قدمت لك . . . ولكن الشمس سرعان ما آذنت بالمغيب . . وعند الأصيل تظهر الصحراء كل فتنتها . . وإذا بنا وقد استيقظنا من نومنا وغسلنا رؤوسنا بالماء البارد وبدأ نسيم الشمال ينعش نفوسنا ويداعب ملابسنا وشعورنا . .
دوى البوق مؤذنا بميعاد إنزال العلم الذي كان يرفرف فوق صاريته الشامخة مظللا المعسكر بأسره . . دوى النفير فأسرعنا جميعا حول صارى العلم ووقفنا في مثلث متساوي الأضلاع وارتفعت رؤوسنا إلى هذا العلم الأخضر الجميل . . ولست أرى أن في الدنيا بأسرها ما يخفق له الفؤاد

كرؤية علم الوطن العزيز بعيدا عن العمران والمساكن .. فهو في المدن وفوق نواصى الأبنية العامة أشبه شيء بالزينة والزخارف .. ولكن العلم في الصحراء ، أو فى الجبال ، أو فى البحار ، أو بعيدا عن أرض الوطن ، يصبح شيئا آخر .. يصبح مصدرا للحياة والقوة والسعادة .. فهو يؤنسك فى وحدتك وهو يشجعك ويشد أزرك .. علم الوطن العزيز فى الغربة هو أعذب الأناشيد وأكثرها سحرا فى نفس المواطن المغترب .. ولا يشعر بجمال ما أحدثك عنه إلا هؤلاء الذين سافروا تاركين وطنهم العزيز كيما تتلقفهم بلاد جديدة كل ما فيها متنكر لهم ومتجهم .. كل ما فيها يشعرهم لذعة فراق الأوطان ، سل هؤلاء عندما يرون علم بلادهم ماذا يكون أثره فى نفوسهم . إنهم ليرتعشون وتطفر الدموع من أعينهم .. ذلك أن علم بلادهم يذكرهم بأعزائهم وأحبابهم .. يذكرهم بحياتهم السعيدة فوق الأرض التى درجوا عليها والسماء التى استظلوا بها .. وفى كلمة يذكرهم العلم بأغلى ما تنطوي عليه الحياة وأعلى بها العزة والوطنية والكرامة .. أما فى الصحراء وفى القفار فان العلم يؤثر فى النفس بما هو أبلغ .. ذلك أنه يطرد وحشة المكان ويملؤه أنساً وحياة .. ومن هنا كان هؤلاء الذين يضربون فى مجاهل الدنيا شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً ، مستكشفين ومستطلعين ومستعمرين ، ينصبون أعلام بلادهم أول ما يفعلون كيما تربطهم بأوطانهم ويستمدون منها الحياة والحيوية والنشاط .. ولست أحسب أن موسيقات الدنيا بأسرها لو أنها عزفت تكون أشجى على النفس والروح من حفيف العلم وهو يرفرف فوق الرؤوس ولذلك فقد وقفت لأول مرة فى حياتى أمام العلم وكأنى فى صلاة .. وعندما هتف بنا الرئيس « تحية العلم — تعظيم سلام » ارتفعت يدى إلى جبهتى فى حركة لا شعورية بينما اشرأبت رأسى إلى قمة الصارى تتابع العلم وقد أخذ يهبط مع غروب الشمس .. وحانت منى التفاتة إلى زملائى فاذاهم منتصبوا القوام مرفوعوا الأيدي .. تسطع أعينهم بهذا اللهب المقدس والذى تعكسه العيون عندما يكون

الانسان فى نشوة روحية . . كان العلم يهبط من ثانية لأخرى ولكن هذه الثواني كانت تعدل عندى الدهور ، ذلك أن روحى حلقت لأول مرة كيا تشرف على هذا الوطن العزيز وتفكر فى أمره ولست أستطيع أن أصور لك أحساسى ساعتئذ فلست أ شك فى أنه كان إحساساً غامضا لم يتضح بعد . . فقد كنت قريب عهد بحياة من نوع آخر لم تكن مما يساعد على توضيح المشاعر الوطنية . . وإذن فقد كانت المشاعر تتلاطم فى نفسى وتتجاذب . . وعندما وصل العلم إلى مستقره وتلقاه الرئيس وصاح بنا « جماعة — اعتدال » أحسست بمولود جديد قد نما فى روحى وأفكارى ، ولم يكن من الوضوح بحيث أعرف ما هو وما هى حدوده ، ولكنه كان من القوة بحيث أشعر بوجوده في نفسى . . ولقد كان ذلك يملؤنى رضا واغتباطا بالحياة . . وعندما أعطانا الرئيس الأمر بالانصراف أخذت أنظر إلى ما حولى من الفضاء والرمال والنيل الذي ينساب في ليونة وعذوبة . وهذه الجبال التي تقع إلى يسارنا والتى سنرتقيها فى الصباح كيا نهبط بعدها إلى وادى الملوك والملكات . . أما على الضفة الأخرى للنيل فقد بدأت أنوار الأقصر تطالعنا وهذا الفندق الشهير « ونتر بالاس » قد انكفأت أضواؤه فى المياه فأخذت تتلاعب بها . . وشرع الظلام يرخى سدوله وأخذت العوامل والكائنات تزداد فتنة . . نظرت حولى وفوق رأسى واستنشقت عبير الهواء المحيط بى فاذا بى أستنشق طويلا وأفتح صدرى ورئتى للنسيم كأنما أريد أن أطوى هذه الكائنات وهذا الجمال فى أعماق نفسى . . لقد كان يوما خالدا من أيام حياتى وبالرغم من أنه قد مر عليه حتى كتابة هذه السطور ثمانية أعوام ، لأنا كنا فى ديسمبر سنة ١٩٢٨ ، فلا يزال منقوشاً بكل حوادثه حتى التافه منها فى ذاكرتى .. ذلك أنه كان بدء التطور فى نفسى ودخولى إلى عالم جديد . . ولقد كنت أحس هذا التطور وهو يتم بشدة وأنا جد مبتهج . . حتى إذا جلسنا هذا المساء حول النار نتجاذب أطراف الحديث طلب منى أن أتكلم فساءلت

إخوانى أيشعرون جميعا بالسعادة التى أشعر بها .. أم أنها وقف على .. لقد كان يخيل إلىّ أننى أسعد الناس طرا فى هذه الساعة .. ولعمرى فقد عشقت مصر وامتلأت غراما بها وهياما وأى شىء في الدنيا يملأ الحياة سعادة وهناء أكثر .. من الحب .

فى وادى الملوك

كان علينا أن نبكر فى اليوم التالى لزيارة وادى الملوك وقد أخذنا نتسلق هذه الجبال الشاهقة حتى أشرفنا على وادي الملوك .. فشرعنا فى زيارة المقابر المختلفة .. هذه لسيتي وتلك لرمسيس .. وثالثة لتوت عنخ . وقد كنت في كل مرة كلما انتهيت من زيارة إحدى المقابر أشعر بالوجوم وبالرغبة في البكاء ، فهذه الدهاليز داخل الجبل كانت تملؤنى اكباراً لهذا الجهد الجبار الذى نحتها .. حتى إذا توسطنا حجرات الدفن وأبهاءها راعتنا كل هذه الألوان وكل هذه النقوش والتى خيل الى ساعة أن وقع بصري عليها للمرة الأولى أن مصلحة الآثار قد فرغت من إعادة طلائها أخيراً .. فسألت من حولى متى دهنوا هذه الألوان للمرة الأخيرة .. فأجابونى بضحكة فيها كل معانى السخرية والاشفاق من هذا الجهل .. ذلك أن الألوان قد نقشت منذ نيف وأربعة آلاف سنة .. وعلى الرغم من سخريتهم فأنى لم أصدق هذا القول ساعة أن قالوه لأنه كان يبدو مستحيلا، ولم أكن من هؤلاء الذين يصدقون كل مايقال لهم .. أجل .. مستحيل .. مستحيل أن تكون هذه الألوان الزاهية .. هذه النقوش البراقة .. مستحيل أن تكون هى بذاتها من صنع الفراعنة وهى التى يبدو بجلاء أن النقاش قد فرغ منها بالأمس .. ومع ذلك فقد أكدوا لى هذه الحقيقة مرة ثانية وثالثة فامتلأت بهذا الوجوم الذى أشرت اليه ذلك أنى أخذت أفكر فى هؤلاء الأقوام ومدنيتهم .. هذه المدنية التى بدأت تبدو لى بكل إعجازها

فهذه القصور المشيدة فى باطن الجبل ومن صميم الصخر.. ترى ماذا يمكن أن تكون هذه الأيدى التى نحتتها .. وماهى هذه الآلات التى استعانت بها ماذا يمكن أن تكون هذه الآلات التى تذيب الصخر وتحيله كأنه العجينة اللينة حتى تنحت فيه هذه الدهاليز وهذه الحجرات وهذه الأعمدة .. إن مدنية القرن الحديث بكل ما تملك من نظريات ومخترعات وأدوات لتعلن إكبارها لهذا العمل المعجز فما قيمة ماوصلت اليه البشرية من علوم وفنون وطيارات وبرق إذا كان ماقام به أجدادنا منذ ألوف السنين يبدو بالنسبة لنا معجزاً ومحيراً للألباب .. وفى مقابر الملوك لايسعك إلا أن تسائل نفسك سؤالا لاجواب له .. فعلى أى ضوء نقشت كل هذه الرسوم الدقيقة والتى تزين الجدران بل تزين الأرض تحت قدميك وتزين سماء الحجرات مادام أنه من الواضح أن نور الشمس لايمكن أن ينفذ إلى داخل الجبل .. تحت أى ضوء استطاع الفنان الماهر أن يجيد هذه النقوش وأن يبرزها هكذا فى كل هذه الفتنة وهذا الرواء والذى يحتاج فى إتمامه لنور ساطع كضوء النهار .. يقولون أن نوراً واحداً هو الذى لايرسل دخانا ولايترك آثاراً وهو نور الكهرباء .. فهل عمل الصانع المصرى فى ضوء الكهرباء .. هذا هو السؤال الذى لايجيبك عليه فطاحل العلماء .. وأنت مضطر أن تسلم بعجزك وأن تعترف أن هؤلاء الجدود قد عرفوا من أسرار الطبيعة وفنونها مالم نعرفه حتى الآن .. وعلام نذهب بعيداً ونتساءل عن الضوء فهذه الألوان فى ذاتها .. هذه الألوان الباهرة بأحمرها وأزرقها وأصفرها كيف استطاعت أن تقاوم كل هذه الألوف من السنين وأن تبقى حتى اليوم لامعة ساطعة كأنما فرغ منها الفنان منذ لحظات .. يقولون أن ألمانيا الحديثة هى أمة الكيمياء .. يقولون أنهم يستطيعون أن يخرجوا من الهواء سمادا وأن يحولوا كل شىء إلى غذاء .. يقولون إنهم يحولون العناصر وإنهم يصطنعون كل شىء .. فما بال ألمانيا بعلومها وجامعاتها وعلمائها عاجزة عن أن تدرك السر فى ألوان مصر القديمة وأن تخرج من الألوان

مايقاوم البلى بضع عشرات من السنين لامئات من القرون كما هو الحال مع قدماء المصريين . مابال علماء الألمان ، بل الدنيا بأسرها ، يقفون حيارى أمام هــذه الألوان الســاحرة والتي هزأت بالزمن وهزأت بالشمس والمطر والحرارة والبرودة وكل الظواهر الجوية .. هزأت بكل عناصر الفنـــاء وبقيت حتى اليوم تسطع فيخيل إليك أنها قد صنعت بالأمس أليس هــذا إعجازا أي إعجاز . وأليست علوم القرون الحديثة لاتزال أمامها أشواط وأشواط كيما تدرك أسرار علوم مصرنا القديمة وفنونها . ؟ على أن معجزة الألوان ليست هي المعجزة الوحيدة التي تنطوي عليها مقابر الملوك وتثيرها في نفسك .. بل أنها لتحمل معجزة أكثر عمقا وتأثيراً وأعني بها تحنيط الموتى .. فهــذه القدرة العجيبة على حفظ الجسم من الفناء عشرات الألوف من السنين تبدو بالنسبة لعـــلوم القرن العشرين عملا مستحيلا .. فكل ما استطاعوا الوصول اليه هو أن يحنطوا الجسد سليما لعدة سنوات كما فعلوا في الروسيا بجسد لينين .. على شريطة أن يعيدوا تحنيطه من عام لآخر .. ولم ينقض على هذه العملية عشرون سنة حتى بدأ الانحــلال يدب إلى الجسد .. وقد لاتمضي سنوات أخرى حتى يستسلم جسد زعيم الشيوعية إلى الفناء ، وهذه هي كل مقدرة الحضــارة في القرن العشرين .. أما علوم أجدادنا فقد استطاعت أن تحافظ على أجساد الفراعنة هــذه الألوف من السنين . ولست أقول تحافظ على هياكلها ، بل تحــافظ على أدق خواصها فقد استطاع الأطباء أن يشخصوا كثيرا من أمراض مصر القديمة عن طريق هذه الأجساد المحنطة ، فقد وجدوا فيها آثار العمليات الجراحية المختلفة ووجدوا فيها كثيراً من الظواهر التى تخلفها بعض الأمراض .. ولازالت هذه الأجساد قادرة على أن تقطع عشرات الألوف من السنين لوأنهم لم يزعجوها من مراقدها ويخرجوها من هــذه القبور التى أعدت لحفظها ولصيانتها والتى تتناسب وعظمتهم ومجدهم .. كيما يحشرونها حشراً داخل دواليب زجاجية فينظر اليهم الناس كما ينظرون إلى قطعة الآثار أو دمية

من الدمى .. فيتطرق اليها الفساد، ويعلم الناس واحسرتاه كيف ينسون جلائل أعمالهم وهم يرونهم كالرمم تعافهم الكلاب .. يالله من إجرام مابعده إجرام . ويالها من شناعة وقذارة . إن المهانة التي تعيش فيها مصر اليوم ، والذل الذي تعانيه ، وظلمات الجهل التي تكتنفها والتي يرمز لها سوء معاملة الأجداد والعبث بأجسادهم وعرضهم في المتاحف، لا يمكن مقابلتها إلا بشيء واحد وهو هذه العظمة وهذا الخلود الذي سطره هؤلاء الأجداد .. حاضر مصر وماضيها هما كطرفي نقيض كالعدم والحياة والنور والظلام واليأس والرجاء .

كنت أفكر في ذلك كله فامتلأت بالوجوم والحسرة وأنا أقوم بهذه المقارنة بين الأمس واليوم..وأنا أستعرض مظاهر الجحود والنكران لأجدادنا.. بل أستعرض الشقة البعيدة التي تفصلنا عنهم..ذلك أن المصريين قد قطعوا كل الصلات التي تربطهم بهؤلاء الجدود فأخذوا يتحدثون عنهم ويشاهدون أعمالهم تماما كما يفعل السواح والأجانب .. أستغفرالله بل أقل تقديسا واحتراما مما يفعل السواح .. فالمصرى يخيل له إذ يسمع حديث قدماء المصريين أن هؤلاء قوم كانوا من العفاريت لايكاد يتمثل صورتهم في ذهنه وفي خياله إلا كما يتصور الغيلان ومردة الجان .

كنت أفكر في هذا وأشباهه ونحن نتحسس طريقنا نحو المعسكر ، وسرعان ماشعرت بالدم يغـــلي في عروقي .. وأحسست بدقات قلبي وقد تزايدت .. ولم أكن أميز الطريق تحت قدمي فكنت أصطدم وأتعثر. وأني لأذكر أنني سقطت إلى الأرض أكثر من ثلاث مرات في ذلك اليوم وعندما عدنا إلى المعسكر وجلسنا لنتنـاول العشاء أذكر أنني لم أتذوق طعاما .. كنت أرى إخواني وزملائي يملأون الدنيا صراخا وتهليـــلا ويضحكون ويلعبون فامتلأت دهشة وإعجابا إذ أقارن ذلك بما في نفسي ومافيها من ثورة غضب وضيق .. وبينما كانوا يتجاذبون أطراف الحديث حول النار كما هي عادتهم : هذا يقص نادرة ، وذاك يمثل دوراً من الأدوار،

وثالث يغنى إحدى المقطوعات الحديثة .. تمددت بعيداً عنهم فوق الرمال وكان القمر يرسل أشعته فيغمر الكون بالهدوء والسلام .. بينما كانت مياه النيل تتكسر على الشاطىء الرملي فى خرير ودوى خافت ، فأخذت أسائل نفسى ترى ماذا كانت عليه هذه البقاع وأى أناس كانوا يجلسون جلستى هذه ، وأى أفكار كانت تدور فى رءوسهم . وسرعان ما أحسست أن الحاضر لا يفترق عن الماضى وأن النفس البشرية هى هى فى كل عصر وزمان ، وأن المادة لا تفنى ، والجواهر لا تتغير ، وكل ما تتناوله الأيام بالتغيير هى الأغراض التافهة .. فما لا شك فيه أن النيل كان يجرى كما يجرى اليوم وأن هذه النجوم كانت تلمع كما تلمع اليوم .. وليس شك فى أن كثيراً من الناس قد جلسوا مجلسى هذا على مر السنين يستمتعون بضوء القمر ويرسلون لخيالهم العنان .. ولو أن هذه الجبال التى تحيط بنا أنطقها الله لحدثتنا عن هؤلاء الذين اعتادوا أن يسيروا فوقها منذ ألوف وألوف من السنين .. ولأدهشتنا أن نسمع منها أننا جميعاً نتشــــابه وأننـا نضحك كما كانوا يضحكون وأن تقاسيم وجوهنا كتقاسيم هذه الوجوه .. وأن كل شىء كما هو ، وليس يميزنا إلا شىء واحد ، وهو هو الذى يؤخرنا ويشقينا ، وهو هو الذى يعذبنا ويذلنا . . وذلك الشىء هو الجهل . . الجهل ببلادنا الجهل بتاريخنا .. الجهل بأنفسنا .. الجهل بقدرتنا .

بين صخور الكرنك

وجاء دور الكرنك فاقترحوا علينـا أن نزوره فى ضوء القمر أى فى المساء المتأخر . . وقد فعلنا . . ولـكن زيارة المعبد فى المساء لا بد لها من تصريح خاص فالخفراء يغلقون الأبواب ويتهيأون للنوم وإذن فقــد كان لا مناص من الانتظار . . والانتظار الطويل حتى يرد لنا التصريح بالزيارة فجلسنا أمام هذه البوابة الشامخة والتى تزرى بأقواس النصر التى رأيتها فيما

بعد فى باريس وروما ولندن ولكنى ساعتئذ لم أكن أقارن ولم أكن أعرف ولذلك فقد كنت مبهوراً إزاء هذا الجلال وهذا الشموخ الذى يملأ النفس إحساساً بالعظمة والقوة . . قوة هؤلاء الذين رفعوا هـذه الأحجار فأصاروا هذه الجدران المتسـامية نحو السحاب وأقاموا هذه البوابة الضخمة الرائعة .

قلت لك إنهم ذهبوا لاستحضار التصريح لمجلسنا فيما يسمونه طريق الكباش واحتطنا بهذه الحيوانات التى أودعوها العقل القوة . . وكان كل ما يحيط بنا يبعث السحر فى النفوس . . فالقمر والسكون وهذه الجدران بل هذا المكان الذى وقفت فى ظله يوماً من الأيام عشرات الألوف من الناس تلتمس البركة وتدعو الله ... هذا المكان الذى شاهد جيوش مصر الظافرة تروح وهى ممتلئة بالقوة والحماسة وتعود وهى تهزج أهازيج النصر . . والذى شاهد ملوكاً تجىء من آخر الدنيا مصفدة بالأغلال لتقدم خضوعها للامبراطور المصرى . . وأى كنوز تلك التى اجتازت عتبة هذه الأبواب يشيع منها بريق الذهب فيملأ هذه الأرجاء ثروة وغنى . . هذه هى البقعة التى وقفنا فيها حتى يجىء التصريح بالدخول فاذا بأحساسات قوية تغمر نفسى وإذا بى أنطلق فى ترتيل أناشيد رواية (مجد رمسيس) تلك التى ألفها الأستاذ محمود مراد سنة ١٩٢٣، فصور بها مجد مصر الغابر وأودعها كل أمل المصريين فى مستقبل زاهر ، فأخذت أهتف من الأعماق يصاحبنى بعض الرفاق الذين يحفظون هذه الأناشيد :

« سودى على رغم الزمن   يامصر يانعم الوطن »
« دوسوا العدا يوم الردى   لبوا النداء ، كونوا فدا »

وتملكتنى الحماسة فأخذت أنتقل من نشيد إلى نشيد . . ثم رأينا أن نعيد تمثيل الرواية لحناً لحنا وكلمة كلمة . . ثلاث سـاعات قضيناها أمام أبواب الكرنك نرتل أناشيد المجد والفخار . . ولعل هذه الأناشيد وهذه الهتافات قد أعادت الحياة إلى هذه التماثيل الجـاثمة طوال طريق الكباش

ولا شك أن هؤلاء الأطفال الذين وقفوا يرتلون أهازيجهم قد أعادوا إليها بعض ذكريات الماضي السعيد عند ما كانت أصوات الألوف ترتفع بالغناء تمجيداً لله ولفرعون . وتنتظر التصريح لها بالدخول . وكما كانوا يصرحون لهم بالدخول كذلك جاءنا التصريح ففتحوا لنا الأبواب .. واجتزنا عتباتها . . وقد كان دمي يجري حاراً في عروق إثر هذه الأناشيد وكان قلبي يخفق لاجتيازي هذا الأثر العتيد والذي طالما حدثوني عنه . . وكنت أريد أن ألتهم كل ما يحيط بي . . وأن أحمله معي وأن أخبئه في طيات نفسي . . اجتزنا هذه الدهاليز التي تصادف الأنسان أول ما تصادفه فوقفت وزملائي نعجب لهذه القدرة الخارقة التي رفعت هذه الجدران وسوت هذه الأعمدة التي تناطح السحاب . . وقفنا بجانب هذه الأعمدة فاذا بالمكان يبلعنا ولا نكاد نشعر بوجودنا . . وساءلت نفسي هل يوجد في الدنيا بأسرها أضخم من هذه الأعمدة . . وهل وجد على سطح الأرض صناع حاكوا قدماء المصريين ؟ ولم نكد نتمالك روعنا حتى فاجأنا ماهو أضخم . . فاجأنا دهليز الاثنى عشر عمودا والذي يزرى بكل ما رأينا وبكل ما يمكن أن نراه في المستقبل . . الله أكبر تجلت قدرته وتقدست أسماؤه . . هل يمكن أن أصف لك ماذا رأيت . . هل يستطيع الفنان مهما أوتي من حذق أن ينقل لك الجمال والعظمة فما بالك ولست فنانا . . ولست أديبا . . ولست من حاذقي الكتابة . . ماذا أقول عن هذه الأعمدة التي تخيل للانسان أن لانهاية لها . . ولا حد لجمالها وعظمتها . . ولكني أحدثك عما كان يدور في نفسي . . وإني لأتصور نفسي كما كنت ليلتئذ . . لقد كنت معقود اللسان جاحظ العينين . . بينما كان زملائي يعلقون ويظهرون إكبارهم ودهشتهم كنت لا أستطيع أن أحير جوابا أو أنبس ببنت شفة ولقد أحسست بقلبي يدق دقا عنيفا وبرأسي تتصاعد إليها أبخرة غريبة . . وكان ذلك كله يتزايد ويتضاعف كلما انتقلنا من مكان إلى آخر ومن حجرة إلى حجرة . . وفجأة إذا بي أرى نفسي فوق صخرة من هذه

الصخور المبعثرة هنا وهناك ووقفت خطيبا أخطب الزملاء فيما يجب أن نقول وما يجب أن نعمـل . . هذه العظمة التى تحيط بـكم ليست غريبة عنـكم . . هؤلاء الذين شادوا كل ذلك قد أورثوكم عزمهم وقوتهم . . ومصر التي حملت لواء الانسانية فى يوم من الأيام يجب أن تبعث من جديد كما تعيد سيرتها الأولى . . وأخيرا يجب أن ننفض عنا غبار الخمول والكسل . . يجب أن نملأ أنفسنا إيمانا وعزما . . يجب أن نتذرع بالشجاعة والقوة . . يجب أن نعمل وأن نعمل حتي نبعث مصر بكل قوتها بكل جلالها وبكل عظمتها .

ولقد صفقوا . . أما أنا فقد كنت مذهولا لأنى لأول مرة فى حياتى كنت أخطب وأرتجل . . لأول مرة فى حياتى . أستطيع أن أقول بضعة عبارات دون أن أتلعثم أو أتوقف . لأول مرة فى حياتي عرفت أن أتكلم كنت مندهشا لهذا الانقلاب . . فان حياتى السابقة على هذه الزيارة كانت تحول بينى وبين الارتجال أو الخطابة ، فقد كنت من غواة التمثيل وكنت رئيسا لفرقة التمثيل فى المدرسة الخديوية ، وكنت شغوفا بالتمثيل مفتونا به . والممثل لا يستطيع إلا أن يردد الكلمات التى حفظها من قبل فتتعطل فيـه ملـكة الارتجال وتقوى فيه ملـكة الحفظ . . وكذلك كنت . . ولذلك فقد كانت لى مواقف . . كثيراً ما أخجلتنى . . فقد دعيت مرة من المرات أن أشكر بعض الناس فلم أقل سوى بضع عبارات فى تعثر وخفوت . . وفى مرة أخري حاولت أن تكلم فعجزت . . أما هذه الليلة فقد خطبت . . خطبت بقوة خفية . . خطبت بكل قلبى ، بكل دمى ، بكل صوتى . . ألا فهتافا لنفسى وتهليلا ، فقد بعثت من جديد مخلوقا جديداً . . وعند ما كنا نجتاز عتبات المعبد فى سبيلنا إلى الخروج ارتفع صوتى فى حماسة وقوة :

« سودي على رغم الزمن   يامصر يانعم الوطـن »

« دوسوا العدا يوم الردى   لبوا الندا كونوا ، فدا »

ولـكن شتان بين إنشادى هذه المرة وبين إنشادى لها منذ ساعة قبل

أن ندخل المكان . . لقد كان إنشادى لها من قبل تمثيلا وغناء وتسلية . . أما الآن فقد كنت أقولها وهى تخرج من أعماق قلبى . . كنت أغنيهـا وأنا أومن بكل حرف من حروفها . . وأنا أرفع ذراعى ورأسى مقسما ومعاهداً . . لقد بعثت . . لقد بعثت . . وهكذا يجب أن يبعث كل شاب فى مصر . . لقد خلقت من جديد ، وهكذا يجب أن يخلق كل شاب فى مصر .. لقد كنت أنظر إلى أعمدة الكرنك وآثاره لاعلى اعتبار أنها آثار بل كأنها شيء حى يتكلم . لقد وقفت أمام المسلة المرتفعة هناك ووقفت أمام البركة وأمام مئات التماثيل المبعثرة هنا وهناك . . وقفت كأنما أتلقى الأوامر والتعليمات . . وقد كان كل متر من الأرض . . بل كل شبر ، يحدثنى عن القوة والمجـد . . وكنت أرى الجيوش المحتشدة التى سـارت خلف تحتمس ورمسيس والتى فتحت دنيـا ذلك الزمان . . . وكنت أسمع أهازيج الانتصار وأتمثل النور الذى كان يسطع من هذا المـكان . . وفى كلمة لقد بعثت . . لقد بعثت ، ولقد صرت مخلوقا جديداً . .

وعند ما رقد الـكل فى خيامهم ظللت ساهراً متولياً الحراسة . . وجلست حول النار أشاهد ألسنتها وهى تتقاتل وتتشاحن ويحرق بعضها بعضاً . وكانت فى يدى عصاة أخذت أعبث بها فى التراب بينما كان عقلى مشغولا وروحى هائمة .. وكل شيء فى نفسى يبحث خلف العلاج والحل لهذا اللغز .. ماذا . . ماذا يجب أن نعمل كيما نستعيد كل ماضينا الذهبى . ماذا يجب أن نعمل كيما نعيد الحياة إلى هذه الأطلال . . كيما نعيد الأمل إلى هذه النفوس . . كيما نبرز كل فضائلنا التى غطت عليها الرذائل . . ماذا نفعل وما هو الطريق . . نظرت إلى السماء أستمد منها الجواب . . ولكنى لم أتلق جوابا وكانت يدى تعبث بالرمال وتخط عليها خطوطا وقد أحسست أننى شرعت فى كتابة شيء . . فأكملت الكتابة وطالعت ما كتبت فاذا بها كلمة واحدة ولم تكن سوى « الإيمـــــــــــــــــان » ..

خزان أسوان

انتقلنا وفقا لبرنامج الرحلة لزيارة مدينة أسوان . . وأسوان مدينة جميلة كالعروس . . فاجأتنا بجوها الساحر ورشاقتها وقد علمونا أن الذاهب إلى أسوان كالذاهب إلى الجحيم سواء بسوء .. عودونا أن يكون نقل الموظف إلى اسوان نوعاً من العقوبة والنفى . . فلا يرسل إليها إلا موظف مغضوب عليه . . حتى لقد تمثلت اسوان فى رءوسنا قطعة من الجحيم إن لم تكن الجحيم بذاته . . ولذلك فقد كان مفاجئا وكان مسعداً أن ترى كل هذا الجمال وكل هذه الفتنه . . فمياه النيل الزرقاء تنبثق على جانبها الغربى تلال صفراء ، ويتوج ذلك كله سماء صافية وشمس ساطعة فى غضون الشتاء ، إنها لنعمة وأية نعمة . ويتصل بأسوان ولا يبعد عنها بأكثر من بضعة كيلو مترات الخزان والشلال الذي أسرعنا إليه غداة وصولنا إلى أسوان . وإذا كنت لا تزال تذكر هذه الانفعالات التي طافت بنفسى وإذا كان الكرنك قد نال من نفسى الذي نال . . فقد كان تأثير خزان أسوان هو الحلقة الأخيرة التي طغت على كل حواسى وتفكيرى وقررت مستقبل حياتي نهائيا . وإذا كان الكرنك قد أشعرني الحاجة إلى الأيمان بعظمتنا كما يبعث مجد مصر القديم .. فقد بنحنى خزان أسوان هذا الأيمان وأشعرنى بأننا عظماء فعلا . . وكل ما هنالك أننا لا ندرى ذلك فأن قليلا من المصريين هم الذين جاءوا إلى هذا المكان ووقفوا موقفى هذا وشاهدوا ماذا فعل أحفاد الفراعنة .. وماذا فعل بناة الأهرام والكرنك ومن حولوا مجري النيل .. فان خزان أسوان يذكرك بهذه الأمجاد البعيدة ويقربها إلى قلبك وعقلك لأنك تراها من جديد .. ياإلهى ما أعظم هذا العمل الجليل . . أن ترى مياه النيل محجوزة خلف سد شامخ لا بد لك من نصف ساعة كما تقطعه سيرا على الأقدام .. أن ترى هذا الحائط الذى يناطح السحاب من صنع الانسان والمياه تتدفق من بعض عيونه فيصم زئيرها الآذان ..

ويملأ هديرها الأجسام ارتعاشاً ورعبا خفيا . . وهذا الزبد أشبه شيء بالقطن يغلي فيتناثر منه رذاذ يملأ أجواء الفضاء وتتسلط عليه الشمس فتتحلل أشعتها وتستحيل إلى بنفسجية وحمراء وزرقاء .. ياله من مشهد خالد لا ينساه الأنسان مدى الحياة .. لقد ظل هذا المشهد يساور أحلامى ويملأ على ذكرياتي حتي وقفته ثانية بعد سبع سنوات عند ما شرعت في القيام برحلتي خلال الوجه القبلي تلك الرحلة التى ستبقى إلى الأبد حدثاً هاما فى تاريخ مصر الفتاة .. سبع سنوات كاملة هى التى فصلت بين زيارتى الأولى لخزان أسوان وزيارتي الثانية .. ولست أدري كم سيمر على من الزمن أيضا حتى أعود من جديد لزيارة خزان أسوان .

ولقد وقفت أمام الخزان فى هذه الأيام الأولى وأنا أشاهد المياه المتحدرة من بعض عيونه في عنف وقوة وقد توارد إلى رأسى كل ما قرأته عن إمكان توليد الكهرباء من هذا الخزان .. وكنت أستعيد مايقولون فأمتليء غيظاً وكدا لهذا الأهمال وهذا التهاون فيما يحقق الثروة والمجد لمصر .. يقولون أنه يمكن توليد الكهرباء من خزان أسوان فيستطيعون تسيير جميع السكك الحديدية فى أنحاء مصر ويوفرون بهذا خمسة عشر مليونا ندفعها سنويا ثمناً للفحم إذا ما ارتفع ثمنه قليلا .. ويقولون بل ويستطيع أن يمد القرى كلها حتى الاسكندرية بالضوء والحرارة اللازمة للأعمال الصناعية ويقولون إن هذا الخزان كفيل بأن يجعل مصر قطراً صناعيا .. إذن ما الذي يؤخرهم .. ما الذى يقعدهم .. لماذا لا يولدون الكهرباء من خزان أسوان .. لماذا يتركون كل هذه الثروة تتطاير في الهواء .. لماذا يدعون القوة والحياة تنساب إلى البحر .. ثم ينعون علينا أننا شعب فقير . . أننا شعب حقير .. أننا أمة زراعية لا تصلح للصناعة لأن الفحم لا يوجد فى بلادنا .. وهذه الكهرباء .. هذه الكهرباء التى تزري بالفحم ما بالها وعلام لا نستغلها ؟ أو ليس خداعا إذن كل ما يقصوه علينا من عجز مصر أو ليس تمويها وتضليلا هذا الذى دسوه علينا فى كتبنا وصحفنا وعلمونا

إياه فى المدارس والمعـاهد وفي كل مكان ، وأعنى به أن مصر لا تصلح للصناعة ؟ ! لأول مرة أحسست بجريمة الانجليز على هذا الشعب بمقـدار ما أفقدوه كل معنويته ودسوا عليه الشك فى قدرته وقدرة بلاده .. لأول مرة أحسست بجناية الاحتـلال على هذا البلد وبمقدار ما تعمل انجلترا على عرقلة هذه الأمة وتطورها إلى الأمام . . لو أنهم تركونا وشأننـا لاستخرجنا الكهرباء منذ سنوات وسنوات . وملأنا الدنيا مصانع ومعاهد. ألم تكن مصر منذ نيف ومائة سنة تزخر بالمصـانع التى لاتنتج الطرابيش والمنسوجات والزجاج فحسب ، بل والمدافع والذخائر والأساطيل .. ومع ذلك فها نحن بعـد مائة عام من هـذه النهضة يعلموننا أن مصر لا تصلح للصناعة لأن القوي المحركة لا توجد بها . . لقد عدت من زيارة الشـلال ونفسى مليئة بالسخط على الاحتلال والحكومات الضعيفة وعقلى مشغول بالتفكير فيا يمكن أن تكون عليه مصر ، غدا عند ما تستطيع تحقيق هذا المشروع .

عدت من الخزان .. بل عدنا من الخزان وكيفية عودتنـا تحتاج إلى تسجيل . . لأننا عدنا سيراً على الأقدام . . من الشلال حتي أسوان ولم أكن أعرف مقدار المسافة وقتذاك ولكنى عرفتها فيا بعد عند ماطاودت السير فى هذا الطريق مصحوبا برفقائي من مجاهدى مصر الفتـاة . . عدنا وكان الطريق وعرا فى أحشاء الصحراء . . وكانت الشمس محرقة والرفقـاء صغاراً لا عهد لهم بالسير فطلب منى رئيس الرحلة أن أنشد لهم أناشيد رمسيس ومجد رمسيس . . وأن أرتل قبل كل شيء نشيد السـلامة . . والذى حفظوه من كثرة التكرار .. ولذا فقد صحت بهم هلموا يارفاق .. واحد .. اثنين

اسلمى يامصر أننى الفدا ذي يدى إنمدتالدنيا يدا
أبدا لن تستكينى أبدا انى أرجو مع اليوم غدا

ولما انتهى النشيد هتفت بغـيره . . حتي إذا اقتربنا من المدينـة دبت

الحماسة إلى عروقنا وتفضنا عن أنفسنا مظاهر التعب والكلال . . ونظمنا صفوفنا على أبواب المدينة . . وسرنا أربعة أربعة وأخذنا نقرع الأرض بأقدامنا وقد رفعنا رءوسنا إلى السماء وارتفعت أصواتنا من جديد :

اسلمى يامصر انني الفدا ذى يدى إن مدت الدنيا يدا

وعلى هذه الصورة المجيدة دخلنا أسوان منــذ سبع سنوات واجتزنا شوارعها الرئيسية فوقف النـــاس على جانبي الطريق يصفقون .. وفتحت النوافذ وانطلقت منها الزغاريد .. وخيل إلينـا أننا عائدون من الحرب فاتحين منتصرين . . ياللذكرى وياللجلال ما أروعها وما أكثر تأثيرها في نفسى فلقد كانت هذه هي العناصر التي تألفت منها قيما بعد مصر الفتاة .

كوم أمبو

لم نـكد نفرغ من زيارة أسوان والشلال ونستعد للعودة إلى القاهرة حتي تلقينا دعوة من أحد رفاقنا في الرحـلة لنقل ضيافتهم في كوم أمبو ولنشاهد مزارع القصب ونزور مصانع السكر وطلمبات الري .. ولقد قبل رئيسنا الدعوة شاكراً ونزلنا في كوم أمبو فرأينا فيها عجبا وسمعنـا ماهو أعجب .. رأينا فيها مصانع السكر الضخمة والتي لايـكاد يتصور الأنسان ضخامتها أو أن يتصور أن في مصر صناعات بهذه الدقة وهـذا الأحكام .. وعلى الرغم من مضى زمن طويل على هـذه الزيارة فلازلت أتمثل هذه الزيارة ، ولازلت أتمثل هذه الكتلة الضخمة من الآلات والتى ترتفع فوق بعضها فى طبقات مختلفة ليصعد اليهـا الانسان بدرجات فوق درجات .. والعمال المصريون وسط ذلك كله يشرفون على أعمالهم فى حذق ومهارة ومثابرة .. ولأول مرة أري عمليـة صناعية فيأخذ بلبى تحويل المواد من حالة إلى حالة . فالقصب وهو ينظف ثم يقطع ثم يعصر .. ثم يرشح ثم يركز .. وهكذا . . وهكذا عدة عمليـــات يتتبعها الأنسان في شوق

وشغف حتى يصل إلى نهايتها فيرى السكر وهو يعبأ فى الأكياس ثم يحمل إلى الخارج كما يشحن إلى القاهرة ليكرر فى مصانع الحوامدية والتى حدثونا عن ضخامتها التى لاحد لها .. ولقد حدثونا عن الأرباح الطائلة التى تغتنمها شركة السكر .. وعن رأس المال الضخم الذى أصبحت تمتلكه والذى بدأت به صغيراً .. وهنا لأول مرة أصطدم باستغلال الأجانب للمصريين وأفكر طويلا فى دلالات ذلك وماينطوى عليه .. ولكن المشكلة لم تأخذ شكلها الصريح إلا عند مازرنا طلمبات الري وعرفنا أسرارها .. لقد رأينا أربع أنابيب ضخمة قد ركبت على النيل، ولازلت أذكر أن المهندس الذى كان يحاضرنا أخبرنا أن هذه الأنابيب هى أضخم أنابيب من نوعها فى العالم، وأنها تأخذ ١ على ٢٠ من مياه النيل فى أيام التحاريق، ولست أعرف مدى دقة هذه المعلومات وصحتها، ولكنها كانت كافية لأزعاجى ، وخصوصاً عندما علمت أن هذه الشركة الأجنبية قد وضعت أيديها على ألوف من الأطيان فى هذه الناحية بثمن تافه لا يزيد عن بضعة قروش للفدان ، وأنها الآن قد تحولت إلى أرض كأجود الأرض ، أى أن شركة كوم أمبو قد أصبحت مستعمرة أجنبية على أرض الدولة وحكومة داخل الحكومة وأن ألوفاً من الفلاحين المصريين يعيشون فى حالة رق لهذه الشركة الأجنبية التى تستنزف كل مجهوداتهم فى نظير ثلاثة أو أربعة قروش لكل عامل .. لقد كانت هذه المعلومات كافية لأشعال نار الثورة فى صدرى . لماذا .. لماذا نعيش فى بلادنا فقراء وخدماً وعبيداً للأجانب .. لماذا يجىء هؤلاء الناس إلى مصر بقروش قليلة فيصبحون من أغنى الأغنياء .. لماذا يسخروننا ولماذا يتحكمون فينا ويملكون علينا كل شىء ، حتى الأرض .. الأرض التى هى ملك لنا والتى نزرعها منذ ألوف السنين يغتصبونها منا .. وفى ظل الاحتلال وفى ظل الامتيازات يعرفون كيف يكبلون أعناقنا فى خدمتهم .. لماذا لاتكون هذه الأراضى ملكا للدولة .. لماذا لاتوزع على هؤلاء الفلاحين الفقراء

في أى قانون وبأى نظام وبأية شريعة يشقى أحفاد الفراعنة والعرب والذين سادوا العالم وعلموا الدنيا .. لماذا يارب يشقون من أجـل الأجانب .. ويكدحون من أجل الأجانب .. وهم في نهاية الأمر شعب منحط صغير لايصلح الا للعبودية .. لا .. لا .. إن نفسى تثور وإن روحى تتمرد على هذا الوضع المقلوب .. ولذلك فلم أكد أدع للكلام في حفلة أقامها لنا احمد بك مصطفى مدير الشركة حتى اندفعت أخطب .. كما خطبت على صخور الكرنك .. واندفعت أهاجم الأجانب .. واندفعت أدعو من حولى إلى معرفة حقوقهم والكفاح فى سبيل تحرير بلادنا .. وكان علينا أن نسافر بعد خمس دقائق ولذلك فقد شرع إخوانى يشيرون لى أن أنهى كلامى .. ولكنى نسيت كل شيء .. نسيت القطار ، ونسيت ميعاد السفر ، بل ولم أكن أعرف معنى هذه الاشارات ، حتى اضطروا إلى أن يحملونى حملا وأن يسرعوا بنا إلى القطار ، والذى نجحنا في ادراكه فى نهاية الأمر ، ولم يكد يتحرك القطار حتى عدت إلى نفسى وشعرت كأنما استيقظ من حلم .. ذلك أن الحالة التى كنت فيها كانت أشبه شيء بنوبة المحموم ولم يكن يعنينى في ذلك كله إلا أننى قد خطبت للمرة الثانية دون أن أتلعثم ودون أن اتردد .. خطبت للمرة الثانيـة مرتجلا .. وإذن فقد أصبحت أعرف التحدث إلى الناس .. وأن أتحدث اليهم من أعماق قلبى وأن أنقل لهم كل أفكارى .. لقد كانت هذه بدء صفحة جديدة من صفحات حياتى .

عدت من الرحلة بأفـكار جديدة وآمال جديدة ومشاريع جديدة كذلك .. ولقد تطورت حياتى منذ هذه السـاعة فى ناحية الكفاح السياسى تطورا سريعا .. ولعل هذا أصدق برهان على فوائد هذه الرحلات وضرورة تعميمها وجعلها جزءا لا يتجزأ من برنامج التعليم بل والتوسع فيها إلى أقصى حد .. فيجب على كل طالب فى المدارس الثانوية أن لا يتم تعليمه حتى يكون قد زار مصر من الأسـكندرية حتى أقصى الحدود الجنوبية فى السودان .. وأن يزور أعلامها وآثارها ومصانعها وبلدانها

وبهذا وبهذا فقط ينشأ جيل جديد يعرف بلاده حتى المعرفة ومتى عرفناها بلادنا أحببناها .. ومتى أحببناها فقد امتلأت قلوبنا بالحافز الذى يدفعنا للتضحية واحتمال الحرمان والعذاب، من أجل حرية من نحب، وسعادة من نحب .. ينشأ الطالب في مصر ويكبر وهو لا يكاد يعرف من أمر وطنه الا الجدران الأربعة التى تحيط بمدرسته وبيته وبعض الشوارع التى يجتازها إلى مدرسته وملاهيه فيخيل له أن وطنه ككل الأوطان .. وأن الحياة هى أكل وشرب ومنام .. وربما أزعجته كلمة الوطن والدفاع عن الوطن لأنه يرى الأمر كله ليس إلا خيالا فى خيال .. أوكما اعتاد كثير من الصبية الذين يحاولون أن يظهروا بمظهر العظمة والفلسفة أن يقولوا عنه (مواضيع انشائية) . فشباب مصر يرى الكلام عن الوطن موضوعا إنشائيا وليس ذلك الا إغراقا فى الجهل لا أكثر ولا أقل .. ولكن عندما يركب الطالب ويذرع أرض وطنه من الشمال إلى الجنوب .. وتمر به الساعات وهو في القطار والمناظر تتوالى تحت أنظاره مابين سهل وجبل ووديان ومياه وهذه كلها ليست إلا بلاده التى ينسب اليها .. عندما يسافر الساعات الطويلة ثم يدخل مدينة أو قرية فاذا بهم يتحدثون اليه بلغته وإذا بهم يرحبون به ويتبادلون وإياه أطراف الحديث فاذا ما يشغل باله يشغل بالهم وإذا بالذى يفرحه قد أفرحهم .. وإذا بالجميع وكأنهم عائلة واحدة واخوان متحابون .. هنا .. وهنا فقط سيدرك الشاب معنى الوطن الواحد والشعب الواحد ومعنى تضامن الأفراد .. وعندما يشاهد الشاب آثار بلاده التى تحدثه من مجد أسلافه وعظمتهم سوف يشعر بالفخار والعزة .. وعندما يدرك موارد الثروة فى وطنه ويزور مصانعها الكبيرة فى كل مديرية وفي كل بلد فسيقف على مقدار الحيوية التى تسري في شرايين بلاده وسيمتلىء ثقة واعتزازا بنفسه .. ووالله إن هذه هى الدراسة . وهذه هى وسيلة إذكاء الوطنية والروح المعنوية لمن يريدون إذكاءها . .

فاذا كانت هذه الرحلات فى مجاميع تعيش في نظام شبه عسكرى فان

أثرها سيكون مزدوجا من حيث التأثير على الأخلاق وتكيينها . . فالحياة وسط الجماعة تعلم التعاون والأخاء والصراحة . . والعيش فى الخلاء وفى الخيام والسير على الأقدام والاستيقاظ فى وقت مبكر والنوم فى وقت مبكر كذلك . . وتحية العلم في الصباح وفى المساء ومزاولة الألعاب الرياضية كل هذه من شأنها أن تنضج الرجولة في نفوس الشباب وتفجر القوة الكامنة في أعطافهم وهى أخيرا توحد بين المشتركين فيها وتجعلهم أسرة واحدة . . هذه هى الرحلات وهذا أثرها فى تكوين الجيل الجديد وبحسبك أن تعلم أن مصر الفتاة بأسرها مدينة لهذه الرحلة التى قمت بها فى عام ١٩٢٨ . . فقد علمتنى كيف أحب وطنى وكيف أمتلىء إيمانا بعظمته . علمتنى أسرار القوة الكامنة فى هذا الشعب والسبيل إلى إبعاثها . . وأخيرا علمتنى أثر الأناشيد وحياة الجماعة والنظام فى نفوس الشباب . فكان ذلك كله هو أسلحتى التى استخدمتها فيما بعد كيما أقوم بهذا العمل الذى أخذت على نفسى تحقيقه .

من تاريخ مصر

أحسست برغبة ملحة فى أن أطالع تاريخ مصر على ضوء هذا التحول الجديد فعدت إلى كتبى الدراسية والتي فيها حديث عن مصر وأخذت أربط الحوادث المختلفة . . وأستعرض الصفحات المتفرقة فى عديد من الكتب . . فاذا بى أرى ظواهر عجيبة لم تلفت نظري قبل ذلك وهى مع هذا ذات دلالات كبيرة . . فقد كنت أعتقد كما يعتقد كل طالب وكل مصرى على العموم . . أن الحضارة فى مصر ، أو بمعنى آخر العصر الذهبي في مصر ، كان قاصراً على عهد الفراعنة وأنه منذ ذلك التاريخ قضى على استقلال مصر نهائيا ودخلت فى دور المستعمرات . . وأن هذا العهد الذهبي لم يعد إلى الوجود بين ضفاف النيل ثانية . . وسرعان ماوقفت على خطئى وخطأ كل مصرى فى هذا التصور . . فقد عاد العصر الذهبي مرتين وثلاثة وأربعة . .

بل إن مصر في أغلب عصورها كانت هى دائما كما كانت في عهد الفراعنة موطن العلوم والمعارف والأديان . فان عصر الفراعنة لم يـكد ينتهى على الصورة التى نعرفها ، ولم تـكد تمضى بضع سنوات على فتح الاسـكندر المقدوني لمصر ، حتى أخذت مصر تعود من جديد لتحتل الصف الأول بين دول العـالم . وليس ينقص من عظمة هذا التطور أن كان على رأس مصر في ذلك الوقت دولة البطالسة والذين هم من أتباع الأسكندر أى من عنصر الفاتحين .. فالتاريخ يحدثنا أن هؤلاء البطالسة قد اندمجوا في الجنسيـة المصرية اندماجا عجيبـا . . ودانوا بدين المصريين وارتدوا أزياءهم وتسموا بأسمائهم .. وحكموا فى عدل وقوة لخير المصريين ومجد المصريين . . ولم يترددوا في جعـل كلمة مصر هى العليا وما عداها فى الدرجة الثـانية من الأهمية حتى بلادهم الأصليـة . . وإذن فقد أصبحوا ملوكا مصريين بالدم واللحم والتفكير . . يحكمون بالمصريين ولأجـل المصريين . . وسرعان — كما قدمت — ما تبوأت مصر المركز الأول بين دول العـالم . فاذا بأسـطولها يتسيطر على البحر الأبيض ، وامبراطوريتها تعود من جديد فتمتد شرقا وغربا وجنوبا . . وإذا بجامعـة عين شمس القديمة فى هليو بوليس فى أبان مجد الفراعنة ، والتى جاء اليها أرسطو وأفلاطون وصولون وغيرهم من فلاسفة اليونان كيما يتعلمون فيها الحـكمة والفنون . . إذا بجامعـة عين شمس هذه تفتح أبوابهـا من جديد في جامعة الأسكندرية والتى طبقت شهرتها الخافقين وجاء اليها العلماء والفلاسفة من جديد يتلقون العلم والحـكمة والفنون . . ومضت عشرات الأجيال ومصر تتبوأ هذه المكانة العليا بين دول الأرض . . وعند ما جاء المسيح بعد ذلك وأصبح النزاع الروحى هو ما يشغل العالم وسـكان العالم رفعت مصر لواء المسيحية على الرغم من اضطهاد الرومان وتعذيبهم . ولا زالت مصر حتى اليوم تحتفل بذكرى الشهداء الذين سقطوا تحت سيوف الرومان تمسكا بالمسيحية ولولا كلمة جاءت فى الأنجيل على لسان المسيح وهى أعطوا ما لقيصر

لقيصر وما لله لله » . لولا أن المسيح عليه السلام لم ينشأ أن يقود الأمم والجماعات التي تدين بمبادئه إلى العصيان والثورة ضد الرومان بل على العكس دعا للتسامح واحتمال العذاب وترك المادة والتعلق بالروح ، لولا أن هذه كانت فلسفة المسيح والمسيحية ، لما صبرت مصر على حكم الرومان هذا العهد الطويل ، ولثارت عليه وقهرته واسترجعت استقلالها . ولكنها تأثرت بالديانه المسيحية التى حالت بينها وبين هذا النوع من الكفاح كما قدمت لك ، وهذا هو السر فى تبعية مصر للرومان طوال هذه العصور التى يذكرها التاريخ . . ولما كان الصراع روحيا فقد انتصرت فيه مصر على طول الخط وقاومت اضطهاد الرومان حتى انتصرت المسيحية واضطرت روما فى نهاية الأمر الاعتراف بها . . وإذن فمصر حتى فى هذه اللحظات التى حكمتها فيها الرومان كانت تلعب دورا خطيرا في تاريخ البشرية وأن ما جعلها ترضى بالمساس بسيادتها ليس إلا شدة إمعانها فى التمسك بدينها والزهد في مادياتها . . ولذلك لم تكد مصر تنفض عنها الدين المسيحى بدخول الاسلام اليها عن طريق العرب . . والاسلام فيه من تعاليم القوة مافيه ، حتى قامت مصر تلعب الدور الأول في تاريخ الأسلام وتتصرف فى أقداره وتذيع رسالته ولما يمض على وفاة سيدنا محمد بضع سنوات وعشر .

والتاريخ يحدثنا أن الفتنة التى ثارت على سيدنا عثمان كان قوامها مضر .. وأن المتظاهرين الذين أحاطوا بمسكن عثمان رضى الله عنه وانتهوا بقتله كانوا قادمين من مضر .. وبغض النظر عن قيمة هذا العمل واستنكارنا له ، فان الذي يهمنى هو أنه يدل على الدور الخطير الذي بدأت مصر تلعبه في تاريخ الأسلام وأنها لم تكن السكم المهمل الذى لا رأى له أو فكرة .. بل كانت الدولة القوية صاحبة الكلمة العليا في سياسة الاسلام .. وأرجو أن تعلم إذا كنت ممن لا يعلمون أن سيدنا على رضى الله عنه قد بويع فى مصر وأن المصريين هم الذين ارتضوه إماما للمسلمين . ولم تكد الخلافة القرشية يذهب ريحها ويتنكر المسلمون للخلفاء ، ويغيرون من نظرتهم التى

اعتادوا أن ينظروا إليهم بها حتى رأينا مصر فى طليعة الدول التى استقلت من جديد بشئونها ودولتها . فاذا بمصر منذ أحمد بن طولون وهى دولة مستقلة لها سيادتها وشخصيتها ، وسرعان ماصارت مصر المجيدة فى عهد الفاطميين . . بل إذا بها على رأس دول العالم طراً فى العصور الوسطى ، وإذا بالأمبراطورية المصرية تعود إلى الامتداد شرقاً وغرباً وجنوباً ، وتبسط نفوذها على الأمبراطورية الأسلامية بأسرها ، وإذا بالعلوم والفنون والحضارة تصبغ كل شىء فى مصر، وتؤثر على العالم بأسره، وإذا بجامعة عين شمس التى تقمصت يوماً ما ، جامعة الأسكندرية تظهر من جديد للمرة الثالثة فى ثوب جامعة الأزهر .. مشعل النور والهدى فى العصور الوسطى .. وبينما كانت أوربا تعيش فى دياجير الظلمات . . وبينما كان العالم الأسلامى تأكله الفتن والمحن والويلات . . كانت الجامعة الأزهرية موئل الوافدين من أطراف العالم الأسلامى لتلقى رسالة الأسلام . . ولم يكن الأزهر جامعة الدين فحسب . . بل كان الجامعة التى حفظت علوم العرب بأسرها ، فدرسوا بين جدرانه الطب والكيمياء وعلوم الهيئة والفلك ..

ورأيت بعد ذلك مصر وهى تقف فى وجه أوربا بأسرها فى الحروب الصليبية وتهزمها . . وتكسرها شر كسرة سواء فى ميادين الشام ، أو فى الميادين المصرية بالذات ، عند ما فكروا فى الأغارة على مصر . . وإذا كانت أوربا قد نهضت من ظلمات العصور الوسطى فقد كان الفضل فى ذلك راجعاً إلى هذه الأيام التى احتكت فيها بمصر والحضارة العربية فاقتبست منا العلوم والفنون والمعارف . . وهكذا بدا لى تاريخ مصر سلسلة متصلة من الفتوحات والانتصارات الأنسانية بصفة خاصة ، أعنى فى عالم المدنية والحضارة . . ورأيت كيف استطاعت مصر أن تفنى جميع غزاتها وأن تنتصر عليهم فى نهاية الأمر، بعد أن تحولهم إلى مصريين فى الدم واللحم والتفكير . . وكيف دالت دول العالم وتألقت امبراطوريات وسقطت امبراطوريات وبقيت مصر . . هى . . هى دائماً قلب العالم النابض ومصدر

علومه وثقافته فى أكثر الأحيان .. ولا عبرة بتغلب بعض المغيرين من حين لآخر عليها . . إذ لا يرجع ذلك إلا لأن مصر قد استيقظت فى فجر التاريخ قبل تكوين هذه الدول بأسرها ، ولم يكن معقولا ولا طبيعيا في شيء أن تبقى طوال أربعة آلاف سنة سيدة العالم وزعيمته .. فالشعوب كالأنسان عرضة لتقلبات الصحة والمرض . . وكما يصاب الجسم بضعف من حين لآخر بتعطيل في بعض أجهزته فكذلك الأمم . . وهكذا كانت مصر عرضة بين حين وآخر لهذه النوبات التي يضعف فيها جسدها ، فتكون محلا عندئذ لسطوة مغير.. ولكنها كانت تبادر سريعاً باسترداد عافيتها ، وتقوم بدورها الذى عرضته عليك .. ومن عجب أن هذه الأمم التي أغارت على مصر ، لم تكن مصر هى أولى ضحاياها ، بل كانت تجيء دائماً في النهاية . . فعندما فتح الأسكندر مصر لم تكن مصر أول ما فتح ، ولكنه جاء إليها بعد أن فرغ من أوربا . . وإذا كان الرومان قد دخلوا مصر فقد دخلوا إليها بعد أن حكموا البحر الأبيض بأسره واحتلوا انجلترا ذاتها .. وإذا كان العرب قد دخلوا مصر غزاة بعد ذلك ، فقد فتحوا الدنيا بأسرها .. وهكذا . . أى أن مصر لم تكن كما يحاول المستعمرون أن يصوروها لنا ذليلة حقيرة .. بل على العكس تغلبت مصر على بعض هذه الدول الجديدة التي مدت ظلها على العـالم . . ولقد جاء دور مصر أكثر من أربع أو خمس مرات فمدت ظلها على امبراطورية واسعة الأرجاء .. مع أن هذا الأمر لم يتكرر فى حياة غيرها من الأمم .

على أن الذى أثر في نفسى أكثر من غيره من تاريخ مصر ، هو تاريخها أيام محمد على ، الذى كان مقرراً علينا دراسته فى هذا العام الدراسى . . فقد عدت من رحلتى و كان على أن أستذكر تاريخ مصر في هذه الأيام .. و لقد دفعنى شغفى إلى حد أن لا أقنع بهذا المختصر الذى كان يقدم لنا عن تاريخ مصر في عهد محمد على . . فرجعت إلى كثير من المطولات . . ورأيت في ذلك كله العجب العجاب . . رأيت كيف وثبت مصر وثبـة سريعة

في مستهل القرن التاسع عشر. ولم يزد عدد سكانها عن ثلاثة ملايين. ومع ذلك فقد أصبحت امبراطورية ضخمة ذات جيش يهزم الأتراك (أسياد الحروب في أوروبا) وذات أسطول يحول البحر الأحمر إلى بحيرة مصرية، يسود شرق البحر الأبيض المتوسط .. فاستطاعت مصر أن تخيف أوربا مجتمعة فتتحالف عليها، كما تحطم الأسطول المصري بخدعة دنيئة، في موقعة (نفارين) وكيف استطاعت مصر بعد ذلك أن تجدد بناء هذا الأسطول بأيد مصرية، وفي موانيء مصرية . . ولقد كانت أياماً عجيبة بهرت فيها مصر العالم . . فقد بدأت مصر نهضتها في وقت لم تكن اليابان قد نزلت إلى ميدان الجهاد بعد .. ولم تكن الولايات المتحدة وحدت صفوفها بعد .. ولم تكن ألمانيا الحديثة وإيطاليا الحديثة، قد خرجتا إلى الوجود كأمم مستقلة موحدة .. ففي تلك الأيام لعبت مصر هذا الدور الخطير ولولا انجلترا . . لولا انجلترا عدو مصر اللدود لكنا اليوم نعيش في أضخم امبراطورية . . ولكن انجلترا نجحت في تأليف كتلة من الدول الأوربية ضد مصر، فإذا بنا في معاهدة سنة ١٨٤٠، نجرد من ثمار انتصارنا الذى حصلنا عليه بدمائنا وأموالنا وإيماننا .. وإذا بمصر المنتصرة في نصيبين .. مصر ذات الجيوش والأساطيل والمصانع والمعاهد . . تقف غداة انتصارها كما تجرد من كل شيء حتى الشرف .. شرف الاستقلال التام، وليس ذلك إلا بعمل انجلترا التي أرادت أن تثأر لنفسها من مصر التي طردت جيوشها في سنة ١٨٠٧ وقذفت بها إلى البحر . كما أرادت أن تمهد لابتلاع مصر في المستقبل ولم يكن ممكنا أن تتغلب مصر على أوربا مجتمعة .

لقد كانت هذه الحوادث بعيدة الغور في نفسي .. ولقد ملأتني بالمرارة والغضب وجعلتني أشعر بمقدار الظلم الذى نعانيه . . فنحن أسياد العالم قديماً .. نحن الذين علمنا الأنسانية العلوم والنور .. نحن الذين حملنا مشعل الحضارة، تقف في مؤخرة الأمم بفعل انجلترا التي حطمت امبراطوريتنا التي شيدناها وسلبت استقلالنا الذي ظفرنا به بجهادنا ثم تلفن بعد ذلك في المدارس

والمعاهد وفى كل مكان أننا أمة صغيرة ضعيفة ذليلة فقيرة . . لا . . لا . . إننى أثور على ذلك وأتمرد عليه . ويجب أن تزول هذه الغشاوة عن أعين المصريين . . يجب أن يعرفوا أنفسهم على حقيقتها . . يجب أن نقضى على الجهل بتاريخنا ، ويجب أن تعاد كتابة تاريخ مصر وأن تطهر الأذهان من هذه المفتريات المجرمة التى حشرها الاستعمار فى رءوسنا حشراً .

ولذلك فقد جعلت أول خطوة في برنامجى أن أذيع الحقــائق من تاريخ مصر، وأن أظهر صفحات مصر المجيدة، وعلى هذا فلم أكد أنتهى من إلمامى بتاريخ مصر فى أطواره المتعددة ، حتى أعددت محاضرة فى هذا الموضوع ، وطلبت من لبيب بك الكرداني ناظر المدرسة أن يسمح لى بألقائها فى مسرح المدرسة فسمح بذلك ، فدعوت لحضورها المدرسين والطلاب . . ولأول مرة وقفت أحاضر فى تاريخ مصر كما أفهمه ، فامتلأ المــستمعون بالحماسة والنشوة ، ونجحت المحاضرة نجاحاً عظيما . وسرعان مابدأت أعرف مقدار ما تفعله هذه الحقائق عن تاريخ مصر من الأثر فى نفوس الشباب !. فزاد إيماني بهذا العلاج !. ودأبت على استعماله بعد ذلك فى كل خطبى وفى كل أحاديثى . . وسوف يرى القارىء فى مجموعة الخطب والمقالات التى ستأتى فى هذا الكتاب ، والتى ألقيتها فى إبان اثنتى عشرة سنة ، انه لم تخل خطبة واحدة من الأشارة إلى هذا التــاريخ المجيد . . ذلك لأننى مؤمن أن نصف قضيتنا يحل متى عرف كل مصرى قدر نفسه ، وآمن بقدرته على العمل . .



التمهيد لمصر الفتاة

— ٢ —

لم أكد أفرغ من تحليل عناصر القوة فى تاريخ مصر، حتى اتجهت إلى تحليل عناصر الضعف فى مصرنا الحاضرة .. ولقد راعنى أول ماراعنى، ماسبقت إشارتي إليه، وأعنى به الجهل فقد كان الجهل يجابهنى دائماً أبداً كلما حاولت أن أتبين السر فى مسألة من المسائل .. فهنــاك تدهور دينى مصدره الجهل بتعاليم الاسلام الصحيحة .. وهناك تدهور وطنى مصدره الجهل بتاريخ الوطن وقيمته .. وهناك جهل بحقوق الناس بعضهم لبعض، فالجهل في جميع مظاهره هو أول ماروع الانسان الذى يحاول أن يدرس مصر الحاضرة!. ولست أعنى بالجهل قلة انتشار التعليم والمدارس .. فليس هناك ماهو جدير بالزراية والاحتقار من هذه المدارس الثانوية والابتدائية التى تفتحها الحكومة ! .. وان أردت أن تعرف من هم أجهل الطبقات فى مصر فصدقنى أنهم الذين ينعتون أنفسهم بالمتعلمين .. ممن دخلوا المدرسة فى مصر وهم أجهل الجهال، وخرجوا منها بالقشور . . بعد أن فقدوا فيها غريزتهم السليمة فى فهم الحقائق، واستعاضوا عنها بذاكرة مشوهة محشوة ببعض معلومات متناثرة لايربطها منطق ولاتوحى بها منفعة .. خذ مثــلا هذا العامى البسيط أو الفلاح الساذج واسأله عن مصر ومكانتها فانه سرعان مايجيبك بأن (مصر هى أم الدنيا) ولقد رأيت كيف أن هــذا الجواب صحيح وأنه ثمرة الاحساس بعظمة مصر وجغرافيتها .. ثم سل المتعــلم بعد ذلك عن مصر فسيقول لك إنها بلاد لاتصلح لشىء فرض الله عليهــا العبودية والذل إلى الأبد، وأننا شعب (زلط) وأننا لانفلح في شيء !. وهكذا ..

تعال إلى العامى أو الفلاح وناقشه في إحساسه بشخصيته بالقياس إلى الأجنبي فستستشعر منه اعتزازاً بنفسه بالرغم من كل شيء، وتدرك منه حماسة

النفور من كل ماهو أجنبي ، ومن كل ماهو انجليزي بصفة خاصة ، وهذه غريزة متأصلة في نفسه .. أماهذا الذى تلقى التعليم فى المدارس ، فسوف ترى منه احتراما لكل ماهو أجنبي ، وسوف ترى منه احتقاراً لنفسه وجنسه واكباراً للأجنبي وأرومته . فالأمة المصرية فى مجموعها سليمة من هذه الناحية فاذا حدثتك عن الجهل، فلست أعنى به قلة المدارس والتعليم الالزامى فان إيمانى بهذا التعليم قليل . وإنما أعنى بالجهل .. الجهل الذى تشترك فيه الجماعه . . فلقد ساد العرب الدنيا بإيمان وأخلاق ! . وكذلك الرومان وكذلك الانجليز وعندما انتشر التعليم في جميع هذه البلاد مصطحبا معه الترف والاسراف اضمحلت هذه البلاد وانحدرت نحو الهاوية .. فالعلم الذي أعنيه هو العلم الجماعي لا العلم الفردي .. بمعنى أن يكون الشعب في مجموعه يعرف لنفسه حقوقاً مقررة لا يمكن المساس بها .. وبمعنى أن يكون للشعب مثلا أعلى يسعى للحصول عليه . . وبمعنى أن يكون الشعب بأسره على بينة من بعض الحقائق فى تاريخ بلاده .. وفى طبيعة بلاده .. وبمعنى أن يكون الشعب على بينة من روح دينه وقواعده . . فالدين الأسلامى الذي بنى على العزة والقوة والجهاد ، يعرف فى مصر على أنه استسلام وركود وجهل وهكذا ! . فأعدى أعدائنا فى مصر الجهل .. الجهل بديننا .. الجهل بوطننا الجهل بأنفسنا . . الجهــل بحقوقنا . . وإذن فلا مناص من تعليم الشعب هذه التعاليم ولست أشك لحظة في مقدار الخطوة التى نخطوها إلى الأمام بأحلال العلم محل الجهل السابق الذكر .. وروعنــا بعــد ذلك أكثر مما روعنا ، فقر الأغلبية الساحقة من المصريين ! . فأكثر من ثلاثة عشر مليونا يعيشون عيشة الضنك وهم جمهرة الفلاحين ، مع أنهم يفلحون الأرض وينتجون الذهب .. ومع أن النيل كان دائماً سخياً وفياً لأبنائه وأحفاده ولقد أنعمت النظر طويلا في ذلك فعرفت السر فى كل هذا الفقر، فهو ناجم عن سوء توزيع الثروة ، فبينما يحتكر الأجانب جميع رءوس الأموال ، وكل تجارة مصر الخارجية ويداينون مصر هذا الدين المشئوم ، الذى هو أقرب

إلى الديون غير المشروعة، التى يجب على الدولة أن تلغيها بمجرد استيقاظها ! والأراضى المصرية مرهونة للأجانب !. وفى ظل الامتيـــازات يضمن الأجانب لأنفسهم التفوق المالى والاجتماعى .. وهــذا ماجعل المصريين فى هذا الفقر المدقع إذا ماقيسوا إلى الأجانب . وبجانب ذلك تضع الحكومة يدها على جانب كبير جداً من الأراضى الزراعية قد يزيد على مليون فدان وهى تستغله أسوأ استغلال ، بينما لو وزعت هذه الأراضى على صغار المزارعين لعادت على الدولة بفوائد جزيلة، ولأغنت الكثيرين وأنقذتهم من هـــذا الفقر المميت .

وهناك طائفة من الموظفـــين ، تستولى على مايقارب نصف الميزانية وبينهم عشرات الألوف من صغار الموظفين يتضورون جوعا !. بينما مئات من كبـــارهم يأكلون الذهب . . فالثروة فى مصر موزعة توزيعاً سيئا . . والأجانب يستولون على كل غنائمها ، والفلاحون فقراء .. لحياتنا الاقتصادية إذن مهشمة كل التهشيم !. ولامناص من بذل جهد كبير لأصلاحها .. بل ولامناص من البدء باصلاحها .

وفوق ذلك كله افلاس روحى وخلقى ، فأحكام الدين قد نبذت ظهريا فى جميع أنحاء مصر ! . خاصة فى المدن والعواصم !. وفى صفوف المتعلمين والحكام . . فانتشرت دور الخمر واللهو الحرام وجميع صنوف الموبقات ! وضعف الوازع الدينى وكثر التظاهر بالألحاد ، والكتابة فى الهجوم على الدين ، حتى لقد أصبح ذلك طريقة للشهرة والتظاهر بالعلم .. وأصـــبح التقاطع والتنابذ والحقد والحسد من مظاهر الحياة المصرية . . وقد جر التدهور الدينى تدهوراً خلقياً بطبيعة الحال ، فاذا بالفوضى الخلقية تعم كل مكان .. فالمحسوبية وملء الوظائف بالأشياع السياسيين والمناصرين، وإغداق المرتبـات الضخمة عليهم ، وإهمال الأكفاء وانتشار الرشـوة والاتجار بالأعراض والتملق للرؤساء والعبث بالقوانين والاندفاع مع الشهوات، أصبح طابع الأداة الحكومية وموظفى الحكومة وحكامها!. ثم انتقل منها حتى عم جميع الطبقات خاصـــة ذات الأثر فى حياة مصر السياسية .

وهناك في نهاية الأمر الاحتلال الانجليزي !. وإصبع الانجليزي في السياسة المصرية التي أضعفت كل مقاومة ، وحطمت وحدة الأمة ، وخلقت العديد من الأحزاب ، ولوحت بالمناصب والرتب ، لكل من يكون في خدمتها .

وهكذا حيثما قلبت الطرف في أي مكان لا ترى إلا آثار التدمير الخلقي والسياسي والاقتصادي والثقافي ، وهـذا هو ما جعل القلوب تمتلىء يأسا وشكا في إمكان النجاح والوقوف على الأقدام بين دول العالم .. ولقد نسى كل مصري حوادث الأمس القريب ، وأعني بها حوادث ثورة ١٩١٩ وحسبوها فلتة من فلتات الطبيعة لا أمل في العودة لمثلها .. والواقع أن حاضر مصر يبدو غريبا بالنسبة لماضيها .. بل ويبدو منقطع الصلة لأول وهلة ، ولكن إيماني بدأ يتغلب على كل هذه المظاهر ، وبدأت تظهر أمام عيني أنها ليست بعيـدة الغور ، وأن الحيوية المصرية لا تزال سليمة في انتظار من يحركها ويبعثها ، وأن شيئا من الصبر والثبات والأرادة كفيل بتحقيق كل ما نصبو اليه !.

ولقد كان مقرراً علينا في ذلك العام لامتحان البكالوريا أن نعيد دراسة تاريخ القرن التاسع عشر ، مضافا إلى تاريخ محمد علي .. وتاريخ القرن التاسع عشر طافح بأخبار النهضـات الحديثة وأحاديث الثورات والكفاح ، ففي ايطاليا مثل ما في المانيا مثل ما في بولندا مثل ما في ارلندا ، استمر الكفاح عنيفا حتى كلل بالنجاح !.. ولم تكن دولة من هـذه الدول التي ظفرت باستقلالها ووحدتها باسعد حالا من مصر ! فقد كانت فريسة قوات ضخمة وظروف سيئة !. ومع ذلك فان الكفاح المتواصل والأيمان العميق فدأدي دائما إلى النجاح !. ولقد أثر في نفسي بصفة خاصة كفاح إيطاليا .. ويظهر أن هذا الشعب يقترب إلى حد ما من الشعب المصري ، قد أعجبتني هـذه العبارات التي تفيض إيماناً وحماسة ، والتي ملأ بها مازيني صدور الشباب الأيطالي ، وهزت نفسي هزاً ، حملات جهاده من أجل ايطاليا الفتاة ، الذي كان من مميزاته تأليف الوحدة الايطالية .

وليست مصر بأقل من هذه الدول .. وليس الشعب المصري بأقل من هذه الشعوب واذن فالى العمل .. وإلى العمل فى صبر وثبات وإيمان.

هكذا بدأ العزم يملأ نفسى، وبدأت خطوط الكفاح الأساسية ترتسم أمام عينى، وبقيت الخطوة الأخيرة، خطوة التقدم للعمل ولكن هذه الخطوط لم تتخذ إلا بعد أربع سنوات بعد أن ختمت دراستي العالية وخرجت من مدرسة الحقوق، أى فى عام ١٩٣٣ وان كانت جهودى منذ سنة ١٩٢٨ حتى هذا التاريخ الأخير سلسلة أعداد وترتيب وتمهيد، كيما أخطو هذه الخطوة الأخيرة .. فقبل أن أغادر الخديوية، وفى أشهرى الأخيرة بها شرعت أكتب سلسلة من المقالات تحت عنوان « رسالتى » وضعت فيها بذرة مصر الفتاة الأولى ولو أنك رجعت إلى هذه المقالات الآن لعلمت اننى فيما كتبته بعد ذلك طوال ثمانية عشر سنة لم أخرج عن ماكتبته فى هذه المقالات (١)

(١) رسالتى : من مقالة نشرت فى مجلة المدرسة الخديوية .. العدد الأول .. العام الثامن فى أول ديسمبر سنة ١٩٢٨ .

نظرية واحدة تسود العالم من أقصاه الى أقصاه، عبر عنها الفيلسوف الألمانى « نيتشه » بصراحة اذ قال « الأرض ارث القوى والمستقبل للشعب الظافر وللصالح وحده حق الحياة » فى هذا الصراع المخيف حول الموت والحياة .. فى هذا السباق الذى تشترك فيه كافة المخلوقات تتقدم مصر العتيدة كأمة قوية خالدة ماخلدت الأيام . فمن بين أمم الأرض طرا لاتوجد واحدة تضارع الأمة المصرية . هاجمتها عاديات الدهور فما استطاعت أن تنال منها، وحاربتها الأقدار فارتدت عنها مخذولة واحتملت مصر التجربة بثبات وخرجت من الأعاصير ملؤها الحياة والفتوة تعلن إلى الناس أنها معيدة مجدها القديم . ماواجبنا نحن الطلبة .. تلك هى رسالتى وذلك هوندائى، ألا أننا شباب حرمهتنا العمل للمستقبل القريب تعالوا نبنى بناء جديداً .. تعالوا نشيد عظمتنا المستقبلة على أساس من الفولاذ مما تبنى عليه الأمم . الصناعة والتجارة مدنية القرن العشرين وروح الأمم الحديثة . أن اليوم الذى لانلبس ولانشرب ولانأكل فيه من الخارج يجب أن يكون جد قريب وفى

على أن تطوراً سريعاً قد حدث عقب هذه الأيام ، فى نشوة الحماسة التى ملأتنى فجأة وقتذاك ، فلم أكد أحصل على البكالوريا ، حتى كانت وزارة محمد باشا محمود فى الحكم ، وكان محمد باشا محمود قد عاد إلى مصر بمعاهدة تفضل جميع المعاهدات السابقة عليها ، وكنت أصبو إلى أن تتمتع مصر بشىء من الاستقرار الحزبى والحرية السياسية حتى تتمكن فى ظلها من الاندفاع فى تنظيم شئوننا الاجتماعية والاقتصادية والخلقية ، تمهيداً للقيام بالثورة الكبرى ! . التى أعنى بها تحقيق مجد مصر وبعث امبراطوريتها العتيدة . ولذلك فلم أتردد عندما عرض على بعض المتصلين بمحمد باشا محمود ، أن أعمل لمناصرة المعاهدة ، والدعوة لقبولها ، على أن يشرع محمد باشا محمود ، إذا ماقدر للمعاهدة النجاح فى تنفيذ برنامج مصر الفتاة . . ولقد كانت طلائع الحال لاتجعل هذا الأمر مستحيلا ، فلقد كان لوزارة محمد باشا برنامج إصلاحى بالذات ، وإذن فمن الممكن اكماله بحيث يشمل نواحى الاصلاح الاجتماعى والخلقى والاقتصادى فى ظل المعاهدة .

وقد ألفنا لهذا الغرض جمعية صغيرة اطلقنا عليها اسم « جماعة الشباب الحر » . ولقد كان من حظى أن خطبت فى حضرة محمد باشا محمود ، بمجرد عودته فى نادى شباب الأحرار الدستوريين ، ولم أتردد فى أن يكون خطابى

هذا يجب أن نعمل ان أردنا حقا مجد الوطن . الأخلاق هى التى تجعل الانجليزى محترما فى كل مكان . وهى التى تجعل الألمانى بمثلين من الرجال . فى المقال التالى ترون صورة لأخلاقنا . ترون الغرور والجهل والسفسطة . فى اصلاح هذه الأخلاق يجب أن نعمل ان أردنا حقا مجد الوطن . فلنحارب الخزعبلات والعقائد الفاسدة . فلنبشر بعظمة مصر ومجد مصر وتاريخ مصر فلنذك (بنك مصر) فى مشروعاته وشركاته فى هذا رفاهيــــة لأهل الوطن .. فلنناصر التجــديد الاجتماعى والخلقى والأدبى والاقتصــادى.. ولنبذر بذور الاصلاح فى كل مكان حللنا به .

قالوا قديما ومازالوا يقولون حسب الأمة التى تريد الرفعة والسؤدد أن يقوم أفرادها بواجباتهم كل فى دائرة عمله .. التاجر فى متجره والصانع فى مصنعه والموظف فى مكتبه والطالب فى معهده .. تلك هى رسالتى وذلك هو ندائى

محتويا على عناصر إيمانى ووجهة نظرى ، وانى أثبت هنا للذكرى والتاريخ بعض فقرات من الخطاب المذكور كما نشر فى جريدة السياسة فى عددها الصادر فى أول سبتمبر سنة ١٩٢٩ وهى :

ياصاحب الدولة

بينما كان العالم يعيش فى دياجير الظــلام وكان الأنسان يساكن أخاه الحيوان ، كانت على ضفاف النيل مدنية هى أم المدنيات ، وحضارة معجزة ، فمنذ ستة آلاف سنة كان المصريون يبنون الأهرام ويحنطون الأجسام ويبرعون فى سائر العلوم .

هذه ، هى مصرنا يادولة الرئيس . وهى الجامعة التى تلقن فيها الأغريق والرومان علومهم ، فألى عين شمس جاء أفلاطون ، وصولون ، وليكرغ ، وغيرهم ليتلقوا الحكمة عن المصريين .

وهى مصرنا يادولة الرئيس التى أنقذت العــالم بأن وقفت أمام سيل التتار الذى اكتسح طريقه من أقاصى الهند إلى مصر .

وهى مصر يادولة الرئيس التى خرجت فى أيام محمد على من الظلام إلى النور ومن العدم إلى الحيــاة ، فوقفت أوربا فى طريقها وطريق آمالها .. مصر هذه تريد أن تنهض وأن تسترد مركزها القديم بين دول الأرض ، ولن تصل إلى ذلك بهتاف الرعاع فى الشوارع ، ولا بالخطب تلقى من فوق المنابر ، ولكن بالعمل والعمل وحده ، فهى فى حاجة إلى الزعيم العامل ، وهذا الزعيم العامل لن يكون من دم تركى أو شركسى بل من دم فرعونى تنساب فيه كريات رمسيس ومينا ... » الخ

هذه هى بعض الفقرات التى ألقيتها أمام محمد محمود باشا ، وأنت واجد فيها نفس العبارات والأفكار التى لم أخرج عليها حتى الآن ، فهى فكرة واحدة تلك التى تملأ حياتى وتملك على مشاعرى ، وأعنى بها بعث مجد مصر وتحقيق عظمة مصرنا بأسرها .. وليست حياتى إلا سلسلة متصلة الحلقات من العمل فى هذا السبيل .

على أن وزارة محمد باشا محمود لم تلبث أن سقطت ! . وسقطت معه معاهدته ، ولكنني ظللت ماضيا في طريقي .·. فلم أكد أدخل إلى الجامعة ويلحق بي أخي فتحي رضوان ، حتى فكرنا فيما يجمع الشباب ويوحد أفكارهم ، ويدفع بجهادهم إلى ميدان جديد هو ميدان مصر الفتاة ، فدعونا إلى الاحتفال بـ ١٣ نوفمبر على أسلوب جديد ، وهو أن نجتمع في سفح الأهرام ونقيم به معسكرا نبيت فيه ليلة العيد المذكور ، وفي الصباح نحيي العلم وننزل إلى المدينة . . ولقد نفذنا المشروع فحصلنا على الخيام وأقمنا المعسكر ، ولكن لم يوافنا في المعسكر إلا نفر لم يتجاوز عدد الأصابع ، وهكذا لم تكن البيئة مستعدة وقتئذ لقبول هذه الروح الجديدة . . ولقد انقضى على هذا التاريخ سبع سنوات قبل أن أرى تحقيق هذا المشروع ، عندما اجتمع مندوبو شعب مصر الفتاة في عامها الثالث في سفح الأهرام ، واحتفلنا بالعيد كما سترى ذلك في متن الكتاب

لم ينقض العام المذكور قبل أن نقوم بمحاولة جديدة لنشر مبادئنا ، فاتفقنا مع أحد معارفنا للحصول على رخصة جريدة ، واخترت لها اسم البعث فاذا هو اسم لجريدة أخرى فاختار أخي فتحي اسم الصرخة ، فكانت الصرخة التي ستبقى إلى الأبد علما على مصر الفتاة ، وسجلا لوقائعها ، وإذا كان الناس لم يسمعوا عن الصرخة مقترنة بمصر الفتاة إلا في اكتوبر سنة ١٩٣٣ ، فان الصرخة في الواقع قد صدرت أعدادها الأولى في مارس سنة ١٩٣٠ ، وكانت تحمل في صدرها وفي ثنايا سطورها هذه المبادىء والأنظمة التي أخذت شكلها النهائي وأعلنت رسميا بعد ذلك بأربع سنوات تقريبا . .

فقد نشرت الصرخة في عددها الصادر في ٧ مارس سنة ١٩٣٠ مقالة عن مصر الفتاة تحت عنوان « طريقنا إلى العظمة » . وقد جاء في هذه المقالة بعد مقدمة تخيلت فيها أن جموع شباب مصر الفتاة قد اجتمعت حول الأهرام لتدرس الوسائل التي يجب عليها انتهاجها لبعث الحياة في مصر ولاعادة مجدها القديم — ما يأتي .

أنظر .. أنظر وحدق النظر ، فهذا هو العلم المصرى يرتفع فوق الاهرام وسط هذه الموسيقى والأناشيد ، وهاهي الجموع ترفع يدها بالتحية ، حتى اذ وصلت القمة دوى التفير. وانطلقت الصرخة الكبرى التى تناثرت لها الرمال وتفتت الصخور.

المجد لمصر

تلك صرختهم وهذا ما اجتمعوا لأجله . انهم شباب مصر الناهضة جاءوا من أقصى الصعيد حتى الاسكندرية ، جاءوا من الأكواخ والقصور ليجتمعوا فى حقل المجد ، تحت سفح الاهرام الخالدة ، جاءوا كلهم ارادة وعزيمة ، ليقوموا بالمعجزات فى سبيل الوطن. فلنسمع ماذا يقول لهم الشاب الذى تقدم بجانب الصارى ! .

« ياشباب النيل ويأسلالة الفراعنة ، يا أحفاد المجد ويا أرباب العبقرية . هذه الاهرام تظلنا وهذا أبو الهول رمقنا ، وهذه الراية ترف فوقنا ، وهاهى الشمس تلهب نفوسنا كلها ، تسألكم لماذا تخليتم عن الزعامة بين الأمم . هل كلكم أو أصابكم الملال ؟ .. أم استسغتم طعم الذلة والهوان .. فدوى صوت الجموع لاجيبا صارخا .. كلا والنيل والاهرام ، سنعيد المجد وندرك أسباب السماء .

فصاح الشاب ثانية . وماذا أنتم فاعلون .

فاندفع الجميع ينشدون .

سنكرس حياتنا لأجل مصر .

سنبذل أرواحنا فداء لمصر

سنعلم الطفل والفتى والكهل ان يحب مصر

فى كل صباح وظهر ومساء ستتغنى بمجد مصر

خفتت أصوات الجموع ، فعم السكون السكون ، وعاد الشاب يتكلم (الذن هلموا الى المدينة نسير فيها بموسيقانا وأناشيدنا ، هلموا نكهرب جو القاهرة بأنفاسنا وعزماتنا وليعدكل منا بعد ذلك الى عمله وجهاده فى سبيل مصر) فاصطف الشباب جماعات وكتائب وانحدروا من الاهرام وساروا فى الطريق تتقدمهم الموسيقى وترتفع عقائرهم بالغناء يحمل كل منهم مشعلا موقدا رمز النور الذى سينبعث من مصر ا.

وعندما وصل الجيش الى القاهرة ودوت أناشيده فى سمائها رجتها النوافذ والأبواب ووقفت المركبات والسيارات وكلها تصيح

المجد لمصر

أسمعت ذلك كله ورأيته أيها الرفيق . . تلك هي مصر الفتـــاة وهذه هي المليشـيا الفرعونية .

بهذه الطريقة استقلت الممالك وارتقت ، ومن قبل كانت ايطاليا الفتاة وبولندا الفتاة والمانيا الفتاة وايرلندا الفتاة وتركيا الفتاة.. وكل أمة أرادت استقلالا أونهوضا أو مجداً اتبعت هذا الطريق ،طريق الشباب الملتهب بحماسة الايمان !.

فا أحرانا بتكوين مصر الفتاة لتعيـد لمصر بهجتها ومجدها !.



هذا هو الصوت الأول من أصوات مصر الفتاة في صورتها الأخيرة ولـكننا لم نستطع أن نستمر فى مواصلة إصدار الصرخة لسبب صغير جداً ، وهو أننا لم نجد موزعا يوزع الجريدة، ومن ناحية أخرى فقد رأى صاحبها أن يستقل بأصدارها بعيداً عن مبادئنا و برنامجنا ، واقترب ميعاد انتهاء السنة الدراسية وشغلتنا الامتحانات . وفى الصيف نفذت مشروعاً كان يخالجنى منذ ثلاث سنوات، وهو زيارة باريس ومشاهدة أعلامها ودراسة الحضارة والنهوض الأوربى، فجمعت من الأموال مااقتصدته طوال هذه السنوات، وماأعاننى به أخى فتحى رضوان ،وسافرت إلى باريس على ظهر أحدى المراكب، ولقد كان طالما جديداً ذلك الذى فتـح أمام باصرتى فقد رأيت مظاهر النهوض والقوة . . رأيت حيوية الشعوب كيف تتجلى وكيف تستثمر . . رأيت ماذا يمكن أن تفعله يد الأصلاح والنظام فى تجميل الحيـاة وجعلها أكثر منطقاً .. على أن الذى هزنى أكثر ماهزني هو قوة الشعب ، وإحساس كل فرد بشخصيته وحريته وقوة رأيه وعقيدته !. راعنى كيف تقف الحكومة نفسها فى خدمة المجموع فعلا . . وكيف تعتمد وتستمد قوتها من العمل لخير المجموع وسعادة الفرد . . على أن إيمانى بمصر قد زادا كتمالا ، فقد أحسست بقوة أننالا يمكن أن نقل عن هؤلاء الأقوام، وأن شعبنا لاتنقصه المواهب والكفاءة التى تؤهله لمنافسة هذه الشعوب والارتقاء عليها !.. بل كل مشكلته أنه بقى محروماً من الحاكم الصالح والزعيم الصالح، فلم يتطور التطور الطبيعى ووقف حيث سار الناس . . لم يسـتطع الفرنسيون مطلقاً أن يقنعونى أن لهم جوهراً يخالف جوهر المصريين وأننا أعجز من أن

تحقق مااستطاع الفرنسيون أن يحققوه . . بل بالعكس زدت إيماناً بقوة شعبنا ، إذا ماشرع في التطور تحت قيادة زعيم مصلح .

وثمة أثرآخر تركته فى نفسى زيارة باريس فى ذلك العهد، وهوتزعزع ثقتى بالمدنية الغربية في مظهرها المادي ،وشعورى بأن هذه القواعد المادية الألحادية التى لاتعترف بحق أوفضيلة أو دين أو عرف أوتقاليد لن تنتهى إلا بنتيجة واحدة ، هى تدمير أوربا شر تدمير! . ولقد كان هذا فيا بعد مبدأ أساسياً من مبادىء مصر الفتاة ،التي قامت على التمسك بكل ماهو مصري وشرقى، واحتقار كل ماهو أجنبي ،والتعصب للمصرية والأسلامية،حتى آخرحدود التعصب فقد امتلأت إيماناً بأن هذا هو الأسلوب السليم لأنهاض مصر وإنقاذها من التردى في الهوة التي تتردي فيها أوربا ! . أجل إن فى أوربا وفي شعوب أوربا بعض الفضائل وبعض المظاهر الطيبة ،ولكن من العجب أن كل هذه الفضائل وهذه المظاهر الطيبة ليست ثمرة من ثمار المدنية الغربية، ولكنها ثمرة من ثمار الأنسانية الناضجة على العموم ، ولقد كان الشرق بصفة عامة والأسلام بصفة خاصة هو مصدر هذه الفضائل والقوي . . لقد أعجبنى في باريس من أخلاق القوم الصدق والصراحة فى المعاملة والأمانة والنظافة والنظام والتعاون والتضامن ! . ولعمري أليست هذه كلها فضائل الأسلام ومبادؤه ؟ أليس هو الذى يدعونا إلى كل هذه الخصال الحميدة ، وكل هذه الأسس العمرانية . . فاذا كنا قد جهلنا هذه القواعد واستفاد منها الغرب ، فعندما نهيب بأنفسنا من جديد لاعتناقها والتمسك بها ، فلسنا في هذا نقلد أو نسير خلف الغرب ، ولكنا فى الحق نستوحى ديننا وماضينا وتاريخنا.. وإن كانت أوربا تتميز بشىء فهى تتميز بهذا الذى حدثتك عنه من الألحاد والرغبة في التحرر من الأخلاق والقوانين وإشباع الشهوات المادية ، بل والتطور بها تطوراً مخيفاً .. وأخيراً تتميز بروح الاستبداد بالشعوب الضعيفة ونزعة الخصومة والعداء والتحاسد فيما بينهم

وسريان الشيوعية المخربة المدمرة لكل ماهو جميل وروحي وكذلك الاشتراكية المتطرفة . . هذا القسم الذي تتميز به أوربا هو ناحية الضعف فيها ، وهو بدأ النهاية لحضارتها ومدنيتها .



وهكذا عدت من فرنسا بعد شهر ونصف شهر وفي نفسي ألف رغبة ورغبة للعمل والعمل في ميادين مختلفة . . وأفكاري تتبلور وتتكون نهائياً ، وإيماني بمصر وضرورة العمل لبعثها بعثاً جديداً داخل إطار الصبغة المصرية الأسلامية ، بعيداً عن زيف المدنية الغربية قد أخذ صورته النهائية التي لم يطرأ عليها تغير بعد ذلك في أي تفصيل من تفاصيلها .

ولذلك فلم نكد نستقبل العام الدراسى الجديد ، وقد انتقلت إلى كلية الحقوق حتى ألقيت محاضرة عن باريس في الجمعية الجغرافية ضمنتها آرائي السابقة الذكر . وعرضت فيها بالفانوس السحرى عشرات من الصور التي أحضرتها معي من باريس وتلا هذه المحاضرة عدة مناظرات جرت بيني وبين بعض النظراء فى الجامعة وفي جمعية الشبان المسلمين وقد جعلت أختار في هذه المناظرات دائماً الطرف الذي يكون مبدأ من مبادىء مصر الفتاة . . ففى مناظرة بين المدنية الشرقية والغربية وأيهما أولى بالتفضيل اخترت الشرقية وشرحت وجهة نظري ، وأن مايعجبنا فى الغربية هو فى الأصل شرقى ، ويبقى بعد ذلك امتيازنا بعقائدنا الروحية وتقديســـنا للأخلاق والفضيلة وفى مناظرة بين الفرعونية والعربية ، أى هل نتمسك بفرعونيتنا داخل حدود مصر ، ونهمل الأقطار العربية والمســحة العربية فى حياتنا وحضارتنا . أم العكس فاخترت جانب العروبة وشرحت وجهة نظرى فى الرابطة التي تربط مصر بالدول العربية والتى تخول لها زعامة الأسلام ، وأن مصر يجب أن تكون حريصة على هذا التراث وهذا المجد ، فلاتتخلى عنه جريا

خلف بعض الذين يريدون أن يفصلوا مصر عن هذا المجتمع الدولي العظيم، الذي تربطنا به اللغة والدين والعادات والماضي المشترك .. والذي تربطنا به أخيراً رابطة المصلحة الشخصية لمصر .. وليس يعني هذا أن لا نستغل التراث الفرعوني في الوقت ذاته، فنفخر به ونزكي به إيماننا وثقتنا بأنفسنا ونتخذه مظهراً من مظاهر العزة والقوة !.

وهكذا توالت عدة مناظرات في أمكنة مختلفة، وكنت أخرج في ختام هذه المناظرات منتصراً وحاصلا على أغلبية الرأي العام، ولقد حددت بهذه الانتصارات كما قلت وجهة نظري في مختلف الشئون العامة تحديداً نهائياً..



مشروع القرش

— ٣ —

كان المتفق عليه أن نبدأ كفاحنا السياسى حالما أنتهى من الدراسة وأصبح طليقًا من الدرس والامتحانات ، ليكون الانسان متفرغا للكفاح أولا وأخيرا .. وكنا في ذلك الوقت نعيش في ظل عهد لا يسمح للطلاب بالاشتغال بالمسائل السياسية ، وأعني به عهد وزارة اسماعيل صدقى باشا ومع ذلك فقد بدأت أشعر برغبة قوية فى العمل ، وفى عمل ضخم يهز كيان الامة هزا ، ويمهد السبيل لخطواتنا النهائية ، فاذا بفكرة مشروع القرش تخطر لى ! . وسرعان ما شرعت فى تنفيذها . .

كانت مصر في هذه الأيام تعانى أزمة اقتصادية مخيفة ، فقد هبطت أسعار القطن وأصبح لا يجد مشتريا ، وفي وسط ذلك اختل الميزان التجارى ضد مصلحة مصر اختلالا لا عهد لها به من قبل ، وأصبحت الأزمة والشئون الاقتصادية هي مايشغل بال كل مصرى ، وزاد هذا التدهور السريع الارتباك فى مالية مصر واقتصادياتها ! . وأصبح لامناص من مراجعة الموقف الاقتصادي برمته . . وقد تجلى خطر اعتماد مصر على الزراعة فقط وزراعة القطن بصفة خاصة . . كما تجلى خطر اعتماد مصر اعتمادا كليا على أوروبا في كل ما تحتاجه من مصنوعات، ومن هنا فقد أدركت أن أكثر ما تحتاجه مصر وسط الظروف المختلفة التي تحيط بها! هو العمل على إيجاد الصناعات بها، ونشر روح الصناعة الوطنية فى كل مكان . . ولما كانت الصناعة تحتاج إلى رءوس أموال ، لم أشأ أن تجمع رءوس الأموال من بضعة أفراد ، بل رأيت أن مما يحقق غايتنا بكمالها أن يساهم الشعب مجتمعا فى انشاء هذه الصناعات القومية ليظل حريصا على تشجيعها فيا بعد ، ويسمح لنا أثناء جمع هذه الاكتتابات الصغيرة أن نلقن أبناء الشعب دروسا فى التعاون والاعتماد على النفس، ونشر الدعوة للصناعات المصرية . .

وأخيرا سوف يكون لنجاح مثل هذا المشروع ، وقيام مصنع من المصانع بأموال الشعب ، أكبر الأثر فى احساسه بقوته إذا ما تعاون وتضامن ..

وهذه كلها هى المعانى التى صغتها فى شعار مشروع القرش وقتذاك « تعاون وتضامن فى سبيل الاستقلال الاقتصادى »

وكان اختيار وحدة الاكتتاب بعد ذلك أمرا سهلا ، فقد جعلته قرشا حتى يسهل على كل فرد دفعه .

ولست أريد الآن أن أذكر تاريخ الجهود التى بذلت فى سبيل تحقيق هذا المشروع ، ولكنى لا أستطيع أن أنسى كيف قوبلت بالسخرية فى بادىء الأمر ، بدعوى ، أن المشروع ليس إلا حلما من الأحلام ، أو خيالا من الخيالات .. حتى إن المحرر فى جريدة الأهرام الذى حملت اليه فكرة المشروع مسطورة ، رمى الورقة فى وجهى قائلا لى : إن هذا (لعب عيال) .. وبعد أيام قلائل قيل لى من محرر آخر : إن كرامة الجريدة لا تحتمل نشر هذه السخافات ! ولقد كانت هناك ألف عقبة وعقبة فى طريق المشروع ! .. أقلها قيام الحرب الحزبية فى مصر على أشدها وقتذاك وتربص كل جانب بالآخر .. وكانت هناك رقابة وزارة المعارف الشديدة التى لا تكاد تسمح لطالب بكتابة كلمة فى احدى الجرائد .

وكان المشروع يبدو بذلك مستحيلا .. وأحيانا مضحكا ..

فقد قال فيه بعض القانونيين كلاما طويلا عريضا ، عندما بدأنا نشاطنا ، وبدأ المشروع يطرق الآذان .. فما كنت تسمع إلا اعتراضا ، وسخرية ، فى كل مكان ، فى الجامعة وسط صفوف الطلاب ، وفى الشارع وفى النادى .. ولكن الله سبحانه وتعالى وفقنى توفيقا عجيبا إذ هدانى إلى سعادة على باشا ابراهيم ليكون رئيسا للجنة التى تدرس الموضوع وتبحثه ، وكان هذا الاختيار بدء تطور جديد فى حياة المشروع . فقد أسرعت الصحافة لنجدته ، وأصدرت دار الهلال عددا خاصا من إحدى مجلاتها خصصت إيراده للمشروع ، فجمعنا من هذا العدد ما يقارب الثلاثمائة جنيه مصرى

فكان ذلك نواة لرأس مال المشروع ، واستطعت بهذا المبلغ أن أمضى حتى النهاية فى إخراجه إلى حيز التنفيـــذ ، من حيث اعداد الطوابع اللازمة لجمع الاكتتابات ، وعمل الشارات والصناديق ، والدعاية اللازمة فى كل مكان .

نجح المشروع واهتزت له مصر من أقصاها لأقصاها . . ورأيت بعينى رأسى صورا ومشاهد جعلت الدموع تطفر من عينى . . رأيت شـــبابا ينتسبون إلى الوزراء ، وإلى المستشارين ، وإلى كبار الأعيان ، يسهرون الليل وسط الصقيع !. كما يستلموا أعداد الجرائد وطوابع المشروع ليقوموا بتوزيعها فى الصباح كباعة الجرائد ! . رأيت شبابا يعملون واصلين الليل بالنهار لا يكلون ولا يملون . . يسافرون من الاسكندرية حتى اسوان!. ليحملوا الطوابع والشـــارات وليتصلوا باللجان . . رأيت حولى عشرات الأوانس وألوف الشباب ، تلمع عيونهم ويهتفون بمجد مصر ويستعذبون العمل فى سبيل استقلالها وتحريرها ! . . هذا هو نجاح مشروع القرش كما كنت ، أريد هذه هى المعنوية التى رغبت فى إثارتها . . هذا هو الكسب العظيم الذى أفادته مصر من جراء هذا المشروع . . وعندما أقمنا مهرجان المشروع فى حديقة الأزبكية ، واكتظت الحديقة بما يزيد على خمسين ألفاً من خيار الناس جاءوا كلهم ليحتفلوا برسالة التحرر الاقتصادى . . وليعلنوا رغبتهم فى أن يستقلوا بصناعتهم ، وأن لا يلبسوا إلا من صنع بلادهم ، وأن لا يأكلوا إلا من ثمراتها . . وقفت فى ركن من الحديقة وكان قد مضت على عدة أيام لم أنم فيها وبضع عشرات من الساعات لم أتذوق طعاما . . وقفت فى ركن من الحديقة مختبئا عن الناس ! . وقلبى ينبض بشدة والدموع تذرف من عينى !. وأنا أقول بصوت مرتفع . . هذه هى . . هذه هى روح مصر الفتاة التى أنشدها .

***

كان النجاح المادي في مشروع القرش أقل بكثير من نجاحه المعنوي ، فلم يزد المجموع عن سبعة عشر ألفا في العام الأول ، وثلاثة عشر ألفا في العام الثاني . . ولكنى مع ذلك شرعت في العمل حتى أحقق ما وعدت الناس به . وكانت الصناعة الوحيدة التي استهوتني منذ أمد بعيد، هي صناعة الطرابيش . . فالطربوش هو شعار مصر القومى ، ولقد كنت أشعر دائما بالمهانة إذ كان شعارنا الوطنى أجنبيـــاً تنسجه لنا بلاد أخرى لا تلبس الطرابيش، فتقوم بحيا كته، كما تقوم مصانعها الأخرى بعمل الزجاج الملون، والعقود البراقة ، لتباع في أواسط أفريقيا وآسيا ! . وكانت لمصر صناعة عريقة في الطرابيش إبان محمد على وإسماعيل ! . بل وكانت لمصر صناعة الطرابيش في مدينة قها ، فتدخل الأجانب وحطموا هذه الصناعة المصرية !. فرغبت في أن أثأر لمصنع قها وأن ألبس كل مصرى طربوشا من صنع بلاده !.

ولقد كان التفكير في إنشاء مصنع للطرابيش بهذا المبلغ الصغير ، أي بسبعة عشر ألفاً من الجنيهات ، يعتبر أمراً جنونياً ، ومع ذلك فقد قررت أن أمضى في الموضوع حتى النهاية .

كان أول عقبة صادفتها في هذا السبيل ، هو تنحى سعادة طلعت باشا حرب عن العمل معنا لتحقيق المشروع، فقد رأى أنه من المستحيل إنشاء مصنع الطرابيش ، واستدعانى في يوم من الأيام إلى مكتبه وسلمنى ملفا (دوسيها) يتضمن مجهودات البنك ومساعيه لأنشاء مصنع للطرابيش، وأخبرنى كيف أن بنك مصر بكل حوله وطوله ، قد عدل عن تنفيذ الفكرة لصعوبتها ، وخوفاً من المنافسة الأجنبية القاتلة !. فصناعة الطرابيش كانت في القديم احتكاراً نمسوياً، ثم أصبحت احتكاراً تشيكوسلوفاكيا بعد أن تحولت مصانع النمسا القديمة إلى سيادة تشيكوسلوفاكيا، وهذه المصانع من القوة وضخامة رأس المال والاقتدار الفنى، بحيث لا يمكن مقاومتها بحال من الأحوال. ولكن هذه الصعوبات لم تؤثر في تصميمى، لأنى لم أكن من رجال الصناعة أو المال لحسن الحظ، ولكنى كنت صاحب فكرة معنوية وصاحب الفكرة لا يعبأ

بالصعوبات .. !.. فافترقنا أنا وطلعت باشا حرب مختلفين في هذه النقطة ، ولكن الرجل تمنى لي النجاح والتوفيق في مهمتي وأعطاني (الدوسيه) الخاص بصناعة الطرابيش لأنتفع به في محاولاتي ..

وقد يدهش كل إنسان لأن يتصدى طالب مثلي في كلية الحقوق ، ويأخذ على عاتقه إنشاء مصنع للطرابيش وهو الذي لا يعلم من أمر الصناعة شيئاً .! ولكنه الأيمان .. ولكنه العزم والتصميم .

وسرعان ماجاءت الحوادث والأقدار لنجدتي ، فقد تقدم إلي مهندس ألماني يُسمى (فورهانز) وأخبرني أنه اطلع في الصحف الأفرنجية على تفكير جمعية القرش في إنشاء مصنع للطرابيش ، وأنه مستعد لأن يتقدم مشروعاً وعطاء كاملين عن إنشاء مصنع للطرابيش بالمبلغ الذي جمعناه من المال! . فناشدته على الفور أن يفعل . فانصرف من عندي واعداً إياي أن يرجع إلي بعد ثلاثة أو أربعة أسابيع . ولقد عاد بعد الموعد المضروب وهو يحمل في جعبته مشروعاً كاملاً لأنشاء مصنع للطرابيش ، وراح يعرض علي الرسوم ويعرض علي صور الماكينات ، ويعرض على فوق ذلك كله تعهد الشركة أن تنتج لنا طرابيشاً كأحسن طرابيش في السوق المصرية . وأن لا تأخذ ثلث المبلغ المستحق لها من ثمن الآلات إلا بعد أن تنجح في إنتاج طرابيش كالعينة المتفق عليها ، وأنها على استعداد لأن ترسل الخبراء الذين يتولون إنشاء المصنع وتعليم العمال المصريين إنتاج الطرابيش . ولم تكن الشركة في نهاية الأمر تطلب ثمناً لآلاتها وماكيناتها أكثر من بضعة عشر ألفاً من الجنيهات . كان ذلك المشروع المقدم من هذه الشركة الألمانية المسماة « هارتمان » بمثابة نجدة إلهية لي ، فقد عزز وجهة نظري في إمكان إنشاء مصنع الطرابيش ! . وبعد أن كنت أدعو لهذا المشروع على غير أساس وهدى ، أصبح تحت يدي مشروع كامل أستطيع أن أتحدى به كائناً من كان ...

ولكن الشركة التشيكوسلوفاكية راحت من ناحيتها تعمل لأحباط المشروع ! . فأوفدت مندوبين لها في مصر سعوا لمقابلة رئيس الحكومة المصرية

وكان في ذلك الوقت هو اسماعيل صدقي باشا!. وأقنعوه بأنه من العبث أن نفكر بهذا المال التافه في أن نافس شركتهم العتيدة !. واقترحوا عليه أن يقنعنا: بالعدول عن إنشاء مصنع للطرابيش في مقابل أن يساعدونا في إنشاء مصنع لعمل البطاطين!.. وأن يقدموا الآلات اللازمة لهذا المصنع بالمجان. ولقد كان هذا عرضاً مغرياً جداً ، جعل رئيس الحكومة يستدعي مصطفى بك الصادق مدير مصلحة التجارة والصناعة وقتذاك ، ووكيل مشروع القرش، ويطلب منه العدول عن إنشاء مصنع الطرابيش، والاتفاق مع الشركة الأجنبية !.

وقد حمل مصطفى الصادق بك هذا الرأي إلى مجلس إدارة المشروع ، وكادوا يوافقون عليه لولا اعتراضي واحتجاجي الذي لم يفلح وقتها إلا في تأجيل إصدار القرار النهائي ، لمدة أسبوع واحد ... فأسرعت في اليوم التالي إلى مقابلة صدقي باشا رئيس الوزراء ، وأقنعته بأن لا يقف في وجه هذا المشروع الوطني. بل ينبغي عليه أن يشجعه ويعاونه باعتباره حامي النهضة الصناعية في مصر !. فأصغى الرجل لآرائي وأفكاري وتأثر بحماستي للمشروع ، فأعطاني موافقته الكتابية على المضي في إنشاء مصنع الطرابيش !. وقد كان هذا أعظم نجاح لي في وجه أعضاء مجلس الادارة الذين دهشوا كل الدهشة لتوفيقي في الحصول على هذا التأييد من ناحية صدقي باشا .

وهكذا لم تستطع الشركة أن تنجح في هذا المضمار ، فرأت أن توجه مجهوداتها نحوي شخصيا ، فدعتني للمفاوضة معها وراح مندوبها يساومني ويغريني بالعدول عن إنشاء مصنع الطرابيش في مقابل أن تقدم لنا الشركة مصنعا للبطاطين !. وتتولى هي بنفسها إنشاء مصنع للطرابيش في مصر ، وتجعل مني مديرا لكلا المصنعين. ولكني احتقرت هذه المساومة وأعلنت أنني ماض في تنفيذ المشروع بالرغم من أنف الشركة وبالرغم من أنف محاولاتها الشائنة ، ولقد مضيت بالفعل..

وليس يتسع المجال الآن لذكر كل التفاصيل وكل الصعوبات والعقبات التى اعترضت طريقى فى كل خطوة !. والمهم أنه جاء اليوم الذي وضع فيه حجر الأساس لانشاء مصنع الطرابيش بشارع برج الظفر فى حفل رائع تجلت فيه حماسة الشباب وروعة انتصاره !.

***

وتم التعاقد مع شركة هارتمان الألمانية على توريد الآلات اللازمة . على أن مصاعبنا لم تنته عند هذا الحد ، بل أنها بدأت بصورة عنيفة ، فلم نكد نفرغ من التعاقد مع الشركة المذكورة حتى فاجأتنا بعجزها عن المضى فى تنفيذ المشروع !. بحجة أنها كانت تعتمد في تنفيذه على خبير تشيكوسلوفاكى . وقد سعت الشركة التشيكوسلوفاكية المنافسة إلى هذا الخبير وأغرته بالمال ، حتى حملته على التخلى عن العمل مع الشركة الألمانية !..

وكان معنى ذلك انهيار كل آمالى وأحلامى فى إنشاء مصنع الطرابيش !. ولكنى لم أدع اليأس يتغلب على ، وسعيت إلى وزير ألمانيا المفوض فى مصر بصحبة سعادة على باشا ابراهيم رئيس المشروع واحتججنا لدى الوزير على موقف الشركة ، وأفهمناه أن ذلك التراجع من ناحية الشركة عن تنفيذ تعهداتها سيضر بسمعة ألمانيا فى مصر !. بل وفى الشرق كله ، فاهتم الوزير اهتماما عظيما بالموضوع ، وكتب لوزارة الخارجية الألمانية طالبا منها التدخل ، وانتهى الأمر بأن عادت الشركة الألمانية لتنفيذ تعهدها وأعلنت من جديد استعدادها لتوريد الآلات اللازمة بعد ستة أشهر . . .

ومضت الأشهر ووصلت الآلات أخيرا وارتفع بناء المصنع شامخا أنيقا جميلا ذا طراز فرعونى بديع !.

وتم تركيب الآلات ، وجاءت اللحظة الخالدة التى قررنا فيها إدارتها لأول مرة !. ولقد مضت على هذه الذكرى الآن سنوات وسنوات . ومع ذلك فمازلت أتمثل هذه اللحظة الرهيبة التى شعرت فيها بقشعريرة الانتصار !. ومازلت أسمع أصوات الماكينات تدوى بين جدران المصنع والصوف يأخذ

طريقه من آلة إلى أخرى ، لاخراج أول طربوش مصرى صنعته الارادة المصرية والايمان المصرى! . ومازلت أحس بحرارة الدموع التى سالت على وجنتى فرحاً وابتهاجا واذن لم أكن عابثا ولا ماجنا ... لم أكن خيالياً ولا معتوها ! . وانما كنت مصريا مؤمنا ، عرف كيف يحول إيمانه إلى عمل فانتصر ، وانتصرت مصر كلها ، وراحت تكلل رءوسها بهذه التيجان المصرية الصميمة ، وأثبتت الدنيا أن العامل المصري لا يقل اقتـدارا عن أى عامل أوربى ، وأثبتت الدنيا أن الارادة المصرية تستطيع أن تتغلب على كل شىء متى صدق العزم وخلصت النوايا ! .



نص الخطاب

الذى ألقى فى حفلة وضع حجر الاساس لمصنع الطرابيش

سيداتى وسادتى .. اخوانى وأصدقائى :

سمعتم منذ لحظات سعادة رئيسنا يلقى كلمة الجمعية الرسمية ولن أعود فأحدثكم عن ماهية مشروع القرش وتاريخ نشأته ، والأطوار المختلفة التى مر بها

فقد عدد لكم الأشخاص الذين هم جديرون بشكرنا وتقديرنا، فلم يبق لدى ما أقوله من هذه الناحية ، الا أن أحدثكم عن مصنع الطرابيش بالذات ولماذا اخترناه دون سواه من المشاريع الأخرى ، وماهى قدرته على الانتاج الى آخر هذه المعلومات التى يهم الرأى العام الوقوف عليها .

على انى فى حديثى أيها السادة لن أكون الا كما انا ، بصفتى الشخصية شابا عاديا من شباب مصر الفتاة، أو بالأحرى متطوعا من متطوعى القرش صريحا بكل مافى الشباب من صراحة وجرأة ، متفائلا بقدر مافى الشباب من ايمان وأمل .

تتساءل أيها السادة؟ لماذا اخترنا الطرابيش لتكون أول صرح من صروح القرش، أو بمعنى أصح لتكون أول حجر فى بناء استقلالنا الاقتصادى ، الذى يسمى لأجله مشروع القرش . هل كنا فى ذلك نطيع عاطفة فحسب أم أن ذلك كان نتيجة تفكير وامعان ؟. الحق أيها السادة أن الامر لو كان وحى عاطفة لكان ذلك وحده سببا كافيا للبدء به فالعاطفة هى كل شىء فى حياة الأمم ! وما الاستقلال والمجد والعزة الا مجموع عواطف الشعب متخذة هذه الصورة المادية .. أوليس من العار أن شعبا ناهضا مجاهدا يصاغ له شعاره القومى فى الخارج ؟ فى بلاد لاتعرف الطربوش ولا يلبسه أهلها . والله لو لم يكن هناك الا هذه الفكرة تحفزنا لانشاء مصنع طرابيش لكفى بها مبررا ، فما بالكم وقد تضافرت الظروف والحيثيات لتدفعنا فى هذا التيار .

فقد خرجنا من موسمنا أيها السادة بسبعة عشر الفا من الجنيهات لا أكثر ، وهذا المبلغ لا يصلح لصناعة لها قيمتها سوى الطرابيش فقبل الجمع كنا فكرنا فى انشاء مصنع (للبدل) الصوفية ولكن المبلغ الذى حصلنا عليه لايحقق هذه الفكرة التى تحتاج الى أموال طائلة ، وكانت هناك غير صناعة الطرابيش صناعات عدة صغيرة يمكن انشاؤها على هذا المبلغ مثل صناعة الالبان أو السجاير على أن مثل هذه الصناعات موجود بالفعل فى مصر يقوم به مصريون ، ويشرف عليه مصريون، وما كان مشروع القرش ليبدأ برنامج أعماله بمنافسة المصريين، وهكذا ترون أننا كنا محكومين بالظرف المالى لانشاء مصنع للطرابيش. وتلفتنا فى عالم الصناعات المصرية فاذا بنا قد وضعنا الأسس فى مختلف صناعات النسج والغزل

الا صناعة الصوف وغزل الصوف ، فكان علينا أن نبذل جهداً لسد هـذا النقص بانشاء مصانع الصوف ، وصناعة الطرابيش ليست الا فرعا من صناعة الصوف تعتمد على غزله ، هـذا الغزل الذي يمكن استغلاله في الوقت نفسه في صناعة البدل والبطاطين والصداري والجوارب الخ هذه الصناعات الهامة .

وإذن فقد انتصرت صناعة الطرابيش أيضا على غيرها من حيث أنها خطوة في سبيل صناعة من أم الصناعات .

على أننا نتساءل في النهاية وهل هي عملية مربحة بقدر ماهي هامة ، فاذا أقدمنا عليها جمعنا بين الغاية القومية والربح؟ فكان جواب التساؤل غريبا . لان الباحثات انتهت الى أن الطربوش بسعره الحالي يزيد أضعافا مضاعفة عن تكاليف انتاجه ، وما ذلك الا نتيجة الاحتكار وأهواله .

وصناعة الطرابيش بعـد كل هذا ايها السـادة ليست بشيء ذي بال أو هي شر من الاسرار ، بل هي صناعة من صناعاتنا التي مارسناها ونمارسها بنجاح غريب ، فمنذ نيف ومائة سنة أوجد محيي مصر الحديثة محمد علي باشا صناعة الطرابيش بنجاح ، واتخذ مقرا لها مدينة فوة ، وقد قيل لي ان السائر الى هذه المدينة يرى آثار المصنع المعظم . ولقد عفت كل الصناعات التي أوجدها محمد علي باشا تقريبا الا صناعة الطرابيش ، فقد ظلت حتى اليوم وحتى الساعة قائمة رغم كل شيء ، ولعل هذا يدهشكم بل لا يكاد يصدق ، ولكنها الحقيقة ، فصناعة الطرابيش موجودة في القلعـة منذ عشرات السنين ، تعمل بدون انقطاع لسد حاجة الجيش والبوليس من الطرابيش ، أي تنتج مايزيد على مائة ألف طربوش سنويا ، وهي كمية لا يستهان بها بالنسبة لاستهلاك مصر العـام . ولا تحسبون أن طرابيش القلعة لاقيمة لها ، أو أنها ليست جيدة ، فسترونها رأي العين بعد قليل في معمنا الصغير وعندها ستعرفون الحقيقة الجليلة وهي أن العامل المصري ينتج طرابيش جيدة على بعد خطوات منكم ولولا أنهم في القلعة يستخدمون صوفا غير جيد ليلائم حاجات الجيش لكانت طرابيشهم من أرفع درجة لا تكلفهم الا بعض قروش قلائل

وقبل الحرب العظمى أنشأ سعادة اسماعيل باشا عاصم مصنعه في مدينة قها ، هذا المصنع الذي أمد مصر بكل ما تحتاجه من طرابيش في سني الحرب ووصل في نهـاية الامر الى درجة عظيمة من الاتقان بشهادة الجميع .

وكأني بكم تتساءلون لماذا أغلق هذا المصنع المعظم . كيف يقضي عليه هكذا بعد أن كان ناجحا موفقا؟ فأقول لكم انه كان ضحية منافسة غير شريفة في وقت كانت فيه الامة حكومة وشعبا عاجزة عن حماية صناعاتها ، فما انتهاء الحرب وعودة المياه الى مجاريها نزلت الصناعات الاجنبية الى سوق الطرابيش المصرية بخيلها ورجلها لتقضي على المصنع الوطني فأخذت تصرف وتصرف وتوزع النقود في كل مكان ، وتبيع الطرابيش بأسعار غير معقولة لأنها تنقص عن تكاليف الانتاج ، وبالاختصار أنها لجأت الى سياسة الاغراق في أبشع صورها ، حيث لا تستطيع الضرائب أن تحد من قوتها أو تخفف من هولها وظل اسماعيل

باشا عاصم وسط العاصفة يخسر ويخسر ا . ولكنه ما كان يقوى على الاستمرار طويلا ، وهو رجل فرد وهذه الشركات أقسمت أن تقضى عليه بأى ثمن ! فبدأ المصنع يعانى الآلام ! وهنا تقدم السادة الغزاة للرجل وعرضوا عليه الشراء فباعه لهم وهو مرغم على ذلك ومن خلفه أمة تندب حظها العاثر الذى جعلها تسقط هكذا فريسة المنافسة الاجنبية ! واليوم لا يوجد مصرى واحد لا يعرف هذه القصة . بيع المصنع وحطمت آلاته تحطيما وسمح لى صاحبه أن أزوره ، فذهبت لأرى أطلالا بالية ، وبقايا أخشاب وأنقاض تتحدث عما كان لهذا المصنع من صولة وجولة فيما مضى !

هل تريدون الحق أيها السادة ، لقد خرجت من زيارتى لمصنع قها وأنا أقسم أن أجاهد وأجاهد لأعادة هذه الصناعة ، لا لشىء الا لنثأر لكرامتنا الاقتصادية التى أمتهنت امتهانا ، بحيث باتوا يضربون المثل بمصنع قها ويذكرون قصته ليستدلوا بها على أن المصريين لا يفلحون فى الصناعة ، هذه العوامل مجتمعة من قومية ومالية واقتصادية وتاريخية ، هى التى حدت بنا كما قلت لكم الى العمل على انشاء مصنع للطرابيش ، وعرف الرأى العام ذلك منا فقابله بالتهليل والترحاب فازددنا بذلك قوة على قوة ، ومضينا فى عزمنا لا نلوى على شىء ، ولاشك أنه قد وصل الى علمكم جميعا صعوبة المهمة التى أخذناها على عاتقنا والعقبات الجسام التى تعترض طريقنا ولكنا عازمون على السير الى النهاية رغم كل شىء وسنجاهد ونجاهد ، حتى نقيم المصنع كاملا وعندها نكون قد قمنا بواجبنا وأرضينا مصر وكرامة مصر .

سنجاهد أيها السادة ونفتتح المصنع ، آن وفقنا الله وسيوفقنا لأننا مخلصون ثم نسلمه وديعة لكم ، والكلمة يومئذ أيها الشباب لكم ، ولكنى أعرفها سلفاً ، وهذا مايجعلنى واثقا من المستقبل ثقتى بوجودكم الآن . انها كلمة سيسجلها لكم التاريخ انها كلمة العزة والفخار والمجد ، سوف تخلعون عن رءوسكم طرابيشهم ولو كانت أكثر أناقة وأرخص ثمنا ، لتلبسوا طرابيش الوطن ! وسينظر لكم العالم فى يقين واعجاب بأن مصر قد بعثت من جديد فتية قوية ذات عزم ونبوغ

أما مصنعنا أيها السادة وقدرته على الانتاج فسيخرج لكم طرابيشا تضارع أحسن ماتلبسون ولكن ذلك لن يجيء طفرة واحدة ، وان كان لا يتأخر كثيرا ، وسيكون الطربوش رخيصا جدا يضمن لتجار الطرابيش ولكم ربحا ووفراً عظيمين . وسيكفى المصنع حاجة القطر كله من الطرابيش وذلك بأن ينتج ألف طربوش يومياً أى ثلثمائة ألف طربوش فى السنة أى ماتستهلكه مصر فى الوقت الحاضر ، أما قبل سنة ١٩٣٠ فقد كانت تستهلك ضعف هذه الكمية ، فاذا فرض وعادت المقطوعية الى سابق عهدها فما على مصنعنا الا أن يشتغل طريحتين بدلا من واحدة فتتضاعف كمية الانتاج بحيث يكون هناك مجال لتصدير الطرابيش الى الأقطار الشقيقة ، سوريا وفلسطين والهند التى يسرنى أن أصرح لكم أنها تنتظر طربوش القرش بحماسة لا تقل عن حماستنا ولاعجب فنحن وهم أمة

واحدة، تربطنا اللغة والثقافة والدين ، والأماني القومية . وثمت سؤال هام يتردد على الأفواه .. دائما ويوجه الى أينما ذهبت ألا وهو ماذا يكون الحال لو عدل المصريون عن لبس الطربوش الى القبعة . وليس الآن مجال التفاضل بين القبعة والطربوش، ولكني أطمئن هؤلاء المتسائلين حتى في مثل هذه الساعة لن يخسر مصنعنا شيئا، بل سوف يستطيع أن يساير التطور الجديد. (١)

هذا هو مصنع الطرابيش أيها السادة الذي عزمنا على اقامته والمسألة الآن مسألة زمن فكل شيء يسير أحسن ما يكون السير الوئيد الحكيم ، وبعد أشهر قلائل لا تتجاوز الستة تزينون رءوسكم بتيجان القرش ، وتجنون ثمار التعاون والاخلاص والعزيمة ، كل هذا بقرش كما يقول لكم رئيسنا فهل تبخلون على مصر بقرش آخر ، وهلا ترون أنها صفقة رابحة أن نشترى استقلالنا الاقتصادى بقرش فى كل سنة

ستجيئكم جموع الشباب فى مثل ميعادها من السنة الماضية تجمع قرشاً جديداً لتنشيء به صرحاً جديداً، سوف يجيئونكم ولكن فى نظام وتجربة وسط مهرجانات عظيمة واحتفالات قومية! وستتضاعف قوانا علنا نحقق حلمنا الجميل ألا وهو انشاء مصنع للبدل الصوفية أو أى صناعة أخرى من هذه الصناعات التى تؤثر تأثيراً كبيراً على حياتنا الاقتصادية !

سادتى — فى نفسى آمال وأمانى تريد أن تنطلق ولكني أحبسها على الرغم ، منى لأنى أريد أن نعمل وأن نترك الكلام الى العمل . أريد أن أحدثكم عن مشروع القرش ومستقبله ولكنى أترك ذلك لكم وأهيب بأخوانى لنعمل ولنعمل فى صمت والله معنا .

ولست أغادر هذا المنبر قبل أن أرسلها صرخة من روحي وقلبي ونفسي تنفذ الى قلوبكم وأرواحكم . أي اخواني الشبان لقد فكرتم في مشروع القرش ونفذتم مشروع القرش وأعددتم برنامج القرش ، ولا يزال أمامنا للوصول لغايتنا شوط طويل لكي نقطعه . نحن في حاجة الى جهود .. وجهود جبارة . بل نحن فى حاجة الي ماهو أكثر من الجهود نحن فى حاجة الى الايمان والتضامن .. ايمان بحقنا وعزمنا .. ايمان بأنا أقوام علموا الانسانية فى أيامها الخوالى وأخذوا بيدها من الظلمات الى النور! . وأنا على استعداد لتعليمها ثانية ، ايمان بأنا قادرون فنقدر .. وانا فاعلون فنفعل .

ونحن فى حاجة الى التضامن كحاجتنا الى الايمان فلنتضامن ولنتحد جميعاً تحت راية واحدة، ولنعمل بفكرة مشتركة لغاية جليلة. فلنحب أنفسنا فلا نكون حرباً عليها بأعمالنا، وليحب بعضنا بعضا كأخوة أشقاء، ولنحب مصر بتقديس واجلال، ولنفكر دائما فى اسعادها، وليكن كل جهد نبذله فى سبيل مجدها وهنائها .

ووالله لئن فعلنا هذا ، بأن آمنا وتضامنا ليكونن مستقبلنا جليلا ورائعاً لنحلق فى سماء المجد ولنشرق على العالمين من جديد .

الى الأمام اذن أيها الشباب .. الى الامام بعزم ويقين وثبات فرحين طروبين مخلصين الى الأمام متحدين متضامنين شعارنا الله والوطن والملك .

وايماننا أن مصر فوق الجميع .

---

(١) ينتج مصنع الطرابيش فى الوقت الحاضر أجود أنواع (البيريهات)

جمعية مصر الفتاة

— ٤ —

إلى هنا كان مشروع القرش قد نجح وحقق كل ، أغراضه فقد أثمرت دعاية الشباب الاقتصادية فاندفع المصريون يشجعون كل ماهو مصرى ويقبلون عليه وتعددت المصانع فى مصر والتى قام بانشائها الأفراد والشركات المصرية.

وحققنا للناس أن العمل فى تعاون وصبر وثبات يؤدى إلى النجاح ، فقد وجدوا قرشهم الصغير يشيد مصنعاً ويلبسهم طرابيش وطنية . . على أن النجاح المنقطع النظير هو هذه اليقظة التى شملت صفوف الشباب فتعددت الجمعيات وكلها قد اتخذت من مشروع القرش ومن مثاله قدوة وطريقاً للعمل ، فتألفت جمعية القرى لمحاربة الأمية وأنشىء عيد الوطن الأقتصادي وغيرها وغيرها من عشرات الجمعيات والمشاريع التى أقدم عليها الشباب فى ثقة وعزم ونجاح بعد تحقيق مشروع القرش . بل لقد تجاوز نجاح مشروع القرش الحدود المصرية فنسج السودانيون على منواله وكذلك جميع البلاد العربية ، ولا يزال جمع القروش عن طريق الطوابع هو الاسلوب المتبع فى كل العالم العربى فى جميع مشروعات البر والاحسان .

وكان من تأثير مشروع القرش أن استيقظت فى نفوس الشباب كل عناصر القوة والطموح والرغبة فى العمـل . . وهؤلاء الذين عملوا معى طوال عامين فى مشروع القرش بدءوا يفهمون إيمانى الكامل ورسالتى المقبلة ، فاذا بى لم أكد أخرج من الكلية متما تعليمى العالى ، حتى رأيتهم يتطلعون إلى ويطالبوننى بخطوتى الثانية ، وأعنى بها تأليف ماحدثتهم عنه وماوعدتهم به ، وهو جمعية مصر الفتاة . ولما أيقنت العزم منهم جمعتهم فى إحدى الليالى وسألتهم ، هل هم مستعدون حقاً لبدء النزال ، فأقسـموا جميعاً على استعدادهم فأنذرتهم أن سوف تقابلهم عقبات وسوف تتزلزل الأرض تحت أقدامهم وسوف تهاجمنا الأحزاب وسوف تهاجمنا الحكومة وسوف يكون أمامنا كفاح طويل . . ولست أدرى هل كانوا يصدقوننى ساعتئذ أم أنه

قد خيل لهم أنى أختبر شجاعتهم فقد اتفقوا جميعاً على الهزء بهذه المصاعب ، بعد أن تعلموا في مشروع القرش كيف تكون الغلبة على المستحيل .

وإذن فقد عدت إلى بيتي وجلست أكتب برنامج الاحياء ووسيلته ، جلست أستجمع كل ماأشعر به فى نفسى من إيمان وعزم وأمسكت بالقلم وكتبت كل ماجرى به القلم على القرطاس ، فكان ذلك برنامج مصر الفتاة الأول .

وعدت إلى إخواني وزملائي فوقعوا على هذا البرنامج الذى وضعته لمصر الفتاة فى الثاني عشر من أكتوبر سنة ١٩٣٣ وكان الموقعون عليه لا يزيدون عن الأثنى عشر . ورأيت أن تكون الصرخة هى لسان حال هذه الحركة ، وهى التي جرى على صفحاتها فى الأعداد الأولى أول آمالي فى مصر الفتاة . رأيت أن تكون الصرخة وهى التي أسميناها بهذا الاسم منذ أربع سنوات معبرة عما فى نفوسنا من إيمان وما لنا من برنامج فبحثت عنها حتى وجدتها فى حوزة شخص غير صاحبها القديم . فكتبت معه عقداً بمقتضاه يضع الجريدة تحت تصرفنا مقابل إيجار معلوم . . . وفى ٢١ اكتوبر سنة ١٩٣٣ وعلى صفحات العدد الثالث من الصرخة أعلنا برنامج جمعية مصر الفتاة ، وهكذا بدأ الفصل الأخير أو بالأحرى بدأ الفصل الأول من جهادى فى سبيل تحرير أمتي ووطنى وتحقيق المجد لبلادي . فلم يكن كل الذي مر سوى تمهيد لهذه الخطوة الأخيرة التى كانت تجول في فكري وقلبي منذ أمد بعيد . وقد قدمت البرنامج بنداء دعوت فيه إلى عشر سنوات من الايمان والعمل وانى إذ أعيد نشر هذه الكلمات بعد اثنتي عشرة سنة من هذا التاريخ ، أشعر بالشوط الكبير الذي قطعناه والذى بقى علينا أن نقطعه .

وإذ أستعرض الحوادث الكثيرة التى مرت بى منذ ذلك اليوم لا أجد حادثاً واحداً لا يؤكد إيماني بكل الحقائق التي قدمتها لك ويدفعنى إلى الأمام دائماً . . فمنذ اثنتى عشرة سنة ونحن نتطور ونسير دائماً من فوز إلى فوز ومن نجاح إلى نجاح . . ودائرة مصر الفتاة تتسع أكثر فأكثر .

واليك نص برنامج مصر الفتاة فى صورته الأولى وما صدر به من نداء

نداء

يا شعب مصر

أيها الشعب الذى صاحب الزمن . . . يا أمجد شـعب فى الوجود وأعظمه . . . لقد حانت ساعة اليقظة . . . لقد حانت سـاعة العمل . . بل لقد حانت ساعة الجهاد . . . وهذه هى مصر الفتاة تتقدم إليك لتجاهد عنك ولتذود عن حياضك ، ولترفع صوتك ولتطعم جائعك ، ولتعلم جاهلك ولترد عليك كرامتك ، ولتعيد إليك سابق مجدك .

يا شباب مصر

لقد طال ما رقدنا وها نحن أولاء قد صحونا . . . لقد طال ما أهملنا وها نحن أولاء قد حرصنا . . لقد طال صمتنا وها نحن أولاء قد تكلمنا وإذن فليكن صوتنا مدويا ولتكن صرختنا من الأعماق ، وليكن إيماننا جبارا يدك الجبال ، وليكن شعارنا مصر فوق الجميع .

إن الأجانب يغزوننا ويسدون علينا طريق الحياة . . والاحتلال قطع أوصالنا وحرمنا السودان . . . والأمية والجهل يخيمان على سـوادنا ويملآن القلوب حيرة وظلاما . . . والأزمة فتاكة تهلك الحرث والنسل وتسـلبنا القوت والماء ، ونحن في كل ذلك نلهو ونتخاصم . . ونحارب بعضنا حتى لقد سـقطنا صرعى ، ووقف العدو يشاهد كل هذا باسما ظافرا فخورا . . أنه تغلب على النسر المصرى بأهون سبيل .

وواجب الشباب أن يصلح كل هذا . . وها نحن نفعل . . لسـنا نريد أن نتكلم كثيرا ولكننا ندعو الشعب للإيمان بحقه وقوته وندعوه

لعشر سنوات من الايمان والعمل لله والوطن .. نابذا الخلافات الحزبية.. مهملا ما اعتاد الناس أن يسموه سياسة .

ونحن نقدم اليوم عناصر هذا الايمان ، وعناصر هذا العمل، برناجا معنويا زراعيا وتجاريا وصناعيا وعلميا واجتماعيا . . يتبسط حتى ليشمل أدق التفاصيل وما ذلك إلا ليكون السبيل واضحا وممهدا . . وهو ليس تفكير يوم وليلة ولكنه عمل خمس سنوات قضيناها فى التحضير والدرس والأيمان.. والآن وقد خرجنا إلى ميدان الجهاد ، فنحن نعلن رسالتنا .. نعلنها لك ياشعب مصر ، وياشبابها . دعوة بريئة مخلصة لا تتصل بشخص من الأشخاص ، ولاترمى لغاية إلا لسعادة مصر ومجدها . . . إنها دعوة صادرة من القلوب فلتنفذ إلى القلوب ، وهى صادرة من الأرواح إلى الأرواح فلا تسخروا منها إن لم تعاونوها ، ولا تحاربوها لأنها لم تمسكم بشر ، فهى عقيدة مخلصة مقدســة ، وستنتصر فى النهاية كما ينتصر كل إخلاص وإيمان . . ستنتصر بالرغم مما يوضع في طريقها من عقبات . . بالرغم من القوات التى ستحاربها .. بالرغم من القوات الهدامة التى ستكرس نفسها للقضاء عليها . . .

ستنتصر ، لأننا سنحتمل كل شيء من أجلك يامصر .

ولأننا سنضحى فى سبيلك يامصر .. ولأننا سنموت وكلمتنا الوحيدة:

مصر فوق الجميع

أحمد حسين

المحامى

برنامج مصر الفتاة ومبادؤها

إيماننا

مصر التي علمت الانسانية وأضاءت على العالمين ، مصر التي رفعت لواء الأديان جميعا وأعلت كلمة الله والاسلام ، مصر مركز العالم وزعيمة الشرق .بعد أن طهرتها الآلام وصقلتها المحن ، بعد أن حاربها الزمان فارتد وانهزم ، لن تموت أبداً بل ستبعث من جديد لتعيد سيرتها الأولى منارة للعالم وتاجا للشرق وزعيمة للاسلام ، وهي من أجل ذلك في حاجة الى دم الشباب الملتهب ، في حاجة الى الايمان والعمل ، في حاجة الى نفر من بنيها لا يلون الموت ويستعذبون الألم ويرحبون بالتضحية .وتلك صفات لن تتوفر في أبناء الجيل القديم .

شعارنا

الله — الوطن — الملك

يجب أن نعبد الله ، وأن نعلي كلمته .
يجب أن نقدس الوطن، ونفنى في سبيل مجده .
يجب أن نعظم الملك ، وأن نلتف حول عرشه .

غايتنا

أن تصبح مصر فوق الجميع ، امبراطورية عظيمة تتألف من مصروالسودان، وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام .

جهادنا العام

١ — يجب أن نشمل القومية المصرية ، ونملأ نفوسنا ايمانا وثقة واعتزازا .. ويجب أن تصبح كلمة « المصرية » هي العليا وماعداها فلغو لايعتد به ، ويجب أن يؤمن الجميع بأن ارادة الشعب من ارادة الله، وأن مصر يجب أن تصبح فوق الجميع .

٢ — يجب أن نضع الأجانب في مركزهم الطبيعي ضيوفا في مصر وليسوا أصحابها ،

وذلك يكون بالغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة بمجرد قيل ، وتمصير الشركات الأجنبية ، وجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الحياة التجارية ، ويوم الجمعة يوم عطلة عامة ، وعدم التصريح لأجنبي بمزاولة عمل في مصر الا بتصريح خاص .

٣ — يجب أن نؤمن بأن الفلاح هو تاج مصر وسر قوتها ، وأنه الحقيقة الوحيدة التي لم تتبدل في العالم منذ ستة آلاف سنة ، وهوهو الذى أبقى مصر نابضة قوية حتى اليوم . فيجب أن نعلم الفلاح : بأن نقضى على الأمية والجهل ، ونرتقى بمعيشته ، فنضمن له اليسر والرخاء ، ونحفظ له صحته ، وندخل الى بيته الجديد النور والهواء والماء النقى !.

جهادنا الاقتصادى

فى الزراعة

٤ — يجب أن نرتقى بالزراعة التى تكون ثروة مصر الحقيقية ، فتجدد وسائلها ونوزع محاصيلها ، ونزرع أراضى جديدة ، ونشق الترع ونشيء المصارف ، ونعمل لمضاعفة الأنتاج أضعافا مضاعفة .

٥ — يجب أن يعم نظام التعاون فى كل مدينة وفى كل قرية ، بل وفى كل ضيعة ، لأقراض الفلاحين وتوزيع البذور واستخدام الآلات وبيع الحاصلات وتنظيم المعاملات.

فى الصناعة

٦ — يجب أن تسترجع مصر مركزها القديم كدولة صناعية تمد الشرق القريب والبعيد بالمصنوعات والحاجيات المختلفة .. فيجب أن نشيد المصانع لتغزل كل قطننا ، وصوفنا ، وكتاننا ، ويجب أن نشيد المصانع للصناعات الكيمائية والزراعية والحديدية . . وتمهيدا لهذا الانقلاب يجب أن ينشأ بنك صناعى لتمويل المشاريع المختلفة ، وأن تتولد الكهرباء من خزان اسوان .

٧ — يجب أن توضع الحماية الجمركية اللازمة لحماية المصانع الوطنية ، وأن تحتم الحكومة على موظفيها وعلى طلبة مدارسها أن تكون ملابسهم من المصانع المصرية ، وأن تفضل الحكومة دائما المصنوعات المحلية مهما كان ثمنها مرتفعا .

٨ — يجب أن ينشط استغلال الثروات المدفونة فى باطن التربة المصرية العظيمة ، فتستخرج البترول والحديد والذهب والنحاس وغيرها من المعادن التى تحتاج اليها الصناعات المختلفة ، والتى توجد فى الصحارى المصرية العظيمة بوفرة .

في التجارة

٩ — وفي التجارة يجب أن نحتكر تجارتنا الداخلية ، فلا نأكل إلا كل ماهومصري ، ولا نلبس الا كل ماهومصري ، ولانشتري الا من مصري، كلما استطعنا الى ذلك سبيلا .

١٠ — يجب أن نستولي على تجارتنا الخارجية، وتتصل بدول الشرق القريب والبعيد لتحمل اليها ومنها المتاجر ، وأن نقوم بدورنا الطبيعي في تجارة العالم كوسطاء بين الشرق والغرب . ولكي نتبوأ هذا المركز يجب أن نعيد بناء أسطول مصر التجاري ، لينقل متاجرنا ، وليرفع العلم المصري في أنحاء البحار .

١١ — يجب أن تستعد موانينا لهذه الحركة العظيمة ، فتوسع ميناء الاسكندرية ، وتنشأ ميناء دمياط ، وتحول بعض موانينا الى موان حرة لا تتقاضى الحكومة عن البضاعة الموجودة بها ضرائب .

١٢ — يجب أن يؤلف أسطولنا الجوي على نطاق واسع ، وأن تنشأ المطارات في كل المدن المصرية ، وأن تنشأ الخطوط التي تصل مصر بجميع البلدان العربية ، وبكل أفريقيا ، وبلاد أوربا الهامة .

١٣ — يجب أن نمهد الطرق من الاسكندرية حتى اسوان ، وأن ننظم الملاحة في النيل والترع ، وأن نمد الخطوط الحديدية الى كل مكان .

١٤ — يجب أن ينشأ بنك مركزي للاصدار ، ليجاري هذا التقدم التجاري ويزكيه ، وأن يصلح نظام الائتمان بحيث يكون وسيلة لخدمة التجارة ومدها برءوس الأموال .

جهادنا العلمي

١٥ — ومصر التي ستتزعم الشرق وتفيء على العالم ، يجب أن تستمد هذا النور من قرائح أبنائها ، فيجب أن يصبح التعلم الابتدائي مجانا ، وأن تقل نفقات التعليمين الثانوي والعالي لتكون في متناول أفقر الطبقات ، ويجب أن تنشأ معاهد الدراسات المختلفة في كل نواحي الحياة ، وأن ترصد عليها المخصصات ليعيش منها العلماء والباحثون .

١٦ — يجب أن تفتح الجامعة أبوابها على مصراعيها لكل من يريد الانتساب اليها من مصر أو الشرق، وأن تشجع البحث العلمي، وأن ترسل البعثات الى سوريا وفلسطين والعراق وايران والهند ومراكش وغيرها ، لتبحث وتنقب وتعلم وتنشر العقلية المصرية في أرجاء العالمين .

١٧ — يجب أن نهتم بالحفريات الخاصة بالآثار لنكشف مغاليق التاريخ المصري في عصوره المختلفة ولنخرج الكنوز التي لم تكشف بعد .

١٨ — أما في الطب ، فيجب أن يعاود المصريون نبوغهم وأعجازهم الفنى، لينقذوا الشعب في مصر ، ولينقذوا الانسانية من الأمراض التي تفتك بها .

١٩ — أما الأزهر ، فله دور عظيم يجب أن ينهض به ، وأن يستعيد مركزه القديم، ويجب أن يسري رسالته في أنحاء العالم ، وأن يرتفع صوته عاليا بين الأمم الاسلامية . ويجب أن تفتح المدارس والمعاهد باسمه لتعليم اللغة العربية والاسلام في كافة أنحاء الشرق والغرب، وفي أمريكا أيضاً !. ويجب أن يتطور ويستخدم الأساليب الجديدة في اعلاء كلمة الحق والدين .

٢٠ — يجب أن تنشيء الحكومة المؤسسات لمساعدة المكتشفين والمخترعين.

٢١ — يجب أن يكون في كل قرية مكتبة وأجهزة للراديو لسماع التعاليم الدينية والخلقية والعمرانية .

جهادنا الاجتماعي

في الدين والأخلاق

٢٢ — يجب أن نعيد للأديان كامل احترامها وقداستها .

٢٣ — يجب أن نرقى الأخلاق ، وأن نحارب الدعارة والخمور والتخنث .

٢٤ — يجب أن نعلم الصدق ، وأن نخلص في العمل ونستمسك بالتعاون ، وأن يحب بعضنا بعضاً .

٢٥ — يجب أن نقدس الشرف والواجب، وأن نقلل من اللهو والمزاح .

٢٦ — يجب أن يصبح التجنيد اجباريا للجيش ، وأن تنقص مدة الخدمة فيه ، وأن يمتلىء الشباب بالروح العسكري .

في الأسرة

٢٧ — يجب أن تنظم الأسرة على قواعد قوية من الحب ، والاحترام المتبادل بين الأبناء والآباء ، والجهاد المشترك ، والوءام بين الزوج وزوجته .

٢٨ — يجب أن نعنى بالطفولة باعتبار أنها مصر المستقبل .. مصر العظيمة .. فيجب أن نعدهم ليكونوا علماء وغزاة ونوابغ وعمالا منتجين .

٢٩ — يجب أن نرقي المرأة ونعلمها العلم الكامل ، لكى تكون زوجة صالحة ، ولتكون أماً تخلق الأبطال ،وليكون بيتها نعيم الحياة .

٣٠ — يجب أن نقضي على الأنظمة البالية التي تعرقل حركة الزواج ، فتلغى المهور الباهظة والحفلات الهوجاء .

فى الصحة

٣١ — يجب أن يكون للصحة العامة المقام الأول فى جهود مصر الفتاة . ويجب أن تكون سياسة الصحة هي سياسة الوقاية لاسياسة العلاج ، واذن فيجب أن ينصرف الجهد الى حماية الطفولة .. والى حماية الأبصار والى حماية الأبدان من الأمراض المتوطنة .

٣٢ — يجب أن توضع قوانين صارمة لأحلال النظافة فى كل شىء ، ويجب أن يجند الشعب فى الملاعب الرياضية، لنخلق جيلا كاملا قوياً سليما . وتمهيداً لذلك يجب أن ينشأ ملعب كبير بالقاهرة .

فى التأمين الاجتماعى

٣٣ — يجب أن ينظم التأمين الاجتماعي بحيث يصبح لكل فرد فى الأمة الحق فى أن يكون له عمل يعيش منه ، واذا كان عاجزاً لايستطيع العمل وجد الملاجىء ليأوى اليها .

٣٤ — يجب أن تمد المستشفيات بحيث تتسع لقبول أى مريض يلجأ اليها ، وأن تنشأ فروع لكل أنواع الأمراض .

٣٥ — يجب أن يصبح الشعب شعباً مدخراً ، وأن يقلع عن الاسراف ، ليكون رءوس الأموال اللازمة لتكوين الأمبراطورية المصرية .

٣٦ — يجب أن يكون للشعب أعياده ليحتفل بها كما يليق بشعب كبير لتكون أعظم مشجع على المضى فى طريقه الى الأمام .

الأغانى والفنون

٣٧ — يجب أن تتبدل الأغانى لتكون مليئة بالقوة والحياة ، أن يحفظ المصريون النشيد القومى .

ويجب أن نعيد الى الفنون عظمتها الفرعونية والعربية ، حتى تقف فى خدمة البعث والأحياء ، لا أن تكون وسيلة للهو والفجور .

القاهرة

٣٨ — ويجب أن تنظم القاهرة تنظيما يليق بعاصمة الشرق فتؤلف لها بلدية، وتوضع التشاريع لتجديدها وتنظيم أبنيتها وازالة الأحياء القديمة بأسرها .

ويجب أن تطبع فى تخطيطها بالطابعين العربى والفرعونى ، وأن تبنى منشئاتها العامة على هذا الطراز ، وأن تنظم ميادينها وشوارعها وحدائقها كذلك . .

وسائلنا

أما وسائلنا للوصول الى كل ذلك فليست حربا وقتالا ، وليست عدوانا أو صداما ، ولكنها تتلخص فى كلمتين :

الايمان . . . والعمل



نحو العمـــل

— ٥ —

كان أول إجراء فكرنا فيه لنبدأ كفاحنا أن نرفع صورة من برنامجنا إلى جلالة الملك المغفور له أحمد فؤاد ، وكان لايزال يقيم فى الأسكندرية ، حيث يمضى فصل الصيف . فكلفت أحد الخطاطين المهرة أن يكتب لى البرنامج على ورق فاخر بخط جميل . فأحسن القيام بهذه المهمة . ووضعت البرنامج داخل مظروف كبير وسافرت إلى الأسكندرية ، وتوجهت على الفور ، إلى سراى رأس التين، فاستقبلنى الأمناء هناك ، وعلى رأسهم محمد بك حسين . الذى كان يعرفنى من قبل بمناسبة مشروع القرش . وبعد أن وقعت فى دفتر التشريفات باعتبارى رئيس جمعية مصر الفتاة ، قدمت اليهم رسالتى التى حضرت إلى الأسكندرية لرفعها لجلالة الملك . فأسرعوا إلى فضها ، وتلاوة ما فيها ، حتى إذا ماوصلوا فى تلاوة البرنامج إلى الفقرة الخاصة بغايتنا والتى تقول « وغايتنا أن تصبح مصر فوق الجميع ، امبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية ، وتتزعم الأسلام » لم يكد القوم يصلوا إلى هذه العبارة حتى غصت بها حلوقهم وجحظت أعينهم ، ونظروا إلى فى ريبة وتشكك ... من أنا ؟ أمجنون أم عاقل ، وراحوا يتناجون فيما بينهم ، ويعرض كل منهم على زميله هذه العبارة فلايلبث أن يدهش الدهشة كلها ، ويتساءل عن ماهية الموضوع ، ومن أكون ، فيقدموننى له كسكرتير لمشروع القرش ، فيرفع حواجبه فى استغراب وتعجب ! . وأخيرا جاء بعض الأمناء فأخرجهم من هذه الدهشة ، إذ سألنى « هل سبقت لك معالجة الروايات التمثيلية ؟ إنك تجيد التأليف بدرجة مدهشة ، إن لك خيالا ساحراً .. » وراح يسخر ويهزأ على هذه الوتيرة . ولقد واجهت هذه العاصفة من الدهشة والسخرية والاستنكار

بهدوء وصبر ! . إذ كنت قد وطدت نفسى على احتمال كل شيء فى سبيل دعوتى . وكنت أقدر سلفا ماسوف يلاقينى من صعوبات وويلات واضطهادات .

طلبت الى القوم أن يرفعوا رسالتى إلى جلالة الملك بالرغم من آرائهم فيها، ولكن واحداً منهم لم يجسر على أن يمس الرسالة بيده !. فقد تحولت فى نظرهم إلى عمل منكر ، قد يعرضهم لما لاتحمد عقباه . وراحوا يتفاوضون ويتداولون فيما يعملونه ، وأخيراً استقر رأيهم على إبلاغ الموضوع لعبد الوهاب بك طلعت، وكيل الديوان فى ذلك الوقت ، فحملوا اليه الرسالة . وقد كان الرجل أكثر إدراكا منهم ،فلم يرحرجا فى استقبالى وسماع ماجئت من أجله ! . فتمت المقابلة وتلطف معى ووعدنى بالنظر فى موضوع رسالتى، ورفعها إلى جلالة الملك ، ففرحت غاية الفرح ، وخرجت من القصر وأنا أتنفس الصعداء إذ فرغت من هذه المهمة التى كان لابد من القيام بها لدى جماعة جعلت تعظيم الملك ، والالتفاف حول عرشه أحدشعائرها !.

لم أعرف مصير هذه الرسالة إلابعد انقضاء فترة طويلة من الزمن قد تبلغ الشهر ، عند ما استدعانى محمود فهمى القيسى باشا وزير الداخلية فى وزارة عبد الفتاح باشا يحيى، التى كانت فى الحكم فى ذلك الوقت ، وأطلعنى على هذه الرسالة وقال : إن القصر الملكى قدحولها إليه ليتكلم معى فيها . وقد أثنى الرجل على الروح التى انطوت عليها مبادىء حزب مصر الفتاة ، وراح يحدثنى عن حماسته لتشجيع الصناعات المصرية ، وكيف أن أثاث مكتبه فى الوزارة مصنوع كله فى مصر ، ودعانى للتعاون معه فى تحقيق كل مايمكن تحقيقه من برنامج مصر الفتـــاة بصدد تشجيع الصناعات المصرية . ولقد علمت فيما بعد ، وبعدانقضاء أكثر من سبع سنوات على تأسيس مصر الفتاة، عندما قابلت المرحوم زكى باشا الابراشى لأول مرة ، وقد كان متقاعدا فى ذلك الوقت ، أن جلالة الملك فؤاد تقبل برنامج مصر الفتاة بقبول

حسنين ، وابتهج ابتهاجا عظيما لروح الأخلاص الذي تفيض به كل عبارات البرنامج المذكور ، وروح التعمق في دراسة المشاكل المصرية . وأنه استدعى زكي باشا الابراشي ناظر خاصته وموضع سره وأطلعه على هذا البرنامج ، منزهوا بالشباب المصرى الذى وصل إلى هذه الدرجة من النضوج . وقال له إن هذه الروح هى التى يجب أن تزدهر فى مصر ، ولا بد لازدهارها من أن تبتعد كل البعد عن القصر ، لئلا يحاربها الانجليز حربا باطشة ، فانى أخشى ما أخشاه أن يظن الانجليز أنني المحرض للشباب على السير فى هذا الطريق ، فيبطشون بهم ، فلا ينبغى أن تكون لهم بنا أى علاقة أو صلة على أن ذلك لا يمنع أن نوصى بهم وزير الداخلية القيسى لكى يبذل لهم كل عون مستطاع . ولقد فسر لى هذا الحديث المتأخر ، سر دعوة القيسى باشا فى ذلك الوقت للتعاون معه ، والتي لم أكن أدرك لها معنى بعد أن كانت الحرب قد أعلنت بين وزارة الداخلية وبين مصر الفتاة .

مصر الفتاة والشباب

ولندع حديث الحكومة وموقفها من مصر الفتاة ريثما نتحدث أولا عن موقف الشباب منها .

خرجت مصر الفتاة إلى الوجود فى صورتها الأخيرة ، بهذا النداء ، وهذا البرنامج الذى أذعناه فى طول البلاد وعرضها . فهؤلاء الذين عملوا فى مشروع القرش والذين طافوا بالقطر المصرى ، فى أثناء دعوتهم لهذا المشروع ، قد انطلقوا فى ليلة واحدة ، شرقا وغربا ، يوزعون مئات وألوفا من هذا النداء ، بحيث أحست البلاد من أقصاها لأدناها بهذه القذيفة الجديدة .

ولقد كانت قذيفة من غير شك فلم يسبق لحزب من الأحزاب أو هيئة من الهيئات، أن تقدمت للشعب المصرى بهذا البرنامج الكامل، الذي يتناول مختلف المشاكل المصرية ، اجتماعيـة كانت أو اقتصادية أو سياسية . . لم يسبق لمصر أن عرض عليهـا مثل هذا المشروع لأعادة بناء كيان البلاد . فالوفد الذي يمثل أغلبية الرأى العام لم يكن له برنامج واضح محدود، فيما خلا هذه العبارة العامة الغامضة « السعى لتحقيق استقلال مصر ماوجد

لذلك سبيلا» . ومن قبل ذلك، كان الحزب الوطنى يكافح فى سبيل إجلاء الأنجليز ، وكان زعماء مصطفى وفريد يقدران خطورة المسائل الاجتماعية والاقتصادية في كفاحهما ضد الأنجليز، ولذلك فقد عملا على نشر التعليم، وتأسيس الجامعة ، وتدعيم الحركة التعاونية فى البلاد ، ولـكن جهدهما الرئيسى كان موجها للكفاح من أجل الجلاء ، ونشر الدعاية للقضية المصرية فى أنحاء العالمين، فلم يكن للحزب الوطنى برنامج مفصل. ولقد وجدت فى مصر بعد إنشاء الوفد هذه الأحزاب الطفيلية التي انشقت على الوفد وخرجت عليه، وهذه بدورها لم يكن لها برنامج ولا هدف محدود، إلا محاربة الوفد والتعاون مع الانجليز، ليكون ذلك سلماً للوصول إلى الحكم. فلم تكن لها مهمة فى الداخل، أو الخارج، إلا تقلد مناصب الحكم. وظلت البلاد ، حتى خرجت مصر الفتاة إلى الوجود، وليس لها برنامج كامل شامل ، يتناول نواحى الحياة المصرية بالدرس والتحليل، ويضع العلاج لكل قضية من القضايا، أو مسألة من المسائل.

واليوم ، وبعد انقضاء ثلاثة عشر عاما من اذاعة برنامج مصر الفتاة ، قد تعددت البرامج ، وتسابقت الهيئات والجمعيات والأحزاب ، بل والحكومات، فى نشر برامج إصلاحية . بل أن من هذه البرامج ، ما قد يذهب إلى أبعد مما ذهبت إليه مصر الفتاة في بعض أجزاء برنامجها ، وليس ذلك كله إلا آية نجاح مصر الفتاة وانتصارها ، فقد كانت أول دعوة مصرية رسمت لأحيـــاء مصر وانهاضها ، مشروعا كاملا ، ينتهى بمصر إلى تحقيق كل ماتصبو إليه من مجد وحرية ... ومازلت أذكر ، حتى هذه الساعة ، تعليق سعادة على باشا ابراهيم على برنامج مصر الفتاة ، إذ وصفه لأعضاء مجلس إدارة جمعية القرش بأنه أشبه الأشياء ببرنامج موسولينى لأحياء إيطاليا، وراح على باشا ابراهيم يتحدث فى حماسة وحرارة عن الصدى الذي تركته في نفسه تلاوة هذا البيان فـكان أجمل مكافأة شعرت بها فى هذه الأيام ، أن أسمع من فم ذلك الجراح العبقري مثل هذا الثناء على برنامج مصر الفتاة .. وحدث عن حماسة الشباب التي استقبلوا بها برنامج مصر الفتاة . هؤلاء الشباب الذين تحمسوا

لمشروع القرش بالأمس ،فسرعان ما أدركوا أن مصر الفتاة ليست سوى الخطوة الطبيعية التي ينبغي أن تتلو ماصادفناه من نجاح في مشروع القرش، فأقبلوا على إدارة جريدة الصرخة ، التي اتخذنا لها مقرا في مكتب أحد المحامين بشارع محمد علي ، فكانت تغص بأرقى طبقات الشباب المثقفين من طلاب الجامعة وخريجيها من المحامين والأطباء والمهندسين ، ولا تزال جريدة الصرخة تحمل آثار هذا الرعيل الأول من الشبان ، الذين لبوا صرخة مصر الفتاة الأولى ونداءها ، وهرعوا من كل فج عميق يبايعونها ، ويأخذون على أنفسهم العهد والميثاق أن يمضوا حتى النهاية في نصرتها .

مصر الفتاة والوفد

ولكن ميلاد مصر الفتاة قد أحدث انزعاجا في دوائر الوفد العليا ، فقد نظرت إليها نظرة شك وريبة ، وكان علي أن أواجه هذه المشكلة أول ما أواجه ... فقد سبق للوفد أن أبدى عدم ارتياحه لمشروع القرش ، في مراحله الأولى ، إذ توجس منه خيفة ، وساورته الشكوك والوساوس . كان الوفد يحارب في تلك الأيام وزارة صدقي باشا ، وكان أقصى مايتمناه أن يكرس الشبان كل نشاطهم ، وكل جهدهم ، لمحاربة صدقي باشا وإسقاط حكومته . فلما أن دعوت إلى مشروع القرش، وهو مشروع قومى بحت لا يمت إلى الحزبية بصلة ، ويعتمد على معاونة كل مصرى بدون تفريق بين الحكومة والشعب، أو بين حزب وحزب، لم ترق هذه الدعوة لدى الدوائر الوفدية ، ورؤى فيها محاولة لأضعاف كفاح الوفد، وصرف الشبان عن الاشتغال بالسياسة الحزبية ، والتفرغ للمسائل الاقتصادية والاجتماعية ، وهو ما كان الوفد ينفر منه أشد النفور في ذلك الوقت ، باعتباره صارفا لجهود الأمة، ومهدئا من حدة كفاحها . وغني عن البيان أنني لم أكن أشاطر الوفد هذه النظرة ، فأنا منذ الساعة الأولى التي عرفت فيها نفسي أومن أشد الايمان بضرورة الكفاح الاقتصادي والاجتماعي والعمراني ، إلى جوار الكفاح السياسي . بل إن غاية الكفاح السياسي هي أن يتاح للأمة أن

تنهض وترقى بدون عائق يعترض مشيئتها . فكل عمل في سبيل الاستقلال الاقتصادى هو عمل فى سبيل الحرية ، وكل عمل من أجل الحرية هو وسيلة للوصول إلى الاستقلال الاقتصادي والاجتماعى والروحى . ولذلك فلم ألق بالا لاعتراض الجرائد الوفدية ضد مشروع القرش في بادىء الأمر، ومضيت في طريقي لا ألوى على شيء ، إلى أن تبنت الأمة كلها المشروع كما رأينا، وأصبح مشروعا قومياً ، يتحمس له كل مصري . فلم يسع الوفد إلا أن يجارى التيار فى ذلك الوقت ، وخف النحاس باشا إلى تأييد المشروع، وإنى لأذكر الآن هذه الليلة التى ذهبت فيها إلى دار مصطفى باشا النحاس بمصر الجديدة ، لأتلقى منه اكتتابه فى مشروع القرش، وكان الوفد هذه الليلة مجتمعاً ، فتبرع النحاس باشا بخمسة عشر جنيها ، وتبرع كل عضو من أعضاء الوفد بجنيه ، ثم رؤى أن يضاعف النحاس باشا اكتتابه ، فزاد المبلغ إلى ثلاثين. وفى ذلك الوقت دخلت متطوعتان من متطوعات مشروع القرش تعرضان طوابع القرش فاشترى النحاس باشا من كل واحدة منهما بخمسة جنيهات أخرى ، ثم عاد أعضاء الوفد فضاعفوا من قيمة اكتتابهم، وخرجنا هذه الليلة بما يقرب من السبعين جنيها اكتتابا فى المشروع ، وقد كان إعلان ذلك نجاحاً كبيراً إذ استطاع ، فى نهاية الأمر، أن ينال ثقة الدوائر الوفدية التى كانت لاترضى عنه أولا .

على أنني لم أكد أجهر بدعوة مصر الفتـــاة ، حتى انفجر سخط الوفد ورأى فى ذلك مايعزز شكوكه القديمة وأوهامه ، من أن مشروع القرش لم يكن إلا خطة مدبرة لتحويل أنظار الشبان عن الجهاد تحت راية الوفد. وبدأت الصحف الوفدية تناوش المشروع وتتهمه بأنه أداة سياسية. فرأيت أن أسرع إلى مقـابلة النحاس باشـا ، لكى أزيل كل لبس وغموض فى موقفي، ولأبرهن له على وطنيتي وإخلاصى ، وأننى سأكون عنصرا معاونا له في كفاحه ضد الانجليز، ولست عنصرا معارضا. وقد قابلنى النحاس باشا فى بيت الأمة ، ولازلت أذكر هذه المقابلة الأولى بينى وبين رئيس الوفد، والتى كان معنا فيها الاستاذ حسن يس فى أحد أركان القاعة .

واجهني النحاس باشا كعادته مهاجما بسيل من الاتهامات ، فلا بد أن أكون صنيعة للابراشى باشا ناظر الخاصة الملكية ، الذى كان يسيطر على السياسة المصرية فى ذلك الوقت ، وكان الوفد يعتبره خصمه اللدود . وعلم الله أنى لم أكن رأيت الابراشى باشا هذا فى حياتى ، بل أنى لم أره إلا بعد بضع سنوات من هذه المقابلة ، وبعد أن زال كل سلطان للابراشى باشا ، بل وبعد أن أصبح مرضيا عنه من الوفد بالذات . ومع ذلك فقد اتهمنى النحاس باشا بأنى صنيعة له ، وأنه قد اختـــارنى لكى أحارب الوفد بأسلوب ملتو.

وكانت حجة النحاس باشا الكبرى في اتهامه تتلخص فى المال الكثير الذي تخيل أنى أنفق منه على حركة مصر الفتاة ، فقلت له هل إذا استطعت أن أثبت لك مورد رأس مالى فى جهـادى ، وإذا استطعت أن أثبت لك براءته وطهارته من كل شائبة ، فهل يرضيك ذلك ويقنعك أنى لست صنيعة للابراشى ، وإنما أنا شاب وطنى مجاهد ، يتلمس السبيل لنصرة بلاده . إذن فاعلم يادولة الباشا أنى بمجرد تخرجى من كلية الحقوق سعيت لعقد قرض فى بنك مصر بمبلغ مائتى جنيه ، بضمانة أحد أصدقائى وهذا المبـلغ الصغير المتواضع هو الذي بدأت به عملى فى الحياة . وهو الذي أنفق منه على جريدة الصرخة ، وهو الذى أنفق منه على جمعيـة مصر الفتاة ، فى مقدورى أن أطلع دولتك على مصاريفنا بالتفصيل ، لترى أننا لسنا أغنياء ، كما تتوهم ، وأنه لامورد لنا إلا ثمرة مجهودنا فى تحرير المجلة ونجاح توزيعها .

ولقد أسرعت على الفور فأطلعت الباشا على بعض الأوراق التي تثبت صحة ماأقول . ولكن الرجل ظل يرتاب فيما أقول . وانتقل من الشكل إلى الموضوع ، وأخذ يتفحص مبادىء مصر الفتاة ، ويناقش محتوياتها ، ثم وقف طويلا أمام شعارنا « الله ـ والوطن ـ والملك » وقد كان من الواضح أن هذا الشعار المثلث يضايقه كل المضايقة ، ومازلت أذكر حتى الآن اعتراضه على وضع كلمة الله فى برنامج سياسى وكيف رأى فى ذلك لونا من ألوان الشعوذة ، ثم حام حول كلمة الملك ولكنه لم يقل إلا خـيرا . ولقد رحت أحاجه

على الفور ، وأرد كل اعتراضاته ، ومازلت أذكر قولى رداً على اعتراضه على ابتداء الشعار بكلمة الله : « إن الذي لاخير فيه لربه لا يمكن أن يكون فيه خير لوطنه أبدا ، وكل عمل لا يبدأ باسم الله فهو عمل لا ينجح ، وإننى أؤمن كل الايمان أن التدين والوطنية يسيران جنبا لجنب ، فكلاهما يفيض من نبع واحد ، نبع المحبة للمثل الأعلى والحق والعدالة . »

ولقد تضايق النحاس باشا أشد المضايقة لمناقشتى إياه ، ورأى فيها اجتراء عليه ، فراح ينعى على عدم انضمامى إلى الوفد والعمل تحت لوائه ، مع أن هذا هو السبيل الوحيد لأبراز وطنيتى، والكفاح فى سبيل بلادى، وتوعدنى أن مصيرى لن يكون غير الخذلان والفشل الذريع الذى كان من نصيب كل من حاول الخروج على الوفد أو التصدى لمحاربته ، ولأن الأمة لم ترحم أحدا خرج على الوفد وانشق على زعامته . وراح دولته يعدد لى أسماء الذين خرجوا على الوفد، أفرادا وجماعات، وكيف نبذتهم الأمة وهدمتهم وحطمتهم تحطيما . فأسرعت بالرد على دولته، مظهرا له أننى استطيع أن أخدم بلادى ، بل وأن أخدم الوفد نفسه، باستقلال حركتى. فان وجود حركة وطنية متطرفة إلى جوار الوفد تفيده ولا تضره ، تفيده لأنها تظهره أمام الانجليز والأجانب بمظهر الاعتدال ، فيسرعون إلى التفاهم والاتفاق معه ومقابلته فى منتصف الطريق ، وقيام هذه الهيئة المتطرفة لا يضر الوفد ، لأنها لا تنتسب اليه . وهكذا يستطيع الوفد أن يكسب من وجودنا ، ولا يخسر ، وأن يكسب للأمة، بأسلوبه وطريقته ،مايستطيع من مكاسب ومغانم ..أما عن التهديد الذى وجهه إلى فقد قلت له «إننى رجل مؤمن ولا توجد قوة على ظهر الأرض تستطيع أن تنال من المؤمن ، وإذا كان النحاس باشا قد نجح فى هدم كل الذين خرجوا عليه فما ذلك إلا لأنهم كانوا يستحقون الهدم ، بل كانوا يحملون عناصر هدمهم فى نفوسهم . أما بالنسبة لى وإخوانى

فنحن نحمل في أنفسنا كل عناصر الصلاحيـــة للحياة ، نحمل الأيمان والشباب والاخلاص ، وليس وراء ذلك أسلحة يمكن أن تكفل لنا النصر فى معركة الحياة .؟

وعند هذا الحد انتهت المقابلة ، وانتهت إلى غير نتيجة حاسمة ، فقد خرجنا منها كما دخلنا غير متفاهمين ، بل لعلنا خرجنا منها أكثر افتراقا مما دخلناها . وقد كان ذلك يؤسفنى أشد الأسف ، فليس هنـاك شك في أن الوفد، كان في ذلك الوقت، يمثل الأغلبية الساحقة لأبناء البلاد ، وكان يمثل القوة الشعبية التى ترفع لواء المقاومة فى وجه الانجليز ، وفى وجه الاعتداء على الدستور . ولم أكن أميل إلى الاصطدام بهذه القوة الشعبية ، بل كنت أصبو إلى أن أوفق فى خلق جو يساعدني على التفاهم والتعاون مع الوفد ، حتى أستطيع في ظل هـذا التعاون أن أدعو لمبـادئ العمليـة فى أوساط الشعب . ولكنى لم أوفق كما قدمت ، ولقد سبب لى ذلك متاعب كثيرة .

بدأت حملة المجلات والصحف الوفدية تشتد على بعد هذه المقـابلة ، وبدأت جهود الشبان الوفديين المضادة لمصر الفتاة يظهر أثرها في الجو . وكان مشروع القرش هو محورهجومهم ، فأشاعوا وأذاعوا أنى اختلست بضعة ألوف من أموال هذا المشروع .

وقد كانت هذه أول فرية ضخمة ألقاها فى حياتى العامة ، ومع ذلك فقد رضت نفسى على الصبر عليها ولم تردنى هذه الاكذوبة إلا ثقة واعتدادا بنفسى ، لأنى أدركت أن خصومى لن يستطيعوا محـاربتى إلا عن طريق الخسة والنذالة ، وليس وراء ذلك دليل على قوتى وصدق جهادى .

واشتدت الحملة على مشروع القرش ومصنع الطرابيش، وخشيت على هذا المشروع الوليد أن يتصدع تحت ضغط الهجـــوم الوفدى والدعاية الوفدية ضده ، وكنت حتى ذلك الوقت لازلت أتقلد منصب السكرتير العام لجمعية القرش.. فرأيت أن الساعة قد حانت لكى استقيل من المشروع ، وأتفرغ لجهـادى فى مصر الفتــاة ، ولكى أتحرر من هـذه المسئولية

الثقيلة ، مسئولية مشروع القرش ، وبعثت باستقالتي إلى سعادة علي باشا ابراهيم ، وكتبت في الصرخة معلقا على هذه الاستقالة بالعبارات الآتية :

« في سبيلك يارب قدمت استقالتي من جمعية القرش .

وفي سبيلك يارب وفي سبيل إعلاء كلمتك ماسيصادفني في طريقي من عقبات واضطهاد .

وفي سبيلك يامصر قدمت استقالتي من جمعية القرش .

وفي سبيلك وفي سبيل مجدك ماينتظرنا من تشريد وسجن وعذاب .

وفي سبيلك وعلى مذبحـك أقدم مالي ونفسي وروحي فما أحوجك اليوم الى التضحية .

لقد تم مشروع القرش ، ولقد تم مصنع الطرابيش فلم يعد لي عمل هناك .

لقد أديت واجبي منذ كنت طالبا ، فساهمت بالطريق والكيفية التي سمحت لي بها الظروف .

أما اليوم فمصر في حاجة إلى دم بنيها يسفكونه من أجل مجدها .

لقد انتهت ساعات التمهيد ، ولم يبق إلا الكفاح ، الكفاح العلني المستميت فاما موت وإما حياة . وليحي الملك .»

ولم تكن هذه أول مرة أستقيل فيها من جمعية القرش ، فقد سبق لي أن قدمت استقالتي عدة مرات ، ولكنها لم تكن تقبل . أما هذه المرة فنظرا للصعوبات التي بدأت تحيط بالمشروع من النـاحية الشعبية ، ونظرا لموقف الوفد العدائي للمشروع ، فقد وافق أعضاء مجلس إدارة جمعية القرش على هذه الاستقالة مكرهين . وقد حاولوا بطبيعة الحال أن يثنوني عن طريقي الجديد وأن يغروني بالاستمرار في طريق مشروع القرش ، وأن أكرس حياتي في خدمة مصر من الناحية الاقتصادية البحتة ، وكيف أن بقائي على رأس مشروع القرش سيمكنني من تنفيذ برنامجي الذي يتلخص في إنشاء مصنع جديد في كل عام ، فلا تمضي عشر سنوات حتى أكون قد ملأت مصر بالمصـــانع التي يعمل بها ألوف وألوف من العمال ! . ولكن ذلك كله لم

يكن ليؤثر على عزمي وتصميمي في وجوب المضي في الكفاح السياسي حتى النهاية، متصديا للانجـــليز والأجانب، متصديا لكل العناصر السيئة والهدامة، والمعوقة لنهضة البلاد ورقيها.

على أن رجال جمعية القرش لم يلبثوا أن شعروا بعدم إمكانهم الاستغناء عني، فأرسل إلى سعادة علي باشا ابراهيم في ديسمبر سنة ١٩٣٣ الخطاب التالي:

حضرة المحترم الاستاذ احمد حسين المحامي

تحية وبعد: لما كان المجلس حريصاً على أن لا تحرم الجمعية من جهودكم وخبرتكم فقد قرروا اشراككم في لجنة تنظيم الاكتتاب هذا العام، لهذا أبلغ حضرتكم هذا القرار لتبدأ في العمل المذكور بما عهد فيكم من النشاط والغيرة على المشروع

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي.

رئيس مجلس الادارة

علي ابراهيم

ولقد علقت على هــذا الخطاب بكلمة حارة في مصر الفتاة، أرى أن أثبتها الآن بنصها، لأنها تلخص تاريخ هذه الايام، وتعطي صورة دقيقة عن العوامل النفسية التي كانت تعتلج في صدري وقتئذ، وهي:

ياصاحب السعادة:

جاءني من سعادتكم هذا الخطاب، واني لعاجز عن التعبير عما يخالجني من الشكر العميق لهذه الثقة التي غمرتموني بها في خطابكم الرقيق، واخفي أنني لا أتردد لحظة في أن أقدم نفسي وجهدي وكل ماأملك، أنا وزملائي، في سبيل مشروع القرش وانجاحه، لأنه ليس الا قطعة من أنفسنا وصرخة من صرخاتنا الأولى في الحياة المصرية المليئة بالغيوم والمليئة بالآلام.

واذا كنت قد استقلت من مشروع القرش، فما ذلك الا رغبة مني في أن أقدم نفسي لفكرة أكثر تطوراً من مشروع القرش وأوسع مدى، لأعمل بحرية من أجل مصر العزيزة غير مقيد بقيد، وغير حاسب لقوة ما حسابا، الا قوة الله وقدرته.

أجل لقد استقلت من جمعية القرش لأستطيع أن أقول كل ما في نفس الشباب بحرية

وجلاء ضد الانجليز ، وضد الأجانب ، وضد الضعف الذى يسيطر على المجتمع المصرى ، وضد الخلافات والحروب الداخلية ، وضد الجهل والفاقة . ولكي يعمل الشباب الذي استيقظ عملا ايجابيا من أجل أمته ، حتى تثير الحيوية المصرية من جديد ، وحتى نعيد الثقة الى النفوس من جديد ، وحتى نعيد أخلاق الرجولة والتضحية من جديد . وتحمد الله ياصاحب السعادة أن الشباب بدأ يستجيب لدعوتنا . ان صرختنا قد دوت فأيقظت الغافلين من رقدتهم . نحمد الله أن الشباب اليوم يريد أن يعمل مخلصاً من أجل الله، وفى سبيل الله ، مضحيا الى أبعد حدود التضحية ، شجاعا الى أبعد حدود الشجاعة .

جاءنى خطاب سعادتكم يدعونى للعمل فى مشروع القرش، ولكي أعمل فى مشروع القرش يجب أن أبتعد عن المعركة قليلا ، وأن أكف عن محاربة أعداء مصر قليلا ، حتى ينتهى الاكتتاب بعيداً عن المهاجات والمصادمات السياسية ، وأنا الذى تعرفنى ياصاحب السعادة لا يؤثر فى تهديد أو اغراء ، فأصغيت لطلبك لأنه من أجل مصر وفي سبيل مصر . فلقد عرفت كيف تثير هذه العاطفة فى نفسى ، ولأنه صادر منك ، أنت الشخص الذي علمنى كيف يفنى الانسان من أجل مصر ، وكيف يضحى الأنسان بكل شىء من أجل مصر ، ذلك أنك قدمت ياصاحب السعادة من أجل مشروع القرش كل شىء ، قدمت مركزك ، قدمت اسمك ، قدمت مالك ، قدمت جهدك ، قدمت أعز ما تنطوى عليه النفس البشرية وأعنى به ايمانك . قدمت كل ذلك يا صاحب السعادة فى وقت كان مشروع القرش فيه فكرة يتناولونها بالسخرية والتحقير ، فى وقت كانوا يهاجمونه من كل ناحية . ولكنك آمنت بما فيه من حق ، آمنت بما فيه من خير لمصر فعملت فيه حتى انجحته ، وأخذت بيده حتى أصبح بافعاً يرفع راية مصر عالية . هذا المثال يا صاحب السعادة هو الذى جعلنى أقبل طلبك أن أعود للعمل فى مشروع القرش من أجل مصر ، ولقد نفذت هذا مخلصا فكتبت فى جريدتى أعلن الهدنة حتى يتم الاكتتاب فاذا كان ؟ كان ياصاحب السعادة أن الحكومة منعت احتياطا ريثما لمتطوعى مشروع القرش فى تياترو رمسيس ليشتروا طرابيشهم ، وكان أن انتهك الجنود، حرمة جمعية القرش،لأول مرة فى تاريخها ، لأنهم خشوا أن أكون من بين المتكلمين. ولقد عشنا فى جمعية القرش سنتين لم يتعرض لنا جندى واحد فى الطريق فكيف بجمعية القرش اذن . فرجوعى الى جمعية القرش لن يفيدها، ولكنه سيؤلب عليها الحكومة،وغير الحكومة ممن أصبحوا لا يطيقون سماع اسمى . من أجل هذا يا صاحب السعادة فانى أعتذر عن الرجوع الى جمعية القرش كى تظل فى منجاة من كل هجوم ، وأنقض الهدنة التى لم تستمر الا دقائق قليلة ، ودقائق أشعر الآن بحسرتها فى نفسى ، ولا يعزينى الا أنها كانت من أجل مصر وفى سبيل مصر .

لقد استقلت من جمعية القرش لأتفرغ لخدمة مصر بشكل آخر ، وهذا السبب لا يزال قائما ، واذن فلن أستطيع الرجوع .

وإني أعتذر الى سعادتكم راجيا لكم التوفيق والنجاح . وليس لي الاجريدتي ، وقد أصبحت لسان الشباب ، ولسان حال مصر الفتاة ، وها أنا أضعها تحت تصرف الجمعية .

سائلا الله أن يكلل اعمالكم بالنجاح وأن يوفقكم لما فيه خير البلاد

وأما نحن فسنرفع الصوت مدويا . مصر فوق الجميع — الله أكبر (١)

وهكذا انقطعت، بصفة نهائية، كل صلة مادية بيني وبين مشروع القرش، أو مصنع الطرابيش. وإن كانت صلتي الروحية لن تنقطع بيني وبينه أبدا، فما كان مشروع القرش إلا وليد جهودي الأولى في سبيل مصر ومجدها .

مصر الفتاة والحكومة

ولنصل الآن إلى موقف الحكومة من مصر الفتاة . !

ولعلك لاحظت في رفض العودة إلى مشروع القرش هذه الاشارة إلى عدوان البوليس على دار جمعية القرش، والحيلولة بين المتطوعين وبين الاجتماع. فنحن الآن في شهر ديسمبر، أي بعد شهرين من إعلان برنامج مصر الفتاة، وفي ذلك الوقت كان اضطهاد الحكومة لأحمد حسين ومصر الفتاة قد بلغ أشده، وكانت الحرب بيننا وبين وزارة الداخلية هي حرب حياة أوموت. ففي هذه الفترة القصيرة زج بي إلى السجن لمدة طويلة، وصودرت جريدة الصرخة ، ولن يمضي إلا يسير وقت حتى يزج بي في السجن من جديد . وكان البوليس قد بدأ يضيق الخناق علينا محاولا خمد أنفاس حركتنا . ولكني واخواني وقفنا في وجه الزوبعة لا نكل ولا نلين .

كانت الوزارة التي تتربع في كراسي الحكم هي وزارة عبد الفتاح يحيي باشا ، وهي وزارة تألفت على أساس دستور اسماعيل صدقي باشا، وكانت تحكم البلاد بقوانينه الاستثنائية، معتمدة على برلمانه ونوابه . ولكنها في نفس الوقت كانت احدى وزارات القصر ، التي تستمد كل نفوذها من القصر . ولذلك

(١) الصرخة العدد ١٢ — ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٣

فقد مرت الأيام الأولى على مصر الفتاة دون أن تتعرض لها الحكومة بخير أو شر. فقد كان مااشتهر عنى من استقلال عن الوفد، واعتدال في الرأي، وما أعلنته في برنامج مصر الفتاة بالذات من دعوة إلى الالتفاف حول العرش، كان لذلك كله أكبر الأثر في أن مرت الأسابيع الأولى على إنشاء مصر الفتاة بدون معارضة أو مقاومة من الحكومة. بل لعل الهجوم الذى أسرع الوفد بشنه على مصر الفتاة قد كان من الحوافز التى دفعت الحكومةالى الأغضاء عن نشاط مصرالفتاة. وقد كان هذا الأغضاء بالذات أحد العناصر التى بنى عليها الوفديون اتهامهم لحركة مصر الفتاة، وأنها حركة تتصل بالقصر، وإلا لما سكتت عنها الحكومة وأغضت عن نشاطهاوحماستها المتطرفة، فى وقت سيطر فيه الجمود والركود على الرأى العام تحت ضغط الحكومة واضطهادها. ولكن الحكومة لم تتأخر طويلا، فقد أسرعت، بكل حولها وطولها، لتبطش بمصر الفتاة البطشة الكبرى. ذلك أن المسيطر على وزارة الداخلية، فى ذلك الوقت، كان هو الانجليزي المشهور السير كين بويد، مدير قسم الادارة الأوربية. وكان جنابه هو الحاكم بأمره في وزارة الداخلية، والذى لا يخالفه وزير أو رئيس أمرا من الأمور. ولقد سكت جنابه على مضض فى الأيام الأولى لمصر الفتاة إلى أن جاءته الفرصة بعد شهر واحد من تأليفها، عندما أصدرنا عددا خاصا من الصرخة بمناسبة ١٣ نوفمبر، وعدنا فيه إلى استئناف الجهاد والنضال من أجل حرية مصر واستقلالها. كان العدد المذكور يتضمن مقالات نارية وصورا رمزية، كان نشرها فى ذلك الوقت يشبه أن يكون قنبلة منفجرة فى سماء الحياة الوطنية. فأما صورة الغلاف فقد سجلت تاريخ « ١٣ نوفمبر » بألسنة من اللهب المتصاعد من نيران مشتعلة رمزا للثورة المصرية في سنة ١٩١٩، ومن خلال اللهب برزت ثلاثة رءوس لزعماء مصر الثلاثة الذين كان ذهابهم إلى العميد البريطانى، فى ذلك الوقت،

هو بمثابة إشعال نيران الثورة. ونعني بهؤلاء الثلاثة سعد زغلول وشعراوي وعبد العزيز فهمي . وكان في الداخل صورة رمزية أخرى « لحامل العلم أو الشهيد المجهول » وهو يجندل برصاص الانجليز فيقع على الأرض هاتفا « في سبيلك يامصر » .

على أن ذلك كله لم يكن شيئا مذكورا إلى جوار المقال الافتتاحي الذي جعلت عنوانه « ياشباب عام ١٩٣٣ كن كشباب عام ١٩١٩ (١) »

(١) يحسن بنا أن نثبت للذكرى والتاريخ نص هذا المقال الذي كان فاتحة تطور كبير في حياة مصر الفتاة :

ياشباب سنة ١٩٣٣ كن كشباب سنة ١٩١٩

كن كهذا الشباب الذي قدم نفسه وقوداً للجهاد والوطن ، كن كهذا الشباب الذي أشعل الثورة في وقت لم يتوقع الناس فيه الثورة .

ثورة جامحة ضد الانجليز ، والأجانب . لا تعرف هوادة ولا لينا ، لا تعرف تعلقا الا خلاص الوطن من ربقة الاستعباد .

ياشباب عام ١٩٣٣ ، يامن امتلأت بك السينمات وامتلأت بك دور اللهو ، وامتلأت بك المواخير والملاهي .

ياشباب عام ١٩٣٣ يامن تهزأ بكل شيء ، وتسخر من كل شيء ، وتجهل معنى الاستقلال والتضحية .

ياشباب عام ١٩٣٣ يامن لا تعرف من أمور الكفاح الا أن تتناقش وأن تكون سليط اللسان ، تهاجم زيدا أو عمرا من الناس .

ياشباب عام ١٩٣٣ ، يامن تعرف من شئون الممثلات الداخلية أكثر مما تعرف من شئون أمتك ووطنك .

ياشباب عام ١٩٣٣ ، يامن لا تغنى الا بأغاني الهوى والضعف والخمول .

ياشباب عام ١٩٣٣ ، هل استيقظت من سباتك وعرفت أن الساعة ساعة جد وأن الضحك يجب أن لا يعرف السبيل الى القلوب . كيف تضحك !؟ ولماذا تضحك ؟ وهذه جيوش الأنجليز تسد علينا السهل والجبل .

كيف تضحك ولماذا تضحك والموظفون الأنجليز يحكمون البلد .

ويرجع الفضل إلى الاستاذ فتحى رضوان فى كتابتى لهذا المقـــال الثوري ، بل ودفعى دفعا إلى طريق الثورة على الانجليز منذ ذلك التـاريخ إلى اليوم ، والفضل الذي أعنيه هو فضل غير مبـاشر أو غير مقصود ، فقد دأب الاستاذ فتحى ، الذى كان فى ذلك الوقت صديقي الوحيد ، على انتقاد جميع تصرفاتى وتجريحها . فلقد عمل إلى جوارى في مشروع القرش ولـكن هذا المشروع العظيم لم يسلم من تجريحه ، فقد كان يؤثر فى رأيه

= كيف تضحك ، ولماذا تضحك ، والحاكم المختلطة تصلينا العذاب .
كيف تضحك، ولماذا تضحك ، والأجانب يسدون علينا الطريق ويحتقروننا في عقر دارنا ، ويسلبون منا القوت .
كيف تضحك ، ولماذا تضحك ، وقد تدهورت الاخلاق وتفرقنا شيعا وأحزابا .
كيف تضحك ، ولماذا تضحك ، وقد جهلنا أمورديننا ونسينا اخواننا فى الشرق العربي فلا نمد يدنا اليهم ولا نعرف من أمورهم شيئا .
كيف تضحك ، ولماذا تضحك ، وقد وقف الاصلاح فى كل ميدان وطفت الأزمة وعم الجوع والخراب .
ترى ما الذى يضحكنا الا أن نكون عبيدا ألفوا الذلة والخضوع .
فى عام ١٩١٩ كانت هناك أحكام عرفية ، وكان هناك اعدام ، وكان هناك رصاص مسموم، ولـكن صوت الشباب دوى لاجيا فهز الظلم وأخاف الانجليز .
فما بالنا لا نصرخ اليوم ، ولا اعدام ولا رصاص ولا سموم .
ما بالنا لا نصرخ صراخا سلبيا،لاثورة فيه ولاعداء حتى نوقظ القوم من غفلتهم، ونلفت نظر القوات التى بدأت تطغى على حياتنا القومية . . ما بالنا لا نصرخ ضد هذه المحاكم التى تريد أن تجردنا من قوتنا لـكى ندفع للدائنين ذهبا .
ما بالنا لا نصرخ ضد الامتيازات التى تحتقرنا فى كل صباح ومساء .
ما بالنا لا نصرخ ضد الانجليز الذين يريدون سلب الـسودان ، ويبنون خزان جبل الأولياء ونحن أحوج ما نكون الى القوت .
ما بالنا لا نصرخ كى ينطلق الاصلاح فى كل ركن وفى كل ميدان .
ما بالنا لا نصرخ لـكى نهذب الأخلاق ، ونعيد معانى الشرف والرجولة والاناقة .
ما بالنا لا نصرخ لـكى يكون لباسنا مصريا ومأكلنا مصريا ومعاشنا مصريا .
ياشباب عام ١٩٣٣، ها نحن نهتف بك، وهاهى صرختنا تدعوك الى كل ذلك فان كنت معنا فتعال نجاهد، وان لم تـكن معنا فحسبنا أننا سنفديك كى لا يسجل التاريخ عليك أنك لم تـكن تتألم .

أن يكون اشتغالنا بالسياسة صريحا ، وأن نجابه الانجليز علنا . وعندما أصدرنا سويا مجلة الصرخة للمرة الأولى وألفنا جمعية مصر الفتاة ، كانت خطتي ترمي إلى اصطناع الاعتدال ريثما تثبت أقدام جريدتنا وحركتنا ، ولكن ذلك لم يعجب الاستاذ فتحي واعتبره مظهراً من مظاهر الجبن والخوف من الاصطدام بالانجليز على الفور ، ولقد كان بي دائما أبدا نقطة ضعف، وستبقى إلى الأبد ، هي أنني مااتهمت نفسي أواتهمني انسان بالخوف من شيء من الأشياء إلا وبادرت بدون تفكير أو تدبير بمهاجمة ذلك الشيء لأبرهن لنفسي أنني غير هياب ولاوجل. ذلك أنني لا أعتبر أن هناك نقيصة في الدنيا يمكن أن تشين الرجل أكثر من أن يكون جبانا . لأن الجبن هو آية العبودية ، ومتى جبن الانسان فقد فقد على الفور كرامته وانسانيته وحريته . ولقد كنت أعرف من نفسي دائما أنني أكثرشجاعة من الاستاذ فتحي ، وإنني إذا سكت عن مهاجمة شيء من الأشياء أو شخص من الاشخاص لفترة من الزمن ، فليس ذلك جبنا مني ، ولكن تريثا وتمهلا إلى أن يأتي الوقت المناسب الذي يستطيع الانسان أن يهجم فيه كاملا مستعدا . ومن ذلك موقفي في الأيام الأولى من تأليف مصر الفتاة واصدار الصرخة ، فلم يكن من الطبيعي أن نشن هجوما عنيفا قبل أن تستقر جريدتنا فنتخذ لنا مكانا ومقرا ونركز جمعيتنا ، ولكن الاستاذ فتحي ، الذي لم يكن له عمل في كل تاريخ صداقتي إلاانخالفتي في كل رأي أبديه ، انتقد هذا الموقف ! . وفي حديث بيني وبينه أشار إلى كلمة الجبن فأسرعت لأبرهن له على أنني آخر من يوصف بهذا الوصف في مصر. فكان هذا العدد من الصرخة الذي كانت الناس تذهل وهي تطالعه وتنظر إلى صوره ورسومه ، كان كل مصري لايصدق عينيه أن يكون في مصر ، بعد هذا الوقت الطويل من تدهور الوطنية والاخلاق ، وانتشار الخوف والجبن في كل مكان وفي كل نفس ، أن يكون في مصر مجلة بهذه القوة والحماسة. وأن يكون هناك شبان بكل هذه الجرأة والشجاعة وبدأت

مصر كلها تستيقظ على ضوء هذا المشعل الذى رفع لها . وكانت الحكومة وكان الانجليز ممثلين في شخص كين بويد أول من أسرع لأطفاء هـذه الشعلة التي توشك أن تهدم كل ماسعى الانجليز لبنيـــانه في مصر طوال أجيال وأجيال .

وجاء البوليس والنيابة ليقبضوا على من المنزل ويفتشوا الدار ، وكان ذلك أول عهدى بمثل هذا الاجراء . فكان وقعه شديدا على أهلى وعلى . ولكننى أسررت فى نفسى: « إننى اخترت هذا الطريق،ولاسبيل للرجوع عنه وأننى أعلنت عزمى على بلوغ النصر أو القبر ، واذن فلا محل للتردد أو الجزع ، بل المضى دائماً إلى الأمام في صبر وثبات ويقين . »

وخرج موكب البوليس والنيـابة وخرجت معهم مقبوضا على إلى دار الاستاذ فتحى رضوان، حيث قبض عليه بدوره ، ثم توجه الركب إلى دار الاستاذ حافظ محمود رئيس التحرير فاعتقل أيضا وساروا بنا إلى قسم الموسكى،حيث كان فى انتظارنا وكيل النيابة المحقق صادق بك الفجيزى، وبدأ أول تحقيق معمصر الفتاة، وفى مبادىءمصر الفتاة،وماهية مصر الفتاة . لم يكن تحقيقا صحفيا بالمعنى المعتاد من التحقيق الصحفى، بمعنى أن يسأل رئيس التحرير عن كاتب المقال وتفسـير عباراته والمقصود منها ، وإنما كان تحقيقاً جامعا شاملا أريد به الوصول إلى حقيقة أحوالنا .. فهل نحن جمعية سرية ، وهل اعتزمنـا أن نقتل وأن نغتـال ، وهل لدينا أسـلحة وذخائر ، وهل نمت بصلة إلى جهة من الجهات في مصر أو خارج مصر ؟

وهل لنا آراء شيوعية ؟ أو لنا خطط ثورية ؟ ومن أين لنا المال . . المال ، المال ودائماً المال كان وبقى منذ ذلك التاريخ أول مايسأل عنه من يريد إثارة الريبة فى مصر الفتاة . ومن أين لها المال الذى تنفق منه على هذه الدعاية الواسعة النطاق . وسرعان ماتبين للمحقق ضآلة الموارد المالية ، وأنها تتلخص فى هذا الدين الذى استدنته من بنك مصر بضمانة أحد الأصدقاء ، وأن كل مصروفاتنا وإيراداتنا تتلخص فى اعداد المجلة وتوزيعها ، وأثبت

المحقق أننا لا نمت إلى الشيوعية بسبب، وأننا لا نفكر في قلب نظام الحكم في مصر . بل نحن نؤمن بالملكية وندعو إلى تدعيمها ، عن طريق الحكم الدستورى السليم ، كما هو الحال فى انجلترا . وثبت للمحقق أن باطننا كظاهرنا ، نقى طاهر أبيض ناصع البياض ، ولكننا نشتعل حماسة وإيمانا بحق بلادنا فى المجد والعظمة، فضلا عن الحرية والاستقلال ، وأن عزمنا أشد من الحديد صلابة وأقوى من الفولاذ . فقد فوجىء المحقق بموقف لاعهد له به من قبل ، فوجىء بثلاث شبان يتنافس كل منهم في نسبة شرف ماكتب فى مصر الفتاة اليه ، ولا يحاول أن يهرب من المسئولية . فقد فاتنى أن أذكر أن المقالات التى نشرت بالمجلة كانت غير ممهورة بالتوقيع وقد سأل المحقق كلا منا على انفراد عن كاتب هذه المقالات ... ولقد خجل الاستاذ فتحى رضوان أن يتبرأ من هذه المقالات ، وهو الذى كان يلوح لى بالجبن فأسرع إلى نسبة هذه المقالات اليه ، أما الاستاذ حافظ محمود رئيس التحرير فقد أبى أن يكشف عن كاتب المقالات واعتبر نفسه مسئولا عما كتب فى المجلة بحكم منصبه ، أما أنا فقد كنت الكاتب الحقيقى للمقالات ، ولذلك فقد اعترفت بها وتحملت مسئوليتها بمفردى وأقسمت للمحقق أنى كاتبها دون الآخرين .. وقد كان ذلك موقفا عجيبا، لأن المألوف فى ذلك العهد أن يتنصل الكاتب مما كتب، لا أن يتنافس ثلاثة فى احتمال مسئولية ماكتب فى المجلة .

وانتهى التحقيق المبدئى في الساعة الثانية بعد منتصف الليل وأصدر المحقق أمره بحبسنا أربعة أيام على ذمة التحقيق . ولما كان لا يمكن إرسالنا إلى أحد السجون العمومية فى هذه الساعة المتأخرة ، فقد زج بنا فى سجن القسم حيث يسجن المتشردون والقوادون والسكارى وأصحاب الجرائم ، فى سجن مظلم معتم رطب تفوح منه أنتن الروائح وأضرها ، وحيث يتكدس المسجونون على الاسفلت تكدسا ، فى جو من القذارة والحشرات التى تملأ الجدران والسقف والارض ، بل وتملأ الهواء .

ولقد كانت هذه أول محنة حقيقية ألقاها فى حياتى الجديدة ، لم ألق بعدها محنة أبدا . لقد كان انتقالا مفاجئا حادا ، وكانت عقوبة لا عهد لى بها من قبل . فحتى ذلك التاريخ لم أكن ألقى إلا الاحترام والتوقير فى كل مكان ... كانت شهرتى كشاب نابغ عامل تسبقنى فى كل مكان أصل فيه ، فلا أرى إلا الأعجاب والتقدير ، ومبادرة الكل إلى معاونتى على تحقيق ما أريد ، وخاصة بعد نجاحى فى مشروع القرش وبناء مصنع الطرابيش . وكنت صحفياً ، وكنت محامياً ، وكنت أجلس مع الوزراء ، فلما رأيت نفسى فجأة ملقى على أرض هذا السجن المظلم كادت أنفاسى تختنق، وأحسست كما لو كان الموت يظللنى وأننى أوشك أن أغادر هذه الحياة الدنيا . وكان يزيد فى ضيق نفسى ما كنت عليه من فرط إعياء ،فقد كنت صائماً فى ذلك اليوم لم أتذوق طعاما وكان السهر والتحقيق الطويل قد انهكنى . وعندما يكون الانسان جائعاً ومنهكا تتأثر معنويته نتيجة لذلك . على أن الذى كان يؤثر فى أكثر من كل شى آخر هو هول الصدمة التى صدمت بها،وهذا الخطر المجهول الذى أصبح يحدق بنا ... فقد كان المحقق يبحث معنا فى جرائم الشيوعية وقلب نظام الحكم والتحريض على الثورة ، ومعنى ذلك أن القوم سيبطشون بنا، وقد يحكم علينا بالأشغال الشاقة لمدة طويلة أموت أثناءها ، وإذن فهذا السجن هو بدء النهاية وأنا الآن فى مرحلتى الأخيرة .

لم يكن هناك ما ننام عليه ، بل لم يكن مكان لننام فيه ، فجلسنا نحن الثلاثة وأسندنا ظهورنا إلى ظهور بعض ، وحاولنا أن نغمض أعيننا لنحظى بشىء من الراحة بعد ما بذلناه من عناء ... ولقد نمت ولست أعرف كم من الزمن استغرقت فى نومى ، أمقدار ساعة أم نصفها أم ربعها أم أقل من ذلك كله أم أكثر . ولكن التغير الذى طرأ على بعد يقظتى من جديد كان تغيراً عجيباً جداً ، فقد بدأت أشعر بالراحة وبدأت أشعر بصفاء نفسى وبزوال كل قلق ورغبة فى الاستمتاع بهذا الوضع الجديد الذى نحن فيه ، لقد كان الكثيرون من المسجونين رقودا فهدأ

هذا الضجيج ، وكان ثمة نور، لست أذكر إذا كان نور القمر أو ضوء الصباح ، كان يدخل إلى السجن من هذه الكوة فى عاليه وبدا المكان محتملا على خلاف ما تصورته لأول وهلة ..

وما السجن ؟ كان ذلك أول ما خطر على ذهنى ... إذا كان هذا هو السجن ، وهذا هو أشد ما يلقاه المجاهد ، فسأعرف كيف أتغلب عليه ، وكيف أحتمله ، ووجدت رفيقى قد طرأ عليهما مثل ما طرأ على من الانقلاب ، فقداعتدنا المكان وبدأنا نألفه وشرعنا نمزح ، ونعلق على مافيه من المناظر العجيبة ، وبدأت حركات السكارى تضحكنا ، وأحاديث المجرمين تستلفت أنظارنا لما تحويه من معان غريبة وعبارات واصطلاحات مضحكة ...

واستؤنف التحقيق فى الصباح ، ولكنا مع الصباح كنا قد استرددنا كل معنويتنا ، وكل قوانا ، ولذلك فقد بدأت اشتد على المحقق وأهاجمه وأجابهه بأعنف مما فعلت في الأدوار الأولى للتحقيق ... وقد استعطت فى هذه الفترة أن أختلس ورقة وأن أخط بها بعض كلمات فى مجلة الصرخة كانت كأقوى ما كتبت فى أي يوم من الأيام ، وجعلت عنوانها « لن نخاف » (١) ...

من أعماق السجون

لن نخاف

أجل لن نخاف السجن والتعذيب والتشريد ، لن نخاف عجرفة رجال البوليس وشدة رجال النيابة وهول السجن ، فى سبيل الله ما نفعل وفى سبيل الله نضحى بكل ما نملك .
وفى سبيلك يا مصر تهون التضحية ويستحب العذاب .
فى سبيلك يا أمنا الغالية ، وفى سبيل مجدك ، أرحب بالسجن كخطوة أولى لانقاذك .
مصر يامن حكمت العالم يوما وتزعمت الأسلام .
مصريا من أضاء نورك على الانسانية فى كل عصورها وطاوبت الزمان .
يامصر الخالدة القوية العزيزة، لن تموتى أبداً ، بل ستبقين قوية لتعيدى سيرتك الأولى.

وأرسلوا بنا إلى سجن الاستئناف لتمضية باقى أيامنا الأربعة ، ولقد بدأت نفوسنا تتهيأ لاحتمال ما نحن مقبلون عليه ، ولذلك فقد خضعنا لكل الاجراءات التي اخضعونا لها فى السجن ، وهى هذه الاجراءات التى تتبع مع المجرمين العاديين ، حيث يجبرون على الاستحمام بالماء البارد ويزيل لهم الحلاق كل شعر فى جسدهم . ولقد زج بي في السجن بعد ذلك أكثر من مرة فلم تستخدم معى هذه الأساليب ، بل لم أرها تستخدم في أى وقت

ولكن قبل ذلك يجب أن يقدم نفر من بنيك أنفسهم فداء عنك وعن أبنائك .
ولكن قبل ذلك يجب أن تمتلىء السجون بالأبرياء ويجب أن نحتمل العذاب صابرين
وها نحن نفعل يا مصر ، ها نحن فى عيد جهادك نقدم أنفسنا قربانا تاعلى مذبح عظمتك .
عيشى يا مصر وحلقى فوق العالمين ، عيشى والسجن شعار مجدك ، عيشى لتعودى كما كنت امبراطورية تتزعم الاسلام وتعلى كلمة الله والدين .
أيها الشباب يا شباب عام ١٩٣٣ ..
نريدك أن تذكر مصر اذا ما خلوت الى نفسك ،
نريدك أن تذكر الآلام التى نعانيها والتي تسد علينا طريق الحياة ،
نريدك أن تؤمن بحق مصر ايمانا وطيدا يحققها فى الحياة والمجد .
لماذا يعيش الانجليز بين ظهرانينا ، ولماذا نسكت على ذلك ؟
ولماذا يستنزف دمنا الأجانب ولماذا نسكت على ذلك ؟
لماذا نقع فريسة التفرق والاهواء ونسكت على ذلك ؟
أيها الشباب يا شباب عام ١٩٣٣ ، وداعا والى اللقاء ، قد أعيش ياشباب حتى أخرج ثانية لأكافح فى سبيل مصر من جديد ، ولأعود الى السجن مرة أخرى ،
وقد أموت فى السجن فشكرا لك يارب أن جعلتنى أقوم بواجبي ، شكرا لك يارب أن منحتنى القوة لأقول للظالم يوما أيها الظالم ولأقول لغاصب بلادى أيها الغاصب الويل لك من سخطى وايمانى . أماأنتم ياأصدقائى فاثبتوا على ايمانكم وسيروا كل يوم الى الأمام ، وأنت ياصرختى وداعا والى اللقاء . أترى هل تظلين مدوية حتى أعود لألقاك أم سيخفت صوتك عما قريب ... ولكن لا ، فانت صرخة عقيدة وايمان ولن تموتى أبداً الا اذا ماتت الايمان .
فى سبيلك يارب ،
وفى سبيلك يامصر ،
وفى سبيلك يامليكي ،

أدخل اليوم السجن

الصرخة — ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٣

من الأوقات مع أي مسجون نظيف ولكن جلسنا في ذلك الوقت واستعدادنا لاحتمال كل شيء جعل رجال السجن يطبقون علينا كل هذه الاجراءات .

ولقد كان كل شيء في السجن بمثابة تجربة ، لنا ومحنة وكانت أنظمة السجن بكل ما فيها من إجراءات مهينة تطبق علينا بحذافيرها ، فلم تكن تعرف ضابطا ولم يكن يعرفنا إنسان (فاستلطفتنا السجانة) وعاملونا اسوأ معاملة . ولقد كان أقسى ما عوملنا به في ذلك الوقت اضطرارنا لأزالة الضرورة وسط حشد من المسجونين في غير ستر أو حائل يحول بين مسجون وآخر ، وهو أسلوب لا يزال متبعاً في السجون المصرية ولكنه لم يطبق على بعد ذلك أبداً .

ولست الآن بسبيل التحدث بالتفصيل عن أيامنا في السجن وحياتنا به . والمهم أن في كل يوم جديد كانت حالتنا تتحسن في السجن ، ومعنويتنا تقوى . ولما رفضت المعارضة في أمر حبسنا الأولى وأصدر القاضي أمره باستمرار حبسنا أربعة عشر يوما عدنا إلى السجن فرحين مسرورين . وقد بدأنا نقبل على المطالعة والمناقشة والمحادثة في شتى شئون البلاد ، وكان الأستاذ حافظ محمود يرتل لنا القرآن ، أو يغني لنا بصوته الرخيم بعض الأناشيد والألحان ، وكان كل منا يلخص للآخر ما يقرأ من كتب . وسرعان ما تحولت أيامنا في السجن إلى أيام جميلة ، وتحول هذا الشبح المخيف ... شبح السجن إلى نعيم روحي ، حيث يصلي الانسان ويحسن الصلاة ، وحيث يقترب الانسان من ربه ويزداد اقترابا وحيث يفكر ويتعلم ويجدد قواه ...

ولما جاء أوان الافراج عنا إذا بي أخرج من السجن بقوة وعزم متجددين ، وإذا بي أكثر استعدادا للنضال والكفاح عن ذي قبل ، بعد أن اجتزت هذه التجربة الأولى بنجاح ... ولقد علمتني التجارب فيما بعد أن هذا الأثر الذي أحدثه السجن في نفسي هو ما يحدثه في كل صاحب فكرة وكل مجاهد في سبيل مثل أعلى ، وهو أن يزيد في إصراره على المضي في

كفاحه ، ولا يثنى من عزمه بأى حال من الأحوال . فليس هنـــاك كالاضطهاد لصاحب الفكرة السليمة إكسير لتقوية عزيمته ومضاعفة إيمانه . ولقد كانت حماسة اخواننا فى الخارج بهذا السجن قد تضاعفت بدورها ، واستطاع زميلنا الاستاذ كمال الدين صلاح أن يمضى فى إصدار مجلة الصرخة بنجاح عظيم فلما أن خرجت وجدت جوا يخالف الجو الذي كان يســـودنا قبل هذا الاضطهاد ... وجدت روح الاعتزاز والفخار بجهادنا وتضحيتنا ، ووجدت شبابا تلمع عيونهم وتخفق قلوبهم رغبة في الجهاد والتضحية ،ولذلك فقد هرعت إلى العمل على الفور ووضعت هذه المبادىء العشرة ، التى لخصت فيها آرائى وكفاحى فى كلمات قليلة لتكون دستورا لنا ومنهاجا. وسرعان ما أصبحت هذه المبادىء العشرة انجيل الوطنية فى هذه الأيام ، وأقبل الشبان على حفظها عن ظهر قلب وتلاوتها أمام الآخرين فكانت تفتح القلوب على مصاريعها وتحمل الجميع على الايمان بما تنطوى عليه حركتنا من صدق وإخلاص وروح عملية. وإليك نص هذه المبادىء :

١ — لاتتكلم إلا بالعربية ،ولا ترد على من لايخاطبك بها ، ولاتدخل محلا لا يكتب اسمه بالعربية .

٢ — لا تشتر إلا من مصرى ، ولا تلبس إلا ما صنع فى مصر ، ولا تأكل إلا طعاماً مصرياً .

٣ — تطهر . فقاطع الخمور ، ودور اللهو الحرام ، والسينمات الأجنبية.

٤ — تطهر . فصل لربك ، وأم المسجد يوم الجمعة إن كنت مسلماً ، والكنيسة يوم الأحد إن كنت مسيحياً ، ويوم السبت إن كنت يهودياً .

٥ — احفظ نشيد «إسلمى يامصر» ورتله بكل نفسك فى كل حفل ، وليكن انشودتك فى كل مكان .

٦ — حاسب نفسك كل ليلة ماذا قدمت فى يومك من أجل بلادك

ومجدها ،وسر فى كل مكان واثقاً بنفسك كمصرى ، وامتلىء إيمانا بمجدك وقوتك .

٧ — احتقر كل ما هو أجنبي بكل نفسك ، وتعصب لقوميتك حتى الجنون .

٨ — بلادك هى مصر والسودان معا لايتجزآن ولاينفصلان .

٩ — وغايتك أن تصبح مصر فوق الجميع ، دولة شامخة تتألف من السودان ، وتحالف الدول العربية ، وتتزعم الأسلام .

١٠ — وليكن شعارك دائماً : الله ، والوطن ، والملك .

(نشيد اسلمى يامصر)

تأليف مصطفى صادق الرافعي وتلحين صفر على

اسلمى يامصر اننى الفدا ذي يدي ان مدت الدنيا يدا
أبداً لن تستكينى أبدا انني أرجو مع اليوم غدا
ومعى قلبي وعزمي للجهاد ولقلبي أنت بعد الدين دين
لك يامصر السلامة وسلاما يابلادى
ان رمى الدهر سهامه أتقيها بفؤادى
واسلمى فى كل حين

أنا مصري بناني من بنى هرم الدهر الذى أعيا الفنا
وقفة الأهرام فيما بيننا لصروف الدهر وقفتى أنا
فى دفاعى وجهادى للبلاد لا أميل ، لا أمل ، لا ألين
لك يامصر السلامة . . . .

* * *

ويك يامن رام تقييد الفلك أى نجم فى السما يخضع لك
وطن الحر سماً لا تمتلك والفتى الحر بأفقه ملك
لا عدا يا أرض مصر بك عاد اننا دون حماك أجمعين
لك يامصر السلامة . . . .

* * *

للعلا أبناء مصر للعلا ولمصر شرفوا المستقبلا
وفدا لمصرنا الدنيا فلا تضعوا الأوطان الا أولا
جانبي الأيسر قلبه الفؤاد وبلادى هى لى قلبي اليمين
لك يامصر السلامه . . . .

أول خطاب عام

— ٦ —

إلى هنا كانت مصر الفتاة قد أعلنت عن نفسها، وعن مبادئها، عن طريق الصرخة، ومقالات الصرخة، عن طريق اضطهاد الحكومة والوفد لها. وقد حانت الساعة لتخطو مصر الفتاة كجماعة سياسية خطوتها الثانية، وهو أن تتصل بالشعب على اختلاف طبقاته ونزعاته، في اجتماع عام، أبسط فيه مبادىء الحركة، وأدفع عنها ماوجه لها من اتهامات، وأكشف فيه عن مقدار قوتنا واستجابة الشباب والشعب لنا.

وكان لا بد من التحايل لأقامة هذا الاجتماع، فمن المحال أن تسمح لنا الحكومة بعقد اجتماع سياسى. فلجأت إلى المرحوم عبد الحميد بك سعيد، رئيس جمعية الشبان المسلمين، وطلبت منه أن يتيح لى فرصة القاء محاضرة موضوعها «جهادنا الدينى». فأجابنى الرجل المجاهد إلى طلبى مرحبا، بل وأعلن استعداده لاقامة سرادق في ساحة الجمعية (١) لكى يتسع للعدد الكبير من الجمهور الذى سيرغب فى الاستماع إلى هذه المحاضرة، ولقد كانت شخصية عبد الحميد بك سعيد، ودار الشبان المسلمين، كفيلة بحماية المحاضرة وعدم تعرض الحكومة لها، ولذلك فقد أقيم السرادق بالفعل ووزعت الدعوات، وفى الليلة المحددة لألقاء المحاضرة، فى مساء السبت ١٦ ديسمبر سنة ١٩٣٣، توافد الشباب على دار الشبان المسلمين ليستمع لأحمد حسين متكلما، بعد أن طالعه كاتبا، ولكى يحكم له أو عليه. وجاء الشباب الوفدى ليعكر صفو الاجتماع وليفسده، وجاءت جواسيس الحكومة لينقلوا صورة ما يقال أو يحدث، وغص السرادق بالوافدين، وتكهرب جو

(١) كانت جمعية الشبان المسلمين في ذلك الوقت تقيم فى شارع مجلس النواب فى السراي التي يوجد بها الآن متحف الشمع.

المكان بحماسة الشبان ، وكان كل شيء ينذر بأن هذا الاجتماع لن يمر بهدوء وسكون ، ولا بد من انفجار العاصفة . وفي ذلك الجو بدأت حديثى مفتتحا باسم الله ، ولم أكد أمضى في حديثى حتى بدأ الشبان الوفديون باعتراضاتهم ومقاطعاتهم ، وتجلت نواياهم في إفساد الاجتماع ، فاحتك بهم شبان مصر الفتاة ، فكانت معركة عنيفة أسلحتها الكراسى التي كانت تتطاير في سماء المكان ، وتتحطم فوق الرءوس وتهشم . ولقد وقفت في خلال المعركة فوق منصة الخطابة لا أتزحزح ولا أتحول ، والكراسى تنهال على وحولى ، ولكن عناية الله شاءت أن تحميني في هذه الليلة ماديا وأدبيا . حمتنى ماديا ، فلم تصل إلى ضربة من الضربات الطائشة ، ولم ينلنى أى سوء . وحمتنى أدبيا ، بأن ملأت قلبي شجاعة وقوة ، فلم أحاول أن أبرح مكانى ، أو أن أحنى رأسى ، بل ظللت منتصب القامة ، مرفوع الرأس ، حتى استطاع الإيمان والحق أن ينتصر على الباطل . وفر المعتدون بعد أن أصيبوا بضربات طائشة . وفي أقل من لمح البصر عاد النظام إلى المكان ، وامتلأت الكراسى من جديد بجموع الشبان ، الذين زادهم هذا الانتصار إيماناً على إيمان . وخيم السكون على الحاضرين فجلسوا ينصتون كأن على رءوسهم الطير ، حتى إذا فرغت من خطابى انفجرت حماستهم فراحوا يهللون ويكبرون ويشق هتافهم عنان السماء . وخرجوا من دار الشبان المسلمين يتظاهرون هاتفين لمصر الفتاة ومكررين هتافات مصر الفتاة . . . وهكذا تقدمت مصر الفتاة إلى الشباب ليحكم عليها فحكم لها . ومنذ ذلك التاريخ دخلت حركة مصر الفتاة فى طور جديد ، فقد أصبحت حركة عامة ، تتصل بالرأى العام أقوى اتصال ، ولا تستطيع أى هيئة من الهيئات أن تتجاهل وجودها ، أو أن تظن أنها قادرة على إطفاء نورها .

وإليك الآن نص هذا الخطاب :

جهادنا الديني

بسم الله الرحمن الرحيم أبدأ جهادنا في سبيل الله ، وباسم الله الرحمن الرحيم أفتتح حديث المساء .. أيها السادة ..

حكمة الله

عجيبة والله حكمة الله .. كان مقدراً لهذه المحاضرة أن تلقى في يوم الجمعة ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٣ ، وكان الاتفاق عليها قبل هذا الميعاد بخمسة أيام ، وكنت قد أخذت على نفسي عهداً أن لا أقدم عليها قبل أن أتلو كتاب الله مرة ، ونظراً لمشاغلي العديدة فقد أكربني هذا الأمر ، وعجزت عن تنفيذه .. فكنت لذلك في حزن مقيم .. وشاءت ارادة الله أن أقاد الى السجن ، وفي السجن لم يكن لي عمل الا تلاوة كتاب الله ، فتلوته مرة ومرتين .. وزدت عليه أن طالعت السيرة .. وها أنذا أقف بعد مضى شهر من الميعاد الأول ، لألقي المحاضرة بعد أن قرأت القرآن .. عجيبة والله حكمة الله ..

نبذة عن تاريخ حياتي

وبعد فقد عرفتموني أيها السادة صاحب فكرة مشروع القرش وسكرتيره ، لقد عرفتموني مشتغلا بمصنع الطرابيش حتى خرجت اليكم الطرابيش تزينون رءوسكم بها ، وترفعون عن أنفسكم عار الأجنبي وذله .

عرفتموني شخصاً يشتغل بالمسائل الاقتصادية ، ويدعوكم للتعاون في سبيل تحقيق الاستقلال الاقتصادي .. فما بالكم ترونني اليوم أقف متحدثاً باسم الدين ومن أجل الدين. مالكم ترونني بين جدران جمعية الشبان المسلمين ، بعد أن كنت قد انقطعت عنها حقبة من الزمان . الحق أنه لايجب أن تستغربوا ذلك مني ، لأنه تصرف طبيعي ، ومنطق مع مقتضيات الظروف والأحوال .

لقد فتحت عيني أيها السادة في فجر الثورة المصرية .. كنت طفلا وقتذاك لم أتجاوز الثامنة من عمري ، ولم أكن الا طالبا بالمدارس الابتدائية في السنة الأولى منها ، ولكني أذكر انني اشتركت ككل طفل في ذلك الوقت في الجهاد القومي .. فاندرجت في سلك المظاهرات ، وارتفع صوتي بالهتافات المدوية «مصر والسودان لنا — مصر للمصريين — الاستقلال التام أو الموت الزؤام» . أجل أيها السادة أذكر هذه الصور التي أيقظت روحي بقوة والتي علمتني كيف أحب أمنا الخالدة مصر .. وكيف يسترخص الانسان الحياة من أجل مصر .

من ذلك الوقت أخذت أطالع تاريخ مصر ، وحيوية مصر .. وفى كل يوم كنت أتعلم درسا جديدا عن المجد المصرى القديم .. وفى كل يوم كنت ألقن صفحـة جـديدة من صفحات الحيوية المصرية .. وارتقيت الى المدارس الثانوية ، ولم يكن فى مصر أحـداث سياسية بحيث تشغل حيـاة الشاب ، قضيت فيها وقتـا طويلا حتى استيقظت . . وكانت يقظتى بين جدران معبد الكرنك وفى وادى الملوك ، كنا فى رحلة كشافية ، وكنا نعيش وسط الخيام على ضفاف النيل ، وفى كل صباح كنا نتطلق لنعيش فى آثار المجد المصرى وانتقلنا من الأقصر الى اسوان فالشلال .. وفى كل هذه الأماكن كنا نزل بلادا ، أو نشاهد آثارا جليلة ، فتفتحت نفسى أيها السادة وآمنت بمصر وعظمة مصر ..

صفحات من تاريخ مصر

هنا تعلمت كيف كانت فى مصر حضارة منذ أربعة آلاف من السنين تزرى بحضارات القرن العشرين ، كيف كان أجدادنا يكونون دولة عظيمة ، فى وقت كانت الانسانية تعيش فيه فى الكهوف والأدغال ، أكثر ما تكون شبها بالحيوان .

هناك تعلمت أن مصر خالدة ، وأنها عاشت على مر السنين قوية نابضة .. أربعة آلاف من السنين أيها السـادة يحـاربها الزمان فلا يزيدها الا قوة ، ولا يزيدها الا اضطراما واشتعالا .

كم من الدول أغارت عليهـا ، وكم من الفـاتحين مروا عليها ، ولـكن الدول دالت ، ولـكن الدول الفاتحة ماتت ، وبقيت مصر !! . مصر كما كانت دائمة حية قوية !!

هناك تعلمت هذه القوة السحرية التى استطاعت أن تحول كل شىء الى مصرى ، وأن تصهر المتاصر الجديدة وأن تصيرها مصرية .

هناك شعرت بمصريتى ، وهناك أحسست بكرامتى ، وهنـاك هتفت من أعمـاق قلبى : « مصر فوق الجميع !! . »

ولما عدت الى مصر أخذت أراجع تاريخ بلادى ، فازددت زهوا حتى وصلت الى تاريخ الأسلام . ومصر العربية .. الله أكبر ! فقد طالعت عجبـا .. الله أكبر ! لقد رأيت مصر تعلم العـالم وتضيئه بجامعة الأزهر . . الله أكبر ! لقـد رأيت الجيوش المصرية تحارب الجيوش الأوربية فتقهرها ، وتأسر ملوكها وأعز فرسانها ، فهتفت من أعماق قلبى للمرة الثانية « مصر فوق الجميع !! »

وواصلت قراءة التاريخ حتى العصور الحديثة ، لأرى مصر تحت زعامة محمد على باشا امبراطورية عظيمـة تخيف أوروبا بأسرها ، لها أسـاطيل فى البحر وجيوش فى البر ، تدك الحصون وتفتح الاقطار ، وفيها المعاهد والمدارس تعـلم الشرق القريب والبعيد . فهتفت من أعماق قلبى المرة الثالثة « مصر فوق الجميع !! ».

مصر بين ماضيها وحاضرها

وقارنت بين هذا المجد وما نعيش فيه من ذل ، قارنت بين هــذا الماضى السعيد وبين حاضرنا الشقى . يا الهي ! ما أعظم الفرق وما أبعــد الشقة ، لقــد بدا لى أن كل شيء حولى مخيف وكريه . لقد بدا لى أننا نعيش فى جحيم ، هذه الامبراطورية العظيمة مابالها قد انكمشت وتقلصت ، ومابالها قد فقدت كل شيء ، حتى الحق الطبيعى فى الحياة ، حتى الاستقلال ! مابال الجيوش الأجنبية تغزوها وتعيش فى أرضها ! ما بال أهلهــا هــكذا يعيشون فى جهل مقيم ، مابال قومنا هكذا يسلبها الأجانب جهارا والناس فى غفلة ، مابالنا يحارب بعضنا بعضا ، ومابالنا نتقاتل والعدو يسخر منا . مابال أخلاقنــا قد هوت حتى الدرك الأسفل ، مابالنا نندفع فى اللهو والفجور والخلاعة ، ناسين الفضيلة وكل ماهو جميل فى الحياة . مابالنا سرضى مابالنا ضعفاء .

كنت أسائل نفسى هذه الأسئلة وكان الغم يقتلنى .

كنت حائرا ، كنت برما بالحياة .

يارب كيف تتبدل هكذا صروف الحياة من عز الى ذل ، ومن قوة الى ضعف . يارب ماذا فعل آل مصر لتحل عليهم لعنتك هكذا ، ولتسلط عليهم من العذاب ألوانا ، يارب كيف تسمح بأن تنتهك حرمة هذا البلد الأمين هكذا ، وهو يسبح بحمدك ويجلك .

وكان على مكتبى نسخة من القرآن الكريم فتحته لعــلى مهتد فيه الى مابرد ايمانى واطمئنانى ، فاذا بعينى تقع على هذه الآية :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

ياسبحان الله وياقدرة الله !! لقد قفزت من مكتبى وأنا أصيح لقد عرفت السر . لقد عرفت السر « ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » هكذا .. هكذا لقد تغيرت النفوس فغير حالها الله .

لقد جحدت النفس لجحدها الله . . لقد تنكرت النفوس فتنكر لها الله .

وكان لابد من العمل . . لابد من رفع الغشاوة التى تعمى أعين المصريين ، لجاهدنا أنا وتيرمن اخوانى الأعزاء ، وأصدرنا جريدة الصرخة منذ أربع سنوات ، ولكنا كنا طلابا محوطين بالطلبة ، وجاءت القوانين صارمة تمنع الطلبة من كل شيء فتعطل عملنا .

ومع ذلك فقد كان لابد من عمل شيء .. شيء بعيد عن السياسة كى يشتغل به الشباب . فاهتممت بالناحية الاقتصادية .. ذلك أننى رأيت كل شيء فى هذا البلد مملوكا للأجانب .

مشروع القرش

رأيت القوت يسلب من المصريين فى وضح النهار رأيت الفقر والفاقة مع أننا نستطيع أن نجرد الأجانب من كل شيء .. مع أننا نستطيع أن نسلبهم القوت الذى يسلبوننا اياه .. مع أننا نستطيع أن نبدل فقرنا ثراء واحتياجنا غنى .. وذلك بقليل من الارادة ،

وبقليل من التعاون دعوت الأمة الى جمع قرش من كل مصرى ، لتأسيس مؤسسة قومية وقد كان !! وجمعت القروش ، وشيد مصنع الطرابيش ، وبالأمس نزلت الطرابيش الى السوق ، فكان هذا ايذانا بنصر الشباب الأول أو بشير عودة الروح .. أو هو ناقوس الأمل .

كان مصنع الطرابيش ، وتأسست جمعية القرش ، وخرجت من المدرسة وتيقظ الشباب ، وعادت اليه الروح روح العمل والتضحية ، وبدأ يحس بالقلق يساوره .. وبدأ يشعر بالآلام التى يعيش فيها .. وبدأ يتطلع الى الخلاص .

كل شىء مستعد ، واذن فلى العمل . دعوت أصدقائي الشبان للتجرد من كل شىء ، وتقديم أنفسنا فداء للوطن ، حتى تصبح مصر فوق الجميع أو نموت . وأقسمنا وأخذنا نفكر فى العمل الجدى .. ما السبيل الى الخلاص ، ما السبيل الى المجد ..

أنواصل العمل تحت راية الأحزاب ، وهى على ماهي عليه من تطاحن وقتال .. أنشتغل فى الاقتصاد .. أنشغل فى الاجتماعيات .. ماذا يجب أن نفعل ؟ ماهو السبيل .. وهنا وللمرة الثانيه همسنا كلمات الله فى الراديو :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

سر الحياة

من نحن وما نحن .؟ هذا هو السؤال الأزلى الذي يخامر الانسانية منذ آلاف الدهور . نحن خليقة الله وارادته ، نحن مشيئة الله وكلمته ، كن فكان .. وما دام الأمر كذلك ، وما دام أن وجودنا فى الحياة ليس الا ارادة من ارادات الله . فان سؤالا يعترضنا .. ولماذا أوجدنا الله سبحانه ، فاذا الجواب : « وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون »

هكذا . . هكذا ، أيها السادة ، هذا هو سر الحياة ، وهذا هو معناها . أو بمعنى آخر ذلك هو محور الحياة وحجر الزاوية فيها . فنحن قد خلقنا لنعبد الله .

فطوبى لمن عرف هذا السر وقدره .. انه ليبلغ من القوة شأوا عظيما .. ذلك أنه يكون مسلحاً بقوة الايمان .. هذا الايمان الذي يستطيع أن يدك الجبال ، ويذيب الحديد ، ويحيى الموتى .

ما أضل من جهل هذا السر ، سر الحياة . انه ليعيش طوال حياته فى ضعف وذل .. انه ليعيش فى الوحل والقاذورات ، وما ذلك الا لأنه لا يملك قوة الأيمان .

وبعد أيها السادة ، هل تريدون أن أحدثكم عن الأيمان .

هل تريدون أن أصور لكم الرجل المؤمن كيف يستطيع أن يقابل الموت ، راضيا من أجل ايمانه . اذكروا اذن كيف كان المسيحيون فى ابان دعوتهم يحملون على الصليب

وتدق المسامير في أيديهم وفي أرجلهم ، دون أن يتأوهوا أو يشكوا. هل تذكرون كيف كانوا يرمونهم الى السباع الجائعة تفتك بهم ، وهم يسبحون الله .. وكان ذلك عندما كان الأيمان يملأ قلوبهم ، فاستطاع أفراد قلائل منهم أن ينشروا المسيحية في أنحاء العالم .

ايمان المسلمين الأوائل

ونحن .. نحن المسلمين ماذا استطاع أجدادنا أن يفعلوا .. لما كان الايمان يملأ قلوبهم .. لقد فعلوا المستحيل.. لقد خلقوا من شبه جزيرة العرب القاحلة الماحلة من الزاد، ومن الرجال، لقد جعلوا من شبه الجزيرة هذه دولة تحكم العالم ، لقد أنشأوا امبراطورية لم يعرف التاريخ مثلها ، لقد أسسوا ملكا لن تدول دولته أبد الآبدين . أتذكرون كيف كان المسلم يحارب العشرة أبطال فيقهرهم ، أتذكرون كيف كان المسلم يستقبل الموت مرتاحا في سبيل الله ، أتذكرون أبا سفيان عندما فقد احدى عينيه في احدى الغزوات ، فذهب بها الى النبي يشكو فقدها ، وكانت على كفه ، فقال له عليه الصلاة والسلام لو طلبت من الله أن يردها لك لفعل؟ فهل تحب هذا ، أم تحب عينا خيرا منها في الجنة ؟ فرمى أبو سفيان عينه وقال بل خيرا منها في الجنة ! هل تذكرون كيف كان المسلم يضرب على رجله بالسيف فتقطع ، فينزع رجله ويحارب بها ، هل تذكرون كيف صمد النبي في موقعة أحد، ولم يكن حوله الا رجل أو رجلان يحاربان وسط هذه الجموع ، فلم تنل منهم شيئا .

هل تذكرون كيف كان المسلمون يستشهدون ، وهم سعداء أنهم ملاقو ربهم .

هذا هو الأيمان الذي جعل العرب يحطمون أقوى الامبراطوريات وأعظمها ، وأعني بها الامبراطورية الرومانية ، ويثلون عرش الأكاسرة ، وذلك بقوة الايمان واليقين .

فعلوا ذلك في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ذلك المؤمن المتقشف الذي كان ينام في العراء ، وقد يبيت وأولاده على الطوى ومن حولهم ذهب العالم وجواهره ، وما ذلك الا لأنهم يعيشون بالأيمان ، وبالأيمان ينتصرون ، وما أحقر المال وأضأله اذا ماقورن بالايمان .

روي ان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما جاءوه بأموال كسرى بعد فتح المدائن ، وأخذ المسلمون يقتسمون بساط كسرى العظيم وما فيه من جواهر وذهب ، بكي عمر بن الخطاب . فقالوا له علام تبكي يا أمير المؤمنين والوقت وقت ابتهاج لابكاء ؟؟ فأجابهم ما بكيت الا لعلمي أن هذا المال الذي تقتسمون هدم دولا ، وثل عروشا، هذا المال الذي تقتسمونه ما كان في جماعة الا وعجل بأفنائها ، فبكيت خوفا على أمة العرب ، وقد صارت الى هذا الغنى ، وتكدست فيها هذه الأموال .

فالأيمان ، أيها السادة ، هو كل شيء . فلا الجيوش ، ولا الأساطيل ، ولا المال ، ولا أي قوات الأرض ، تعادل الايمان في قوته ذلك لأنه ليس الا نفحة من نفحات الله.

مصر المقدسة

ومصر ، أيها السادة ، يستطيع أعداؤها أن يجردوها من كل شيء ، الا أن تبقى متدينة بما لا نظير له فى بقعة أخرى من أنحاء العالم .. مصر ، أيها السادة ، كانت ، ولا تزال ، وستظل دائماً أبداً ، موئل الأديان وحاميتها .. فاذا ذكرت الأديان ، جاءت مصر تذكر الناس بالأديان .. ومن هنا كانت مصر تقوى اذا ما ازداد تعلقها بدينها وتضعف كلما انحرفت عن دينها . ذلك أنها بلد دين قبل كل شيء ، تعيش على الدين وتعتمد عليه .

أنظروا اليها منذ أربعة آلاف من السنين ، وقد كانت الانسانية فى خطواتها الأولى لا تكاد تعرف كيف تطهى طعاما أو تحيك ثيابا ، أنظروا الى مصر وقد عرفت من مبادىء الدين ما يكاد يحار له العقل ، لولا أن يؤمن بأن الله أوحى الى أبناء مصر ببعض أسرار الدين .. كثيرون من الأغرار يحسبون أن دين المصريين كان ديناً وثنياً . ديناً تتعدد فيه الآلهة . ديناً يعبد فيه القط والتمساح والثعبان . لا ، أيها السادة ، حاشا وكلا أن تكون هذه عقلية بناة الأهرام ! ! حاشا وكلا أن تكون هذه هى عقلية الناس الذين أخرجوا حضارة تزرى بحضارة القرن العشرين ! ! ولكن هو جهلنا بفهم نصوصهم ، هو قلة ما وصل الينا . ولما كانت لغة هؤلاء الأقوام رموزا بالرسوم ، فقد ضللنا الطريق ، وحسبنا كل هذه الرموز آلهة . ولو فكر السادة العلماء ، لعلموا أن هذه الرموز التى حسبوها آلهة لم تكن ألا أحرفاً لكلمات تترجم عن معان أخرى ، أكثر سمواً وتعقلا ، بما يتناسب مع ذهنية المصريين القدماء الجبارة . وما أعجب ، أيها السادة ، أن أخط هذه الكلمات ، وأن يقع فى يدى بالأمس كتاب لأحد القضاة الأفاضل ، وهو الأستاذ صالح سالم هيكل ، فاقرأ فيه ما يؤيد هذه النظرية ، وما يقيم الدليل عليها .

ديانة القدماء المصريين

فقد كشفت أخيراً ، أيها السادة ، أنشودة من أناشيد المصريين الدينية ، فاذا بها حديث عن الله سبحانه وتعالى . حديث جاء فيه : الله واحد أحد ، الله خالق نفسه ، وخالق الموجودات . الله سيد الأرض ومن عليها ، لا ابتداء له ولا انتهاء .

وليس الآن مقام البحث فى ديانة المصريين القدماء حتى أزيدكم تفصيلا . ولكنى أقول لكم ان المصريين القدماء آمنوا بالتوحيد ، وعرفوا البعث والنشور . وعرفوا الميزان والحساب . وعرفوا الجنة والنار . وهذه كلها من تعاليم الأديان السماوية . كان المصريون القدماء رجال دين ، أيها السادة . وكانوا يعلمون العالم الحكمة والأيمان . وقد كان هذا سر قوتهم ونبوغهم . من أجل الدين وتعاليم الدين ، أقاموا الأهرامات الخالدة ،

من أجل الدين وتعاليم الدين ، قاموا بمعجزات العلم والفن . هذا التحنيط ، أيها السادة، الذي هو معجزة من معجزات العلم في الوقت الحاضر ، لم يعرفه المصريون الا لغاية دينية بحتة . وفي مصر ، أيها السادة ، وبين أحضان فرعون ، تعلم موسى فآتاه الله حكمة المصريين ، كما يقول كتابه المقدس ، وأنزل الله الديانة اليهودية على موسى . واذا كان فرعون قد كفر بها ، فهذا ملك متجبر له شأنه ، ولكن المصريين آمنوا برسالة موسى كما يحدثنا القرآن ، عند ماسجد السحرة . وقالوا « آمنا برب العالمين رب موسى وهارون »

وهذه هي مصر المتدينة المتعبدة ، ولما جاءت المسيحية ، أيها السادة ، تفتحت لها مصر ، واحتضنتها . وبينما كانت تطارد في كل مكان ، وكان أبناؤها يرمون للسباع ، كانت لهم في مصر دولة وسلطان . وبينما كانت كنائس الشرق والغرب تحطم ، كانت كنيسة الأسكندرية تحمل اللواء . لقد حمت مصر المسيحية ، وأبقت عليها ، وأعلت كلمة الله ضد روما المتغطرسة ، حتى كسرت شوكة روما ، واعتنقت المسيحية بدورها . ·

مصر الاسلامية

وظلت مصر مسيحية كأقوى ما تكون ، حتى جاء الدين الجديد .. حتى جاء دين آخر الأنبياء كافة وسيد المرسلين ، مبشراً ونذيراً ، فتحت مصر مصراعيها للدين الجديد .. وقام المصريون يرحبون بالفاتح الجديد الذي يعلي كلمة الله وينادي بالتوحيد .. وقد كان أهل مصر موحدين في المسيحية .

وتمكن الأسلام من نفوس المصريين الطاهرة المؤمنة ، فوجد فيهم موئلا وظهيرا . ووجدفيهم ركنه الحصين ومرتكزعلمه الذي لن ينطوأبدا .. وعند ماسقطت دمشق وبغداد ، وسقطت حصون الأسلام وأعلامه ، وسقطت البيوت المقدسة ، وجاءت أوروبا الصليبية لتقضي على الأسلام ، كانت مصر الأسلامية هي التي أبقت على الأسلام وحمته . كانت مصر ، وجنود مصر ، هي التي دافعت عن الأسلام ضد الصليبيين حتى اكتسحتهم ، ووضعت أنفهم في الرغام ، وتذكروا أن الصليبيين لم يكونوا الا أوربا بأسرها ، أوربا المتحمسة المتدينة ، جاءت لتقضي على الأسلام فامتلأت نفوس المصريين بالأيمان ، وعادوا سيرة الجهاد الأولى ، سيرة الصحابة الأجلاء .

أجل لقد عادت اليهم روح الاستشهاد الأولى ، فاستطاعوا أن يظفروا بأوربا وأن يقهروها ، واستطعنا ، أيها السادة ، أن نعلي كلمة الله ضد الصليبيين كما أعليناها بعد ذلك ضد التتار المخربين ، والذين حطموا عواصم الدولة العربية ، وطردوا الخلفاء .

وفي وسط هذه الحروب ، وسط هذا الظلام ، في وسط الفتنة والجهل الذي خيم على العالم ، كانت جامعة الأزهر ، وأعني جامعة الاسلام الوحيدة في أنحاء العالم ، هي التي تبعث بالنور والعلم الى أنحاء العالمين .. هي التي تحفظ المدنية والحضارة ، وهي التي تعلي

كلمة الله .. أيها الأزهر ، يا أعز تراث ، ويا أقدس معهد فى العالم ، أيها الأزهر ، يامن أوجدك الله لتكون اماما ونبراسا ، انى لأنحنى أمامك تقديساً وأجلالا ، انى لأحييك والدموع تجول فى عينى عندما أقارن ماضيك بحاضرك .

هذه هى مصر العظيمة بدينها أيها السادة . هذه هى مصر التى تستمد قوتها من تمسكها بدينها ومن هنا بقيت على مر الزمان ، ذات حيوية خالدة لا تنضب . وانهزم كل أعدائها وبقيت هى تسير الى الأمام .

وقد فطن الى هذا السر كل أعداء مصر وفاتحوها . فجاءوها عن هـذا الطريق . . طريق الدين . فأن الخرافات القديمة تحدثنا أن ملك الفرس ، عنـدما أراد فتح مصر ، اتخذ لذلك سبيلا دينياً ، بأن وضع فى مقـدمة جيشـه حيوانات مقدسة لدى المصريين فامتنعوا عن القتال وتركوه يدخل بلادهم ، كى لايمسوا هذه الحيوانات المقدسة ولست أشك فى كذب هذه الخرافة ، ولـكنها على كل حال تدل على شدة تعلق المصريين بدينهم

ومن بعدهم الاسكندر ، لـكى يستطيع أن يعيش فى مصر ، آمن بديانة المصريين وذهب الى هيكلهم وسمى نفسه ابن آمون .

ومن بعده البطالسة ، ومن بعدهم الرومان ، دخلوا فى المسيحية ، حتى جاء الأسلام ، فتفتحت له قلوب المصريين ، ولم يستطع بعد ذلك أن يحكمها الا مسلم . حتى نابليون ، أيها السادة ، اضطر أن يسلم لـكى يعيش فى مصر . نابليون ، أيها السادة ، دخل مصر فى يوم وليلة ، دون أن تصادمه مقاومة ، ولـكنه دخل الأزهر بخيله يوما ، فثارت عليه الثورة التى لم تنتـه حتى بارح مصر ، ولم يوقفهـا الا بأن أعلن اسـلامه . فسكت عنه المصريون وفرحوا بانتصار دينهم . والانجليز أنفسهم ، أيها السـادة ، عرفوا ذلك منا فصـالوا فى مصر كل شىء ، وحطموا كل شىء ، وغيروا كل شىء ، واحتقروا كل شىء الا دين المصريين ، لأنهم وثقوا أن هذه هى ناحية الخطر فى كل مايفعلون ، وأن المصريين يرضون بكل شىء الا أن يصابوا فى دينهم ، فـكرموا هذا الدين وعظموه ، ولو ظاهراً ، ألستم ترونهم يدعون علماءنا ليلة القدر احتفالا بهذا العيد المظيم .

ها كم حادثة التبشير الأخـيرة ، هل رأيتم كيف اجتاحت البـلاد عاصفة الغضب ضد التبشير والمبشرين ، وكاد البركان يتفجر لولا أن تصدى للموضوع جـلالة مولانا الملك المعظم ، فعـالجه بحكمته ، وأمر حكومته بلاقاة الأمر ، بفتح الملاجىء والمستشفيات .

أيها السادة ، ادرسوا نفسية الفلاحين ، وهم سواد الشعب . انهم لايعرفون فى الوجود الا الله ، ثم الارض ، الله فى السماء هو الذى خلقهم ، وهو الذى يميتهم ، ويحاسبهم ، والارض يزرعونها ، ويتعيشون من نباتها . فادام الله قد بقى لهم فهم ناعمون آمنون . ومادامت أرضهم تركت لهم يزرعونها ، فهم آمنون ناعمون ، حدثهم بعد ذلك عن الاقتصـاد ، حـدثهم عن الفلسفة ، فسيسمعون اليك وكأن الكلام لايعنيهم .. لأنهم جنـــود الله وزارعو الأرض .

هذه هى نفسية الشعب المصرى ، وهــذا سر تموته . واذا كنا قد وصلنــا اليوم الى ماوصلنا اليه من ضعف ، فما ذلك الا لأننا جهلنا هــذه الحقيقة ، وشغلتنا ألفاظ أخرى ومحاولات أخرى . اذا كنا قد تدهورنا فما ذلك الا لأننا غيرنا ما بأنفسنا . انى أعلن أن ساسة هذا البلد جميعا ، مسئولون عما وصلنا اليه من انحطاط وتدهور ، ذلك لأنهم جهلوا طريق الدين واعتبروه نافلة من النوافل ، فمــالوا لكل شيء الا الدين ، أستغفر الله بل لقد عملوا على هدم الدين ، هدموه فى وضح النهار ، هدموه تحت سمع العالم وبصره . فهل تعجبون بعد ذلك أن حكمنا الانجليز طويلا ، هل تعجبون بعــد ذلك ان استعبدنا الأجانب ، هل تعجبون أن فقدنا معنويتنــا وثقتنا بأنفسنا ، انى أتهم رجال السياسة المصريين بالأجماع من فوق هذا المنبر ، انى أتهم الزعماء علنا من فوق هذا المنبر ، بأنهم مسئولون عما وصلنا اليه ، ذلك لأن الله لا يغــير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

من ذا يقول ان فى بلد الأسلام والدين ، يكون الفجور علنــا ، بالسخط الله ، بل ويكون برخصة من الحكومة المصرية .. أيها الساسة ، أيها الزعماء ، يارجال الحكومة ، قبل أن تتحدثوا عن الدستور ، قبل أن تتحدثوا فى الاستقلال ، تحدثوا فى هذا الخزى والعار ، وارفعوه عن أنفسكم ، يصلح الله شأنكم ، أنى لأعجب أيها السادة عندما أفكر فى هذا الموضوع ، الله يبغض الزنا ، الله يعتبره من أكبر الجرائم ، الله يأمرنا أن نرجم الزانى ، ثم حكومة مصر ، حكومة الاسلام ، حكومة الدين ، تفتح البيوت للناس وتقدم بالرخص لأبناء العائلات ، ولتساعد البنت ضد أبيها اذا أرادت احتراف البغاء ، ولتحمى الزانى ضد لمنات ذويه ، استغفرك اللهم وأتوب اليك ، ومصر بأسرها ، مصر التى عرفتها يارب ، مخلصة متفانية لكلمتك ، مصر التى رفعت لواءك يارب طوال خمسة آلاف سنة أنها تثور على هذا الشر وتستنكره .

الله يحارب الخمور ويلعنها ، فاذا بمصر الاسلامية تفتح لها صدرها بأكثر مما تفتحه لها انجلترا وفرنسا ، ففى هذه البلاد تقفل المواخير فى ساعة محدودة ، ويمنع الشبان الصغار من ارتيادها ، أما فى مصر ، مصر الاسلامية ، فالخمر يسرى الى أعماق القرية ، والخمر يعلن عنــه ويروج له فى كل صحيفة مصرية ، حتى الحكومة تروج له أحيــانا ، وتطبع اعلاناته على دفتر التلفون ، وفى محطات السكك الحديد . وعنــد مايقوم رجل كفلوش ينادى بمحرب المسكرات ، هزأ منه العامات ، وأشفقوا عليه ، واعتبرت عمله منكرا من المنكرات ، والله ان المنكر هو أنتم وحياتكم .

دعوكم من التدهور الخلقى ، دعوكم من الرذائل كلهــا ، التى حرمها الله فأباحهــا القانون ، لن أحدثكم عن القمار ، والخمر ، والربا ، والزنا ، والتهتك ، لن أحدثكم عن هذه المعاول الهدامة فى كيان الأمة ، ولكنى سأحدثكم عن شيء أهون من هذا وأبسط ، أحدثكم عن هذا التفكك بين المسلمين وعدوانهم ان حكومتنا ، أيها السادة ، لتعرف من أخبار

ألمانيا وفرنسا وانجلترا أكثر مما تعرف من أخبار فلسطين الشقيقة المسلمة ، انهم يعلمونا في المدارس أسماء بلاد الولايات المتحدة بلدا بلدا ، ولكنهم لا يعلمونا شيئا عن جاوة المسلمة وما فيها من اسلام ، انهم لايحدثونا عن الهند المسلمة ، ولا الصين المسلمة ؛ ولولا شذرات حملتها في الجرائد من حين لآخر ، لجهلت أن في الصين مسلمين وأن في جاوه مسلمين .

. ذلك أن التعلم في مصر يحارب الدين . التعليم في مصر ثورة على الدين ، لأنه تعليم يغرس في نفس الشاب أن الحياة ليست في الدين ، وأنها في شيء آخر ، هو هذا الذي يدرس في هذه البلاد .

ولم يكن ذلك كله الا سياسة الأنجليز الدنيئة . لقد عرف الانجليز كيف يحكمون البلاد عرفوا أن السبيل الى ذلك هو ابعاد النشء الجديد عن الدين ونظرياته ، عرفوا أنهم يستطيعون البقاء في مصر ، لايجيبوشهم ، بقدر مايستطيعون ذلك عن نشر الشرور والآثام، فأباحوا الخمر والربا والزنا والقمار ، وكل مايفتك في الجماعات ، بحجة أن هذا مدنية المصريين فلتخسأ المدنية ، ولتذهب الى جهنم ، اذا كانت هذه تعاليمها ! فلتخسأ المدنية وليخسأ أصحابها والمنادون بها ، اذا كان هذا أثرها !

لا والله ماكانت هذه هي المدنية ، ولكن هذه هي معاول المدنية . لاوالله ما كان هذا يرقى شعبا ، ولكن يخرب شعبا . لا والله ما كان الاستهتار والدعارة والجحود في الدين والاهمال لأوامر الله ، الا نذير الهلاك والعذاب .

حمداً لك يارب أن رفعت الغشاوة عن أعيننا ، حمداً لك يارب أن أتحت لنا فرصة الاهتداء بنورك وهديك ، فنحن اليوم قد آمنا ، وعرفنا الطريق ، عرفنا السر ، وعرفنا السلاح .

أيها الشبان ، ياشبان مصر ، وياجنود مصر الفتاة ؛

ان أردتم نجاحا في الحياة وفلاحا ، أن أردتم استقلالا ومجدا ، فغيروا ما بأنفسكم آمنوا بالله وأوامر الله ، قدموا أنفسكم في سبيل الله ، فيغير الله ماحل عليكم من السخط والغضب .

الدين .. الدين أيها الشبان .. الدين الدين أيها الشيوخ .. الدين الدين أيها الحكام .. لا والله أن الانجليز لايملكون في يدهم خيرنا وسعادتنا ، ولكن نحن أنفسنا نستطيع أن نكون أقوياء ، ونستطيع أن نكون ضعفاء .

فلترفع كلمة الدين عالية فيجتمع لنا في مشارق الارض ومغاربها مئات الملايين من المسلمين . لقد كانت مصر منذ خلقت للعالم منارة نور للعالمين ، كانت مصر سيدة وزعيمة وقائدة ، كانت مصر زعيمة الاسلام والمسلمين ، فهلموا نسترجع زعامتنا الدينية .. هلموا نرفع اللواء أمام الشرق القريب والبعيد، هلموا نأخذ مركزنا تحت الشمس فوق العالمين. ان لكم دينا أيها الشباب سيحكم العالم بأسره ، ان لكم دينا يهدم الفوارق ويوحد

الجماعات ويجمع الناس فى صعيد واحد . ان لكم دينا ديمقراطيا تعجز تعاليم القرن العشرين عن أن تصل الى مستواه . هل تذكرون كيف كان الأعراب ينادون رسول الله: يامحمد، وكيف كانوا يحاجونه ويناقشونه ، هل تذكرون كيف يقول الكتاب «وأمرهم شورى بينهم » هل تذكرون قولة رسول الله (المسلمون سواسية كأسنان المشط) وليس هذا الا المساواة المطلقة .

هل تذكرون قول عمر متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، وهذه هي الحرية .

هل تذكرون قولة رسول الله (انما المؤمنون اخوة) .

هذه هى المبادىء الثلاثة : حرية ، واخاء ، ومساواة ، يعلمها الدين الاسلامى منذ ألف سنة . ويمارسها المسلمون ، ولا يعرفها الغرب الا منذ مائة وخمسين سنة عندما اندلعت الثورة الفرنسية .

أن لكم دينا اشتراكيا ، يعجز العالم فى القرن العشرين عن بلوغ مستواه . هذه الزكاة التى فرضت علينا ، أليست اقتطاع جزء من مال الأغنياء ليمنح للفقراء ، الأمر الذي يحاول العالم عبثا الوصول اليه فلايستطيع . الزكاة ركن من أركان ديننا .

أن لكم دينا يقوم على المنطق ، ويساعد على العمران والحضارة . أن لكم دينا ينشر السلام ويؤاخى بين سكان العالم ، ويوجد لكم عصبة أمم تزرى بالعصبة الحاضرة .

أتذكرون الحج أنه عصبة شعوب حقيقية ، ففيه يتقابل المسلمون ، وفيه يتداولون ، وفيه يحلون مشاكلهم .

ان لكم دينا حوى الفضائل كلها ، واعترف بالأديان كلها ، ومجد الأديان كلها ، فهو يعيش مع كل الأديان الصادقة .

ان لكم ديناً يضمن حياة رغدة في الدنيا والآخرة ، فهلموا ياشباب .. هلموا ياجنود مصر الفتاة ، نعلى كلمة الدين .

هلموا تنادى باعادة الزكاة ، وبادخال التعليم الدينى فى المدارس. هلموا نؤاخى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

هلموا نقضي على الخمور والبغاء والقمار والتهتك ، فتصبح مصر قوية ناضجة ، وتصبح مصر جديرة بالزعامة والسيادة . لأنها تكون قد غيرت ما بنفسها ، فيغير الله ما بها من ويلات .

أيها السادة

أما وقد وصلنا الى هذه النقطة ، فلابد من ايضاح أنى الآن فى مقام بسط سياسة ، فيجب أن تكون صريحة ، لأنى أعتقد أن الصراحة رأس مالي. ستقوم بدعوة دينية ، ستدعو مصر وا الحكومة لأحياء الأسلام وشعائره ، ستعمل لكي تتبوأ مركزها ، ولن يرضى ذلك خصوم مصر ، لن يرضى ذلك بعض سفهاء مصر ، واذن فسيحاولون كعادتهم نشر الدسائس والأباطيل . سيقولون ان فى حركتنا الدينية ما يهدد صفو العلاقات بين

أقباط مصر ومسلميها ، سيقولون ان دعوتنا خطرة على الاتحاد المقدس بين الطائفتين .
لمثل هذه الدسائس وهذه الأباطيل ، أريد أن أصرح علنا ، ومن فوق هذا المنبر ، أن اخواننا يجب أن يفهموا أننا ، كمسلمين ، وأقلية فى هذا البلد ، لنا الحق فى مناصرة ديننا والنداء بعظمته ، وليس فى هذا مساس بدينهم .. وليس يولد هذا خلفا بيننا وبينهم ... بل اننا كما ندعو للدين الأسلامى وزعامة مصر له ، ندعو لزعامة مصر المسيحية أيضاً على رجال الكنيسة فى الحبشة ، وفى بعض البلاد الأخرى . الأديان كلها لله ، وفى سبيل الله . الدين الاسلامي يؤاخي بين الأديان جميعا ، ويعترف بوجودها وبقدسيتها . .

الدين هو الدين ، وله آثاره فى المجتمع ، فقط عندما يكون لله ، ومن أجل الله .
وبعد فهذه خطة واضحة ، وميثاق أعلنه من فوق هذا المنبر ، ليكون برنامجا لنا .

أيها الشباب

أيها الشباب .. يا أشبال الأزهر ودار العلوم .. يا أشبال الجامعة والمدارس العليا .
ان عليكم رسالة ، وفى عنقكم دينا .. أيها الأزهريون ياطلاب أقدس جامعة ، ياطلاب جامعة النور الجديد ، أيها الشباب ، ياجنود مصر الفتاة ، أن لنا لكم عليكم حقا ، فأن لم تذكروا هذا الحق ، حق الله ، فلا خير فيكم لأنفسكم ، ولاخير فيكم لأوطانكم . ان الذى لايعرف حق الوطن ، والذى لايجاهد فى سبيل الله ، لايجاهد فى سبيل الوطن .

آمنوا بأن جهادكم فى سبيل الله، وأن جهادكم الوطنى جزء من الجهاد فى سبيل الله ، فنستطيع أن نوجه هذه القوة الكامنة فى مصر الى خير العالم ، وخير الأسلام .

أيها الشباب الحاضر الآن ، تعلموا وعلموا الناس أن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

قولوا للناس ان أردتم سعادة الدارين ، فطريقكم هو الدين .. قولوا للناس ان أردتم استقلالا ، فطريقكم هو الدين . . قولوا للناس اذا أردتم مجداً ، فطريقكم هو الدين . .

أعلوا كلمة الدين وارفعوها .. قاطعوا الخمور وحاربوها . . اقضوا على دور الفسق والفجور ، حطموا بيوت القمار.. ادعوا للصلاة فى كل مكان ، وتعالوا نجتمع فى المسجد كل جمعة لنصلي لله ، نصلي له كى يملأ قلوبنا ايمانا ، ولكي يرفع عنا البلاء الذى أحاط بنا ، وينتقم من الأعداء الذين يحمدون أنفاسنا . تعالوا نتطهر ، وعندهاستصبح أقوياء ، وعندها ستهد الجبال ، وعندها ستفل الحديد ، وعندها ستصبح مصر فوق الجميع .

هذا ما أعنيه بكلمة الله .

وهذا أول سطر فى برنامج مصر الفتاة .

قضية الجيش

— ٧ —

مصر الفتاة الآن فى أوج قوتها واندفاعها ، والصرخة تصدر فى انتظام كل أسبوع ، وهى تحمل على صفحاتها شواظا من نار ضد صنوف الموبقات ، ومظاهر الانحلال والضعف ، وضد الاحتـــلال البريطانى والانجليز، فى عنف لم يسبق له مثيل ، ولقد بدأت أبعث برسائلى إلى كبار الشخصيات المصرية والانجليزية أستعرض فيها الحياة المصرية ، وأناقش ما أرغب مناقشته من القضايا ، فثمة خطاب إلى رئيس وزراء انجلترا (١) أهاجم فيه ســـياسة الاحتلال التى فرقت الأمة ، وفرقت صفوفها ، وتدهورت أخلاقها ، وأعلنه فيه بأن مصر الفتاة ستحمل لواء الجهاد ضد انجلترا ، وسياسة انجلترا فى مصر ، إلى أن يجلو آخر جندي بريطانى عن مصر . وإنه لا السجون ، بل ولا المشانق ، ترهبنا أو تقعدنا عن المضى فى جهادنا ، فأما النصر وإما القبر . وثمة خطاب آخر إلى شيخ الأسلام الأحمدى الظواهرى (٢) أهيب بفضيلته أن ينهض لمقاومة المنـكرات المتفشية فى أنحاء المجتمع المصرى ، وأندد بسكوته وسكوت جماعة العلماء وموقفهم السلبى لما يجرى تحت أسماعهم وأبصارهم من المنكرات التى كلفوا شرعا بالانكار عليها .

وكانت حياتى فى هذه الفترة جهادا مستمرا متواصلا بالليل والنهار ، بكل ما فى وسعى وطاقتى . فما كنت أرى إلا كاتبا للصرخة ، أو خاطبا فى حفل ، أو متحدثا فى جماعة ، ولقد كانت الساعات الطوال تمر على وأنا فى حديث مع الشباب ، الذين كانوا يفدون إلى دور مصر الفتاة الصغيرة المتواضعة فى (حارة الفوالة) ، وكان يفجأ هؤلاء الشبان أول ما يفاجئهم

---

(١) راجع نص الخطاب فى مجلة الصرخة العدد ١٣ بتاريخ ٣٠ ديسمبرسنة١٩٣٣ .

(٢) المصدر السابق العدد ١٦

هذا المظهر الذى يدل على الفقر الشديد المدقع ، فى الوقت الذى تشيع فيه الشائعات عن مصر الفتاة ، وأن هذه الجهة أو تلك تمدها بالمال ، أو أن ذمة أحمد حسين ليست طاهرة نقية كالثلج والبرد . وكان يذهلهم أن تكون هاتان الحجرتان الضيقتان هما كل ما لجمعية مصر الفتاة وجريدة الصرخة من إدارة وميدان للعمل والنشاط . ولكنهم لا يكادون يستمعون لحديثى الذى كنت أواصله بغير انقطاع من أعماق قلبى ، حتى يدركوا على الفور هذا المعين العميق الذى نستمد منه قوتنا وثروتنا ونشاطنا ، وأنه معين الأيمان العميق بالله والوطن . . وكان أهم ما يشغلنى فى هذه الأيام هو كيفية إعداد جيل من الشباب ، أكثر قدرة على الكفاح والجهاد والتحرر من موجة الانحلال والتخنث ، التى كانت تسيطر على صفوف الشبان فى ذلك الوقت . .

وكنت أرى أن الجندية هى العلاج الوحيد لكل ما تشكو منه مصر من أدواء وعلل ، ولقد عملت من ناحيتى على نشر الروح العسكرية بين صفوف أبناء مصر الفتاة ، فشكلنا فرقة الأقمصة الخضراء ، التى سيكون لها شأن أى شأن فى تاريخ مصر بعد فترة من الزمن ، ولكنها فى ذلك الوقت كانت لا تزال فى بدايتها ، ولم نكن نستخدم إلا القميص الأخضر نلبسه على (البنطلون) الطويل العادى ، أما بعد ذلك فقد تطور لباس مصر الفتاة إلى زى عسكرى كامل ، يخلب الألباب بجماله وأناقته وقوته فى نفس الوقت . على أننى لم أرد أن أقصر كفاحى لنشر الروح العسكرية على مجهودنا المحدود ، بل فكرت فى توسيع دائرة الدعاية للجندية ، ونشرها بين صفوف الشبان عامة ، فتوجهت صوب الجيش المصرى وإلى وزاره الحربية المصرية أستمد منها العون . فكتبت فى ٢٧ يناير سنة ١٩٣٤ خطابا (١) إلى وزير الدفاع فى ذلك الوقت صليب بك سامى أحمل فيه على نظام الجيش المصرى وسيطرة الأنجليز على قيادته ، وسياسة الأنجليز فى عزل

(١) راجع نص الخطاب فى جريدة الصرخة رقم ١٧ الصادر بتاريخ ٢٧ يناير سنة ١٩٣٤

هذا الجيش عن الأمة وعن شبابها المتعلمين ، وعن وقفه ضعيفاً عاجزاً مجرداً من كل سلاح حقيقى . وحملت في هذا الخطاب على قانون التجنيد الأجبارى الذي يجعل مدة التجنيد خمس سنوات كافية لخراب بيوت المجندين ، وحملت بالأكثر على سياسة الأعفاء والبدل النقدى ، لأن الجندية هى ضريبة الدم التى ينبغى على كل مواطن أن يدفعها ، ولاحياة ولا كرامة ولا حرية ولا استقلال لأمة ما لم تكن أمة عسكرية مدججة بالسلاح ، ولا أمل لمصر فى الحصول على حقوقها المغتصبة إلا بعد أن تتحول مصر إلى شعب عسكرى . وأرفقت بخطابى إلى وزير الحربية عريضة موقعا عليها من خمسين شابا من شبان مصر الفتاة المتعلمين المثقفين يعلنون فيها رغبتهم فى التطوع فى الجيش المصرى ، إذا أنقصت مدة الخدمة العسكرية إلى سنة واحدة ، وهو ما تدعو له مصر الفتاة وتبشر . ولقد كان لهذا الخطاب وهذه العريضة ، المنشورين في الصرخة ، بعد إرسالها إلى وزير الحربية وقع الصاعقة فى الدوائر الانجليزية والمصرية ، الخاضعة للسيادة الأنجليزية ، فاذا بهم يقومون ويقعدون ، ويثورون ويحتجون ، ويعتبرون أن ما فعلناه جرم شنيع ينبغى أن ننال عليه أشد الجزاء ! . ولقد كان آية ماوصل إليه المجتمع المصرى في ذلك الوقت من التدهور والانحلال ، أن تعتبر دعوة الخير دعوة شريرة ، وأن يقابل تطوع شبان للانضمام إلى الجيش هذه المقابلة السيئة ، ولقد جاء وقت فتحت فيه وزارة الدفاع المصرية باب التطوع في الجيش المصرى على مصراعيه ، وجاء وقت نددت فيه الحكومات المختلفة بقانون التجنيد وأعلنت رغبتها فى تعديله بما يتفق ومبادىء مصر الفتاة ، بل جاء وقت أصبح التدريب العسكرى فيه قانونا ونظاما للجامعة والمدارس المختلفة ، وجاء الوقت الذى أصبح طلاب الأزهر أنفسهم يتلقون تدريبا عسكريا يؤهلهم لأن يصبحوا ضباطا احتياطيين للجيش ، ولقد عشت حتى رأيت شبان مصر الفتاة ، الذين اضطهدوا لرغبتهم فى التطوع للجيش ، قد صاروا بعد ذلك ضباطا من صميم

الجيش . . ومع ذلك فقد حوكمت في يناير سنة ١٩٣٤ لأنني دعوت إلى نشر الروح العسكرية في مصر ، ولأني دعوت إلى إصلاح قانون التجنيد، وسيبقى ذلك هو شأن مصر الفتاة دائما أبدا ، طوال الأثنتي عشرة سنة التالية ، وهو أن تحاكم على مبادىء واقتراحات لا تلبث أن تصبح بعد قليل هي دعوة المجتمع المصرى بأكمله .

ولقد ساقونا إلى السجن للمرة الثانية ، وكان رفيقي في السجن هذه المرة هو الاستاذ أحمد الشيمى رئيس تحرير الصرخة . وطلبت النيابة من محكمة الجنايات معاقبتنا بالمواد ١٥٩ ، ١٤٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ من قانون العقوبات القديم .

وفي ٦ مايو سنة ١٩٣٤ مثلت أمام محكمة الجنايات التي كان يرأسها نجيب بك سالم وتوليت الدفاع عن نفسي بمرافعة لا أجد ما أعتز به من مرافعاتي التالية قدر اعتزازي بها . . لقد مرت على السنون الطويلة في محاكمات ومرافعات ، استغرق بعضها ثلاثة أيام أو أربعة ، وبلغت فيها من العنف والشدة إلى حد ما كان لا يتصور الكثيرون إمكان أن يقال في مرافعة أمام محكمة ، ومع ذلك كله فستبقى مرافعتي في قضية الجيش موضع اعتزازي ورضائي ، لأنها كانت أولى مرافعاتي ، ولأنني كشفت فيها الستار عن ضعف الجيش المصرى ، وحذرت وأنذرت من إيطاليا وعدوان إيطاليا على مصر ، قبل أن يقع هذا العدوان بتسع سنوات على الأقل . وسيرى القارىء كيف تنبأت في هذه المرافعة بالحرب الضروس التي وقعت ، وكيف كنت أول الناعبين في البوق للاهابة بمصر والمصريين إلى التهيؤ والاستعداد للحرب ، ولكن صرختي ذهبت في واد ، في ذلك الوقت ، بل ودفعت ثمنها من حريتي ومالي ، ولقد جاء اليوم الذي رأيت فيه بعيني رأسي الانجليز وفرائصهم ترتعد ، لخطر المحور الذي يوشك أن يدهمهم في مصر ، وهم يندبون جريمتهم الشنعاء في إبقاء الجيش المصرى ضعيفا ، ولنستمع الآن إلى هذه المرافعة التاريخية . . وستعطيك صورة كاملة عن أحوال مصر وإيطاليا والعالم في سنة ١٩٣٤ :

مرافعة

يا حضرات المستشارين:

أقف أمامكم يا حضرات المستشارين ، وفى هذا القفص ، بصفتى رئيســا لجمعية مصر الفتاة ، فيجب أن تسمحوا بكلمة تقال عنها كتعريف لها . . أهى جمعية ثورية . . أهى جمعية غير مشروعة ، فان هذا التعريف للجمعية ومبادئها وكيف تكونت، له أعظم الأثر فى تكوين اعتقادكم فى صحة الكلام الذى ستسمعونه منى بعد ذلك ، وله أكبر الأثر فى حكمكم الذى ستصدرونه فى النهاية . أما ما هى ، وكيف تكونت ، فقد آمنت منذ كنت صغيراً ، بمصر ومجد مصر . لقد طالعت تاريخها القديم والحديث ، وقلبت صفحات مجـدها الغابر . فعرفت مصر الفرعونية وأحببتهـا ، وعرفت كيف علمت مصر العالم وأضاءت له منذ أربعة آلاف من السنين ، حين كانت الشعوب تقف من مصر موقف التلميـذ من أستاذه ، حين جاء الأغريق والرومان الى ضفاف النيل ينهلون الحكمة والعلوم . لقد عرفت كيف حكمت مصر العالم ، وكيف سيرت الجيوش ، وفتحت المدائن . ولقــد عرفت كيف هزت مصر الأسلامية العالم الغربى ، وصمدت فى الحروب الصليبية ضد أوربا بأسرها فهزمت ملوكها واقتادتهم سجناء الى المنصورة . لقـد عرفت كيف صدت موجة التتار وأنقذت الانسانية من شرهم وأبقت على الاسلام . لقد عرفت كيف كانت جامعـة الأزهر تضىء على العالم فى العصور الوسطى . ولقـد عرفت كيف استطاعت مصر ، فى عهد محمد على ، أن تلعب دوراً خطيراً فى الحياة السياسية ، وكيف طفرت من أمة ضعيفة الى دولة مخيفة ، ترهبها الدول وتلتمس صداقتها . عرفت كيف سارت جيوش مصر تهزج أهازيج النصر ، حتى قرعت أبواب أوروبا ، وكيف كادت تحطم الامبراطورية العثمانية ، وكيف جابت أساطيلها البحار فأرهبت الاساطيل . عرفت كل ذلك ، وعرفت أن مصر خلقها الله لتكون سيدة وزعيمة . وأن مصر لم توجدها الطبيعة فى مركز العــالم ، فى ملتقى الطريق بين الشرق والغرب عبثاً ، أو لمحض الصدفة ، ولكن لتقود العالم ولتضىء له . عرفت كل ذلك وجلت بنظرى فيما حولى فما رأيت الا مظـاهر الضعف والتقهقر والخنوع .. لا استقلال ، لا ثروة ، لا كرامة ، لا غيرة . فالانجليز تحتلنا ، وتمــلأ جيوشها السهل والجبل ، وتحول بيننا وبين العمل المنتج الصالح . والأجانب يستولون على كل شىء ، ويجثمون على صدر الحياة المصرية فيتخذون منهــا الأنفاس . كل شىء فى أيديهم ، المال والتجارة والديون والأرض ، وهم بعد ذلك يتمتعون بالامتيـازات ، التى لا تعترف بالبرلمان ولا بالقضاء ولا بالحكومة . والاخلاق لا وجود لها ، فالمصريون فى انقسام واضطراب وتطاحن ، والدين لا أثر له ، والمعنويات مفقودة ، والأحساس بالضعف والتشاؤم فى كل مكان . هذا يقول أننا بغير الانجليز لا نساوي بصلة ، وآخر يردد أننا

لن نستطيع أن نتخلص من احتلال الانجليز ولو بعد ألف سنة ، وثالث يرى وطنه أنحط الصفات وأقبحها وأنه قد فرضت عليه الذلة والمسكنة ، وأن من العبث البحث عن الخلاص. وهكذا امتلأت النفوس بالجبن ، وضاعت الشجاعة وضاعت الجرأة ، وأصبحنا نعيش في خوف دائم عبيداً للانجليز والأجانب ، عبيداً للفقر والضعف . . أما أنا فلم تمتلىء نفسي يأساً ولا تشاؤماً . أما أنا فقد استطعت أن أدرك أن ذلك كله ليس الا ظواهر عارضة، جاءت نتيجة الاحتلال ، ونتيجة الجهل ، ونتيجة الاستسلام ، وأن الحيوية المصرية اذا وجدت من يبعثها ويستثمرها ، هذه الحيوية التي طالما قامت بالمعجزات في التاريخ القديم والحديث ، لم تذهب هباء ، ولم تفن ، ولكنها موجودة وكامنة ، في نفس كل مصري ، وانما غطتها هذه العوارض الطارئة. فآليت على نفسي أن أكون جندياً ، يعمل من أجل مصر وبعث مجدها القديم . آليت على نفسي أن أقف مالي وجهدي وروحي في سبيل مصر المفداة ، وفي سبيل اعادة الروح الى أبنائها . . روح التفاؤل والأمل ، روح الأيمان بالمستقبل والعظمة . . . آليت على نفسي بهذا العهد وبدأت أعمل مذ كنت طالباً فناديت بمشروع القرش كدعوة للاستقلال الاقتصادي ، ودعوة للتضامن والتعاون ، في سبيل غاية مشتركة وفكرة نبيلة . وقد كان، ولبت الأمة النـداء ، وعادت الروح الى الشباب ، فبدأ يفكر ، وبدأ يعمل ، وبدأ يشعر بآلام مصر ، وبدأ يتطلع للخلاص ويشرئب للمجد . . ولما انتهت دراستي وخرجت الى الحياة ، رأيت أن الساعة قد حانت لدعوة الشباب للعمل . . للعمل من أجل حرية مصر ومجدها . . للعمل في سبيل الأصلاح وفي كل نواحي الحياة ، متحررين من كل قيد ، نافضين عن أنفسنا غبار الخمول والكسل غبار الخوف والجبن ، غبار التردد والضعف ، فألفت ونفر من زملائي المخلصين جمعية مصر الفتاة . ألفناها لا لنخدم حزبا من الأحزاب، ولا لنخدم غاية من الغايات ، ولكن لتكون غايتها مصر فوق الجميع . فمصر هي الغاية ، ومصر هي المحور ، ومصر ومجد مصر هو كل شيء في جمعية مصر الفتاة . ولم يكن في جمعيتنا فوضويون أوعجانين ، ولكنا رجال عمل وايمان، فهؤلاء الذين بنوا مشروع القرش بالامس ، لا يمكن الا أن يكونوا بنائين . وهؤلاء الذين بنوا مصنع الطرابيش ، لا يمكن الا أن يكون برنامجهم الأنشاء والتعمير . فوضعنا لجمعيتنا برنامجاً سياسياً اقتصادياً اجتماعيا دينيا ، دون أن نتقيــد بسياسة خاصة ، أو بشخص من الأشخاص ، متخذين شعاراً لنا : « الله والوطن والملك » . وانى أتشرف بتقديم نسخة من برنامج الجمعية ، لتروا فيه أى برنامج انشائي قد اتخذته الجمعية نبراساً لها . .

على أن الذى يهم المحكمة من هذا البرنامج كله هو البند الخاص بالجيش ، وهو البند ٢٧ والذى جاء فيه « ويجب أن يصبح التجنيد اجباريا للجيش ، وأن تنقص مدة الخدمة فيه ، وأن يمتلىء الشباب بالروح العسكرية » .

فاذا تكلمنا عن الجيش فليس ذلك الا تنفيذاً لمبدأ من مبادئنا ، وليس ذلك الا للتحدث عن الأصلاح ، في ناحية من نواحي الحياة المصرية ، التي ينبغى لها الصلاح جميعاً . ولكن.

النيابة ، سامحها الله ، وهي أعرف الناس بمقصدنا هذا بالذات أثناء التحقيق استطاعت أن تكتشف روحنا .. استطاعت أن تعرف من نحن وما نحن ، هذه النيابة رأت أن تعتبرنا مجرمين لا مصلحين . هذه النيابة تجيء بنا اليوم ، لتوقفنا في هذا القفص ، على اعتبار أننا مجرمون نستحق العقاب ، تماماً كهذا الذي سرق ، وهذا الذي هتك العرض ، وهذا الذي زور .. ونحن لسنا نشكو ذلك ، بل على العكس نرحب به ، لأنه سيتيح لنا الفرصة لشرح مبادئنا ، وتحمل العذاب في سبيلها .

السبب المباشر لكتابة الخطاب والعريضة

الى هنا قدمنا أنفسنا بما يثبت للمحكمة أننا لسنا الا أشخاصا مجاهدين، يبغون الأصلاح والمجد والرفعة لأمتهم . الى هنا بينا كيف أن ما قمنا به وما نقوم به من كفاح وجهاد ليس الا لمصر ، ومن أجل مصر ، وفي سبيل الله . وبقي أن نعرف الدافع المباشر لكتابة هذه المقالة .

قدمت أن برنامج الجمعية يحوي مضاعفة الجيش ، وضرورة جعل الخدمة اجبارية ، واقتامها الىمدة سنة . واذن فأن التحدث في هذا الموضوع طبيعي . وهو ليس الا تفصيل ما أجله البرنامج .. على أن هناك سبباً مباشراً لكتابة هذا المقال ، هناك عود ثقاب أشعل نفسي وجعلني أمسك بالقلم ثائراً متمرداً قاسياً في تقسدي ، وأقسم لكم أنكم ستمتلئون غيظاً بدوركم عند ما تسمعون القصة . هذا الذي سأحدثكم عنه ليس بالجديد ولابالأمر المستور، ولكنكم سترتاعون عندما ترونه مبسوطا أمامكم ، عندما تشاهدون تسلسل القرائن واجتماعها لتؤدى بنا الى نتيجة واحدة ، وهي أن مصر في خطر عظيم ، وهي لاهية تلعب ، وهي لاهية مشغولة بتوافه الأمور ، ووزير حربيتنا يهتم بأن يقذف بي في السجن ، أكثر من أن يهتم بمواجهة العدو الذي يتربص بنا الدوائر .

كنا جلوسا في أحد الأيام ، فحمل الينا أحد اخواننا مصورين جغرافيين يطلق عليهما اسم « فيلبس » وما ليسا الا نسختين من مصور واحد . الأول تاريخه سنة ١٩١٦ ، والثاني تاريخه سنة ١٩٣٢ . ولقد لفت نظرنا بشكل مخيف في هذين المصورين تغيير حدود مصر ، وحصار الحدود الأيطالية اياها من كل جانب تقريباً . وان نظرة واحدة الى المصورين تريكم كيف فقدت مصر كثيرا من حدودها الغربية ، وكيف اقتربت ايطاليا من داخلية مصر ، فاذا أضفنا الى هذا أن ايطاليا في الجنوب تحاصرنا في الأرتريا والصومال وحاولت أخيراً أن تقترب من حدود السودان وتستولى على احدى الواحات ، فبادرت انجلترا الى احتلالها، الأمر الذي أعاد الى الأذهان واقعة فشودا ، هذا الى استيلائهم في البحر الابيض على سلسلة من الجزائر الصغيرة التي تقع في شمال مصر ، أقول لكم ياحضرات المستشارين ان هذا كله لفت أنظارنا الى الخطر المحدق بمصر من ناحية ايطاليا . ولم يمض على اجتماعنا هذا يومان ، حتى اجتمع في ايطاليا مؤتمر للطلبة الشرقيين

وكان اعتقاده فى روما ، ووقف السنيور موسوليني خطيباً ، فقال : ان مهمة روما هي الجمع بين الشرق والغرب ، وانا سنعيد الأمبراطورية الرومانية الى سابق مجدها ، وهذا لصالح العالم .

أتسمعون ، يا حضرات المستشارين ، أن السنيور موسوليني يريد اعادة تكوين الأمبراطورية الرومانية . وماهى ألمع جوهرة فى الأمبراطورية . . انها مصر ! ومن هنا كان موسوليني يهتم بمصر اهتماماً خاصاً ، ويوجه اليها عناية عظيمة ! امتلأت نفوسنا بهذه الفكرة وأحسسنا بوقعها أليماً فى نفوسنا . أحسسنا بالألم يملؤنا ويحز فى نفوسنا ، كيف أننا كالشاة يتبادلها الجزارون ، وكل لايريد الا جلدها ولحمها . وبينما كنا نسير فى يوم من الأيام ، اذا بفرقة من الشباب الفاشستى الايطالى تسير على نغمات الموسيقى فى شوارع القاهرة ، ومن هم الفاشست ؟ . انهم جنود ايطاليا الجديدة ، انهم الشباب يربون تربية عسكرية ، واذن فى داخل مصر ، وفى قلب القاهرة ، تعد الجنود الايطالية . الجنود التى ترغب فى اعادة الأمبراطورية الرومانية . الجنود التى تحيط بمصر من كل جانب لتلتهمها فى الساعة المناسبة .. واذن فقد ثبت لدينا يا حضرات المستشارين ، أن ايطاليا تريد مصر ، أن ايطاليا تتحين الفرص للانقضاض على مصر ، أن أطماع موسوليني لاتقتنع الابمصر . ولقد يبدو لكم هذا محض استنتاج أو خيال ، ولقد تتشككون فى قيمة هذا الحكم قليلاً أو كثيراً ، ولكن الله الذى علم أننا فى سبيله نجاهد ، أراد بعد أن قدمنا للمحاكمة ، أراد منذ أيام قليلة أن يعطينى دليلا جديداً ، فاذا بموسوليني يخطب خطبة جديدة فيها حديث أوفى وأكمل ، واذا بناظر مدرسة الاستئناف رد عليه ، واذا الذى قلته لكم ، يا حضرات المستشارين ، على انه استنتاج يصبح حقيقة واقعة رخيصة ، يعرفها كل مخلوق يطلع على هذا الكلام .

قال موسوليني : « للأهداف التاريخيـــة التى تتوخاها ايطاليـــا . . غرضان آسيا وأفريقيا ، فالجنوب والشرق هما المركزان الأساسيان اللذان يجب أن يثيرا اهتمام الايطاليين وصدق ارادتهم ، لأنهم لايجدون أمامهم الا القليل ، أو بالأحرى لايجدون شيئاً فى الشمال . ومثل هذا القول ، يقال أيضاً فيما يتعلق بالغرب وبأوروبا أيضاً ، والهدفين الهدفين اللذين نرى اليهما مايبررها من الوجهتين الجغرافية والتاريخية ، فان ايطاليا هى ، بين الدول العظمى الثلاث فى أوروبا ، الأقرب الى أفريقيا وآسيا ، فمسافات قليلة فى البحر ، وساعات أقل تكفى لأيصال ايطاليا بأفريقيا وآسيا .

وليس فى العالم من يستطيع أن يجادل فى هذا الواجب التاريخى الملقى على عاتق أبناء هذا الجيل ، وأبناء الأجيال المقبلة فى ايطاليا .. فالمسألة ليست مسألة فتح ، وهذا مايجب أن يعرفه كل الناس ، سواء كانوا من جيراننا أو البعيدين عنا . بل هى مسألة توسع طبيعى ، يجب أن يؤدي الى تعاون ايطاليا وسكان أفريقيا ، والى تعاونها مع

الشرق القريب والشرق المتوسط ، وهى أيضا مسألة عمل جدى لاستثمار الموارد التى لم تستثمر فى القارتين ، ولاسيما القارة الأفريقية ، ومساعدتها على التوغل الى مدى أبعد فى دائرة الحضارة العالمية .

ان ايطاليا تستطيع أن تفعل ذلك ، فركزها فى البحر الأبيض المتوسط ، التى أخذ يستأنف مهمته التاريخية ، كصلة بين الشرق والغرب ، يخولها هذا الحق ويفرض عليها هذا الواجب . ونحن لا نقصد المطالبة بأي نوع من أنواع الاحتكار أو الامتياز ، بل نطلب من الذين وصلوا ورضوا من المحافظين ، أن لا يحاولوا حصر توسع ايطاليا الفاشستية والشعب الفاشستى ، أدبيا وسياسيا واقتصاديا من جميع الجهات « مستند ٢ »

هذه هي خطبة السنيور موسوليني ، فهل رأيتم فيها تحدثه عن الأهداف التاريخية :. هل رأيتم فيها كيف يقول أنه ليس فى العالم من يستطيع أن يجادل فى هذا الواجب التاريخى الملقى على عاتق أبناء الأجيال المقبلة فى ايطاليا .. أو لم تحسوا معي يا حضرات المستشارين أن كلمة أفريقيا التى يكررها ليست الا مترادفة لكلمة مصر .. فاذا كان كل هذا لم يقنعكم فى أن موسوليني يطمع فى مصر ، وفى أنه يبيت لها ، فأليكم اذن الكلمة الأخيرة الصريحة الجلية .. اليكم ماسيجعلكم مبهوتين حائرين ، كيف جاز أن يلفظ مثل هذا الكلام ، أو يردد هكذا علنا وفى وضح النهار .

بعد أن خطب السنيور موسوليني هذه الخطبة ، أرسل المعهد الشرقي فى نابولى تلغرافا الى السنيور موسوليني هنأه فيه بالخطبة التى ألقاها يوم الأحد ، وقال انه يعمل وفقا لسياسة السنيور موسوليني في سبيل التوسع الايطالى فى آسيا وأفريقيا ، ونوه بانشاء مدرسة « تحسين وسائل الاستعمار » وبقرب زيارة فريق من طلبتها لمصر ، ورحلة بعض أساتذتها لاستكشافات علمية فى فزان .

مصر .. مصر يا حضرات المستشارين ، هاهو ذكرها يأتى علنا . هاهي تردد فى قحة وجرأة .. انتبهوا الى العبارة .. « ونوه بانشاء مدرسة تحسين وسائل الاستعمار وبقرب زيارة فريق من طلبتها لمصر » . الله أكبر ! لقد برح الخفاء !! . الله أكبر ! لقد فضح الله الأعداء !! . وهاهى النوايا التى حدثتكم عنها تظهر . وهاهي سياسة موسوليني فى ابتلاع مصر تتردد .. حتى أنه ليرسل طلاب الاستعمار لدراستها !! .

هذا كلام قيل ياحضرات المستشارين .. لو أنه قيل عن بلد آخر يعرف كرامته ، لقامت الدنيا وقعدت .. لو أنه قيل عن مقاطعة (الزنوج) ، لصاح هؤلاء الزنوج ووقفوا القائل عند حده . أمة تهدد فى استقلالها ، يتحدث عن استعمارها ، ولا يتحرك شخص واحد حركة تشعر بالحياة ، أو الوجود ! .. أما نحن ، نحن الفقراء ، والضعفاء ، نحن المخلصين الأبرياء ، فعند ما نقول كلمة نبغى بها الأصلاح ، تهتز الدنيا ، وهكذا تقوم القيامة على هؤلاء المجرمين الأنذال ! ..

الحق يإحضرات المستشارين ، أننا أصبحنا في عصر مخيف .. الحق أننـا أصبحنا في عصر قد وصل الى درجة من الانحطاط الخلقي والسياسي الى حـد عظيم . . وأن السجن للأحرار في هذه الساعة هو خير مأوى .. وأحسن مكان ! .

رغبتنا فى الاندماج فى الجيش

قال موسوليني هذا الكلام . . وأحسسنا الخطة التي يرسمها .. ولقد ضمح الكلام وزير الحربية فما أعاره قيمة .. ولقد لاحظ وزير الحربية الخطبة فما اهتم لها .. وكيف يهتم ؟! وهناك مسألة أخرى أكثر أهميـة وأعظم خطورة . . وتلك أن يزج بأحمد حسين ، والشيمي ، في السجن . ومن هنا كان لدينا الوقت الكافى لكي نفكر قليلا في الاحتياط للمستقبل .. ومن هنا أتيحت لنا الفرصة لكي ننظم وسائل الدفاع ، بقدر مانستطيع . لسنا حكاما فنضاعف الجيش .. ولكنا شباب، كل الذى يملك هو نفسه وروحه ، فأردنا أن نقدمها رخيصة من أجل الوطن .. أردنا أن نسدرج في سلك الجيش ، وأن ندعو غيرنا من الشباب للاندماج في سلك الجيش .. وهكذا نستطيع أن نلبى النداء غداً عنـد مايدوي النفير يؤذن بأن ايطاليا تريد الاستيلاء على مصر .

وكان حولى خمسون شابا ، فدعوتهم أول مادعوتهم ، الى التطوع في الجيش لمدة عام واحد ، فاذا بالجميع يهللون ويكبرون . . واذا بالحماسة تملؤهم ويبادرون بالتوقيع على عريضة الى وزير الحربية ، ويطالبون باعداد عرائض أخرى ليوقع عليهـا ألوف من الشبان . وهكذا نستطيع أن نملأ الشباب بروح الكفاح والعسكرية . . وهكذا تستيقظ مصر الغافلة .. وهكذا يعرف العالم بأسره ، أن في مصر شبابا يفهم معنى الوطنية ، والموت في سبيل الوطن .. فيتردد هذا الذى ظنها لقمة سائغة باردة .

أخذت العريضة، موقعا عليها منخمسين شابا، وقد امتلأت نفسي سعادة أنني استطعت أن ألفت نظر الشباب الى الخطر المحدق بهم وأنني رأيت منهم استعدادا عظيما. طوبى بهم للجيش الذي ظل بعيداً عن الشباب المثقف حتى الآن.. طوبى بهم للجيش الذى ظل ضعيفا حتى الآن.. طوبى بهم للجيش الذى ظل أداة غير صالحة لما أعدت له حتى الآن . . فهاهم الشبان يهرعون اليه ، هاهى الأمة تستيقظ لتدعيم جيشها ، لتدعيم مجدها . فالأمة بدون جيش ليسـت الا عبدا ذليلا .. واذا قلنا الجيش فانما نعنى الجيش الحقيقى . . لا الصورة التي يراد ايهام الأمة بها أنها جيش ..

أجل يإحضرات المستشارين ، امتلأت نفسى فرحا أن استطاعت مصر الفتاة أن تقدم لمصر وللجيش هذه الخدمة ، ولكني تذكرت فجأة اننا مخدوعون . . . تذكرت أنى قد نسيت بعض الحقائق .. تذكرت أن في مصر احتلالا يفعل كل الذى يريد ويمنع مايريد..

تذكرت أن جيشنا واقع تحت سيطرة الانجليز ، وأن الانجليز لا يريدون له أي اصلاح ..
تذكرت أنا لا نملك حتى هذا الجيش البسيط ، وأنا لا نستطيع أن نجرى فيه اصلاحا ..
تذكرت أن وزير الحربية الذى بعثت اليه بعريضة التطوع قد يكون أكثر احساساً مني بما يحتاجه الجيش من اصلاح .. قد يكون أكثر عرفانا بالخطر الذى يتهدد مصر ، دون أن يستطيع رده .. فأمسكت بالقلم وكتبت . لا لهذا الوزير ، فى الواقع ، ولـكن لهؤلاء الذين يسيطرون على كل شيء .. لهؤلاء الذين يخدعون الأمة المصرية ، ويخدعون أنفسهم عندما يحسبون أننا قد جاز علينا هـذا الخداع .. كتبت للانجليز أعداء مصر ، كتبت للأصبع التى تلعب فى كل مكان .. كتبت أعلمها أننا نعرف كل شيء .. أننا ندرك مواضع الضعف في جيشنا .. أننا لا نرى فى هذا الجيش رمز أمانينا وعدة الدفاع عنا .

حتى لقد قلت فى خطابى بالحرف الواحد « أنا أعرف أنك لن تهتم بهـذه فأن ملف المفروضات ينتظرها . أنا أعرف أن انقاص الخدمة العسكرية الى سنة أمر مستحيل ، واذن فسيظل الشباب بعيـداً عن حقه الطبيعى .. أنا أعرف كل ذلك ، ولـكن ثق ، ياصاحب المعالى ، أن هذه العريضة سوف تقع موقع الصاعقة لدى انجلترا .. ثق أن هذه العريضة ستفزع بعض الأشخاص ، فلا يتأمون الليل . لقد كانوا آمنين مطمئنين الى أن الشباب المصرى آخر ما يفكر فيه هو الانخراط في الجيش . ولـكن ساء فألهم فها هو الشباب بعد شهر واحد من جهاد مصر الفتاة ، ها هو الشباب بمجرد أن وصل صوت مصر الفتاة ، يهرع ويريد أن ينضم الى الجيش .

هذه هى الأسباب المباشرة التى حركتنى لـكتابة الخطاب ، واعداد العريضة ، ونستطيع أن نلخصها فيما يأتى : —

١ — الأحساس بما يملأ مصر من خطر دائم من جيوش ايطاليا الفاشستية .
٢ — الرغبة فى ايقاظ الأمة ، والاهتمام بجيشها ، ودعوة الشباب للتطوع فيه .
٣ — وجود قوات مسيطرة على الجيش تعوق كل اصلاح فيه ، يجب أن تعرف أننا بدأنا نعرف أعمالها .
٤ — دعوة صارخة الى انقاص الخدمة العسكرية الى سنة واحدة .

هل هناك جريمة فى الخطاب المرسل الى وزير الحربية

الى هنا بينا الأسباب والدوافع التى حدت بنا الى هذه الصرخة فى الحياة العسكرية ، وأترك الآن التحدث عن شرفها ونزاهتها ، أترك التحدث عن أنها دفاع شرعى عن كيان المجموع المصرى الى حين نصل الى القصد الجنائى وحسن النية وسوئها .

أما الآن فنبدأ بالتساؤل ، أهناك فيما كتبناه جريمة . أذكر يا حضرات المستشارين أن الأستاذ صادق المجيزى عندما دعانى أول مرة للتحقيق معى ، ابتدرنى بقوله « ايده

بالأحذية ايه الكلام اللى أنت كاتبه ده » . فقلت له وهل فيه ماليس حقا . فأجابني وهل كل حق يقال . فقلت له أجل كل حق يجب أن يقال ، هكذا يعلمنا الله ، وتلك هي مهمتنا الجديدة ، أن نجهر بالحق فى كل مكان لا يثنينا عن ذلك خوف أو جبن ، ما دام الذي نقوله حقا ، ولعل هذا هو الجديد في رسالة مصر الفتاة .

هذه الكلمة التى قلتها لصادق بك العجيزى عندما سألنى أول مرة وأعنى بها « وهل فى كلامي ما ليس حقا » ، ورده على «وهل كل حق يقال» . هاتان الكلمتان ، أو العبارتان يمنى أصح ، هما جملة الموضوع وتفصيله . فالقضية المعروضة أمامكم اليوم ، تتلخص فى الفصل فى هذه النقطة . أما أنا فأقول ان الحق يجب أن يقال دائما ، وأن قولة الحق لا يجب أن تنتج جريمة . وأما النيابة فترى أن ذكر الحق،فى بعض الأحيان ، قد يكون جريمة ، على أن هذه القضية مفصول فيها منذ الآن بحضرات المستشارين ، فأنتم فياصل الحق ، وأنتم حماة الحق . وأنتم تعاقبون الشاهد الذى لا يقول الحق . وأنتم تبلغون درجة القداسة ، لأنكم حماة الحق الباحثون عنه دائما أبدا .

والبرىء يقف أمامكم مطمئنا ، لأنه يعرف أنكم لا بد مظهرو الحق . تتمسك النيابة بظاهر الكلام ، وتقول انه اهانة للجيش ، وسب لوزير الحربية ، وقائها أن كل كلة جاءت فى الكلام هى حقيقة ثابتة جلية ، يعرفها كل مصرى .

ما هو السب وما هى الاهانة ؟

ما هو السب بحضرات المستشارين ؟ ومن أين تجيء الأهانة ؟.. السب هو اسناد عيب معين الى شخص أو جماعة ، هى خلو من هذا العيب ، على أن يكون فى الاسناد خدش ناموسها ، أو اعتبارها ، على حد تعبير القانون . اذن لا بد هناك من اسناد عيب معين لا أساس له ، فمن يقول عن آخر أنه لص ، أو مزور ، أو نصاب ، أو سكير ، أو فاسق ، أو ماجن ، فأنه يسند اليه عيبا معينا من شأنه ، لمجرد التصاقه بالشخص المسند اليه ، أن يحقره بين الناس ، وأن ينقص من شرفه واعتباره .

أليس هذا هو تعريف السب بحضرات المستشارين ، فى القانون والعرف . فلنتابع الآن بما لا يمكن أن يعتبر سبا ، فهنا الذى يقول لانجليزى : يا انجليزى ، لا يمكن أن يكون قد سبه ، بينما تعتبر هذه الكلمة بالنسبة لى سبا أقاضى صاحبه من أجله . ومن قال لمريض : أنت مريض خائر على أبواب القبر ، يمكن اعتبار مثل هذا الكلام قسوة وغلظة وقلة كياسة . يمكن اعتباره كل ذلك ، ولكن لا يمكن مطلقا أن يكون سبا لأنه تقرير لواقع كائن .

فمها قيل عن السب بإحضرات المستشارين ، ومهما قيل عن منشأ الأهانة ، فيجب أن تكون الألفاظ التي استعملت فيه بحيث تسند عيوبا لا أساس لها اطلاقا، وأن لها أساسا، ولكن هذا الأساس لا يصل الى الحد الذي قررته ألفاظ السب . أما اذا كانت ألفاظ السب ليست سبا ، ولكنها تقرير تام للواقع ، ولكنها ذكر لحقيقة مجردة ، فلا يمكن أن تكون هذه الالفاظ سبا مهما كان فيها من غضاضة ، ومهما كانت مرة مؤلمة .

فلنبحث الآن في الخطاب الذي نحاكم من أجله ، فلنبحث بإحضرات المستشارين عن كلة واحدة ليست وصفا لحقيقة قائمة ، فلنبحث عن كلة أكون قد غاليت فيها بحيث أنها تخدش اعتبار شخص من الأشخاص . فقبل أن نبدأ في تحليل هذه الكلمات نقسمها الى قسمين أساسيين :

القسم الأول منها خاص بأهانة القوات البرية ، أى المساس بكرامة الجيش كمجموعة .

القسم الثاني الخاص بأهانة بعض الموظفين ، مثل اسفنكس باشا ووزير الحربية .



القسم الأول

سب واهانة القوات العسكرية

ماهى العبارات التى تراها النيابة هنا سباً واهانة للجيش ؟ .

انها مايأتى : —

(ومع ذلك فا أقل السلاح المصرى ، وما أضعف روح الأمة المصرية ، وما أبعد وزارة الدفاع عن الدفاع عن مصر ، وما أقربها من الدفاع عن انجلترا)

(أى جيش هذا ياسيدى الوزير الذى تتحكم فيه ، أنه جيش من المرضى ، جيش من الضعفاء ، جيش من الجهلاء ، جيش لامعنوية فيه ولاحياة ، أنه جيش مفلول ، أنه جيش يخضع لرياسة (اسفنكس باشا) . الى أن قلت : (خمس سنوات ، وما أدراك ماهى خمس سنوات لاوسط حرب وانتصار ، لاوسط معارك وهجوم ودفاع ، ولكن خمس سنوات فى خدمة بيوت الضباط وأولادهم ، وشراء الخضار لمنازلهم ، وسماع الأهانات من زوجاتهم، خمس سنوات يزدادون فيها جهلا على جهل ، وتموت فيها شخصياتهم ، لا فناء فى الوطن ولكن خنوعا للأشخاص ، ورهبة من الضباط ...)

هذه هى العبارات التى تكون القسم الأول وهو ماتراه النيابة سبا واهانة لقوات الجيش ..

الحق ياحضرات المستشارين أنها كلمات قاسية لاذعة ، الحق أنها كلمات تنتفض لها النفس هلعا واشفاقا ، ولكن صدقونى اذا قلت لكم أن هذا الهلع ، وذاك الانتفاض ليسا الا نتيجة لما فى الألفاظ من تصوير للواقع ، الواقع المخيف الذى يرتعد لذكره كل مصرى .. ووزير الحربية ليس الا مصريا ، واذن فقد ارتعد كما يرتعد أي شخص آخر عندما رأي الحقيقة مسطرة واضحة .. عندما رآها على صفحات الجرائد ، وبهذه الحرارة وبهذا الاخلاص .

انها صرخة الشباب المدوية ، ياحضرات المستشارين ، انها صرخة صادرة من القلب لتنحدر الى القلوب .. فأما الشعب ، أما الشباب ، فقد فزع عندما قرأ هذا المقال ، وهرع الى جمعية مصر الفتاة ، يوقع عرائض غير التى قدمت ، ليتطوع فى الجيش .. هرع ليقدم العلاج الحقيقى ، أما وزير الحربية فقد اعتبر هذا الكلام سبا واهانة .

والآن فلننظر فى تحليل الكلمات الواردة فى الخطاب ، لنرى الى أى حد تخرج عن وصف الواقع الدقيق .

ما أفل السلاح المصرى

أولى هذه العبارات التى جاءت فى الخطاب ، والتى تتمسك بها النيابة ، انى قلت ان الجيش فى الأمة هو سلاحها ، ومع ذلك فا أفل السلاح المصري . ومامعنى السلاح المفلول بإحضرات المستشارين .. سواء أردتم المعنى اللغوى الدقيق .. أو المعنى الشائع .. أوالمعنى الذى يقر فى ذهن القارىء .. فلا يوجد الا معنى واحد ، وهو أن السلاح « متلم » أى أنه غير حاد ، ويفل السيف،يإحضرات المستشارين، لكثرة مكثه فى القراب ، ويفل السيف لكثرة ما استعمل وأطيحت به رءوس .: فإذا ماشحذ عاد الى سابق قوته . . وعاد بتارا ذربا .. والشاعر العربى يقول قولا مأثوراً :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

أفلو قلنا عن الجيش المصرى ، ولنفرض الآن أسوأ ما يمكن أن يستنتج من الكلمة، أفلو قلنا انه فى حاجة الى أن يشحذ لأنه الآن مفلول . أيكون هذا معناه سب الجيش ؟. أهو مقدر علينا اذا تحدثنا عن الجيش في أى وقت من الأوقات ، وفى أية مناسبة من المناسبات أن نمسك قيثارة المدح ، وأن نتغنى بعظمته وشجاعته ؟ .

اللهم لا . لأننا رجال صحافة لأننا نجاهد من أجل الأصلاح ، ولن نستطيع أن نصلح الا اذا عرفنا مكان الضعف والخطأ .

واذن فكلمة « مفلول » يإحضرات المستشارين ، التى نعت بها الجيش المصرى لايمكن الا أن تكون وصفا للواقع . بل لعلنا لا نستطيع أن نصف الجيش المصرى فى حاضره الا بهذه العبارة ، فهو لم يشترك فى حرب منذ عشرات السنين ، وهو غير معد للاشتراك فى حرب قادمة . اسمعوا ماذا يقول محمد بك صالح حرب وكيل مصلحة السجون حالا عندما كان عضواً بمجلس النواب فى أواخر سنة ١٩٢٦ ، ومن هو صالح بك حرب ؟ انه أحد رجال العسكرية الأمجاد الذين اشتركوا فى حروب عدة . يقول الأستاذ نقلا عن مضبطة الجلسة التاسعة والأربعين : « لايستطيع العسكرى البيادة فى الجيش المصرى أن يؤدى واجبه ما دام سلاحه قاصرا على البندقية والسنكة ، مع أنه أكثر الجنود عذابا وتعبا ، وقد جعله نقص السلاح عاجزاً عن التقدم فى ساحة القتال تحت وابل من الرصاص والقنابل . فيجب تلافيا لهذا النقص المعيب أن يجهز العساكر البيادة بجميع الأسلحة الحديثة اللازمة ، كمدافع الماكينات وغيرها ، حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على الصعوبات التى تصادفهم فى ميدان القتال ، وانه لمن العار أن لا يوجد مدفع ماكينة واحد مع قوة البيادة — أي الجيش يإحضرات المستشارين — وعددها ١١ أورطة ، مع أن أفقر دولة تجهز الأورطة البيادة بأربعة مدافع ماكينة ، وليس ذلك فقط ، بل وصلت الحال ببعض الدول، الى تجهيز الأورطة البيادة بستة عشر مدفعا » (تراجع مضبطة مجلس النواب المتقدمة) .

أتسمعون ياحضرات المستشارين : وصل الحال ببعض الدول أن تجهز أورطة البيادة بستة عشر مدفع ماكينة . الأورطة الواحدة لها هذا العدد الضخم من المدافع ، فهل لدينا في الجيش المصرى بأسره مدفع ماكينة واحد . . اللهم لا ! . .

ولعل المدفع ياحضرات المستشارين ، أصبح الآن أحقر من أن يذكر في الحرب القادمة ، ولا يتخيل أحد ماسيكون فيها من أهوال وأسلحة ؟. أنها ستكون حرب غازات ياحضرات المستشارين . انها ستكون حرب دبابات . انها ستكون حرب كيمياء . انها ستكون حرب قنابل ، تنشر الخراب ، وتنشر الطاعون ، وتنشر الحمى . لقد مضى الوقت الذى كان فيه الجندى يحارب وجها لوجه . مضى الوقت الذى كانت الجيوش تعتمد فيه على القوة الجسدية ، وأصبحت الحرب حربا ميكانيكية . فاذا يملك جيشنا منها ؟ . لا شيء ، انه لايملك الا البندقية. ولعل البندقية أصبحت بالنسبة للاختراعات الجديدة كالسيف بالنسبة للرصاص . وجيشنا ياحضرات المستشارين لا يملك سوى هذه السيوف التى أصبحت خرافة الخرافات . لا توجد كمامة غاز واحدة . لا توجد سيارة تانكس واحدة . لاتوجد سيارة مصفحة واحدة ! . ألا ترون أنه غير معد للحرب ياحضرات المستشارين ، لأنه ان كان معداً، بالرغم من هذا النقص، للدخول فى حرب فأن معنى هذا أنه معد للذبح . لأن هذا الجيش بهذه الأسلحة لايمكن الا أن يذبح فى أول موقعة يقف فيها أمام الأسلحة الجديدة .

واذن ، ياحضرات المتشارين ، فأن القول بأن السلاح المصرى سلاح مفلول . سلاح يحتاج الى أن يشحذ ، هو قول يقصر عن وصف الحقيقة .

هذا من حيث أسلحة الجيش ، أما من حيث عدده فهو مهزلة المهازل . عدد الجيش المصرى ياحضرات المستشارين يجعله أشبه بفريق من قوات البوليس التى ترابط فى الأقسام لانتظار الحوادث . أما كجيش يدافع عن بلد ، عدد سكانه ١٤ مليونا ، وله من الحدود ماتبلغ ألوف الأميال ، ما بين بحرية وبرية . أما عن عدد الجيش فأنى أترك الكلام للأستاذ الكبير مصطفى محمود الشوربجى المستشار بمحكمة النقض فى الوقت الحاضر والعضو بمجلس النواب سابقاً ، انى أنقل لكم كلامه فيما يختص بعدد الجيش فقد قال فى الجلسة التاسعة والأربعين:

« لقد انتهى جميع حضرات الخطباء الى نتيجة واحدة هى أن حالة الجيش الآن محتاجة الى اصلاح. وحقا ان مهمة الجيش هى الدفاع عن البلاد ، وعن المعاهدات الدولية التى نحن مرتبطون بها، فاذا راجعنا تقرير اللجنة نجد أن عدد الجيش من جند وضباط لا يتجاوز ١٠,٠٠٠ ، فاذا ذكرنا أن مهمة الجيش هى الدفاع عن البلاد من خط الاستواء الى البحر الأبيض المتوسط، ومن الصحراء الشرقية الى الصحراء الغربية، وأن مهمته أن يقوم بالتعهدات التى أوجبها علينا وجود قناة السويس ، نجد أن الجيش بعدده الحالى غير كاف . . وقد حملنى هذا على مراجعة تعداد الجيش فى أربع مدد سالفة من عهد محمد على باشا حتى اليوم ، وقد اعتمدت فى استصدار هذه المعلومات على كتاب سرهنك وكلوت بك . فى عهد محمد على باشا كان

عدد الجيش ٢٧٦ر٦٤٣ وفى عهد سعيد ٠٠٠ر٦٤ وفى عهد اسماعيل ٠٨٨ر٨٩ وذلك خلاف ١٥ أورطة غير نظامية ، وأورط أخرى بالسودان وجهـات مختلفة . وقد رجعت الى تعداد الجيش بعد أن قيدنا بمعاهدة تحديد عدد جيشنا بـ ١٨ الفا ، فوجـدت فى تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٨٩٣ أن عدد الجيش كان ١٥ر٨٦٣ وكان به ١٨ مدفع ميدان ، و١٣٢ مدفعا سركيا ، وأربعة مدافع مكسيم ، خلاف المهمات الأخرى . ويلاحظ أنه فى ذلك الوقت الذى كنا فيه مقيدين بالمعاهدة المبرمة بيننا وبين تركيا . كان جيشنا معتبرا جزءا من الجيش التركى ، وكان المفروض أن تركيا مكلفة بالدفاع عنا ، فهذه الاعتبارات كانت ملحوظة فى تقدير عدد جيشنا بذلك المقدار ، أضف الى ذلك أن تعداد السكان فى مصر فى عهـد محمد على وسعيد كان يتراوح بين ٣ و٦ ملايين. ولـكنه ارتقى بعد ذلك الى ١٢ مليونا ، وكذلك ارتقت ميزانية الدولة من مبلغ ضئيل الى مبلغ عظيم » (راجع المضبطة السابقة الذكر) .

انصفوا مصر ياحضرات المستشارين ، وسجلوا فى حكمكم هذه الأرقام وهذه الحقائق . الام نظل غافلين ؟ الام تظل الغشاوة على أعيننا والام نظل نغط فى نومنا ؟ . . تلمائة ألف جندي هم جيش مصر أيام محمد على ، وحوالى المائة الف فى عهد اسماعيل ، وحتى فى وقت وصاية انجلترا الرسمى كان ١٦ ألفا . . أما الآن فى عهد الاستقلال فهو عشرة آلاف جندى لايزيدون جنديا واحدا . . أليس ذلك مخيفا ورهيبا ؟ . . وبعد ذلك يراد منا أن نقول ان الجيش المصرى كاف للدفاع عن مصر . . وأن الجيش المصرى سوف يهزم ايطاليا فى طرفة عين . . وأن الجيش المصرى أقوى جيوش الأرض طرا . . أما اذا وصفنا بالواقع فى تواضع ، فقلنا انه مغلول — أي يحتاج الى شحذ كي يأخذ بهاءه — اعتبرت هـذه العبارة سبا ، فلاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم . . ألا أنه خير للجيش أن يقـال عنه مفلول ، وأن يتقدم الشباب ليغذيه بدمائه ، من أن يتغنى بعظمتـه وقدرته ، فاذا هبت عليه العاصفة ذهب أدراج الرياح .

ما أبعد وزارة الحربية عن الدفاع عن مصر ، وما أقربها من الدفاع عن انجلترا ! ! !

والآن فلننتقل الى العبارة التالية لنرى كيف تتداعى المعانى ، وكيف تتسلسل وترتبط كلها مندمجة نحو غاية واحدة ، وهى اصلاح الجيش بحيث يصبح صالحا للدفاع عن مصر أمام العدو الخارجى !. اذن ثبت لدينا ياحضرات المستشارين أن الجيش بحالته الراهنة لايستطيع أن يدافع عن مصر ، اذا ماحاولت ايطاليا أن تنفذ خطتها ، واذا ماحاولت أن تعيد بناء امبراطوريتها ، واذا ماصارت جنودها على الحدود ، وفي قلب مصر ، ساعية الى امتلاك

مصر . واذا مادعت طياراتها لغزو مصر ، وهي مسألة ساعات قليلة كما يصرح موسوليني في خطبته ، أقول اذا ثبت أن جيشنا عاجز تمام العجز عن الدفاع وصد غارة واحدة من هذه الغارات ، فاذا بقي للدفاع عن مصر . بقيت هذه الجيوش الانجليزية التي تحتل مصر . حيش الاحتلال ياحضرات المستشارين هو أمل وزارة الحربية في الدفع عن مصر ، ولست أستطيع أن أغادر هذه النقطة قبل أن ألفت نظر حضرات المستشارين الى أن الأنجليز بالذات قد تنبهوا الى الخطر الايطالي ، فشاهدت مصر مناورات لا عهد لنا بها من قبل تجوس خلال الوجه البحري ، ولم يعرف النـاس لها معنى ، بل وكانت القاهرة نفسها محل هذه المناورات ، أما الصحراء الغربية فقـد حارب الأنجليز فيها ملك سيوة الذي جاء حتى اغتصب القـاهرة . أجل حارب الأنجليز ملك سـيوة ، ومن هو ملك سيوة ؟ انه شخص وهمي بل هو رمز للعدو المهاجم من الغرب . بل هو ايطاليا التي ترغب في اعادة الامبراطورية الرومانية وارسال طلبة مدرسة الاستعمار الى مصر للقيام برحلة .

تنبهت انجلترا ومصر غافلة ، أو طلب منها أن تـكون غافلة ، أو هي لا تستطيع الا أن تـكون غافلة . فاذا قام الأنجليز يدافعون عن مصر . وكان الجيش المصرى فرقة في هذا الجيش الأنجليزي المدافع . وكان الجيش المصرى وحدة من هذه الوحدات التي تقاتل الايطاليين . ألا يكون ذلك في الحق أقرب للدفاع عن مصـالح انجلترا منه للدفاع عن مصالح مصر . لماذا يحارب الأنجليز عندئذ . ألسواد عيون المصريين . اللهم لا . أحرصا على الاستقلال المصرى . اللهم لا . ولكن حرصا على مصلحتهم . حرصا على مركزهم في مصر . وقوفنا بجانبهم معناه الدفاع عن هذه المصالح . وبالقول الحقيقة المرة ، ياحضرات المستشارين ، عندما يقول لنا الأنجليز غدا ، لقد دافعنا عن هذه الأرض بدمائنا ، فهي أرضنا ولنا هنا حقوق مقدسة .

الى هنا ياحضرات المستشارين يتبين لـكم كيف أن الجيش المصرى ، بحالته الراهنة غير صالح للدفاع ، فهو مفلول فكيف أنه سيكون وحدة من وحدات الجيش الانجـليزي للدفاع عن مصر وكيف يكون مدافعا عن مصلحة انجلترا في مصر . . الى هنا يتبين أن العبارات السابقة ليست الا تقريرا للواقع ووصفا للحالة الموجودة .

جيش من المرضى والضعفاء . . جيش من الجهلاء . . الخ

فلننتقل الآن الى العبارات التي تناولت وراء بعضها واصفة الجيش بأن فيه مرضى وفيه ضعفاء وفيه جهلاء .. وقد خيل للنيابة ومن قبلها لوزير الحربية ، أن هذا الـكلام قد جرى به القلم من غير حساب ، دون أن يعلم أنه ليس الا تكرارا لما قيـل في مجلس النواب في جلسته الثامنة والأربعين ، وهي التي سبق أن اقتبست من كلام بعض خطبائها ولعل كلمتي الضعف والجهل يمكن تخيلهما ياحضرات المستشارين .. يمكن تصورهما سواء من النـاحيـة المادية أو المعنوية ، ولـكن الذى لاتتوقعونه أن يكون في الجيش مرضى ،

والآن اسمعوا ماذا يقول الاستاذ عبدالحميد بك سعيد « وانى أستطيع أن أصف لحضراتكم عساكرنا وصفا يقرب حالتهم الى أذهانكم ، اذا ماسمعوا صوت البورى أتوا من كل مكان وجلسوا في فناء المعسكر جماعات حول الأرواقة . . اننى لا أبالغ اذا قلت انها قد تكون قذرة ، فضلا عن مجاورتهم للاسطبلات ، وتعرضهم لمضار الشمس والتراب ، اذ ليست لهم محال خاصة لتناول الغذاء ، وأظن ان هذا لا يليق بجيشنا المصرى ، ولا يفوتنى أن أذكر لحضراتكم أنهم ليس لديهم ملابس شتوية تقيهم برودة فصل الشتاء حتى تفشى فيهم مرض الدسنطاريا والأمراض الأخرى وفتكت فيهم فتكا ذريعا . . . اننى أجهر أمام هيئة المجلس، معلنا اننى لا أكون مبالغا ، اذا قلت ان عناية وزارة الحربية بالخيل والبغال أكثر من عنايتها بالعسكر » .

هذا كلام قيل ياحضرات المستشارين ، وسمعه وزير الحربية فلم ير فيه حرفا دل على غير الواقع ، فلم يرد أو يحتج عليه .. هذا كلام قيل عن الجيش، وكيف أن العساكر لا توجد لديها ملابس للشتاء، حتى تفشى فيهم مرض الدوسنطاريا ، وفتكت بهم الامراض فتكا ذريعا (١) .

ومن هـــذه الأمراض التي تفتك بهم فتكا ذريعا مرضا البلهارسيا والانكلستوما المنتشران بين الجنود انتشارا مروعا. هذا الكلام قيل وقيل فى آخره ان عناية وزارة الحربية بالخيل والبغال أكثر من عنايتها بالعساكر .. هذا كلام قيل ، وتحت قبة البرلمان، فاذا استعرنا بعضه للقيام بنفس الغرض المقصود من قوله فى البرلمان ، فلا نكون قد سببنا الجيش بأكثر مما سبه به أعضاء البرلمان الرسميون الذين يمثلون سلطات الدولة ، على أن المهم فى هذا ياحضرات المستشارين أن وزير الحربية لم يعترض على هذه المسألة بالذات .

وهكذا ترون أننا يوم قلنا ان جنود الجيش من المرضى كنا نعنى تقرير الواقع كما جاء فى مضابط مجلس النواب . . أما نعت العساكر بالجهل فأى خروج فى هذا عن الواقع الدقيق، أو ليس الجيش يجمع من الفلاحين والفلاحين فقط . أولا يخرج كل من يدفع البدل . . كل من كان على شيء من التعليم . انهم يخرجون من يحفظ القرآن ياحضرات المستشارين اكراما للقرآن ، والواقع أنه اكرام للانجليز الذين وضعوا قانون التجنيد . وذلك أن حافظ القرآن مهما كان ما وعاه من القرآن بذاكرته فقط ، فأن فيه ألفاظا وعبارات تملؤه معنوية وحياة ، ذلك أن حافظ القرآن يعرف أن الله يطالب المؤمنين بالجهاد والكفاح والموت فى سبيل الله . . . قال الله تعالى فى كتابه العزيز « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين » . هذا هو القرآن وهـــذا هو حظ حافظ القرآن . اذا مادخل

---

(١) هنا قدم الأستاذ الى المحكمة احصائية بعدد الجنود المرضى بديدان الانكلستوما والبلهارسيا تدل على أن نسبة المرض المتفشي فى الجنود هى فى الجملة ٧٦ فى المائة

الجيش يتوعده الله اذا أضلته الأموال والأزواج والأبناء عن الجهاد فى سبيل الله .. حرموا من الجيش بإحضرات المستشارين كل من أحسوا فيه شبهة التعليم . . . حرموا الجيش رائحة الثقافة . . . اسألوا النيابة اذا حدث ودخل الجيش من كان فى مدرسة ابتدائية ماذا يفعلون به ، انهم يبعدونه عن الجيش العام ويستخدمونه يلوك أمين ، أو يمىي آخرفي الأعمال الكتابية . . لا يوجد في الجيش الا فلاحون جهلة ، ولا تحاول وزارة الحربية فى السنوات الخمس التى يمضيها الجندى أن ترفع عنه شيئا من جهله . . لا تحاول أن تعلمه القراءة والكتابة لا تحاول أن تتيرعقله قليلا . . فان جئنا نقرر الواقع نقول ان عساكر الجيش جهلاء . . أنكون بهذا قد سببنا الجيش وأهناه . . أرأيتم الى أى حد بلغ الجيش من الضعف . . أرأيتم الى أى حد اعتبر ذكر بعض الحقائق عن هذا الجيش سبا وطعنا بينا هى حقائق واقعة . واذا ثبت لدينا أن فى الجيش أمراضا مادية ، وأمراضا معنوية ، نتيجة الجهل ، فهل يمكن الا أن ينعت بالضعف . هذا هو مدلول الألفاظ واحدا فواحدا بإحضرات المستشارين هذا هو تفسير الكلمات كلمة كلمة لو أنكم أردتم أن تفسروها على أسوأ التفاسير ، فما بالكم اذا نظرتم اليها فى مجموعها.. ما بالكم اذا نظرتم الى أنها ليست الا عبارات يراد بها تصوير حالة الجيش وحاجته الى الأصلاح لنخلص منها الى وصف الأصلاح بالذات . . وما بالكم وهذه الكلمات ليست مقصودة بالذات . ولكنها تمهيد لمعنى أجل وأعظم ، وهو اننا نعرض أنفسنا للتطوع فى الجيش . . ما بالكم وهذه الكلمة لا تحوى سوى حدة فى الأسلوب عرف بها كاتبها .. لقد صدر من الصرخة قبل هذا العدد ١٧ عدداً . . . سلوا النيابة هل رأت فى أى عدد من هذه الأعداد أسلوبا غير هذا الأسلوب وهل رأت فى كل سطر الا هذه القوة فى التعبير ، التى يدفعنا اليها ايماننا ورغبتنا فى الأصلاح . . سلوا صادق بك عندما كان ينصحنا أن نخفف من لهجتنا ماذا كنا نقول له . . . كنا نقول له اننا دعاة اصلاح . . اننا لا أغراض ولا غاية لنا الا اعادة الروح فى كل مكان ، ولكى نعيد الروح يجب أن نكتب بهذا الأسلوب . . يجب أن نجهر بكل الحق وبكل ما فى أنفسنا . حقا لقد وصلنا الى عصر أصبح فيه ذكر الحقائق جريمة ، ولكن مع ذلك يجب أن يتقدم نفر من الأمة بذكر الحقائق ، وأن يدفع ثمن ذلك ، والا فسوف تتقلب الأوضاع ، وينسى الناس الحق ويلتبس عليهم بالباطل . . قال أمير الشعراء الراحل :

ان الذي خلق الحقيقة علقما   لم يخل من أهل الحقيقة جيلا

بقى أن يقال ان الألفاظ كان يمكن أن تكون أخف من هذه اللهجة ، وتتجه نفس الأثر . . أجل قد تعترض النيابة ، وتقول ان رغبتنا فى الأصلاح لا يجب أن تكون بحيث تقذع فى الكلام ، فاذا قالت النيابة ذلك فأسهل الرد عليها محدث دار فى مجلس النواب بصدد الجيش فى هذا المعنى . . ذلك ان الأستاذ عبد الرحمن عزام وقف يخطب عن الجيش فقال . . هل وزارة الحربية وهى تتقدم الينا بهذا الرقم الضخم (الميزانية) أدركت

الأخطار المرضة لها هذه البلاد ، التي قد تضطر الي الدخول في الحرب رغم أنفها ؟ وهل هي فكرت في مصير البلاد اذا مادام العالم دام ، بسبب الأفكار التي لاتزال متأصلة في النفوس ؟ .. ان الذي أخشاه أن تكون هذه الميزانية لاتمثل الا أرقاما جوفاء ، ولا تمثل سياسة مطلقاً ، ولا فكرة ، وهي تكملة لعادات اعتادتها البلاد في دفع مبلغ باهظ ، ليقال ان لها جيشاً ، لا ليقال ان هذا الجيش قائم على سياسة معينة ، ليقوم بأمر ماتقتضيه الضرورة في ساعة ما . . أعتقد أن هذه الميزانية مبنية على غير أساس ، وتؤيدني في هذه العقيدة حالة جيشنا الحاضر ، التي هي حالة يؤسف لها أشد الأسف . . . انني كرجل مارس هذا الشأن ، وكنت مسؤولا بين آخرين عن الدفاع عن أمة ضعيفة ضد أمة قوية ، أؤكد لحضراتكم أنه جيش مجرد من مزايا الجيوش المحجية فضلا عن المتمدينة ، فاذا يمكن أن يكون هذا الجيش » فرأى بعض أعضاء المجلس أن يقاطعوه فسجلت المضبطة كلمتي « ضجة ومقاطعة » واستمر النائب يقول : « لكي أن تعتقدوا ما تشاءون ، ولكني أقول ان الجيش يحتاج الي اصلاح في كل ناحية من نواحيه ، واذا لم يكن هذا الأصلاح ممكناً فليس أفضل من توفير هذا المبلغ الباهظ لمصلحة البلاد » . أتسمعون ياحضرات المستشارين : انه يريد الغاء الجيش وتوفير ميزانيته لأنه يراه لايساوى قلامة ظفر ، فلا عجب أن سجلت المضبطة هنا كلمة (تذمر) فقال النائب (أنا لا أبدى لحضراتكم ما تعتقدونه انما أبدى ما أرى وأعتقد ، أرى أن الجيش بتدريبه غير كفء القيام بالمهمة المطلوبة منه) وهنا عادت الضجة من جديد .. ترون ياحضرات المستشارين : كيف أقذع في انتقاد الجيش ..وكيف حرمه من مزايا الهمج والمتمدينين .. وكيف أشار بحله ، على أن المجلس في كل هذا أن المجلس عندما ظن أن في هذا الكلام ما قد يكون مساساً بالجيش وقف وزير الحربية وقال بالحرف الواحد ما يأتي :

«أيها السادة أني أولمن يقدر تقديراً حسناً أن نية حضرة العضو المحترم زميلي وصديقي عبد الرحمن عزام أفندي لم تكن منصرفة قط الى اهانة جيشنا ولا ضباطه . أعرف فيه هذا الاحساس لأني خالطته ، وتكلمنا كثيراً في حالة جيشنا ، فرأيت منه أنه أول من يحترم هذا الجيش الباسل ، وكل ماقصده انما هو ادخال ضروب من الاصلاح كنا نشعر بها . ولا أذيع سرا اذا قلت لحضراتكم بأني أشعر أيضاً بهذا الاحساس لأني مصرى مثلكم تشرفت بزمالتكم . »

الله أكبر ياحضرات المستشارين ، ماذا تريدون أكثر من هذا . . لكي تروا تعسف وزير الحربية الحالى ، يوم أن اعتبرنا مجرمين ، لأننا قلنا عن الجيش انه غير صالح للدفاع عن مصر ..هذا هو وزير الحربية يقول بأعلى صوته ان الجيش في حاجة الى اصلاح من كل ناحية ، وينصب نفسه في موقف الدفاع عن النائب الذى انتقد الجيش بأحرج الألفاظ واقترح حله وتوفير مايصرف عليه . ماذا تريدون أكثر من هذا الدفاع أسوقه لكم اليوم

لأدلل لكم على أن الأنسان فى مقام الأصلاح يجب أن يذكر العيوب كلها، وأن يشخص المرض لكى يستطيع وصف الدواء . أنظروا ماذا قال وزير الحربيـة فى ختام خطبته المذكورة .

« أيها السادة : تلك هى بعض مشاغلنا ولم نشتغل بها الا لأدخال الأصـلاح الذي تريدونه ، وانى واثق كل الثقة أنه بفضل معونتكم وحكمتكم سنصل بغير جلبة أو ضوضاء الى جيش لائق بكرامتنا ، جدير بعزتنا وبتاريخنا المجيد » هذا كلام الوزير . هذا كلام قيل فى سنة ١٩٢٦ ، ونحن اليوم بعد ثمانى سنوات . هل وصل الجيش الى المركز اللائق بكرامتنا . انى أتحدي الوزير الحالي اذا كان يقول ان الجيش خطا خطوة واحدة مدي هذه الثمانى السـنوات ، ان لم يكن قد تأخر . . واذن فجيشنا لم يبلغ بعد المركز اللائق بكرامتنا ، والجدير بعزتنا وبتاريخنا ، وما دام الأمر كذلك أفليس من حقنا أن نطالب، أليس من حقنا أن تنادى بالأصلاح . ؟ وكيف نخطو نحو الأصلاح ان لم نعرف أين ما نحن فيه خطأ ، وكيف نعرف هذا الخطأ ان لم نذكر هذا الخطأ . لقد كان وزير الحربية فى عام ١٩٢٦ وزيراً يعرف واجبه ، ووزير حربية سنة ١٩٣٣ يعرف واجبـه أيضاً . ولـكن ما أعظم الفرق بين الواجبين . الأول يدافع عن النائب الذي أراد اصلاح الجيش فى مجلس النواب لأن المجلس أراد أن يحتج على النائب الذي يقترح حل الجيش . . .

ووزير الحربية الثانى يرمي أحمد حسين فى السجن لأن واجبه يدعوه الى ذلك .. فاللهم رحمة وحنانا . فماذا أعددت لهذا البلد من ويلات .؟

خمس سنوات فى خدمة الضباط وسماع الاهانات :

والآن فلنتقل الى واقعة أخري هولت لها وزارة الحربية ، وهولت لها النيابة ، وهي حديثنا عن هؤلاء العساكر الذين يشتغلون فى المراسـلات ، فيلحقون ببيوت الضباط ليمكونوا خدما لهم .. صورت هذه الواقعة بالـكلمات الآتية : « خمس سنوات فى خدمة بيوت الضبـاط وأولادهم وشراء الخضار لمنازلهم وسماع الاهانات من زوجاتهم » فهل فى كلة من هذه الـكلمات ما ليس حقا .. الواقع يا حضرات المستشارين أنه من أعقد الأمور محاولة اثبات البديهيات ، والمتعـارف عليه ، وهذا الذى قلته فى هذه العبارات ليس غريباً وليس جديدا . ولـكنه فى بيت كل ضابط ، ولـكنه فى كل مكان ، حيث يوجد رجل الجيش ا. ماذا أقول لكم؟. هل أقول لـكم سلوا أنفسكم عن هذه الواقعة؟. هل أقول لـكم سلوا أي واحد من الحضور .. هل أقول لـكم اطلبوا من النيابة أن تنفى هذه الواقعة .. ولـكنى أقدم لـكم حديثاً عن هـذا الموضوع فى مجلة أخري ، هي مجلة « المصور » ، ومع ذلك لم تحتج النيابة ولم تر فيه سباً أو اهانة .. جاء فى مجـلة المصور فى عددها الصادر يوم الجمعة ٢٣ فبراير ١٩٣٤ ، ما يأتي : تحت عنوان (الى متى تجاملـ)

قالت (عجبا أنظر هذا الجاويش العريض المنكبين ، المفتول الذراعين، المبروم الشاربين الثاري العينين ، الغليظ القدمين ، الطويل القامة ، العظيم الهامة الضخم اسمه الجاويش بمبة .. أي والله اسمه بمبة . يقول لى أصدقائى رواد الجارسونيرات ان الجاويش بمبة هذا ، أو هنه ، كان يحمل الرسالات وينظف البلاط ، ويفرش السرير ويطبخ ، ويعجن ، ويخبز ، ويغسل عملا بأوامر رئيسه ، سواء كان ذلك فى البيت الحلال أو فى البيت الحرام .

(بل هناك جاويش آخر كان أعرض من بمبة منكبين ، وأفتل ذراعين ، وأبرم شاربين ، وأحد عينين ، وأغلظ قدمين ، ولكن كان اسمه (داده حليمه) ، لأنه رحمه الله ان كان قدمات ، ورحمه الله ان كان لا يزال في الخدمة ، كان أحن من الأمهات قلباعلى أولاد رئيسه ، وأرق عاطفة من قطومة وستوتة وأم حسين خادمات البيت الكريم ، فكان يحمل الأولاد على كتفه ، وقصرية الأولاد على كتفه ، يحمل غيارات الأولاد على كتفه ، يهنهم ويهشكهم ، ويدلعهم ويحميهم ، ويغطيهم ، ويسهر الليل حولهم ، يحكى حكايات ست الحسن والجمال والشاطر محمد وأولاد الحرام والحلال .. وأمثال الجاويش بمبة والداده حليمة كثيرون فى العاصمة وفى الأسكندرية ، وفى الأقاليم ، ولو أنهم كانوا يؤدون واجباتهم المنزلية ، من كنس وطبيخ وتربية أولاد ، وشراء لحمة وخضار ، وانتظار على أبواب السينما وغيره ، وغيره ، بملابسهم المدنية لا بملابسهم الرسمية ، لهان الأمر نوعا ما ، ولبلعنا هذه المرارة التعسة والذليلة نوعا ما ، ولكن الذى يؤلمنا أن الملابس الرسمية هى التي تطبخ وتغسل وتكوى وتشتري اللحمة والخضاروتنتظر على أبواب السينمات ، وتحمل الأولاد وتكون صلة الهوى بين ارباب الغرام . الى آخر المقالة). وقد شفعت المقالة بصورة جميلة للجاويش داده حليمة وهو يحمل القصرية والطفل ويسير بملابسه الرسمية . .

لم يكن بدعا اذاً ما قلناه من أن عساكر الجيش يشتغلون خدما ، ويشترون الخضار ويسمعون اهانات زوجات الضباط .. وما دام العسكري يشتغل خادما فانه لا بد يخطىء ولا بد ان يسمع هذه الاهانات . .

قد يقال انى فى عبارتى قد تحدثت بصفة عامة ، ولم أخصص بعض العساكر ، وردى على هذا أن العسكرى الواحد يمثل الجيش بأسره ، البدلة الرسمية رمز المجد للدولة كلها . . والعساكر الذين يلحقون بخدمة الضباط ليسوا من صنف معين ، أو أنهم قاصرون على أشخاص دون أشخاص ، بل هم يتناولون كل عساكر الجيش على الاطلاق . ويبدل الضابط هؤلاء العساكر المكلفين بخدمته كل مدة معينة بغيرهم ... واذن فهذا العمل معرض له كل عسكرى فى الجيش .. بل ولعل الأكثر تعرضاً له هم خيرة الجنود وأحسنهم ، ليكونوا أكثر قدرة على الخدمة فى المنازل . وحتى اذا كانت العبارة عامة ، فهذا نوع من البيان لا أكثر ولا أقل ، وأعني به التعبير عن البعض بصيغة الكل . .

فنحن فى هذه الواقعة لم نذكر خلاف الواقع . . ونحن لم نقل فيها أية مغالاة ، حتى أن ما كتبناه لا يعدل عشر معشار ما كتب في مجلة المصور ، وما يتردد على كل لسان وفى

كل مكان . واذا كان في ذكر هذه الواقعة فيه اهانة للجيش ، تهدمه من أساسه ، فا ذنبنا متى كانت هذه الوقائع حقيقة ثابتة . . ولو هدمت الجيش من أساسه أذن . . فليبادر وزير الحربية بأصلاح هذه الحالة بدلا من أن يهتم بالقذف بنا الى السجون .

الى هنا ياحضرات المستشارين ، انتهينا من القسم الأول من الألفاظ التي يشتم منها رائحة الأهانة والسب، وبينا لكم وكيف أن هذه الألفاظ بحسب مدلولها المجرد ليست الا وصفاً دقيقاً لكائن موجود .. كيف أن الكاتب الذي يريد أن يصور حالة الجيش لا يستطيع أن يعبر بعبارات غير هذه التي كتبتها ، وأظن أن مهمة الصحافي الأولى أن يتعرض للمؤسسات العامة ، وأن يصفها ويلقي الضوء على ما فيها من عيوب ، ويشير الى ما تحتاجه من أصلاح .

الى هنا ثبت لحضراتكم أننا ما جئنا بجديد ، وأننا رددنا بعض كلام قيل في مجلس النواب ، وأيده وزير الحربية .

بقي علينا أن نتنقل الى القسم الثاني من الألفاظ الواردة في المقالة الخاصة بلمفتكس باشا ، ووزير الحربية .



القسم الثانى

الالفاظ الخاصة ببعض الموظفين

كفتنا النيابة في الواقع مؤونة الاسهاب فى هـذه الناحية ، اقتناعا منها بما جاء فى التحقيق ، فان المواد التي تطلب تطبيقها أصليا هى المادة ١٥٩ ، والخاصة بأهانة القوات البرية والبحرية لا الموظفين . . ولو راجعتم سعادتكم محاضر التحقيق لوجدتم أنه كان يدور حول هذه الناحية ، ناحية أهانة الموظفين المذكورين وأعني بهما اسفنكس باشا ووزير الحربية ، ويظهر أن النيابة اقتنعت بالتفسير الذي قلته ، فلم تذكر فى قرارها شيئا عن هذه الناحية ، غير أن تكرار هذه الالفاظ أمام المحكمة يجعل من المناسب تفسيرها .

اسفنكس باشا

القول عن اسفنكس باشا انه ضربة ساحقة ماحقة على الجيش المصرى ، والضربة هنا تلهم رأس المـــال . أقول ان هذا الكلام بالذات ، لايمكن الا أن يكون مدحا لاسفنكس باشا ، فهو كرجل انجليزى يخدم المصالح الانجليزية ، يهمه قبل كل شيء أن يعمل من أجل دولته ، وأن يمكن لنفوذها وسيطرتها ، فاذا ذكرنا ذلك ، فان هذا الذكر قد يكون أى شيء سوى اعتباره اهانة لاسفنكس باشا ؟ . قد يكون قلة كياسة نحو الرجل أو كثيرا من الصراحة المؤلمة . . ولكن ذلك لايمكن أن يكون سبا أو اهانة ، فاسفنكس باشا لايخدش ناموسه اذا اعتبرناه انجليزيا ، واسفنكس باشا لا يجرح عزته أو كرامته انه كل شيء فى الجيش ، فاسفنكس باشا فى كل هذا يقوم بواجبه الوطنى الذى سيكون محل فخره يوما من الأيام . وجريا على الخطة التي اختطها لنفسي ، وهي أن لاأقول الا صدقا وماهو واقع ، وما هو تقرير لكلام رسمي ، أنقل اليكم ماقيل فى احدى جلسات مجلس النواب عن سعادة اسفنكس باشا وهى الجلسة الثلاثون ، المنعقدة فى ١٦ فبراير سنة ١٩٢٧ ، قال الاستاذ فكري أباظة مقدم الاستجواب ما يأتى :

(فى وزارة الحربية موظف أجنبي غير مريح ، مميز بسلطته الشاغبة ، وهو اللواء اسفنكس باشا ، هذا الموظف يشغل وظيفة مفتش القوات ، ويقوم في الواقع بعمل السردار ، وانا نود أن نعرف الي أى مدى تبلغ حدود سلطته ، وهل تمس تلك السلطة المسؤلية الوزارية فتمس اختصاص مجلس النواب مثلا ؟ .. قرأتم حضراتكم فى الصحف أن هناك خلافا قائما بين معالى وزير الحربية المسؤول أمام المجلس ، وبين اللواء اسفنكس باشا عن القاذية العسكرية ، فمعالي الوزير يرى أن توقع باسمه أو بأمره ، واللواء اسفنكس

باشا على ما تقول الصحف يريد أن يوقعها بنفسه مستقلا ، ولقد أشارت هذه الصحف الى أن الاتفاق قد تم بين الرئيس والمرءوس على أن لا يوقع كلاهما وأن توقع الفازيتة بلفظ (ليحيا الملك) ، ولو كان هـذا الخبر غير صحيح — وأود من كل قلبي أن يكون كذلك — لوجب على معالي وزير الحربية أن يكذبه في الحـال ، واذا صح ياحضرات النواب ماذكرته الصحف ولم تكذبه وزارة الحربية ، من أن هذا الموظف المعتز بسلطة المشاغبة ، قد جددت خدمته مرة أخري ، كان هذا من العجاب ، اننا نريد أن نعرف العلل والأسباب في كل ذلك ، واذا كان معالي وزير الحربية يتحمل أى عناء فمن واجب المجلس أن يشاطره هذا العناء)

والغريب ياحضرات المستشارين أن وزير الحربية تحدث في كل شيء الا هذه الواقعـة فمرت بسلام ، فعرف الجميع أن لها أصلا من الواقع . كان هذا في سنة ١٩٢٧ ، فما هو الحال في سنة ١٩٣٤ . أسوأ مما تتصورون ياحضرات المستشارين ، ففي السنة المذكورة كان هناك وزير يتنازع اسفنكس باشا . كان هناك برلمان شعبي يقفه عند حـده . أما اليوم فقد أصبح النفوذ الانجليزي في الجيش هو كل شيء . ولقد وصفت مجـلة الصور نسبة تغلغل الأصبع الانجليزية في المرافق المختلفة للدولة ، وعندما جاءت الى وزارة الحربية كانت النسبة ١٠٠ في المائة ، أليست هذه هي الضريبة الساحقة المـاحقة التي تلتهم رأس المال ؟ . الحق أنها لـكذلك ، والحق أنه لا لزوم للافاضة في هـذه النقطة ، فالنيابة أول مقتنع بها فلم توجه الي تهمة أهانة بعض الموظفين :

وزير الحربية

هناك عبارة خاصة بوزارة الحربية ، هالت معاليه وهالت النيابة بالأولوهلة ، وماذلك الا لأنهم لم يقرأوا المقالة بأمعان وترو ، بل ملـكهم الغيظ من سرد الحقـائق ، فجعلهم لايميزون الـكلام ولا يعرفون مناحيه وهـذه العبارة الخاصة ، هي أن « وزير الحربية المصري موظف في وزارة الحربية الانجليزية » . هذه هي العبارة ، وهي بمفردها هكذا تخيف سامعها لما فيها من اهانة . . ولـكن هذه العبارة منفصلة عما يسبقها ويتلوها من الـكلام اشبه بالآية الكريمة « ويل للمصلين » ! ذلك أن هذه العبارة ليست الا حكما على أعمال مستقبلة تحصل بعد عدة سنوات — ان قـدر لها أن تحصل — . . . فأنا أقول لوزير الحربية : نريدك أن تدخلنا الجيش ، فان لم تفعل فـنسـافر الي العراق وننفم الى الجندية هناك وتمضي مدة الجندية في القطر الشقيق ، ثم نعود اليكم جنودا ظافرين .. وعندها . . أى بعد أن نسافر للعراق وتقبلنا العراق في جنديتها ، مـع أن القانون العراقي يحرم ذلك ، وتمضى مدة التمرين ونعود الى مصر . . عنـدها تعرف الناس أن وزارة الحربية ليست لنا ، وأن وزير الحربية موظف في وزارة الحربـيـة الانجليزية . وما ذلك الا لأن العراق قبلت أبناء مصر ، ووزير حربية مصر بالذات لم يقبل اندماجهم

في الجيش !. ولا بد أن يكون في هذا منفذاً لسياسة خاصة غير سياسته في الدفاع عن مصر .. لابد أن يكون في هذا متأثراً بأمر من الأوامر الأنجليزية . وما دام الأمر كذلك فهو بمثابة موظف في الوزارة الانجليزية ، واذن فهـــذه العبارة التي حاولت النيابة الصاقها بوزير الحربية أمر معلق على شرطين : شرط زمني وشرط مكاني . . . فالشرط المكاني أن نسافر من مصر الى العراق ، وأن يقبلنا العراق في جيشه ، وأنّ يعدل قانون الاقتراع العراق لكي يتمكن من قبولنا هذا هو الشرط المكاني . . وشرط زماني وهو انقضاء الزمن اللازم لأتمام هـــذه التنقلات وانقضاء مدة التمرين ثم العودة الى مصر ، فلي أن يتحقق هذا الشرطان فلا يمكن أن تلق كلة بوزير الحربية . . هذا هو وضـع المسألة المادي . ولكن حتى لو فرضنا أن هذه العبارة تمس وزير الحربية منذ الآن فأن العبارة التالية لها مباشرة تمحوها وتجعلها لا أثر لها ، بل وتدافع عن وزير الحربية وتذود عن كرامته حيث قالت : (ولست أريد أن نصل الى هذا الحد) فلازلت أعتقد أن وزراءنا المصريين يفهمون معنى الكرامة والقومية ، لا زلت أعتقد أن كل مصري يفهم واجبه نحو وطنه . . الى آخر العبارة .

وهكذا ترون ياحضرات المستشارين أننا نعرف ماذا نكتب وكيف نكتب بأخلاص، هـكذا ترون أننا لا نريد أن نسيء الى شخص واحـــد ، وان كنا نريد أن نذكر كل الحقيقة بمرارتها ، أجل : عندما نكتب ونرى أنفسنا ، وقد كدنا لا ننصف أحد المصريين في سياق حديثنا عن الاصلاح ورغبتنا فيه ، نعود فننصف هذا المصري ونظاهره ونقف بجانبه لأننا لا نعادي مصرياً واحداً ، لأننا لانحمل موجـدة لشخص من الأشخاص حتى أعـدائنا ياحضرات المستشارين ، اننا نحبهم ونسامحهم ، لأن مصر اليوم في حاجة الى أن الحب والتسامح يسودان بين أبنائها .

القصد الجنائي

والآن ياحضرات المستشارين فلنترك كل هذا الدفاع الماضي ، ولنسلم جدلا أن الألفاظ المذكورة في المقالة يشمّ منها رائحة السب والاهانة ... ولنسلم أن وصف الجيش بأنه ضعيف ، وبأن فيه مرضى ، وبأنه مغلول ولنفرض أن كل من يسمع هذه الألفاظ يرى فيها سباً ، فهل هذا يكفي لتكوين الجريمة ، جريمة السب ؟ الجواب لا . فقد بقي أن يكون الكاتب مدفوعاً في هذا بسوء نية ، أو بالأحرى يجب أن يتوفر لديه القصد الجنائي — والقصـد الجنائي هنا ركن كأي ركن في كل جريمة أخرى ، ولكنه هنا يمتاز بأنه كل شيء في هذه الجريمة . لقد تستطيعون ياحضرات المستشارين أن تفرضوا القصد الجنائي في بعض الأحوال ، وأن تلصقوا بالمتهم لأن الوقائع المادية صارخة بأن مثل هذا الشخص لابد أن يكون سيء القصد ، على هذا الأساس خلق القصد الاحتمالي، وعلى هذا الأساس قد يلحق الخطأ الجسيم بالقصد . ففي كل جريمـة أخرى قد تكيف

الأعمال المادية قصد المتهم ، وقد تقطع به ، وقد تحدده . ويستطيع القاضي أن يصدر حكمه مطمئناً لتوفر القصد . أما هنا ، هنا في جريمة السب ، فالقصد الجنائي هو كل شيء ، هو الجريمة بأسرها ، والفعل المادي بالذات لا يمكن بذاته إلا أن يكون على اختلاف وعلى تقدير : الفعل المادي قد يصادف هوى في نفوس الجموع . . الفعل المادي قد يلقى استحسان الرأي العام . . والجريمة في النهاية تقاس بمقدار ما فيها من اعتداء على المجتمع .. فالفعل المادي في جريمة السب والأهانة ، ليس إلا قرينة نلجأ إليها لتقرير سوء القصد ، فليس يكفي اليوم أن تقف النيابة وتقول ان احمد حسين قد أهان الجيش بكلمات كذا وكذا . . لا . ليس يكفي هذا مطلقاً ، بل يجب أن تثبت أن احمد حسين ، لضغائن في نفسه ، أراد أن يتشفى على صفحات الجرائد . . أن أحمد حسين يحمل عداء للجيش فهو يريد أهانته . . أجل : يجب أن تقيم النيابة الدليل على توفر القصد الجنائي بمعناه الخاص والعام ، ذلك أن هناك جرائم يجب أن يتوفر فيها نوعان من القصد : قصد جنائي عام وقصد جنائي خاص .

أما القصد الجنائي العام فهو الذي يتوفر في كل جريمة ، وأما القصد الجنائي الخاص فهو ما تتميز به جريمة عن أخرى . . والآن فلنبحث عن هذين النوعين من القصد فيما كتبناه .

القصد الجنائي العام

ما هو القصد الجنائي العام ؟ . . القصد الجنائي العام هو أن يأتي الانسان الأعمال المادية للجريمة عالماً أنه بذلك يرتكب الجريمة ، فالذي يأخذ مال غيره خلسة يعلم انه يرتكب جريمة السرقة ، والذي يطعن آخر بسكين فيقتله يعرف أن عمله هذا يؤدي حتماً وبالذات الى النتيجة التي حصلت . فالقصد الجنائي هو اتيان الشخص الاعمال المادية مع علمه أن القانون يعاقب عليها . فهل هذا النوع من القصد متوفر هنا ؟ هل عندما كتبت كلمات الضعف ، والمرض ، والجهل . . وأن الجيش غير صالح للدفاع عن مصر ، هل كنت أعرف أن كتابة هذه الألفاظ بالذات تكون جريمة ومع ذلك مضيت فيها ؟ الجواب : لا ، فما هو البرهان على ذلك ؟ . البرهان على ذلك هو أن هذه الكلمات ليست مقصودة بالذات ، فهذه الكلمات يمكن أن ترفع من الخطاب دون أن يمس ذلك جوهره ، حتى ولا عرضه . . تستطيعون أن ترفعوا هذه الكلمات دون أن تنقصه قليلا أو كثيراً ، الأمر الذي يدل على ان الكاتب هذه الالفاظ لا يحتاج اليها في مقاله ، وليست غرضا من أغراضه ، اذاً لماذا كتبت ؟ كتبت لأنني ساعة كتابتها كنت متحمسا جدا . كتبتها لأنني كنت أتخيل مصر وقد أحيط بها ، ووقف جيشنا عاجزاً عن الدفاع عن مصر . كتبتها لأني أسمعها تتردد عن جيشنا في كل مكان . كتبتها لعلمي أنني في كتابتها أسجل ما استفاض على الالسن وما قرّ في جميع الاذهان ، وهذا وحده يكفي لمحو جريمة السب ، وهاكم ما يقوله الاستاذ أحمد بك

امين مؤيداً لذلك ، جاء في الصفحة ٥٦٠ تحت عنوان القصد الجنائي ما يأتي بالحرف :

(فاذا كانت الألفاظ تفيد بحسب ظواهرها السب ، وقد استعملت بغير قصد السب باعتبار نية المتهم ، أو لانها جارية على ألسنة ذلك الوسط الذى وقعت فيه بغير ان يقصد بها سب ، فلا محل للعقاب لعدم توفر القصد الجنائي)

وجاء في (لا بوتفان) الجزء الثاني فقرة ٧٦٣ ، ما يؤيد ذلك ويطابقه . والواقع ان هذا طبيعي يا حضرات المستشارين وعادي جدا ، فهذا الذى يقول للآخر : (يا ابن الكلب) أو (يالص) ، أو (يامزور) ، أو (ياسافل) . فان هذه الالفاظ تحمل بذاتها معنى السب والاهانة ، أما أن يكون متواترا عن شخص من الاشخاص أنه ضعيف مريض ، فيذكر أحد الكتاب هذا الوصف ، لا ليهين صاحبه أو يسبه ، ولكن ليدلل على حاجته لتبديل الهواء مثلا ، أو حاجته الى العناية ، أقول لا يمكن أن يكون هذا سباً ..

وهذا الذى كان في قضيتنا ، فلقد كتبت هذه الكلمات وهى لا تحمل في ذاتها ألفاظاً بذيئة أو مقذعة .. كتبت هذه الألفاظ وهى ليست مما اعتاد الناس أن يهين بعضهم بعضا بذكرها ولكنها أقرب ما تكون الى النعوت العادية ، كتبت هذه الألفاظ لأخلص منها الى ذكر الأصلاح غير عالم مطلقاً أنى باثبات هذه الألفاظ أكون قد أهنت الجيش ، وما ذلك الا لأنى أقرر وقائع استفاضت على ألسنة الناس واشتهرت عن الجيش .

هذا هو القصد الجنائي العام ، غير متوفر يا حضرات المستشارين ، القصد الجنائي الذى يريد أن يأتى المتهم بالأعمال المادية ، وهو عالم أنه يرتكب جريمة معينة ، هذا القصد غير موجود هنا للبراهين التى تقدمها . والآن فلننتقل الى القصد الجنائي الخاص وهو الأكثر أهمية ، وهو كل شيء في جريمة السب .

القصد الجنائي الخاص

جريمة السب لها قصد جنائي خاص ، فليس يكفي أن نذكر الألفاظ التى يشم منها رائحة السب والأهانة ، فقد تكون الألفاظ بذاتها مقذعة مهينة ، ومع ذلك فلا تكون جريمة السب ، وقد يكون كاتبها ملاحظا ما فيها من اقذاع وأهانة ومع ذلك فلا تكون جريمة السب ، لأنه يبقى بعد ذلك القصد الجنائي الخاص ، وهو — هل يريد هذا الكاتب من كتابته أن يهين المتحدث عنه فعلا ، وهل يريد أن يشفى ثأراً له ، أو هو بطبيعته قليل الأدب والحياء ، فلا يتردد عن السب والقذف ارضاء لطبيعته ؟ . هذا القصد الخاص وهو : هل أردت فعلا أهانة شخص من الأشخاص بمقالي هذا ؟ أو هل أردت أهانة جماعة من الجماعات ، هل هو متوفر هنا ؟ الجواب لا وألف مرة لا .. ولعمرى أن قصد الأهانة غير معقول ، لماذا أهين هذه القوات ؟ أهى عدوتى ؟ أهى خصمى حتى من الناحية الأصلاحية ؟ هل هى المسؤولة عما هى عليه من ضعف وتأخير ؟ هل هى التى امتنعت عن شراء

. الأسلحة اللازمة للجيش حتى جعلته متأخراً؟ اللهم لا. فهل أنا عدو للوزارة أريد احراجها والتشفي منها ، بأن أعيب هذه الناحية من قوتها ؟ اللهم لا ، لأننا في صدد خطاب ليس فيه تنديد الا بالانجليز . وكيف أهين الجيش وأنا الذي أتغنى بمدحه في كل مكان ؟ كيف أهين الجيش وأنا الذي أحرص على كرامته وأعرف مفاخره أكثر من وزير الحربية نفسه ؟ كيف أهين الجيش وأنا أرغب في الانضمام اليه؟ ولعله دليل جديد على انقلاب الأوضاع في هذا الزمن ، ياحضرات المستشارين ، أن أقف في قفص الاتهام لأحاكم بتهمة اهانة الجيش ، وأنا الذي عرف عنى تمجيد الجيش واظهار مفاخره ! تريد وزارة الحربية اليوم أن تحاسبني على بعض كلمات وصفت بها الجيش ، فلأحاسبها أنا عن المقالات التي دبجتها في مدح الجيش وفي عظمته اذن ، وسترون بعد قليل ، ياحضرات المستشارين ، أن كفتي هي الراجحة ، وأن وزارة الحربيـــة مدينة لى بخطاب شكر ، ردا على هذه المقالات، واني اقتطف لكم جزءا من هذه المقالة التي كتبتها قبل مقالتي الاخيرة لتروا ماهي عواطفي نحو الجيش بجلاء ووضوح .

كتبت في العدد ١٩ — ١١ تحت عنوان « أين متحف الجيش المصري ، وهو أكثر مجداً من الجيش الفرنسي» مقالة قلت في ختامها: (هذا هو متحف الجيش في فرنسا ،ومثل هذا المتحف يوجد في كل بلاد العالم المتمدين ، لأنه لاتوجد أمة واحدة تخلو من ذكريات الحرب والجهاد . أما في مصر فواحسرتاه على البلد المنكوب .. لا ذكرى .. لا أثارة تتحدث عن ماضي الجيش المصرى الظافر .. كأن ليس لهذا الجيش مجد تضيق به الدنيا بأسرها .. كأن هذا الجيش لم يقهر أوربا في الحروب الصليبية ، ويأسر ملوكها،ويسجن ملك فرنسا في الحرب التي تتحدث عنها في المنصورة ، كأن هذا الجيش لم يدافع عن المدنية والاسلام ضد هجمات التتار كأن هذا الجيش لم يلق بالانجليز في البحر. كأن هذا الجيش لم يفتح عكا وقد عجز عن فتحها نابليون ، كأن هذا الجيش لم يخف أوربا بأسرها عندما حطم الموره ، وقرع باب الآستانة .. كأن هـــذا الجيش لم تستعن به فرنسا لفتح المكسيك .. كأن هـــذا الجيش لم تؤلف به امبراطورية خالدة لم تهدمها الادسائس الاستعمار .. يارجال الجيش المصرى .. نريد متحفاً لهذه الانتصارات وهذه الفتوح ، نريد متحفاً يشعرنا الكرامة والعزة ، نريد متحفاً يجرى الدم في عروقنا ناراً ، نريد متحفاً يحفزنا لطلب المجد والعلاء ، نريد متحفاً يجعلنا نسترخص الموت في ساحة القتال).

فهل قيل عن الجيش مثل هذا الذي قلته ياحضرات المستشارين .. هل تعرف وزارة الحربية نفسها هذا التاريخ .. وهل مجدت نفسها وجيشها هذا التمجيد ..اللهم لا..لعل النيابة تقول لنا هذا كلام قديم قيل قبل الآن ، فلعل الرأى تغير ، ولعل الاحتقار حل محل الاحترام. فاذا اعترضت هذا الاعتراض فما أسهل أن نجابهها بنفس خطابتا الأخير ... ما أسهل أن أتلو عليكم فقرات من خطابي لوزير الحربية .. ترون منها ترديدا لكلمات السابقة ، اسمعوا ماذا في العريضة المقدمة الى وزير الحربية ياحضرات المستشارين :

(بكل احترام يا صاحب المعالي يتقدم اليكم نفر من شبان مصر الناهضة ، يريدون أن يتطوعوا في الجيش المصري، ليخدموا مصرهم العزيزة عن طريق الجندية .. لقد طال ماقالوا عنا يا صاحب المعالي اننا نفزع من العسكرية ، وانا نندب حظنا اذا دعينا للجندية ،وها نحن أولاء نتقدم لنفتدي مصر بروحنا ، وها نحن أولاء نرجوكم أن تضمونا الى صفوف جيشنا الباسل، ذى التاريخ المجيد الذي أخاف أوربا يوما من الايام) . هل تريدون برها نا بعد ذلك يا حضرات المستشارين على أنني أمجد الجيش المصرى .. لو أني أهين الجيش وأحقره .. فكيف أتقدم للتطوع فيه .. كيف يتقدم الانسان ليتطوع في جماعة الا اذا كان يحبها ويحترمها ، كيف أنتسب الى صفوف الجيش ان لم أكن أومن أني بهذا الانتساب أزيد شرفا على شرف وفخارا على فخار . . كيف تقول النيابة اني أهين الجيش وأنا الذي أقول في العريضة . (نرجوكم أن تضمونا الى صفوف جيشنا الباسل ذي التاريخ المجيد ،الذي أخاف أوربا يوما من الأيام) أليست هذه ألفاظ التكريم التي ذكرتها عن الجيش المصري في مقالي؟ اسمعوا أيضاً ماذا قلت يا حضرات المستشارين في نفس خطابي للوزير : « ليس ذلك ضعفاً لا والله فأن المصريين الذين رموا بالجنود الأنجليزية الى البحر . . المصريين الذين ساروا يهزجون أهازيج النصر خلف ابراهيم باشا حتى قرعوا أبواب أوروبا فأفزعوها . المصريين الذين حاربوا في أوروبا وأمريكا .. الذين سيرهبون العالم يوم يحملون السلاح، ما كان هؤلاء المصريون جبناء ضعفاء » . أليس هذا حديثا عن الجيش . أليس هذا دفاعا عن الجيش، أليس هذا اشادة بمجد الجيش .

لست أنا اذن يا حضرات المستشارين من يحقر الجيش ويرغب في اهانته . لست أنا من لا يمجد الجيش وينحني أمام اسمه وأعلامه .. ولست أسوق هذا دفاعا عن نفسي ولكنها كلماتي في كل مكان .. ولكنها عقيدتي التي ترونها واضحة في هذا الخطاب الذي أحاكم من أجله. لا، لا يا حضرات المستشارين، انما أنا من يريد العز والنصر للجيش ، انما أنا من أرغب في تقديم دمي وروحي لهذا الجيش، ودعوت غيري من الشبان ليقتدوا بي . فلست أنا الذى أهين الجيش أو أرغب في اهانته . بل اني استمد من ذات الألفاظ التي أغضبت القوم برهانا على غيرتي على كرامة الجيش وحبي لأصلاحه . أما أنا فأعرف ماضي الجيش ومجده . . أما أنا فأعرف للجيش قدره وخطره . . أما أنا فأعرف ان الجيش رمز عز الدولة ومجدها .. ورأيت أن القائمين بأمره قد أغفلوا أمره متعمدين فثارت نفسي وهاجت هؤلاء الذين يؤخرون الجيش وماطلت ذلك الاغبرة على الجيش .. رأيت العساكر تشترى الخضار ، وتحمل الأطفال ، وتسمع بأذنها الأهانات فثارت نفسى لكرامة الجيش فكتبت أندد بذلك .

صدقوني يا حضرات المستشارين : أنني أنا الذى أعظم الجيش ، وهم الذين يسيئون اليه وهم الذين يهينونه بأظهاره ممسوخا حقيراً لا يساوي شروى نقير .

أما وزير الحربية فليس بيني وبينه ترة .. لست من حزب سياسي يعادي وزير الحربية

ويرى فيه متعصبا لحق من حقوقه فيحقد عليه .. لا ياحضرات المستشارين ، فالجميع يعرفون أن مصر الفتاة جمعية قومية تعمل من أجل مصر .. وتفنى من أجل مصر .. دون أن تعادى مصريا واحدا ، ودون أن تكره مصريا واحدا .. انى أدعو أخوانى أن يحب بعضهم بعضا ، أدعوهم أن يحبوا أعداءهم ، وأن يسامحوا من يسيئون اليهم ، ووزير الحربية مصري ، مصرى محترم ، وفوق ذلك كان أستاذا لى فى كلية الحقوق ولا أحفظ عنه الا كل ما هو حسن . فمن ناحية المبدأ لا أحمل له الا كل حب ، ومن ناحية الشخصية لا أحمل له الا كل احترام .. وليس هــذا تملقا أو فزعا . لا ياحضرات المستشارين . ستعرفون فى نهاية دفاعى من أنا ، وهل أعرف الفزع أو الخوف أو الملق ؟ ولكنى أقوله لأنه الحق .

ما من قصد جنائي اذن ياحضرات المستشارين . ما كنت أعرف أننى بهذه الألفاظ أهين الجيش لأنه لم تكن فى نيتى اهانة الجيش مطلقا ، وانما كانت رغبتى الأصلاح ، والأصلاح المطلق .. دعونى أجهر من هــذا المكان المقدس بأن الجيش فى حاجة الى الأصلاح ، وأن وزارة الحربية ان لم تبادر بهذه الأصلاح فهى جد مقصرة . دعونى اجهر من فوق هذا المنبر اننا بغير جيش لا نساوى مليما واحداً ولا نستطيع رفع رءوسنا . فى مصر احتلال يكبلنا . فى مصر اعداء يرغبون التهامنا . فى مصر جوهرة لامعة . مصر مركز العالم ونقطة الارتكاز فيه . مصر مطمع الغاصبين والفاتحين . فيجب على الأقل أن نعرف كيف ندافع عن انفسنا ، ونريد جيشاً يستطيع هذا الدفاع ، وجيشنا الحاضر غير صالح لهذه المهمة مطلقا !! .

لقد ضعفت اخلاق المصريين ياحضرات المستشارين ، امتلأوا جبنا ويأسا . لقدضاعت من نفوسهم كل معانى الشرف والرجولة والكفاح ، لقد نسـوا واجبهم نحو وطنهم ، واندفعوا كلهم نحو المغانم الشخصية ، وثحوا انتهاب الملذات ، وليس غير العسكرية والروح العسكرية من يستطع انقاذ هذا الشعب المجيد ، وما العسكرية الا الجيش ، فاذا ماألقينا نظرة على هذا الجيش راعنا ما فيه من ضعف وتأخر ، فا الذى يفعله المخلص الذى يريد الأصلاح ؟ أيرى الضعف ويغض النظر عنه ؟ أيرى الثغرات فى البناء القوى ولا يتحدث عنها بل يطلب منه ان يكون بوقا للتمويه والتعمية ؟ أيطلب من صاحب الفكرة المجاهد اذا راى بأبا للأصلاح ألا يدخله ؟ان فى ذلك اهانة للجيش ، احكموا فى هذه القضية ياحضرات المستشارين لأن قضية اليـوم ليست الا حول هذا المبدأ .

ما أردت ان أهين احدا ، ولكنى رغبت فى ان اتحدث عن الأصلاح ، ما احتقرت مخلوقا ولكنى مجدت الجميع ، فهل يكفى هذا لتكوين جريمة ؟ هذا هو السؤال .

والآن فلنلخص كل دفاعنا المتقدم قبل أن أنتقل الى التطبيق القانونى وهذا التلخيص ينحصر فى ثلاث نقط .

الأولى — ان الألفاظ المستعملة ليست سبا ، ولكنها كلمات وصفية لوقائع أقمنا الدليل عليها .

الثانية — اننا ساعة كتبنا هذه الألفاظ لم نكن نرى فيها اهانة ، ولذلك مضينا فى كتابتها .

الثالثة — اننا لم نقصد من كتابتنا هذه اهانة مطلقاً ، ولكن قصدنا اصلاحا للجيش وانخراطنا فى سلكه .

التطبيق القانونى

ملاحظاتى على التطبيق القانونى هى ما يأتى : —

ان النيابة تطلب بمقتضى المادة ١٦٦ مكررة اعتبار رئيس التحرير مسئولا كمسئوليته عن نشر هذا الخطاب ، والواقع أن أحمد افندى الشيمى غير مسئول مطلقاً . قد ترى المحكمة أن لا أتعرض لهذه النقطة وأن أتركها للدفاع عن أحمد أفندى الشيمى ، ولكنى فى صدد الدفاع عن نفسى ليس فقط أمامكم ولكن أمام الله ، والدفاع عن نفسى يشمل تبرئة أحمد افندى الشيمى ، ذلك أن المادة المطلوب تطبيقها تنص على ما يأتى : —

« ومع ذلك يعفى من المسئولية الجنائية رئيس التحرير .

١ — اذا ثبت أن النشر حصل بدون علمه وقدم من مبدء بدء فى التحقيق كل ما لديه من المعلومات والأوراق المساعدة على معرفة المسئول عما نشر

٢ — اذا أرشد فى أثناء التحقيق عن مرتكب الجريمة وقدم كل ما لديه من المعلومات والأوراق لاثبات مسئوليته وأثبت فوق ذلك أنه لو لم يقم بالنشر لعرض نفسه لخسارة وظيفته فى الجريدة أو لضرر جسيم »

وهذان النصان يجعلان أحمد الشيمى بريئاً كل البراءة ، ويجعلان من واجبي أن أذكر لحضراتكم بعض الحقائق ، فجلة (الصرخة) هي لسان حال جمية (مصر الفتاة) ، تسود فيها الروح العسكرية ، وروح النظام والطاعة ، وأحمد الشيمي ليس الا عضوا من أعضاء هذه الجمية ، وقد طلب منه أن يكون رئيسا للتحرير فكان لأنه لا يستطيع الا أن ينفذ . وفى النهاية أنا المسئول عن كل شيء فى المجلة ، وأنا الذى أعد المواد وانتخبها ، ورئيس التحرير لا يمكن أن يعارض لأنى رئيسه ولأنه يجب أن لا يعترض.

فن ناحية ، الخطاب معنون باسمى ولم يخف رئيس التحرير عن النيابة شيئا ، فهى قد اعتقلتنى أولا وعرفت منى انى كاتب الخطاب وأنا مرسله الى وزير الحربية ، فعلى حسب البند الأول من المادة ترون أحمد الشيمى قد انتفت عنه المسئولية لأن المسئول عن

النشر قد اعترف بذلك وتقدم ، وبحسب البند الثاني يعفي من المسئولية أيضا لانه لو لم يقم بالنشر لعرض نفسه لخسارة وظيفته في الجريدة ، فبصفتي رئيس الجمعية ما كنت أسمح له أن يبدل حرفا مما أكتب ، أو أن يمتنع عن نشره ، ومع ذلك هو لا يطلع على المواد قبل نشرها ، وأنا وحدي المسئول عن كل ما نشر بالجريدة .

وفي المادتين ١٦٧ ، ١٨٤ تطلب منكم النيابة ان تأمروا بالغاء الجريدة أو تعطيلها لمدة سنة ، وانى أترك للمحكمة تقدير ما اذا كانت هذه الصحيفة التي لا تحوى كلمة واحدة ماجنة ، ولا تحوى كلمة واحده غير خالصة لله والوطن ، أترك للمحكمة تقدير ما اذا كان المجتمع المصري في حاجة الى هذه الجريدة التي تعبر عن جماعة مخلصة متفانية في خدمة مصر أم لا ؟ أجل لست أريد أن أطيل في هذه النقطة ، وليسامح الله النيابة لطلبها هذا الطلب

وقبل أن نختتم هذا الدفاع يا حضرات المستشارين ، يسعدني أن اقول لكم ان هذه المقالة لم تكن عبثا ، او لم تكن صرخة في واد ، بل انها انتجت النتائج المطلوبة منها الى حد كبير ، وما ذلك الا لأنها صرخة حق . فمن جهة تحركت وزارة الحربية أخيرا ، وأعلنت انها ستتقدم للبرلمان قانون القرعة الجديد الذي ينقص الخدمة العسكرية الى ثلاث سنوات ، ولا شك انه اذا ما قدم هذا القانون ووافق عليه البرلمان فان ذلك يكون خطوة نحو الأصلاح تشكر عليها وزارة الحربيـــة :

على أن أكبر أثر للمقالة ان بدأت الصحف تهتم بالجيش وبانتقاد الجيش وبحث القائمين بأمره على الأصلاح ، وترديد اقتراحات الصرخة ، فالبلاغ وعددها الصادر في ٣١ مارس سنة ١٩٣٤ نشرت افتتاحية تحت عنوان « الخدمة العسكرية ، ووجوب الغاء البدل وتقصير الخدمة » وقد اقترحت في المقال انقاص الخدمة الى مدة سنة كما اقترحنا ، ونددت بالجيش وحاجته الى الأصلاح فقالت : يجب أن نخفض مدة الخدمة العســكرية الى مدة سنة ولهذا التقصير فائدته ومزيته ، الى أن قالت : ومع انتشار الخدمة العسكرية وشمولها جميع الطبقات يرتفع مستوى الجيش المعنوى ، ولا يبقى محصورا في طبقته الحالية ، ويتقي الاستنكاف من الدخول فيه ، ويتغير نظر الطبقات المستنيرة الى حياته ومنزلة المرء فيه وتثبت له الكرامة ، ويتوفر للجندي الاحترام الاجتماعي الذي ينقصه الآن مع الأسف ، ولا يعود دخول الجيش والانتظام فيه مدعاة للحزن والألم ، وموجبا للندب والعويل ، وباعثا على الاحساس بوقوع المصاب ، وحصول نـكبة . وغير البـلاغ كتبت جرائد اخرى في الموضوع ، كمجلة المصور ، وغدا عندما تعرض ميزانية وزارة الحربية على البرلمان ستتردد رغبات الاصلاح وســوف ترون ما سيوجه الى الجيش من انتقاد مر لاذع ، ودعوة صارخة الى الأصلاح

واذن فان غايتنا من كتابة المقالة قد تمت وهى الفات النظر الى الجيش وحاجته للاصلاح بل هذه القضية بالذات وحكمكم فيها ليس الا دعوة صارخة للحكومة والأمة الى الالتفات للجيش واصلاحه رغم انف الجميع .

كلمة ختامية

وبعد ، ياحضرات المستشارين ، فلقد قدمت لكم كل الدفاع الماضي لا لأني أريد أن أدافع عن نفسي، ولكن لكي أريح ضمائركم ، ولكي يكون هناك دفاع قيل، فتستطيعون ان تصدروا حكمكم أياكان وأنتم مطمئنون ، مرتاحو الضمير . ولقد تعودتم أن يقف أمامكم المتهم طالبا الرحمة ، وطالبا البراءة حرصاً على نفسه وضنا بها وبحريته أن تهدر في السجن ، أما أنا فاني أطلب البراءة فعلاً في مقدمة طلباتي ، لاضنا بنفسي ، ولا رغبة في الحرية ، ولكن حبا للعدالة وتقديسا لها . انى أعرف أنى لم أرتكب وزرا من الأوزار . انى أعرف نفسي مخلصا الى أبعد حدود الاخلاص قت بواجبي نحو مصر . أعرف أنى أعمل كل يوم لتقريب هذه الساعة التي يستيقظ فيها الشباب وتعود الروح الى المصريين ، وأعرف انى لا أستحق مطلقا أن يقال عنى أنى مجرم !. أجل ياحضرات المستشارين ان ، العدالة المطلقة تجعلني حريصاً على طلب البراءة ، لا لنفسي ولكن من أجلها ، أما بعد ذلك فلكم أن تحكموا على بالحبس وانتم هادئون ، انكم ستقدمون لى خدمة عظيمة !. لكم ان تطمئنوا انكم تستطيعون أن ترسلوا بي الى السجن، وانا أباركـكم وأحبكم لأنكم بهذا تحققون رغبة من رغباتى . انني اجاهد كجندى من جنود الله لتخليص مصر ، انني أجاهد وكل رغبتي أن أموت مجاهدا ، وليس السجن الاخطوة من خطوات الجهاد ، فاذا ما أحتموه لى فأنتم جديرون بشكري . انى أدعو الناس للتضحية ، فان لم أكن فى مقدمة المضحين فلا فائدة في كلامى ، وما رأيكم انى لا أرى حتى فى السجن تضحية !. وما بقى الأنسان حيا فهو بعد لم يضح بشيء .

احكموا بالبراءة اذن ، أو ارسلوني الى الحبس وأنتم مطمئنون ، ولكن لاتحكموا بالغرامة لأني فقير ، ولست أملكها ، أولست أريد أن يدفعها لى شخص من الأشخاص واذا حكمتم بالحبس فلا تحكموا به مع ايقاف التنفيذ ، لأن هذا سيسبب لى ألما كبيراً . لاتحكموا على بالغرامة ، ولا بالحبس مع وقف التنفيذ ، ولكن احكموا اما بالبراءة أو بالحبس ..

ياحضرات المستشارين ، أختم كلامي وأنا مطمئن الي أن الله سينزل حكمه الذى يريده على ألسنتكم ، وأنا مطمئن الى أن حكمكم سيكون له أعظم الأثر فى تطور الفكرة التي أدعو اليها . وسواء كان بالبراءة أو الأدانة ، فسيخطو بفكرة مصر الفتاة الى الأمام أصدروا حكمكم اذن ، والله يرعاكم . أصدروا حكمكم ، وأنا منذ الآن سعيد به أياكان بل لعل سعادتى ستكون مضاعفة اذا كان حبساً . .

اصدروا حكمكم ، ودعونى أهتف من أعماق قلبي :

الله أكبر والمجد لمصر

١٩٣٤ — ٤ — ١٧

الحكم

وقد نطقت المحكمة المشكلة برئاسة نجيب بك سالم عقب هذه المرافعة بحكمها وهو يقضى بتغريم كل من الأستاذين احمد حسين واحمد الشيمى ٢٥ جنيها غرامة لكل منهما — وقد رفض الاستاذ احمد حسين أن يدفع الغرامة وعلى ذلك فقد قبض عليه وأودع السجن ثم رأى بعد ذلك أن مصلحة الجمعية فى أن يغادر السجن فدفعت الغرامة وغادر السجن بعد حبس دام أسبوعين .



الكفاح

— ٨ —

لانستطيع أن نصف الأحداث التي توالت بعد ذلك على جهاد مصر الفتاة طوال عام ١٩٣٤ ، إلا أنها كفاح شاق متواصل ، متسم بالأيمان والصدق ، فالحركة في اضطهاد دائم ، دارها مراقبة ومحاصرة ، وجريدتها مصادرة من حين لآخر ، وكتابها يحقق معهم بالليل والنهار ، وليس هناك ما يصور للقارىء حقيقة ما كانت تعانيه مصر الفتاة فى هذه الأيام أكثر من أن تثبت هذه اللوحة التى نشرتها جريدة الصرخة في العدد الصادر بتاريخ ٢ يونيو سنة ١٩٣٤ عن كفاحها فى ستة أشهر .

فى يوم ١٣ نوفبر — ألقت النيابة القبض على الأساتذة أحمد حسين ، وفتحى رضوان . وحافظ محمود . وفتشت منازلهم وأودعتهم السـجن فمكثوا به ثلاثة وعشرين يوما .

فى يوم ٢٩ يناير — ألقت النيابة القبض على الأستاذين أحمد حسين ، وأحمد الشيمى ، وأودعتهما سجن الأستئناف لمدة خمسة وعشرين يوما .

فى يوم ١٢ فبراير — ألقت النيابة القبض على الأستاذين حافظ محمود ، ومحمود حجاج ، وأودعتهما سجن الأستئناف على ذمة الحبس الاحتياطى فمكثوا به ١٤ يوما .

فى يوم ٢ مايو — صادر البوليس ملحقا لجريدة الصرخة خاصا بالامتيازات

فى يوم ٥ مايو — صادر البوليس عددى الصرخة رقم ٢٩ ، ٣٠

في يوم ٦ مايو — صدر الحكم بالغرامة على الأستاذين أحمد حسين ، وأحمد الشيمى ، بخمسة وعشرين جنيها لكل منهما ، ونظرا لعدم توفر هذا المبلغ فقد أودعا السجن لينفذ عليهما .

فى يوم ١٠ مايو — صادر البوليس الصرخة وهى لا تزال تحت الطبع واستدعى الأستاذ أحمد الشيمى للتحقيق معه .

وهناك قضية منظورة أمام محكمة الجنايات وستعرض فى الأيام المقبلة.
هذا إلى محاضر تحقيق لا تزال مفتوحة ، يزيد عددها على الأربعة ، ولا تزال الصرخة تصدر بانتظام .

ذلك أن القائمين بها يؤمنون بالله .

وما كان الله ليتخلى عن قوم يجاهدون فى سبيله ، وفى سبيل الحق .



هذه صورة مما كانت تعانيه مصر الفتاة ، ومع ذلك فقد كانت تنطلق فى كل ميدان ، وتعمل فى كل ميدان ، وتكافح فى كل ميدان ، باذرة هذه البذور الجديدة من الوطنية العاملة ، محاربة من ران على قلوبهم من المصريين ، باعثة الثقة والأمل فى النفوس بامكان تحرير الوطن وإعادة مجده القديم . ولقد قمت ورؤساء الحزب الآخرين بجولات فى البلاد ، وبدأت فروع مصر الفتاة فى أنحاء القطر تتألف وتتكون . . . وكانت طنطا ، والاسكندرية ، والزقازيق ، والمنصورة ، هى أسرع المناطق استجابة لمصر الفتاة ، وجرت لنا مع البوليس ملاحم فى كل هذه المدن ، وكانت بمثابة وقود لأشعال الحركة التى أخذت كل خطورتها وأهميتها ، وكانت أهم هذه الملاحم على الاطلاق ، ماوقع لى فى الأسكندرية فى العشرين من شهر يونيو ، حيث كان مقرراً أن ألقى محاضرة بدار مصر الفتاة فيها ، فلما هممت بالدخول إلى الدار فى موعد المحاضرة انهال البوليس علينا ضرباً بالعصى . فتفرق الحاضرون ، ولكنى بقيت ثابتاً فى مكانى وإلى جوارى المجاهد حسنى ناجى الشباشرجى ، الذى كان مرافقى فى هذه الرحلة ، فكنا محل عدوان شنيع أثبته الطبيب الشرعى فى تقريره .. حيث كان فى جسدى اثنتا عشرة إصابة ، بعضها على جانب من الخطورة ، وكذلك كان الحال بالنسبة لزميلى ، ومع ذلك . . فقد وجهت لنا تهمة التظاهر ، والتجمهر ، والاعتداء على البوليس ، وقدمنا إلى المحاكمة . . فألقيت فى المحكمة الكلمة التالية :

يا حضرة القاضى :

لقد اعتدى علينا ، لقد نكل بنا ، لقد منعنا من الدخول الى دارنا ، وها نحن نقف أمامكم كمتدين ، وكتظاهرين ، وان كنا نأسف على شيء فهو أسفنا على هذه المأساة الخلقية التي تدهورنا اليها ، والتي تجعل المصرى يقف هكذا خصما للمصرى ، والتي تجعل المصري ينكل هكذا بأخيه المصرى ، مع أنه يعلم ان هذا المصري انما يكافح من أجل حريتهما ، وحرية وطنهما المشترك ، ومن أجل استقلالهما المنشود ، ان هذا المصرى يكافح ليموت كى يكون في موته حياة لغيره ، ويشقى كى يسعد غيره ، ان هـذا المصرى يناضل و سبيل الله .

هذه هي نقطة الأسى فى هذه التضحية ، ولـكنها مع ذلك لا توهن من عزمنا ، لاتدخل الشك الى ايماننا ، ايماننا الثابت . بأن المصريين عما قريب سيـقفون صفاً واحداً ، وكتلة واحدة متحابين ، متآخين ، متكاتفين ، ضد العدو المشترك ، ضد المستعمر الناصب. هذه الحادثة وأمثالها تزيدنا يقيناً واصراراً انه لابد من الأصلاح ، لابدمن اعادة الروح ، وبعث الهمم ، وبعث النفوس التي ركدت .

وأما كلتي الختامية ياحضرة القاضي : فهي أن لا ترهق نفسك بكل المرافعة الماضيه ، ولنصل الى النهاية .. انني وحسني ناجي ، وباقى الزملاء . قد ألفنا مظاهرة ، واعتدينا على البوليس (بالرغم من أننا نحن المعتدى علينا) . ولـكن ، لسنا نشكو مطلقا ، ولسنا نتبرم من شيء ، وتستطيع أن ترسل بنا الى السجن ، وأنت مطلئن ، الى أننا لن نشكو أيضاً ، ولن نحمل لك بعدها الا الاحترام والتقدير ، بل والحب أيضاً .

لقد وقفت مرة أمام محكمة الجنايات وتراءت أمامها ، وفى آخر مرافعتى وجهت كلاما سأوجهه دائما الى قضـاتى الذين يحاكموننى والذين يحكمون على . . الا وهى أننا نجاهد فى وقت قد تحكمت فيه الشهوات، وعزت التضحية ونحن ندعو المصريين والشباب المصرى على الخصوص، التضحية فيجب أن نكون فى مقدمة المضحين، واذن فتستطيعون أن ترسلوا بي الي السجن هادئين مطمئنين انـكم تحققون رغبة من رغباتى لأنى أعتـقد أن المكان الطبيعي لشاب حر فى أمة مضطهدة هو السجن ..

ففى السجن أجد الحرية المنشودة ، وفى السجن وبين جدرانه الأربعة أطالع النور ، نور الله فى كتابه ، وفى السجن أستطيع أن أكون هادئا مطمئنا اذ أكون قد أديت واجبي نحو مصر .

أرسل حكمك اذن ياحضرة القاضى والله يوفقك لما فيه الخير والسداد ، والله يوفقنا لما فيه خير مصر ، ولـكننى لاأستطيع أن أنهى الحديث قبل أن أرجوك من كل قلبي اذا رأيت الأدانة ثابتة ، أن تعتبرني أنا المسئول الوحيد وأن تنزل على أنا وحدى أقصى ماتستطيع أن تنزله من عقاب وأن تخفف عن الباقين ، والمجد لمصر .

الحكم

وقد صدر الحكم ، وهو يقضى بادانتى بتهمة التظاهر وتبرئتى من تهمة الأعتداء والحكم على بغرامة مقدارها عشرة جنيهات وادانة زميلي حسنى ناجى بتهمة التظاهر والاعتداء والحكم عليه بغرامة قدرها ١٢ جنيها. على أن هذا الحكم لم يلبث أن عدل فى الاستئناف حيث قضت المحكمة بالبراءة من جميع التهم .

محاربة الامتيازات الاجنبية

كان الشغل الشاغل لنشـاط مصر الفتاة وأعضائها فى العام الأول من تأليفها . هو محاربة الامتيازات الأجنبية التى كانت تنوء تحتها البلاد ، ولم تجـد الامتيازات الأجنبية من حاربها فى مصر كما حاربتها مصر الفتاة ، وستحظى مصر الفتاة دائماً إذا مافتح سفر الجهاد القومى بالنصيب الأكبر ، ان لم يكن النصيب الأوحد فى محاربة الامتيازات فى غير هوادة أولين .

فالزعيم مصطفى كامل باعث الوطنية فى مصر ، كان لا يتعرض للامتيازات الاجنبية ، بل كان ينتفع بها في محاربة الانجليز ، وكانت خطته أن يجامل الاجانب فى مصر ، ليشـــدوا أزر الوطنية المصرية ، حتى لقد أثرت عنه الكلمة المشهورة (أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا) وقد ظلت هذه الروح مسيطرة على الوطنية المصرية ، فلم تلق الامتيازات الأجنبية فى مصر كيدا حقيقيا . حتى ثورة سنة ١٩١٩ نفسها ، لم تستطع أن تنال من الامتيازات الأجنبيـــة ، وان كانت المفاوضات بين مصر وانجلترا بدأت تشير إلى وجوب وضع حد لهذه الامتيازات الأجنبية .

وقد جرت لى مناقشات حادة مع مصطفى باشا النحاس حول موضوع الامتيازات ، وقد كان ذلك سبباً من أهم أسباب اختلافنا فى الرأى ، فقد كان يتمسك بوجوب الأبقاء على الامتيازات الاجنبية ، إلى أن تحل القضية المصرية مع الانجليز ، وكنت اعارضه فى ذلك أشد المعارضة . ولكنه لم

يوافقنى على وجهة نظري ، ومع ذلك فقد جاء الوقت الذي ترأس فيه النحاس باشا المؤتمر الذى عقد فى سنة ١٩٣٧ لألغاء الامتيازات الأجنبية ، وتحديد أجل لانتهاء المحاكم المختلطة!.. فاذا ذكرت الامتيازات الأجنبية ، وذكر تاريخها في مصر ، فان كفاح مصر الفتاة ضدها يجب أن يسجل بأحرف من نور ، وهاهى أعداد الصرخـة فى سنواتها الأولى ، وليس لها قضية تحاربها بأعنف مما حاربت به هذه القضية .

وقد أخذ هذا الكفاح مظهره الرائع فى ٧ مايو سنة ١٩٣٤ ، حيث دعت مصر الفتاة الأمة المصرية ، الى تنظيم مظاهرة فى ذلك اليوم لأعلان سخطها على الامتيازات ، ولكن الحكومة حالت دون قيام المظاهرة ، بما اتخذته من اجراءات عنيفة ، وصادرت عددا ممتازا أصدرته مصر الفتاة فى ذلك اليوم خاصا بالامتيازات . وسيبقى هذا العدد إلى الأبد درة فى جبين مصر الفتاة ، وهو يضم أقوال كل عظماء مصر الذين حصلت منهم مصر الفتاة على تصريحاتهم ضد الامتيازات ، بل إن فيه تصريحاً من وزير اليونان المفوض أعطاه لمندوب الصرخة يعلن فيه استعداد حكومته للتنازل عن الامتيازات متى وافقت الدول الأخري على ذلك .

وقد استخدمت مصر الفتاة سلاح المقاطعة ضد الأجانب للضغط عليهم ، وحملهم على التنازل عن الامتيازات الأجنبية إذا رغبوا في صداقة المصريين ، وحدث أن وفد على مصر فى ذلك الوقت سـيرك ألمانى للألعاب البهلوانية ، يسمى « سيرك هاجنبك » وهو سيرك عالمى ، تطلع جميع المصريين لمشاهدة ألعابه ، فدعت مصر الفتاة إلى وجوب مقاطعته كبضاعة أجنبية ، وتطوع الشبان للوقوف أمام السيرك والحيلولة بين المصريين وبين الدخول ، وعبثاً كان البوليس يقبض عليهم ، ويزج بهم فى السجن ، فقد كان متطوعون آخرون يقومون بنفس العمل ، فكان لذلك رجة كبيرة فى أنحاء البلاد ..

ومن عجب ، أن النحاس باشا فى ذلك الوقت ، كان يتحدي مصر الفتاة في هذه الناحية ، فاذا دعت إلى مقاطعة السينمات الأجنبية وعلى رأسها سينما

رويال ، بادر بزيارتها ، وإذا دعت لمقاطعة هذا السيرك ، بادر بزيارته ، وذلك تمشيا مع فكرته في عدم مضايقة الأجانب . ومع ذلك ، فقد نجحت حركة المقاطعة نجاحا منقطع النظير ، وبدأ كل أجنبي يحس وطأة المقاطعة المصرية ، والكراهية المصرية ، عقاباً لهم على التمسك بهذه الامتيازات اللعينة .

وكانت دعوة مصر الفتاة تقوم على وجوب إلغاء هذه الامتيازات بجرة قلم ، وبأعلان من جانب الحكومة المصرية يبلغ للدول . ولكن الامتيازات لم تلغ إلا في مؤتمر دولي كما قدمنا ، ولا تزال بعض ذيولها قائمة في مصر في شكل هذه المحاكم المختلطة التي حدد لإلغائها سنة ١٩٤٩ ، ولن يهدأ لمصر الفتاة بال ، حتى تمحو كل أثر لهذه الوصمة الشنيعة في تاريخ مصر



أربعة أيام فى ايطاليا

— ٩ —

وفي ذلك الوقت ، كان طلعت باشا حرب زعيم النهضة الاقتصادية فى مصر ، قد أسس شركة مصر للملاحة ، لأنشاء خط ملاحى بين مصر وأوربا ومختلف أنحاء العالم ، وكانت النيل ، هى أولى سفن هذه الشركة فدعيت كصحفى للقيام برحلة على ظهرها ذهابا وإيابا ، من الاسكندرية إلى مارسيليا ، فكانت فرصة ذهبية سعيدة ، رأيت أن أنتهزها لزيارة إيطاليا زيارة سريعة ، فقد كانت النيل ترسو على ميناء نابولي الأيطالى ، ثم تستأنف سيرها بعد ذلك إلى مرسيليا ، وتمر من جديد على ميناء نابولى فى عودتها إلى الاسـكندرية ، وكانت تستغرق أربعة أيام بين وصولها إلى نابولى وعودتها اليها ، وهذه الأربعة الأيام هى التي انتهزتها لألقاء نظرة سريعة على إيطاليا الفاشستية ، إيطاليا موسولينى الحالم يبعث الامبراطورية الرومانية! فلم تكد النيل ترسو على ميناء نابولى ، حتى أسرعت بالهبوط من السفينة ، وجلت جولة سريعة فى المدينة ، ثم أخذت القطار إلى روما فوصلتها وعشت فيها بعض الوقت ، فرأيت من أمر إيطاليا ما أثبتته الحوادث والتجارب بعد عشر سـنوات من هذا التاريخ ، على الرغم من إقامتى القصيرة جدا ، وبينما كان العالم يتحدث عن عظمة إيطاليا ، رحت أتحدث بعد عودتى إلى مصر عن ضآلتها . وبينما كان العالم يرتجف رعبا من سخط إيطاليا الموسولينية تحديتها ووقفت فى وجهها بعد عودتى إلى القاهرة . فكتبت سلسلة من المقالات تحت عنوان « أربعة أيام فى نابولى وروما — أو لقد خيبت إيطاليا حسن ظنى بها » وقد صورت فى هذه المقالات ما رأيت من طبيعة الشعب الايطالى ، وحللت مشاهداتى والحوادث التي وقعت لى ، وخرجت من التحليل بالنتيجة الآتية التى نشرتها جريدة الصرخة . . لقد لمست روح الشعب الايطالى ، وتبين لى أن كل ما يقال عن إيطاليا اليوم ، ليس إلا

ضجيجا من قبيل الدعاية الواسعة النطاق ، وأن الشعب الايطالى متخلف وقدرته محدودة ، وأن النظام الفاشستي بأسره يتلخص فى موسولينى ، فاذا مامات موسولينى مات معه هذا النظام ، وعادت إيطاليا إلى مركزها قبل الحرب ، أمة هزيلة ضعيفة (١) وأحسب أن ليس هنـاك ما يمكن أن أعتز به الآن ، وقد انهارت إيطاليا بانهيار موسولينى ، أكثر من أسجل الآن فقرة من مقالى الأول عن رحلتى إلى إيطاليا ، وكيف صدقت الأيام والحوادث كل ما قلته عنها بالحرف الواحد .

أربعة أيام فى نابولى وفى روما

أو

لقد خيبت ايطاليا حسن ظنى

وهل فى العالم اليوم من لم يسمع باسم ايطاليا الجديدة . ايطاليا الفاشستية . ايطاليا موسولينى . ايطاليا ذات الأساطيل فى الهواء والماء والجيوش فى البر ، هل فى العـالم شخص لم يتطلع الى هذه الدولة التى نهضت من العدم لتلعب دوراً خطيراً فى تاريخ أوربا الحديثة ، ونحن هنا في مصر ، أو لم نحس بخطر هذه الدولة الجـديدة ، أو لانسمع أنات اخواننا فى طرابلس ، ومايتصب عليهم كل يوم من الويلات والآثام ، أولا توزع تركتنا ولا تزال أحياء ، فبالأمس قدمنا جغبوب ، واليوم قدمنا مايبلغ مسـاحته ربع مساحة مصر ، فى السودان . وغدا من يدري ماالذى ندفعه أيضـاً اذا بقينا تحت هذا النير الانجليزي ، واذا بق هؤلاء السادة الأمجاد من الوزراء والحـكام بهذا الضعف ، وهذا الخنوع ، وهذا الرق ، المنصب وعجل الذهب ، هذه الدولة ايطاليا التي عبأت جيوشها منذ أيام وأرسلتها الى الحدود النمساوية لمحاربة ألمانيا اذا لزم الأمر ، هذه الدولة التى خيل للناس أن هتلر يحتذيها وينسـج على منوالها ، وأخيرا هذه الدولة التى فتحت مصراعيها للوافدين الأجانب ، تنقلهم على سفنها مجانا ، وتستضيفهم مجانا ، ليروا بأعينهم عظمة الفاشست ، وعظمة ايطاليا صاحبة المجد الرومانى :

هذه هى ايطاليا التى نكرهها لما تنتويه لنا من شر ، هذه هى ايطاليا التى كنت فى شغف لرؤيتها لألمس كل هذه العظمة ، ولأرى هذا الشعب العجيب ، الذى طفر هذه الطفرة ،

(١) الصرخة العدد الصادر فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٣٤ مقال « نذير مصر الفتاة فى روما »

والذي يتحكم بمستعمراته هذا التحكم ، والذي يهدد استقلالنا هذا التهـديد ، فانتهزت الفرصة وطرت اليها فوق متن النيل السعيد ، ولولا هذا لما ذهبت ، فيا نعمى هذا النيل الذي أجراه لنا بنك مصر في البحر ، ويانعمى هذا المجد الجديد الذي يشرق فيفيء لنا هذه الظلمات .

ذهبت الى ايطاليا ، وعدت منها ، وقضيت فيها أربعة أيام ، ماجاء اليوم الرابع منها حتى كنت قد سئمت كل ماحولي ، حتى كنت قد فرغت منها وعرفت أولها وآخرها ، حتى عرفت أن في المسألة طبلا كثيراً ، وأن ايطاليا قد خيبت حسن ظني . وأن ايطاليا قد ملأتني ثقة على ثقة ، وايمانا على ايمان أننا في مصر نستطيع أن نفعل العجائب ، نستطيع أن نسخر من كل هذه الشعوب يوم أن تتوفر لنا الأرادة ، ويلي الحكم لدينا حكومات رشيدة ، يوم أن يتسيطر الايمان والعزم على أعمالنا ، يوم أن يتولى الشباب مقاليد الحكم والأدارة ، أجل في هذه الساعة نستطيع أن نعمل كثيراً ، نستطيع أن نتقدم الى الأمام ، نستطيع أن نسابق هذه الدولة الصغيرة (ايطاليا) نستطيع أن نتبوأ مركزنا القديم معلمين للأنسانية وزعماء للشرق .. الى آخر ماجاء في المقالة (١)

وكانت هذه هي مقدمة المقالات التي توالت بعد ذلك عن ايطاليا . وقد قامت الدنيا وقعدت لهذه المقالات ، وأعني بالدنيا ، دنيا الفاشست الطليان ، الذين طلبوا من الحكومة المصرية ، أن تحقق معي وتوقفني عند حدي ، وبادرت الحكومة المصرية الى تلبية رغبة موسوليني ، فشرعت النيابة تحقق معي ، وهي نهاية التحقيق ، وجهت الى تهمة التحريض على كراهية ايطاليا ، وتحقيرها والأزدراء بها ، ولعل تاريخ القضاء المصري ، لم يظفر بقضية من هذا النوع ، من حيث موضوعها ، وما انتهت اليه ، وتقلبات القدر التي تمت بين رفع الدعوى والفصل فيها ، فقد رفعت هذه الدعوي علي في سنة ١٩٣٤ ، ولم يفصل فيها الا منذ أيام قلائل في ١١ مارس سنة ١٩٤٦ ، أي بعد اثنتي عشرة سنة كاملة من تاريخ رفعها . ولقد سقطت ايطاليا في خلال هذه المدة ، ولقيت من سخرية الدنيا كلها ، مالم تلقه أمة من الأمم في أي عصر من عصور التـاريخ ، وقتل موسوليني أشنع قتلة يمكن أن يقتلها رجل عظيم ، وجاء الوقت الذي كان قضـاة محكمة الجنايات يحجلون من نظر هذه القضية ، فيؤجلونها من عام الى آخر ، حتى اذا كانت هذه الجلسة الأخيرة قضت المحكمة ببراءتي من هذه التهمة اسـتناداً على سقوط الدعوى بمضي المدة ، ولم يفتني أن أسجل في المحكمة وهي تقضي لي بالبراءة ، كيف أن ماأحاكم عليه في يوم من الأيام لا يلبث أن يصبح فضيلة لدى كل الناس ، وأن مجاهداً في مصر لم يضطهد كما اضطهدت ظلماً وعدوانا ، حيث لاذنب لي الاحبي لمصر ، وذودي عن حريتها ، وتكريس حياتي لبعث مجدها ونهضتها .

(١) راجع هذه السلسلة من المقالات في الصرخة شهر أغسطس سنة ١٩٣٤

حكومة نسيم باشا

— ١٠ —

كان نشاط مصر الفتاة كما رأينا حتى الآن يعنى كل العناية بالمسائل القومية ، فلم يحاول أن يشترك في المعارك الحزبية والمنازعات حول الحكم ، ولم يحاول أن يهاجم الوزارة القائمة فى الحكم وقتئذ ، وهى حكومة عبد الفتاح باشا يحيى ، باعتبارها حكومة تمثل حزبا من الأحزاب ، أو اتجاها من الاتجاهات ، على الرغم من اضطهاد الحكومة المتواصل لمصر الفتاة ، وذلك كله إيمانا منا أن ليس هناك ما يطرب له الغاصب الأجنبى أكثر من أن يرى بأسنا بيننا شديداً ، فحرصنا على أن يكون كفاحنا كله لله والوطن ، ولكن الحوادث تطورت فى مصر تطوراً حاداً ، جعلتنا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نقف بمنأى عن هذه الحوادث ، كما أن الاضطهاد الذى كان يلاحق مصر الفتاة ، تحول إلى اضطهاد مميت خانق ، كان يصادر البوليس جميع أعداد الصرخة على التوالى ، أو أن يصادرها وهى في المطبعة ، ولم يكن باستطاعتنا أن نحتمل هذه الخسارة المالية الفادحة ، فبدأنا نفكر فى التوقف بعد أن كنا اقتصرنا على اصدار الصرخة في ثمانية صفحات بدلا من ست عشر ، ثم اصدارها فى أربع صفحات بدلا من ثمانية .. ورحنا نكتب فيها من باب السخرية والتهكم على هذه الحالة ، مقالات عن البصل وفوائد النوم عقب الغذاء ، ونعقد مقارنات بين شهيرات الممثلات فى العالم ، ومع ذلك فلم تكن الصرخة تسلم من المصادرة في داخل المطبعة بالرغم من ذلك كله ، بحيث كدنا نكف نهائياً عن إصدار الصرخة حتى يقضى الله أمراً كان مقضياً .

ومن ناحية أخرى ، كانت مصر كلها تعانى من تخبط الوزارة مثل الذى تعانيه مصر الفتاة ، بل إن جلالة الملك احمد فؤاد بدأ يشعر بعجز

الوزارة عن حماية مظاهر استقلال مصر ، حيث راح الأنجليز يتدخلون في كل شيء ، ويدسون أنفهم في كل شيء ، وأوفدوا الى مصر انجليزى وقحيدعى « بترسون » راح يستعرض قوات البوليس المصرى ، ويفتش عنها ، ويزور بعض المديريات ، ويحل ضيفا على بعض الأعيان ، كما كان يفعل المعتمد البريطانى فى قديم الزمان ، ولم يقف أمر « بترسون » عند هذا الحد ، بل شرع يتدخل في شئون القصر الملكى الداخلية ، فيعترض على وجود هذا الموظف أو ذاك ، ويشير على جلالة الملك بأشخاص الأطباء الذين يجب أن يتولوا معالجته . ولم يكن بقدرة الانجليز أن يجترئوا هذا الاجتراء ، لولا هذا الخلاف المشتجر بين القصر وبين الوفد الذى كان يمثل الأغلبية فى البلاد ، وكان قد انقضى أكثر من أربع سنوات على التجربة التي قام بها الملك فؤاد لمحاولة الأضعاف من نفوذ الوفد فى البلاد بمعاونة صدقى باشا الذى اصطنع دستوراً جديداً ، وقد سقط صدقى باشا بعد أن اضطهد البلاد وأسرف في اضطهادها ، وأقر الهدوء والسكينة والنظام فيها ، ولكن بثمن باهظ جداً من القضاء على كل حرية وعلى كل خلق وكل فضيلة . ومع ذلك فقد جاء الوقت الذى رأى فيه جلالة الملك أن استمرار صدقى باشا أصبح يضر أكثر مما ينفع ، فأسقطه ، وجاء بوزارة عبد الفتاح باشا يحيى التى كان يطلق عليها وزارة القصر . ولكن عبد الفتاح باشا يحيى لم يستطع فى الوقت المناسب أن يدفع عدوان الأنجليز على القصر ، لأن الشعب كان قد امتلأ مقتاً وحقداً على الحكومة ، وعلى برلمانها ، ودستورها الذى اشتهرباسم دستور سنة ١٩٣٠

وهنا لم يسع مصر الفتاة إلا أن تتقدم لجلالة الملك برسالة طالبت فيها بوجوب إسقاط وزارة عبد الفتاح باشا يحيى والغاء الدستور الجديد ، والعودة بالبلاد الى الحياة الدستورية الصحيحة ، فذلك هو الطريق الوحيد لحماية العرش والبلاد من تدخل الانجليز وعدوانهم . ولم تنقض أيام على رفع هذه الرسالة الى جلالة الملك ، حتى كانت الوزارة الفتاحية قد قدمت

استقالتها بالفعل ، فدل ذلك على أن أول رسالة سياسية رفعتها مصر الفتاة لجلالة الملك ، قد جاءت في وقتها وأصابت الهدف، وترجمت عن حقيقة الحال.

واستدعى جلالة الملك توفيق نسيم باشا لتولى رئاسة الحكومة ، وقد كان نسيم باشا محل رضاء من الوفد ، وتقوم سياسته على وجوب التعاون مع الوفد ، فدل ذلك على أن جلالة الملك فؤاد قد قرر أخيراً أن يضع حداً لانقلاب صدقى باشا ، وأن يعود بالبلاد إلى الوضع الطبيعي . وقد بادر نسيم باشا بمجرد توليه الحكم بإطلاق الحريات العامة ، ورفع القيود والسدود التى كادت تخمد أنفاس الرأى العام ، فجاء ذلك فى الوقت المناسب لمصر الفتاة ، التي كادت جريدتها في ذلك الوقت تتعطل تحت تأثير المصادرة ، والتى جمدت عن كل نشاط أو حركة ، تحت ضغط البوليس ومطاردانه التي بلغت حداً لا يتصور .

وفي ذلك الوقت كان قد أتيح لمصر الفتاة أن تعثر على شقة كبيرة فى ميدان العتبة الخضراء ، اتخذتها داراً لمصر الفتاة ، وكان يتبع هذه الشقة شرفة كبيرة جداً تتسع لبضع مئات من الجمهور ، فاستطعنا فى ظل الحرية الجديدة أن نفتتح هذه الدار بإقامة حفل عام ألقيت فيه خطابا سياسيا عاما سيبقى بالرغم من مئات الخطب التي ألقيت بعده فى عشر سنوات بمثابة حجر الزاوية من هذه الخطب كلها .

خطاب الاستاذ احمد حسين

فى حفلة افتتاح دار مصر الفتاة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أحمد الله أيها السادة ، ان عدنا نتقابل من جديد ، ونتحدث من جديد . أحمد الله الذى قوانا على احتمال المكاره ، ومنحنا الصبر والثبات ، حتى زالت الغمة ، وانقشع الليل ، وأشرق الفجر من جديد ، فجر الحرية والسلام .

حاجة الأمم الى الشدة

وصدقونى أن الأمم فى جهادها أكثر ماتكون حاجة الى الشدة والشدائد ، لأن الشدة هي التى تصهر الضعف وتطهر النفس ، الشدة هى التى تقوى الأيمان وتزكيه وتبعث فى النفس فضائلها ، الشدة أيها السادة هي حجر الاختبار الذى يختبر به معدن من المعادن لتميز بين الغث والنفيس .

ولقد كانت شدة

ولقد كانت شدة ، ولقد كانت محنة ، كانت محنة أصيبت بها الأمـــة فى عهد الوزارة السابقة . حطم فيها الدستور ، وانتهكت القوانين ، واختل الأمن والنظام . . أى ركن من الأركان بقى بعيدا عن الظـلم والتخريب . . أى بيت لم ينله شر وويل كثير . . بل أى انسان لم يصب بجرح من هذا النظام عميق . . حتى منشيء النظام وصاحبه . . حتى صدقى باشا انتهى به الأمر أن كان ضحية من ضحايا هذا النظام وتلك مشيئة الله وحكمته..

وفى ظل هذا النظام ، تعطلت مصالح مصر ومرافقها ، لأن الوزارة كانت مشغولة فى المحافظة على كيانها واضطهاد الأمة . . . كان الفلاح بائسا ، ولا منقذ له . . كانت مصر مكسورة الجناح ، لضياع كرامتها وحقوقها . وكانت فزعة من النهاية المخيفة التى سينتهى اليها هذا النظام المقوت .

خنق الحرية هو الجريمة الكبرى

على أن ذلك كله كان يهون أيها السادة أمام جريمة أعظم من هــذه الجرائم كلها ، وأعني بها خنق الحرية ومطاردة الأحرار ، خنق الحرية هي الجريمة العظمى التي يمكن أن يرتكبها انسان ضد أمته . . ذلك أن كل شيء يهون اذا بقيت حرية الجماعة مطلقة ، ولعمري ان قيام الحرية معناه الضمان القوي ضد مظاهر الظلم والاستبداد . انني أصرخ علنا ، وبأعلى صوتي ، أن الوزير أو الحكومة التي تحاول خنق الحرية لهي حكومة مجرمة ، لأنها تقضي على الأمــة وتحطم معنوياتها . . انني أفهم أن تخالف حكومة ارادة الأمة ، وان تصانع الاجنبي اذا لزم الامر ، وأن تسلم للانجليز ببعض المطالب ، أفهم ذلك وأفهم تعليله ، ولــكن شيئا واحدا لا أســتطيع أن أفهمه من مصري مهما كان منطقة ، ومهما كان بيانه ، ذلك الشيء هو تقييد الحرية وخنقها . . فان عثرة الحكومة تقــال اذا ما كانت هناك حرية . . وكل أخطاء السياسة يمكن تداركها اذا كانت هناك حرية . . وفي ظل الحرية نستطيع أن نراجع قضايانا . في ظل الحرية نستطيع أن نناقش وأن ننتقد وأن نهاجم وأن نجهر بما يجب أن يكون . . في ظل الحرية أيها السادة نستطيع أن نقوم اعوجاجنا وأن نقوي ضعفنا وأن نوحــد صفوفنا . . في ظل الحرية نستطيع أن نفعل كل شيء ، وأن نعيد مجدنا القديم ، ونحقق رسالتنا الخالدة : مصر فوق الجميع .

الوزارة الحاضرة والحرية

فالوزارة السابقة من هذه الناحية قد ارتكبت ما أسميه جريمة عظمى . . . الوزارة الـسابقة قد أساءت الى هذه الامة فوقفت نموها طوال أربع سنوات . . لا بل سارت بها الى الوراء عشر سنوات ، بل عشرات عندما كانت مصر هزيلة ضعيفة ... أما وزارة اليوم فقد وعدت أن تنطلق الحريات ... وما اجتماعنا الليلة الا ثمرة من ثمار هذا الوعد .. واذن فاني أعلن فوق هذا المنبر ، وباسم مصر الفتاة ، ان الحكومة الحاضرة تستطيع أن تحصل على تأييدنا اذا حافظت على وعدها ، وتركت الحريات . . . حرية الاجتماع ، وحرية الـكلام ، وحرية الصحافة . . الحكومة الحاضرة اذا استطاعت أن تحافظ على استقلالها . . وأن لا تفقد ارادتها ، فلا تسمح للانجليز أن يملوا عليها من الاوامر ما يتهم به الحريات ، نستطيع أن نطمئن الى أن كل مصري سيقدر لها هذا الصنيــع .. وسيسجل لها التاريخ عهد الحرية والسلام .

ذلك أننا أكثر ما نكون حاجة للحرية لنفــكر كما ينبغي أن نفــكر . . ولنجاهد كما ينبغي لنا أن نجاهد . . ولنعمل ما يجب أن نعمله . تلك هي الـكلمة الاولى التي أردت أن أعلنها هذه الليــلة ، وهذا أول اجتماع سياسي لمصر الفتاة .. حتى يبلغ أسماع الحكومة

الحاضرة ، فيرسم لها خطتها التي يجب أن تخطها لتحصل على رضا هــذه الامة عموماً ، وجمعية مصر الفتاة بصفة خاصة .

برنامج مصر الفتاة وسياستها

أما كلمتي الثانية فهي في برنامج مصر الفتاة وسياستها . . يتساءلون ماهي مصر الفتاة ؟ وماهو برنامجها وما هي سياستها ؟ وماذا تستطيع أن تعمل . ؟ أما ماذا تكون فقــد حدثتكم في هذا طويلا أخي فتحي . وأما ماهي سياستنا فانها تتلخص في عبارات قليلة :

« اننا نريد أن نحصل على حريتنا كاملة ، وأن نحصل على استقلالنا . نريد أن لانرى عسكرياً انجليزيا واحــداً على الأرض المصرية . ونريد أن نمحق الامتيازات وتلك المحاكم المختلطة وأن نساوي الأجانب بالوطنيين . . نريد أن نكون أسياداً لبلادنا متصرفين في شئونها . وأخيراً أيها السادة نريد أن نبعث كل مجدنا الماضي ، وأن نعيــد تأليف الدولة المصرية من مصر والسودان ، حليفة للدول العربية وزعيمة للاسلام » هذا هو الذي نريده أيها السادة ، أو بالأحرى هذا مايريده كل مصري شرب من مياه النيل . بقي أن نتساءل وما هو الطريق الذي يوصلنا الى ذلك . . ؟

طريقنا الى تحقيق برنامجنا

أما طريقنا الى تحقيق برنامجنا فهل هو أن نسخر من الدين وأن نلقيه خلف ظهورنا ونعتبره خرافة من الخرافات لاتتناسب مع المدنية والعصر الحديث . أم هو أن نحطم الاخلاق وتتجاهل الرجولة والشرف والنبل والشجاعة والوفاء . أطريقنا الى الاستقلال والمجد أن يتخنث شبابنا ويندفع الى السينمات الأجنبية ودور اللهو والقمار والزنى . أم طريقنا أن نخطب وأن نثرثر وأن نلهو وأن نقيم الحفلات . وأخيراً أيها السادة هل طريقنا الى الاستقلال والمجد أن نكون متسولين نستجدي كرم الانجليز وعطف الأجانب ونتوسل اليهم أن يردوا الينا حقوقنا . ونبكي حتى ترق قلوبهم لنا . وفي كلمة ، هل طريقنا الى الاستقلال أن نكون ضعفاء متخاذلين ، متشائمين يائسين . نفاوض الانجليز والأجانب ونحن أكثر مانكون احساساً بعجزنا وتضورنا . هل هذا هو طريقنا الى الاستقلال والمجد أيها السادة . ؟ اللهم لا ، فليس بمجد ولالائق بماضينا المجيد طريق من هذه الطرق .

فليس للاستقلال والحرية الا طريق واحد .. طريق واحد رسمته الطبيعة يوم أن كان شعارها البقاء للأصلح . هذه النظرية التي سجلها القرآن الكريم بقوله « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » طريقنا أن نسير مع الدين ونعمل بأوامره وهذا هو ما يفرق بيننا وبين غيرنا من الجماعات والهيئات .

تنازع البقاء

فالطبيعة تعلمنا أن البقاء للأصلح ، وأن الحياة للقوى ، والفناء للضعيف . وهذا ما يسمونه « تنازع البقاء ».. » الطبيعة تعلمنا أن لاتفاهم بين السيد والمسود ، ولا بين القوى والضعيف ، لاتفاهم الا بالصراع والقتـــال . . فالغالب الغالب هو الصالح الذى يبقى والمغلوب هو الضعيف الذى يفنى .. الحياة لاتعرف هوادة ولا لينا ، فاما أن تكونوا أقوياء فتعيشوا ، واما أن تكونوا ضعفاء فتموتوا . . عبثا تفاهم الشعب الضعيف والشعب القوى ، فانه يكون تفاهما كتفاهم الذئب والحمل ، والذى ينتهى دائما بأن يأكل الذئب الحمل . وهذه هى الحياة ان أردتم حريتكم ، أو فكرتم فيها ، ان أردتم مجدكم القديم وسلطانكم ، فليس أمامكم الا طريق واحد أن تكونوا أقوياء . وأن تكونوا أقوياء أولا وأخيراً ، وليست هذه كلمتى أو هــــذا رأيى ولكنه كلام الله أيها السادة الذى يقول لكم « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، أى كونوا أقوياء ، والاحظكم الأقوياء ، هذا ما يقوله الله لكم .

أمثلة التاريخ

فان أردتم أن تطالعوا صفحات التاريخ فطالعوها ، وأرونى شعباً واحداً استطاع أن يحصل على حريته واستقلاله بغير القوة . بل أرونى أية فكرة وأى دين انتصر الا عن طريق القوة ، والقوة المادية . فالأسلام لم ينتصر الا عند ما شرع الرمح وجرد السيف ، ودافع عن نفسه بالقوة المادية ، فكان ذلك خيرممهد لانتشار مبادئه السامية العظيمة . وقبل ذلك لم تنتشر المسيحية الا عند ما فرضها قيصر الرومان على رعيته ، وأعلنها ديناً رسمياً للدولة ، يضطهد من يخالفها ، ويعترض طريقها . أما العصور الحديثة فقد بدأت بالثورة الفرنسية التى ليست الا مظهراً من مظاهر القوة ، فانتصرت الحرية والأخاء والمساواة . وكانت ألمانيا تحلم بالوحدة ، وظل هذا الحلم أمنية بعيدة التحقيق ، حتى كان بسمارك فأعلن لمواطنيه أن الوحدة الألمانية لن تتحقق الا بالحديد والنار .. وقد كان وتحققت الوحدة الألمانية ، وسط قعقعة السيوف ، ودخان المدافع . وايطاليا حققت استقلالها ووحدتها بالحديد والنار ، واليونان ودول البلقان وأوربا الوسطى وتركيا الحديثة لم تحافظ على استقلالها الا بالقوة .

بولندا

وكانت آخر دولة سلكت هذا الطريق بولندا ، التى يحلو لى دائما أن أقص قصتها .. بولندا التى تقاسمتها دول ثلاث هى أعظم دول أوروبا ، وهى الروسيا والنمسا وبروسيا ،

وكان ذلك منذ أكثر من مائة سنة ، وجاهدت كل دولة من هذه الدول في اقتناء ما وقع تحت يدها من الغنيمة .. فلم يكن هناك صنف من صنوف الأعنات لم يقع على البولنديين.. لم يكن هناك لون من ألوان الاضطهاد لم يجربه البولنديون ..

ومع ذلك كانت تقوم ثورات دامية في بولندة الروسية تقمعها بأفظع ما تتخيلون ، كانت تنصب المدافع في الشوارع ، كما فعلت فرنسا بعد ذلك بمائة سنة في عصر الحرية والنور في دمشق ، كانت روسيا تخرب الشوارع وتهدم الدور وتزج بالألوف في السجون وترفع ألوفا فوق أعواد المشانق ، وتنفي الى سيبيريا عشرات الألوف . فكانت الثورة تهدأ حينا.. ثم لا تلبث أن تشتعل أكثر ما تكون قوة وعنفوانا .. فتعود ألوان القمع من جديد وتنفي الألوف الى سيبيريا من جديد .. وهكذا مرت مائة سنة كاملة لم تكن تنتهي ثورة حتى تبدأ ثورة جديدة . . أو تجف دماء حتى تسيل دماء جديدة . . وكانت روسيا تحاول أن تمحو اللغة البولندية تصبغ المدارس بالصبغة الروسية ، فكان البولنديون يتزاولونها ، وكانت كل أم وكل أب يلقن ابنه لغة بولندا !.. أما في بولندا البروسية فقد كانت الحرب مع الوطنية البولاندية لا تقل شدة عنها في روسيا .. ومع ذلك فقد قاومها البولنديون أيضا . . وكذلك كان الحال في النمسا . . وكانت الجمعيات تعقد لتؤلف بين الأجزاء الثلاثة ، كانت الجمعيات العلمية تعمل سراً ، لتحقيق الاستقلال والوحدة .. كانت المدارس اذا ما نالت قبسا من الحرية لقنت الأطفال أناشيد الحرية والاستقلال . . كان البولنديون يهاجرون من وجه التعسف الى أمريكا ليداعبوا عن قضيتهم ، انشأوا البنوك والمصانع والشركات التجارية حتى انتصروا في نهاية الحرب العظمى ، وظفروا باستقلالهم المنشود . . وكانت مادتهم الأولى في الدستور شكراً لله وتحية للشهداء من أسلافهم ، أسلافهم الذين جاهدوا في سبيل الحرية .. ولست أستطيع أن أترك قصة بولندا قبل أن أذكر عبارة خالدة قالها نابليون عن هذه الأمة الحية . . فقد سألوه أين ترسم حدود بولندا ؟ فأجابهم سترسم حدود بولندا حيث يسيل الدم البولوني ..

مصر وكيف حصلت على استقلالها . . . ؟

ولماذا نذهب بعيداً أيها السادة لنتحدث عن بولندا وايطاليا وألمانيا . . لماذا نذهب بعيداً ، وها نحن في مصر ، عندما أردنا الحصول على الاستقلال لم يكن أمامنا طريق الا القوة ، لحصلنا عليه بالقوة فعلا .. فمنذ مائة سنة عندما أرادت مصر بزعامة محمد علي ان تستقل لم ترناصا من حرب تركيا . . فسارت الجيوش المصرية غازية منتصرة ، حتى هزت تركيا هزا ، وعقدت مصر معاهدة كوتاهية التي أعلنت استقلال مصر ، وضم سوريا وفلسطين وشبه جزيرة العرب اليها . . وكانت تمتد في الجنوب حتى أقصى السودان . .

وهكذا حصلت مصر على استقلالها في ظلال جيوشها الظافرة ، هذه الجيوش التي أخافت

أوربا بأسرها ، والتي جعلت روسيا تبسط حمايتها على تركيا لكي تنقذ نفسها من الخطر المصري ، فاشترطت الدول أن تتداخل لتحول بين روسيا وبين أطماعها بحجة حمايتها . وذلك لا يكون الا بأن تكره مصر على التراجع وسحب جيوشها ، فتحالفت انجلترا وبروسيا والنمسا والروسيا أيضا للقضاء على الجيوش المصرية والأسطول المصري ، ثم لها الذي أرادت . ولولا ذلك لكانت مصر اليوم هي العلم الخفاق في العالم ، لكانت مصر هي زعيمة الاسلام والشرق ، لكانت مصر بحيث تبدو بجوارها انجلترا واليابان قزما حقيرا . حصلنا على استقلالنا بالقوة ، قوة الحديد والنار ، وحطم استقلالنا الحديد والنار ، مع أن الحق كان في جانبنا . فاذا أردنا أن ننتصر من جديد فلا مناص من التذرع بالحديد والنار .

واذا كنا اليوم نتادى بالدستور ، ونستظل بظل الدستور ، اذا كان في مصر نسيم من الحرية ، فذلك يرجع الى قومة مصر ضد انجلترا سنة ١٩١٩ ، هذه القومة التي لم تكن الا صرخة من صرخات الشعوب القوية التي تزلزل أقدام الظلم والاستعمار.. القوة هي كل شيء ، هي قانون الحياة ، في كل عصر ، وفي كل زمان . أمامكم ألمانيا ، كانت منذ سنتين تسير في مؤخرة الدول الاوروبية ، كانت تحتلها الجيوش الفرنسية ، وتنهكها معاهدة فرساي ، كانت تئن من ملايين العاطلين ، كانت تتوسل الى اوربا أن تسمح لها بتنظيم شئونها ، أن تسمح لها بزيادة جيشها ، كانت تتوسل الى أوربا أن تعدل معاهدات الصلح ، فلم تلق الا آذانا صماء ، لم تلق الا الاستهزاء والوعيد . كانت ألمانيا تسير خلف زعمائها الذين كانوا يفهمونها أنها ضعيفة ، وأنها غير قادرة على شيء . . أما اليوم فقد تبدل الحال غير الحال ، فأصبحت ألمانيا هي التي تتوعد وهي التي تخيف . ألمانيا ، هي التي ركلت عصبة الأمم بقدمها ، ومزقت معاهدة فرساي . ألمانيا هي التي تتسلح اليوم تحت سمع العالم وبصره دون أن يجرأ مجترىء على الاعتراض . وما ذلك الا لأن ألمانيا قد اقتنعت أن لا طريق لها الا القوة ، ولن تحل مشاكلها الا بالقوة ، والتلويح بالقوة ، فظفرت على طول الخط . وهي اليوم تخطو خطوات عظيمة لأعادة مركزها القديم .

حاجتنا الى القوة المعنوية

فبرنامجنا أيها السادة هو أن نحصل على حريتنا واستقلالنا ، وأن ندعم دولتنا الخالدة بالقوة ، والقوة المادية . فهل نحن في حالة تسمح لنا باستعمال هذه القوة واجادة الاستعمال ؟ الجواب بالنفي . ولماذا . ؟ لأنه لاستعمال القوة المادية ، لا بد من قوى معنوية ، فقبل أن يضرب الإنسان يجب أن يريد الضرب ، وان يشعر من نفسه بالقدرة على الضرب . والا فانه لن يضرب ولن يقوى على الضرب .

فنحن في مصر عاجزون عن الحصول على حقنا بالقوة المادية ، لأن قوانا المعنوية

عظمة . أو بالأحرى لأنه لاقوة معنوية لنا اطلاقا . فنحن لا نكاد نثق بأنفسنا ، نحن لانكاد نتخيل في أنفسنا القدرة على عمل شيء ، نحن لا نؤمن الا بشيء واحد ، وهو أننا ضعفاء عاجزون . وأننا لانفلح في أي شيء .

أي مصرى لايقول لك ان هذا بلد قد ضرب عليه الذلة طوال أربعة آلاف سنة ، أي مصرى لايسب المصريين ولا ينعتهم بأحط النعوت ، أي مصرى لايقول لك اننا بغير الانجليز لا يساوى بصلة ، أي مصر لا يشعر في أعماق نفسه بأنه مخلوق أصغر شأنا من الأجنبي على العموم ، والأنجليزى على الخصوص .

فنحن لا نثق بأنفسنا أيها السادة ، نحن لا نؤمن بأنفسنا وهذا هو سر ضعفنا . ذلك أن الفارق بين الضعف والقوة ، ليس الا كالفارق بين الأحساس بالضعف والأحساس بالقوة . فيجب أن نشعر بقوتنا ، يجب أن نمتلىء ثقة بأنفسنا ، لأنها جديرة بهذه الثقة فعلا . فلايوجد في العالم شعب واحد صارع الويلات والمحن كما صارعناها ، لا يوجد في العالم بلد من البلاد عاش طوال أربعة آلاف سنة حياً نابضاً فتيا الا مصر . لقد تغيرت خريطة العالم وتبدلت ، فقد قامت دول ودالت دول ، لقد بعثت امبراطوريات ، وحطمت امبراطوريات أخرى ، لقد تحول وجه العالم من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق . ولكن بلداً واحداً وشعباً واحداً هو الذى ظل طوال الأربعة آلاف سنة هو هو . لم يتغير ولم يتبدل لأنه الكوكب الشرق المضيء أرجاء العالمين ، ولأنه المعلم للانسانية وزعيمها وقائدها ، ذلك الشعب هو الشعب المصرى ، وذلك البلد مصر ، ففي عروقنا وفي أعماق نفوسنا تستقر رواسب أربعة آلاف سنة من المجد والعظمة .

في أرواحنا طموح وقوة واقتدار ، فيجب أن نمتلىء ثقة بأنفسنا كى تقوى معنويتنا ، وهذا هو الثانى من جهاد مصر الفتاة أما جهادنا الأول فهو :

جهادنا الاول

أن نثق بالله ونؤمن به . . فالأيمان بالله شرط أساسى لخلق المعنوية والحياة ، الأيمان بالله هو سر الحياة وقوتها ، الايمان بالله هو الذى يجعل الجبان شجاعاً ، والضعيف قوياً .. الايمان بالله هو الذى يجعلنا نأتي بالمستحيل . . ذلك أن أجدادنا الذين سبقونا في هذا الأيمان دكوا الامبراطوريات ، وحطموا الجيوش ، وأذابوا الحديد ، لأنهم كانوا يؤمنون بالله . . وكانوا يعرفون أن الله أكبر . وفوق كل كبير . وكانوا يعرفون أن غاية الحياة ارضاء الله والاستشهاد في سبيله . . فحكموا الدنيا وسادوا العالم . . . نحن أيضا يجب أن نؤمن بالله وبرسالته السماوية . يجب أن نعبد الله كل صباح ومساء ، لأن الذى لاخير فيه لربه لايمكن أن يكون فيه خير لوطنه أو لنفسه . .

فاذا آمنا بالله وامتلأنا ثقة بأنفسنا ، فقد بقي علينا أن نطهر أرواحنا من الأرجاس ،

فلا نقامر ولا نزني ولا نسكر ولا نكذب .. بقي علينا أن نتحلى بالأخلاق، ولنا نعرف الرجولة والشهامة والشجاعة والصدق والوفاء . فاذا ماحصلنا على ذلك كله ، فقد كملت معنويتنا وأصبحنـا ولنا ارادة تفعل كل شيء . . اذا ما آمنا بالله ، ووثقنا بأنفسنا ، وتحلينا بالاخلاق ، فقد قطعنا أكبر شوط للحصول على الاستقلال والحرية والمجد .. . ولا يبقى علينا بعد ذلك الا أن نخطو خطوتنا الأخيرة ، لكي نحقق كل الذي نريد في يوم وليلة . .

لا تشتر الا من مصري

وهناك جهاد ثالث يتفرع من الجهاد السابق ويسير وإياه جنبا لجنب . وهو جهاد مادى معنوي ، للحصول على القوة المادية أيضا . . وذلك هو السعى لأغناء مصر وتكديس الثروة بها عن طريق الاستقلال الاقتصادى . فمصر التي بلغت معنويتها الى الأوج ، يجب أن يكون في حوزتها مال كثير تستعين به على تحقيق استقلالها وحريتها في الخطوة الأخيرة . يجب أن يكون لديها مال لتعيد لها بناء كيانها ، لتستطيع في زمن قصير أن تقفز الى الأمام وتحتل مركزها الطبيعي زعيمة للاسلام وسيدة للشرق . . ولا سبيل لنا الى توفير هذا المال الا عن طريق واحد ، وذلك باتباع مبدأ مصر الفتاة الثاني الا وهو « لاتشتر الا من مصري ولاتلبس الا ماصنع في مصر ولا تأكل الا طعاما مصريا » .

وهذا المبدأ يحقق لنا استقلالنا الاقتصادى ، هذا المبدأ يلغي الامتيازات لأنها تصبح ولا قيمة لها ، هذا المبدأ يوفر لنا في عشر سنوات كل المال الذي نريده لانشاء دولتنا العظيمة . .

لاتشتر الا من مصري . . أتعرفون ما معنى هذا . . معناه أن الوفا من المصريين الذين يعانون الفقر الآن يحصلون على الثروة . وأن الوفا من العاطلين يجدون مرتزقا ، وأن الوفا من الأجانب يرحلون عن هذه البلاد . فلا تلبس الا ماصنع في مصر ، ولا تأكل الا طعاما مصريا .. أتعرفون ما معنى هذا معناه اننا نقتصد من الاربعين مليونا التي تتسرب الى الخارج في كل عام نصفها ، ليبقى داخل بلادنا . ففي عشر سنوات تكتنز مصر مائتي مليون من الجنيهات . . وهذا المبلغ يجدد بناء مصر ويعلوها مصانع ، ويجعلها سيدة في الجو ، وفي البحر ، وفي كل مكان . • ومائتا مليون تنظم مصر تنظيما جديدا ، وتعيدها الى مجدها القديم . . ولست أسوق القول جزافا ، فهاهى ذى احصائية تشكك بمقدار ثروة مصر التي تحتفظ بها لو أنها نفذت هذا المبدأ ، فمنذ سنة ١٩٢١ حتى سنة ٩٣٢ قد استوردت مصر من الخارج بضائع أجنبية بمبلغ ٥٦٨ مليونا جنيه ،

وهو مبلغ مخيف ، لاسيما إذا عرفتم أن الصادرات كانت أقل من هذا المبلغ بخمسة عشر مليونا ، أي ٥٣٣ مليونا . أتعرفون لماذا كان الميزان التجاري هكذا في صالح أوربا . أتعرفون لماذا نبتاع بهذه الملايين ، ذلك لأننا شعب لا يكاد يعرف كيف يعيش . شعب لا يعرف لنفسه حقها ، ذلك لأننا كنا نستورد من الخارج ، وما زلنا ، جبننا وزبدنا وعنا !. أتسمعون أيها السادة ؟ مصر البلد الزراعي ، الذي لا يعيش الا على الزراعة ، يستورد من الخارج جبنا وعنا ، فهل هناك مهانة بعد هـذه المهانة ، وانحطاط كهذا الانحطاط . نحن الذين كان يجب أن نورد للعالم بأسره نستورد من الخارج . أتعرفون لماذا ؟. لأن السيد المصري لا يحلو له الا أن يتمشدق بالجبنه الروى والفلمنك والشستر .

بل ان مصر تستورد قمحا ، مصر التي كانت تمد العالم في يوم من الأيام بالقمح ، والتي كانت الشعوب تجيء اليها لتشتري القمح ، انعكست الآية وأصبحت مصر تستورد قمحا .

لا بل ان الهوس قد وصل الى ماهو أفظع من ذلك . وصل بنا الهوس أيها السادة الى درجة أن نستورد من الخارج صلصة ، نحن الذين توجـد الطماطم في بلادنا عشرات الأرطال بمليمات معـدودات . وما ذلك كله الا لتهاوننا في حياتنا . في كرامتنا ، وفي ثروتنا أيضا ، بل ما ذلك الا لعبوديتنا لأوربا وكل ماهو أجنبي . أبطلوا ذلك كله ، لا تأكلوا الا طعاما مصريا ، ولا تلبسوا الا لباسا مصريا ، فتحصلوا على استقلالكم وكرامتكم . أتسمعون ؟ ان الأجانب أسياد هذا البلد لأنهم يملكون رءوس الأموال ، الأجانب أصحاب الامتيازات والمحاكم المختلطة لأن المال في يدهم ، فجردوهم من هـذا المال وهذه القوة ، بأن يكون لباسكم مصريا ، ومطعمكم مصريا ، ولا تشتروا الامن مصرى فهذا تحتفظون بثروتكم التي سنحتاجها غدا ، عندما نذهب الى ميدان القتال لندافع عن حريتنا واستقلالنا .

هذا هو ما ندعوكم اليه أيها السـادة ، أن تؤمنوا بالله ، وأن تتقوا أنفسـكم ، وأن تطهروها من الأرجاس ، وأن لا تشتروا الا من مصرى ، ولا تلبسوا الا ماصنع في مصر .

وهذا هو ما ندعوكم الى القيـام بعمله كمصريين هذا هو الطريق الذي نرسمه لكم سيروا في الطريق اذن على بركة الله مع مصر الفتاة أو ضدها . . هذا لا يهمنا ولكن الذي يهمنا أن تسيروا في الطريق . فان كان في صفوفكم من يريد أن يقدم نفسه لينضم تحت لواء هذه الجماعة التي أخذت على عاتقها تنفيذ هذا البرنامج ، فنحن نرحب به كائنا من كان ، لكنا ننذره منذ الآن أن طريقنا ليس مليئا بالورود والرياحين ، بل ان مافيه من شوك وعوسج ليطغى على كل شيء . ان آلاما كثيرة تنتظرنا ، ان صـنوفا من العذاب هي نصيبنا ، فلن يرضى الأنجليز عن وجودنا ، وأذن فستضطهدنا الحكومات ارضاء للانجليز والأجانب من ناحية ، وسيحاربنا الجهلاء بجهلهم نواياناه من ناحية أخرى .

فطريقنا كله جهاد وكفاح !. ذلك أننا لن نصل في يوم واحد الى ما نريد ، ولن نصل في هدوء ، ولكننا وطدنا أنفسنا على تحمل كل شيء . وطدنا أنفســنا على أن نكافح حتى نموت ، فاذا انتصرنا فهذا الذي نريد ، واذا متنا قلنا لمن يجيئون بعدنا كونوا أسعد حظا منا . .

نحن والوفد

ولست أريد أن أغادر هذا المنبر قبل أن أحدد علاقة جماعتنا بالوفد ذلك أن البعض منكم يريد أن يسأل هذا السؤال ، أو أن يعرض به . . فأقول لكم اننا لا نعادي مصريا واحداً ، بل نحن نحب الجميع ، لأننا أول من يدعو الى الاتحاد والتكاتف . ونحن على استعداد أن نعمل تحت راية الوفد في حدود هذه المبادىء ، وبهذه الوسائل. وهكذا ترون أيها الســادة أن كل ما يدعو من أننا نخالف الوفد ، أو أننا أعداءله ، فنحن منه براء . وأننا مستعدون للسير تحت لوائه ، وكل ما يهمنا هو تنفيذ هذه المبادىء واتباع هذا الطريق . . فنحن نريد وطنية عاملة تعتمد على التضحية أولا وأخيرا . . نحن لا نؤمن بأن الاستقلال يمكن أن يستجدى ·· ذلك أن الاستقلال كما قال المرحوم الملك فيصل يؤخذ ولا يعطى ·· وما دام الأمر كذلك ، فنحن نعمل للحصول على القوة اللازمة لأدراك الاســتقلال ، وهذا هو برنامجنا . فسننظم الشــباب الذي ينضم الينا ، ونملؤه رجولة وخشونة ووطنية ، ونؤلف منه جيوشــاً منتظمة ليس لها الا هتاف واحد ·· وهو ، الله أكبر والمجد لمصر .

كونوا اذن خارج حظيرة مصر الفتاة ان أردتم ، وأعملوا بمبادئها ·· أو ادخلوا الى حظيرتها أن كنتم على استعداد للتضحية والجهاد ، هذا آخر ما أقوله لكم ·· فاذا كنت قد ظفرت في نهاية هذا الاجتماع بأن أقنعت واحداً منــكم أن يجاهد من أجل مصر ، وأن يفنى في سـبيلها ، فاني أعد نفسي قد قمت برسالتي ، وأستطيع أن آوي الى فراشي في هذه الليلة ، وأنا مطمئن الى أنني قد أديت واجبي نحو مصر ·· وذلك هو مبدؤنا السادس .

عام ١٩٣٥

- ١١ -

استهل عام ١٩٣٥، هذا العام الذى سيبقى خالداً فى تاريخ مصر، إذ بعثت فيه مصر بعثاً، وسرت مبادىء مصر الفتاة وسادت وسيطرت واندلع لهيب الثورة التي أشعل نيرانها الشباب. لم يكد العام يبدأ حتى بدأت حكومة نسيم باشا تتنكر لمصر الفتاة وبدأت تضيق الخناق عليها، وتحول بين ذوى الأقمصة الخضراء وبين حرية الانتقال أو الاجتماع أو إقامة المعسكرات في الخلوات. ولقد أوشك الاصطدام أن يقع بيننا وبين رجال البوليس بالقرب من سفح الأهرام، بمناسبة احتفالنا بعيد الفطر، إذ تعرضوا لنا ليحولوا بيننا وبين الصعود إلى الأهرام. وقد آثرنا أن ننسحب يومها لعدم جدوى الاصطدام والمقاومة، وعدنا أدراجنا إلى القاهرة سيراً على الأقدام في موكب أخضر، كان يهز قلوب المصريين هزاً، ويثير فيهم أقوى المشاعر وأجملها، وكان يشترك فى هذا الموكب على صغره وفود من جميع أنحاء القطر، فكان ذلك آية لما وصلت إليه مصر الفتاة من نجاح وتطور.

فى الأراضى المقدسة

عن لى أن أستمد من الأراضى المقدسة مدداً روحياً أستعين به على مواصلة الكفاح، ولم يكن لدي المال اللازم لأداء فريضة الحج، ومع ذلك فقد قررت أن أحج وأن أهرع إلى الله عند بيته المحرم، أطلب منه أن يهدينى وينير لى الطريق، وأن يأخذ بناصرى ويشد أزري. ولقد قمت بالرحلة، ولست أحسب أننى صادفت فى حياتى كلها فى أى رحلة من الرحلات التي قمت بها من قبل أو من بعد، مثل هذا النجاح الذى صادفته

فى سفرتى هذه . فقد كشفت لى عن مقدار الدوى الذي أحدثته مبادىء مصر الفتاة في جميع أنحاء العالم العربي والأسلامى . وكان يذهلنى أن أجد الحجاج من سائر بقاع الأرض يعرفون الكثير عن مصر الفتاة ، وكفاح مصر الفتاة ، عن طريق « الصرخة » مشعلها الوضـاء . وفى كل مكان حللت به وعرفت شخصيتى أحطت بالكرامة والحفاوة . حتى اذا جاءت المناسـبة التى أتيح لى أن ألقى فيها جلالة الملك ابن السعود للمرة الأولى ، ألقيت بين يديه كلمة أستعدت فيها ذكريات الأسـلام الأولى وأمجاده ، وقارنت بين ماضى الأسـلام وحاضره ، فذرفت عينا الرجل العظيم دموعا غالية ، فكانت هذه الدموع بمثابة رباط ربطنى بجلالة الملك ابن السعود إلى الأبد . وقد أطلق الرجل برعايته ودعانى إلى زيارة المدينة المنورة فى ضيافته ، ومنحنى قبل مغادرتى الأراضى المقدسة ما اعتاد أن ينفح به الوافدين عليه من هداياه وقد زاد عليها مبلغا من المال كاشتراك فى جريدة « مصر الفتاة » . وهكذا سـافرت إلى الحجاز ، وليس فى جعبتى إلا القليل من المال الذي يدهش سامعيه ، أن يجرأ إنســان على السفر إلى هناك بمثله ، وعدت من هناك متخما بالمـال ، منتعش الروح ، متوهج الأيمان وقد اطمأنت نفسى إلى أنى أسير فى طريق الحق والصواب .

ولقد عدت بعد ذلك إلى البلاد المقدسة أكثر من مرة ، وفي كل مرة كنت ألقى من ضروب النجاح والتوفيق مايجل عن الوصف . وازدادت صلتى بجلالة الملك ابن السعود توثقا ، وألقيت بين يديه ، وفى حضرة الوفود من أنحاء الدنيا خطبا سياسية مدوية ، كان لها دائماً أثرها العميق في نفوس سامعيها وخاصة جلالة الملك . ومع ذلك فستبقى حجتى الأولى هى الباقية على مر الزمن فى نفسى لأنها كانت بمثابة فتح مبين . وكانت البذرة الأولى والنواة لكل ما جاء بعدها من نجاح . وان أنس فلن أنسى فى زيارتى الأولى كيف راح إمام الحرم المكى يتحدث أمامى عن هذه الحركة الجديدة التى نشأت في مصر ، وهذه المجلة الرائعة التى تعبر عن هذه الحركة ، فلما

سألته عن اسم هذه الحركة والمجلة أجابني: بأنها مصر الفتاة ومجلة الصرخة، ولم يكن الرجل يعرف أنه يحدث صاحب الصرخة ورئيس مصر الفتاة . وإن أنس فلن أنسى وقوفنا على جبل عرفات ندعو الله ونبتهل إليه . يقودنا هذا الشيخ الجليل ، فإذا به يطلب من الله أن ينصر أحمد حسين وأن يعز مصر الفتاة ، فطفرت الدموع من عيني ولم أستطع مغالبة نفسي . فقد كان ذلك آية ما غمرني به الله سبحانه وتعالى من كرامة ورعاية .

اصدار جريدة وادي النيل بالاسكندرية

لم يكن عجيباً أن أعود من رحلتي إلى البلاد المقدسة بعزم من حديد ، وثقة مضاعفة ، في وجوب المضي في الكفاح بقوة واقتدار ، بعد أن أكرمني الله كل هذه الكرامة . وقد كانت مدينة الأسكندرية تروعني دائما بحماستها وروحها الوطنية العظيمة . وكان شباب مصر الفتاة بها يفيض بالقوة والفتوة ، حتى لقد فكرت في أن أتخذها دار هجرة لمصر الفتاة بحيث تصبح القاعدة الأساسية لحركة مصر الفتاة . ولقد عرض علي صاحب جريدة وادي النيل المرحوم محمد الكلزة أن أتولى اصدار الجريدة ، نظرا لشيخوخته التي أصبحت لا تمكنه من الاستمرار في العمل . وكنت في أشد اللهفة لأصدار جريدة يومية : فقبلت العرض الذي عرضه علي وسافرت إلى الأسكندرية لأقيم بها نهائيا وأشرف على اصدار وادي النيل. ولن تذكر جريدة وادي النيل إلا ويذكر معها ذلك المجهود المضني الذي قمت به لأخراجها ، لقد مرت علي قبل هذه الفترة وبعدها فترات بذلت فيها من الجهد الشاق الشيء الكثير جدا ، ومع ذلك فستبقى هذه الفترة من حياتي إبان اصدار جريدة وادي النيل فريدة فذة ، ولست أستطيع أن أذكرها الآن دون أن تسري في جسدي قشعريرة من الخوف . وكانت المشكلة الكبرى ، بطبيعة الحال، هي عدم وجود المال اللازم للانفاق على الجريدة وايجاد العمال والموظفين اللازمين لأدارتها في يسر وسهولة . فقد

واصلت العمل شهرا ونصف شهر ليلا ونهارا ، كاتبا فى الجريدة ومصححا وجامعا للحروف (وموضبا) وخادما وفراشا وموزعا وفى النهاية محاسبا للعمال والمتعهد وباعة الجرائد .. فأنا الرجل الذى عليه أن يكتب فى كل يوم عدة مقالات مستفيضة أن يشرف على الادارة والتحرير اللازم لجريدة يومية كبيرة . كم من الليالى مرت على لم أخلع فيها حذائى ولم يغمض لى جفن ، ولم أتذوق طعاما ، كم من الليالى كاد يجن جنونى ، لأن العمل يوشك أن يتعطل ، لأننا لا نجد النقود اللازمة لشراء الغاز الذى يدير الماكنات ، وكم من المرات أضرب العمال وتوقفوا عن العمل لأنهم لم يقبضوا أجورهم . وكنت أثور عليهم وأندد بهم إذ يروننى بينهم آكل مما يأكلون ، وأعيش كما يعيشون ، ويلمسون بأيديهم كيف كانت الجريدة تخسر فى كل يوم عشرة أضعاف ما تباع به ، وكانوا يتولون بأيديهم فى كل يوم استلام أعداد الجريدة المطبوعة مرتجعة من لدن متعهد التوزيع لا تكاد تنقص إلا بضع مئات من النسخ وهو أمر كان يعد فى ذاته نجاحا كبيرا ولكنه لم يكن يسد شيئا من مصاريف الجريدة ، ومع ذلك فقد كان العمال يضربون لأنهم فى حاجة إلى قروشهم القليلة ، ومهما كان حبهم لى ومهما كان عطفهم على كبيرا ، ومهما كان تقديرهم لجهادى ، فقد كانوا أرباب أسر ولهم أولاد ينتظرون عودتهم من العمل يحملون الخبز الذى يقيهم شر الجوع !.. ومنذ هذه التجربة وأنا أعتبر حق العامل فى أجره حقا مقدسا ولا ينبغى لنا أن نطالب العامل لأى سبب من الأسباب أن ينزل عن بعض أجره لأنه لا يملك غير هذا الأجر ، ولأن كل مطالبه فى الدنيا ترتكز على هذه القروش القليلة ، ولقد عانيت كثيراً من جهلى بهذه الحقيقة فى ذلك الوقت . وكنت أستعين على هذه المصاعب بالصوم والصلاة فكان ذلك يزيد فى إنهاك جسدى ، بل ويؤثر على حالتى المعنوية ومن هنا أدركت كيف أمر الرسول المسلمين أمراً أن يفطروا أثناء السفر فى الجهاد والكفاح لأن الجوع من شأنه أن يقلل من قوة الجسد على احتمال المشاق التى يتطلبها العمل والجهاد .

منع اجتماع

وفي وسط ذلك كله كانت عاصفة الاضطهاد الحكومي قد بدأت تلفحنا، وبدأت إدارة الأمن تضغط علينا وتصادر حرياتنا وتحول بيننا وبين الاجتماع . فلما أردت أن أعقد أول اجتماع في الاسكندرية في ٢٣ مايو احتفالا باصدار جريدة وادي النيـــل ، لم تصرح الحكومة بعقده فنشرت خطابي على صفحات وادي النيل ، أو بالأحرى خطبت من فوق منبر وادي النيل . ولست أجد ما يصور لك الروح التي كانت تغمرني في ذلك الوقت ، وما يشرح لك سياسة مصر ، ويصور لك الحوادث السابقة على انفجار ثورة الشباب في سنة ١٩٣٥ سوى هذا الخطاب ، الذي كان أول قذيفة أطلقت في وجه نسيم باشـا ، وفضحت سياسته وادعاءاته المتكررة من أنه سيعيد الدستور ويحقق الاستقلال .

وهكذا سبقنا الأمة كعادتنا بعضة شهور ، فنحن الآن في مايو حيث لا يزال نسيم باشـا يتمتع بتأييد الوفد والأغلبية ، ولم ينفجر سخط الأمة على نسيم باشا إلا بعد ذلك التاريخ بأربعة أشهر عندما أكره الوفد إكراها على سحب ثقته من نسيم باشا .

وذلك هو دأب مصر الفتاة دائماً وستبقى إلى ما شاء الله مرهفة الحس ، تسبق المصريين جميعاً في التنبؤ بالحوادث ، وفي الآراء والأفكار ، واعلان الجهاد ضد مختلف صنوف المظالم والمفاسد . وسيرى المطالع لهذا الخطاب توقعاً للحرب العالمية الثانية قبل وقوعها بأربع سنوات ، ويرى فيه دعوة مبكرة لمصر والمصريين للتهيؤ والاستعداد للاستفادة من هذه الحرب وهذا ما لم يستطع المصريون من سوء الحظ أن يحققوه .

خطاب

الاضطهاد والايمان — كفاح الرسل — كفاح المصلحين — كفاح الامم المستعبدة — ايرلندة — بولندة — فرنسا — كفاح مصر الفتاة — هل نسي نسيم باشا مكافحته للثورة ؟ — نسيم باشا والدستور — نسيم باشا والاستقلال — نسيم باشا والحكمة المختلطة — الوفد وتأييده للوزارة — الانجليز لا تريد الدستور — نداء للوفد — وادي النيل — خطتنا وبرنامجنا الحرب القادمة — كلمة أخيرة .

أيها السادة . .

محال أن يقهر الحق أو يغلب ، محال أن تطفأ الشمس أو تحجب ، كذلك الأيمان نار مشتعلة يزيدها الاضطهاد اضطراما ، وتزيدها المقاومة شدة ، سنة من سنن الله (ولن تجد لسنة الله تبديلا) . قلبوا صفحات التاريخ وحدثوني ماذا أجدى الظلم وماذا أجدى الاضطهاد في مقاومة مبدأ من المبادىء الخالدة ، مبادىء الحرية والنور والعلم . أي مصلح قاومه معاصروه ولم ينتصر في نهاية الأمر . أي رسول لم ينكل به قومه وحاربوه فاذا أجدت عليهم الحرب . وماذا كانت النتيجة ، نتيجة هذا التنكيل . ماذا كانت نتيجة فرعون عندما اندفع خلف موسي بجيشه وسحرته ليطفىء نور الله الواحد القهار ؟ لقد هزم وابتلعه اليم ، وشهد أن لا اله الا الله . ماذا أفاد اليهود من مطاردتهم للمسيح حتى ظنوا بصلبه ، لولا أن رفعه الله من بين ظهرانيهم وبدله لهم بشخص آخر ، وماذا أفاد الرومان عندما كانوا يقذفون بالمسيحيين الى السباع الجائعة ، والحيوانات المفترسة تفتك بأجسادهم ، هل اوقفوا سير المسيحية أو أعاقوا نموها وانتشارها ؟ لمن كان النصر في معركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع قريش ، ألمحمد اليتيم الفقير الوحيد أم لقريش ذات العدد والعدة وذات العصبيات والحمية ، هل أخاف ابو جهل محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهل أفزعه اضطهاد أبي لهب .. عندما تترت عليه القاذورات ، وعندما تآمرت قريش على قتله وتعاهدت فيما بينها على الفتك به ، واجتمعوا أمام داره لاغتياله ، لمن كان النصر في نهاية الأمر ، وماذا كان أثر هذا الظلم وهذا الاضطهاد .. لاشيء .. لاشيء .. استغفر الله بل كان له أثر وأي أثر ، كان له أثر هو أعظم الأثر ، كان أن زاد المؤمنين ايمانا ، وزاد المسلمين تشبثاً بدينهم واستماتة في الدفاع عنه ، حتى انتصر الحق وزهق الباطل « ان الباطل كان زهوقا » .

كفاح أصحاب المبادىء والعقيدة

وهؤلاء الذين فى مرتبة أدنى من مراتب الرسل ، هؤلاء القادة والزعمـــاء ، أصحاب المبادىء والعقائد ، أو لم يحاربوا ، أو لم يضطهدوا ؟ فلمن كان النصر فى النهاية ، لقــد كان دائما فى جانب الحق والمبدأ والعقيدة ، هذه الدول التى كانت مستعبدة لدول أشد منها قوة وذخيرة ، عندما قامت تطالب باستقلالها وحريتها ، أو لم تحصل على هذا الاستقلال وتلك الحرية فى نهاية الأمر ، رغم الألوف الذين أزهقت أرواحهم ، ورغم الملايين الذين زج بهم فى السجن ، لقد استقلت ، لقد تحررت دائما هذه الدول التى تطلب الاستقلال بيقين وعزم .

ايرلنده وبولنده

ماذا كان فى ايرلندة ، ماذا كان فى بولنــدة ، أى لون من ألوان الشدة لم تصطنعه انجلترا ضد ايرلندة ، أو لم تضع لها المدافــع فى الشوارع ؟ أو لم تــكتسح عاصمة ايرلندة مرة ومرتين وأسالت الدماء مدراراً فى شوارع دبلن فماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة استقلال ايرلنده !.

وبولندة . بولندة التى حاربتها ثلاث دول عظام ، بولندة التى مزقتها روسيا والنمسا وبروسيا ، التى تحالفت عليها الاعداء والمصائب والنوائب عندما طالبت بحريتها ، عندما كافحت طوال مائة سنة بأسرها ، عندما كانت تندلع فيها نيران الثورة فترسل روســيا بجيوشها تحصد الأرواح حصداً وتقود الملايين الى مجاهل سيبريا ، ماذا أفاد ذلك كله ، لقد انتصرت بولندا وانتصر ايمان بولندا .

وهاهى اليوم احدى دول اوربا العظمى ، التى يخشى الروس بأسها .

وفى فرنسا هل استطاعت الملــكية أن تحمى نفسها من الثورة ، هـــل استطاع الأشراف أن يقفوا الروح الجديدة التى كانت تترنم بالفناء ؟ لقد كان الباستيل يبتلع كل من تحدثه نفسه بالحرية ، وكان الرصاص يذاب فى الأفواه والآذان ، والنار تــكوى الجباه والصدور . وكانت الطواحين تهشم العظام ، فماذا فعلوا ، ماذا أنتجوا ، لمن كان النصر ، للروح الجديدة والمبدأ الجديد .

فالحق : الحق لا يغلب . الحق لا يغلب فهو اسم من أسماء الله ، وهو مشتق من ذات الله ، فــكيف يغلب ويقهر ، حاشا وكلا ، ومعاذ الله .

كفاح مصر الفتاة

هؤلاء الأغرار الذين يقاومون مصر الفتاة ، أم الى هذا الحد جهلاء ، أفلم يطالعوا كتابا واحدا من كتب التاريخ . أم الى هذا الحد عمى فلم ينظروا الى مايحيط بهم فى مختلف الأمم . أم الى هذا الحد صم فلا يسمعون هذه الدروس وهــذه العظات . أم الى هذا الحد فى غفلة لا يلتفتون لدوران الأفلاك وحوادث الدهور .

أي والله انهم لـكذلك !. والا لما قاوموا مصر الفتاة ، ولما اضطهدوها ولما حاولوا أن يبدأوا التجربة التي أثبتت الأيام فشلها واندحارها .

عندما نفى الانجليز سعد زغلول ، أو لم يخلقوا الثورة المصرية . وعندما كان الرصاص المسموم يجندل المئات أمام الأزهر ، وفي ميدان محمد علي في الاسكندرية ، أو لم يضاعف هذا في لهيب الثورة .

هل نسي نسيم باشا مقاومته للثورة

وما لنا نذهب بعيداً . . ورئيس الوزارة الحالي بنفسه قد جرب هـذا الأسلوب ، وقد أحس بأنه عقيم . . عنـدما كان رئيساً للوزارة ابان الثورة وكان يطلق أعوانه من أمثال حيدر وشاهين يفتـكون بالابرياء ، ماذا كانت النتيجة ولمن كان النصر ؟ !

ترى هل نسي دولة نسيم باشـا ذلك كله ، ولا يزال في حاجة الى درس جـديد ، مرحبا اذن . . وسيأخذ نسيم باشا الدرس الجديد .

نسيم باشا والدستور

يدعي نسيم باشا انه سيد الدستور لمصر ، هل يتفق هذا أيها السادة مع هذه الحالة التي نعانيها الآن ، ها أنا أخطبكم من فوق منبر وادي النيل ، بينا كان يجب ان أخطبكم وجها لوجه ، ويعينا لو أن نسيم باشا سمح لنا ان نجتمع اذن لـكان بدء خطابي هو الشكر والتقدير. اذن لـكان بدء خطابي . تحية أبعثها لنسيم باشا . أما اليوم . فان بدء خطابي هو شواظ من نار (اذا جاز ان أستعير هذا التعبير من الجندي المجهول) هو شـواظ من نار أرسلها لتحيط بالوزارة ورئيسها .

يقول نسيم باشا انه سـيد الدستور ، انه الامين على الحريات . دعوني أسخر من من هـذه الدعوى ، دعوني أضحك وأغرق في الضحك . لأن الأمين على الحرية هو الذي أرسل خلفي وقبلي الى الحلة الـكبرى سـيارتين من اللوري مكتظتين بالجنود تحمل العصي والسياط ، لا لشيء الا لانني فـكرت أن أزور المحلة الـكبرى لافتتاح مكتب الجريدة هناك .

يدعي نسيم باشـا انه سيد الدستور ، وأنه الامين على الحريات ، دعوني أسخر من هذه الدعوى وأضحك وأغرق في الضحك ، لأن نسيم باشا هـــذا هو الذي حرم علينا الاجتماع لنحتفل باصدار جريدة يعرفها جيداً ، ويعرف صوتها المدوي في خدمة مصر ، والقضية المصرية منذ ربع قرن ونيف . جريدة وادي النيل يعرفها نسيم باشا ويعرف جهادها ، ومع ذلك فهو الذي يرفض اليوم أن يسمح لنا . بالاجتماع اجتماعا عائليا صغيرا لنحتفل بها أهذا هو الذي سيد الدستور ، أهذا هو الأمين على الحريات ، دعوني أضحك دعوني أضحك وأسرف في الضحك .

نسيم باشا والاستقلال

يدعي نسيم باشا أنه الحريص على استقلال مصر ، وأنه الأمين على سيادة مصر ، فليحاسبنا ماذا فعل بهذا الاستقلال منذ ولي الحكم ، وماذا تم في سيادة الدولة على يده . فليحاسبنا حفظه الله وأبقاه ومتعنا بنزاهته وعفته واخلاصه ، فليحاسبنا ونحن مستعدون أن نحني الرأس اجلالا لعظمته وجهاده ، استلم الوزارة من وزير لم تنل على يده الا كل اضطهاد وتعذيب . حبسنا في عهده وصودرت حريتنا ، واعتدى علينا ، ومع ذلك فلا نستطيع اليوم الا أن نعترف أنه تمسك باستقلال الوزارة المصرية ، ولم يسمح لانجلترا أن تلقي اليه رغبات أو أوامر ، هذا هو عبدالفتاح يحيى باشا ، ومن قبله صدقي باشا ، الذي مهما قيل فيه فانه قد أرسل في يوم ما بلاغا الى الانجليز يقول لهم فيه : أن ليس لهم الحق في التدخل في شئون مصر الداخلية ، لأنها مستقلة فلا تسمح لهم بهذا التدخل . ومهما قيل في هذا البلاغ من أنه كان موضوعا بالاتفاق مع دار المندوب الانجليزي ، وأنه ليس الا كلاما أجوف .

أجل أيها السادة مهما قيل فيه ، فانه مظهر حسن من مظاهر الاستقلال ، لست أحاول أن أدافع عن صدقي باشا وعن شخصيته ، وأرجو أن تفهموا بدقة وجهة نظري ، فالوزارتان اللتان لم تكونا من صميم الأمة ، بل كانتا حربا على الأمة ، حافظتا على مظاهر الاستقلال على أقل تقدير . أفلا كان بالأحري واجب نسيم باشا ، وهو الذي ارتفع على أكتاف الشعب ، أن يكون موقفه من الانجليز قويا ، وأن يصول ويجول دفاعا عن الاستقلال ومظهرية الاستقلال ؟

نسيم باشا والمحاكم المختلطة

وتولى نسيم باشا الحكم ، وفي الدولة مشاكل ، على رأسها مشكلة المحاكم المختلطة ، فماذا فعل فيها ؟ ماذا فعلت فيها الوزارة لترد لمصر كرامتها . ؟ لاشيء . . لاشيء . . رغم أن الدول كلها . . قالت لها مالك لاتنقذين كرامتك ، وتقررن العربية كافة رسمية حيث أن اللائحة تنص على ذلك . . لا ، فان هذه مسألة تتعلق بالكرامة المصرية والسيادة المصرية . . والكرامة المصرية والسيادة المصرية يمكن أن تنتظر ، حتى تحل المطالب العليا ، مطالب الانجليز . . أسيادنا الانجليز ! .

أشهد أني أكاد أجن . . وأجن بالأكثر من هؤلاء الذين مازالوا يؤيدون الوزارة ويولونها ثقتهم وتشجيعهم .

الوفد وتأييده للوزارة

اللهم اني لا أستطيع أن أفهم تأييدهم ، رغم كل هذا الذي تأتيه الوزارة النسيمية ، الا على أنه حرص على الحكم وكراسي الحكم بأي ثمن من الأثمان ! . نسيم باشا هو القنطرة التي سيعبر عليها الوفد الى الحكم ، وبدون نسيم باشا لايمكن أن يمهد الطريق لوصول

الوفد الى الحكم . . اذن ليعمل نسيم باشا الى هذه الغاية ، وليدفع ثمنا لذلك كل ما يطلب منه ، حتى ولو كان هذا الثمن تفريطا فى استقلال مصر ، حتى ولو كان الثمن تأجيل الدستور الى أجل غير مسمى ، واذا أجل الدستور فما الذى بقى للوفد اذن . . وما الذى ينتظره اذن . . أفهم أن يكون الوفد مهادنا للوزارة ، أفهم أن يكون للوفد ثقة فى شخصية نسيم باشا ، وأن تكون هناك صداقة بين نسيم باشا ورئيس الوفد ، أفهم ذلك ولكن الذى لا أفهمه بل أستنكره هو هذا المبدأ الخطر ، وهو أنه مادام نسيم سيرد الدستور فيجب أن تترك له الحرية ليفعل كل شيء فى هذا السبيل ، وليدفع أى ثمن يريده الانجليز، حتى ولو كان باهظا ، تتقاضاه انجلترا من كرامة مصر ومالية مصر . أولا يحس الوفد معى بخطورة هذا الثمن ، كلنا نحب الدستور ، ونحن من المطالبين بعودة دستور سنة ١٩٢٣ ، ولكنا نريد الدستور دون أن نخسر فى سبيله كل شيء ، دون أن نفقد استقلالنا وكرامتنا .

مبدأ خطر أيها السادة ، بل هو مقامرة خطرة أن نعطي الانجليز كل شيء لكي نأخذ الدستور . اذ ماذا تكون النتيجة اذا نسي الانجليز وعودهم وتنكروا للدستور بعد أن يكونوا قد حصلوا على كل شيء . .

الانجليز لا تريد الدستور

ومالى أتحدث بصيغة الفرض ، وهذا هو الواقع فعلا ، وهذه هى الكارثة التي حلت على مصر فعلا ، فالانجليز اليوم لايريدون دستورا ، لايريدون دستورا بل يريدون حكما مباشرا وطاعة عمياء ، وتركيز السلطة والسيادة والتشريع وكل مظاهر الحكم فى يد المندوب البريطاني حتى يصبح حاكما بأمره ، كحكام الهند أو خط الاستواء .

وكيف يقع الساسة المصريون فى الشرك وينتظرون من انجلترا دستورا ، كيف يخيل اليهم أن انجلترا حريصة على حريتهم وارضائهم ، فتعيد لهم الدستور ، وتعيد الوفد الى الحكم.

أجل أمانى تفنى ، كيف ينخدع بعض الساسة المصريين ، حتى اليوم ، بهذه الترهات والآمال الفارغة . سيقولون أو لم تعط انجلترا الدستور لمصر فى تصريح ٢٨ فبراير ، لم لا تعطيه مرة ثانية ؟ ولكن أيها البسطاء السذج ، لقد أعطتكم انجلترا الدستور فى تصريح ٢٨ فبراير لأنكم كنتم تطالبون بكل شيء ، كنتم تطالبون بالاستقلال التام لمصر والسودان أو الموت الزؤام ، فرمت لكم الدستور لتشغلكم به ولتحطم وحدتكم عليه ، فكان الدستور وكان لانجلترا ما أرادت ، فتحللت معنوياتكم وذهبت ريح جهادكم ، وامتلأتم بالزهو والشغف بالحكم والمناصب .

أما اليوم بعد أن تمزقت أوصالكم ، بعد أن تضعضعت قوانا وامتلأت قلوبنا بالشك والتشاؤم والجبن والضعف ، لم لا يسترد الانجليز الدستور ، لم لا يستردونه ويستردون كل مظهر من مظاهر الاستقلال ؟ لم لا يعودون للحكم من جديد ، ما داموا يجدون

وزراء يقبلون منهم هذا التحكم ، ويرون الوفد يؤيدهم بثمن بخس ، وهو الأمل بعودة الدستور ؟ أو ليس من المضحك أيها السادة أن يكون جهاد نسيم باشا فى هذه الأيام ، لايدور حول اعادة الدستور ؟ لا ، فان هذا الرجل متواضع ولا يرتفع الى هذا الطلب . كل الذى يطلبه ، أن يسمح له المندوب البريطانى باصدار بلاغ يعد فيه الأمة بقرب عودة الدستور ، ومع ذلك فان المندوب يرفض !.

يالسخريه الأقدار ، اذاً لم يعد الدستور هو البضاعة التى يساوم عليها الانجليز ، لا بل أصبح الوعد بالدستور هو البضاعة التى يبيعها الانجليز ويشتريها المصريون . سامح الله الانجليز ، وماذا عليهم لو سمحوا لنسيم باشا باصدار البيان ، فيملأ البلد أملا ووهما لمدة سنة ، أو سبعة أشهر يعود بعدها الدستور ، حتى اذا جاء ميعاد الدستور ، أسقطوا وزارة نسيم باشا وجاءوا بوزارة أخرى لاتعرف شيئا من الدستور !. ثم تعد الأمة من جديد بدستور منتظر ، بعد أن تسلخ فى الحكم عاما أو عامين .

ماذا يضير الانجليز سامحهم الله ، لو استغلوا أحلام هذه الأمة ، فساقوا لها الوعد خلف الوعد حتى تكل وتمل وتلين ، ترى أيخشى الانجليز أن يتمسكوا بالعهد ، متى حافظوا على عهودهم ، ومتى كانوا يعرفون معنى لتنفيذ التعهدات ، وقد أقسموا بالشرف نيفا وستين مرة أن يغادروا مصر ، وكلما طولبوا بتنفيذ الوعد ساقوا وعدا جديدا !.

واليوم وقد كسبوا الاحتلال نهائيا ، ولم يعد فى مصر بأسرها من يطالبهم بالجلاء ، اللهم الا جمعية مصر الفتاة ، وهى جماعة كما يرى الانجليز هين شأنها فى الوقت الحاضر !.

اليوم وقد حقرت المطالب الوطنية وانكمشت ، ماذا على الانجليز لو نقلوا ميدان الوعود الى الدستور ، يؤجلونه من عام الى عام . لا ، ولكن انجلترا الجبارة لم تعد ترى فى الشعب المصرى ما يستحق حتى أن تضحك عليه ، وأن تضيع وقتا فى العبث به ، بارك الله فى نسيم باشا ، وبارك الله فى النحاس باشا ، وماوصلت اليه مصر على أيديهما .

نداء للوفد

انى أبعث بنداء حار من أعماق قلبى ، الى الوفد وزعيمه قائلا : لقد عشتم طوال عشر سنوات علما على الكفاح ، فلا تهنوا ولا تلينوا وان كان ولامناص من مصانعة الانجليز والانخداع بوعودهم فاتركوا ذلك للوزارة ، اتركوا ذلك للوزارة ، أما أنتم ، فالى الصفوف من جديد ، مؤمنين بأنه لادستور مع احتلال ، فليكن كفاحكم هذه المرة لا للدستور والاستقلال والسودان بل أثيروها على الانجليز حربا شعواء لاتبقى ولاتذر ، حربا معنوية ، فى خطبكم وصحفكم ، تعالوا ننظم مقاطعتهم ، تعالوا نكافح ، تعالوا نكافح .

ووالله لو فعلتم ذلك لسادت القلوب تمجدكم من جديد ، والتفت الأمة حولكم من جديد ، أما ان واصلتم هذه السياسة التى تسيرون عليها ، سياسة المداورة والملاينة والانخداع للانجليز ، فانى أنذركم أن الأمة ستنصرف عنكم ، الأمة التى هتفت بأسمائكم بالأمس ، ستهتف بأسماء أخرى ، لأن الأمة لاتخدع والأمة لاتعرف السياسة ، والشعب يريد الكفاح.

وادي النيل

وبعد أيها السادة : صفينا حسابنا مع الوزارة والوفد ، صفينا حسابنا مع الظلم والاستبداد فلنعد الى موضوع احتفالنا ، ولنحدثكم عن مصر الفتاة وخطتها وآمالها .

لعلكم اقتنعتم من هذا العرض البسيط الذى عرضناه الآن موقف رجال السياسة في مصر ، انهم أفلسوا وعما قريب يعلنون افلاسهم . ونحن لسنا فى حاجة الى انتظار هذه الساعة التى يعلنون فيها افلاسهم، لأننا نحس هذا الأفلاس من الآن ونلمسه ، لا بل لمسنا هذا الأفلاس منذ عامين عندما نادينا بمصر الفتاة . كنا نناصر الأحزاب المختلفة ، وفجأة اكتشفنا أنه لا يوجد حزب في مصر له من مبادئه ، أو من رجاله ما يمكن أن يحقق لمصر استقلالها وحريتها المنشودة ، فقد تراموا جميعا على الحكم وأصبحوا عبيده ومحاسيبه ، وتمردوا على النفاق والخيانة والاستهانة بارادة الأمة، واعتز فريق منهم بنفسه فركبرأسه وراح يضع نفسه فى موضع الألوهية ، فلا يناقش ولا يحاسب ولا يراجع ، والا فالويل والثبور وعظائم الأمور . ووسط ذلك كله كان كل شيء يتدهور فى مصر : كرامتها ، شخصيتها ، أخلاق بنيها ، روحهم المعنوية ، حتى وصلنا الى درجة الانحطاط في كل ميدان . وعدنا الى الوراء عشرات الأعوام ، فكان لا مناص من حركة جديدة تخرج من أعماق الشباب ، مخلصة بريئة طاهرة ، لم تتلوث بعد بالسياسة الانجليزية ، وليس لها مطمع فى الحكم ، أو مغنم تصبو اليه فيتلف عليها جهادها ، كيما تكافح من جديد وبأسلوب الكفاح الحق ، لكي تندفع الى الأمام غير هيابة ولا وجلة ، تطالب فى غير ما هوادة أو لين أو مواربة ، باستقلال مصر ومجد مصر ، لا يفزعها سجن أو موت ، وترحب بكل اضطهاد وعذاب وتشريد .

هذه هى جماعة مصر الفتاة . . خرجنا الى الحياة منذ عامين فتوالت علينا الاحن والويلات ، ولكنها مرت بنا دون أن تترك بنا أثرا ، أو تفل من عزائمنا .

ولقد حاربنا الانجليز عن طريق كوبن بويد واضرابه ، وحاربتنا الوزارة التى آذاها أن ترى شبابا متطرفا ينقدها فى غير رحمة ، ولقد كان أمر الانجليز والحكومة هينا ، وسيبقى هينا دائما أبداً ، ذلك أنه لا يتطلب منا الا أن نحتمل الاضطهاد والعذاب ، ونحن قد وطدنا العزم على ذلك .

على أن مصر الفتاة قد قوبلت باضطهاد أقوي وأعظم ، وذلك هو اضطهاد الأغلبية وقذفها بالتهم الباطلة واحدة خلف أخري ، قالوا عنا تارة اننا صنائع الانجليز ، ثم صنائع الحزب الوطنى ، ثم صنائع الابراشى باشا ، ولقد مضينا فى طريقنا لا نلوي على هذه السخافات ، التى كانت تتلاشى واحدة بعد الأخرى ، حتى كان سقوط الابراشى باشا ، فسقطت آخر هذه الدعاوى الى غير عودة . وها نحن أولاء وقد أثمر جهادنا ، ننزل الى الميدان بجريدة هي مفخرة الجرائد المصرية الصميمة ، فلقد أسسها صاحبها منذ سبع وعشرين سنة ،

بمشورة مصطفى كامل باشا، وظل يعمل على رأسها طوال هذا العمر الطويل في جد ونشاط، حتى جاءت أيام كانت وادى النيل هى الجريدة التى كان يقرؤها كل مصرى، وفى الوقت الذى كانت الجرائد تصدر فى صفحتين اثنتين، كانت هى تصدر فى ثمانى صفحات وكانت تصدر مرتين في اليوم الواحد !. أفمن عليكم ذلك لتعرفوا أن جريدة وادى النيل علم من أعلام الصحافة فى مصر، واذا كانت قد ركدت ريحها فى المدة الأخيرة فما ذلك الا لأن الأستاذ الكاتب، شفاه الله وعافاه، أصابته بعض الأمراض، التى جعلته، وقد بلغ السن التى وصل اليها غير قادر على مواصلة الكفاح، فى قوة ونشاط فاذا تقدمت مصر الفتاة لتتخذ من وادى النيل لسان حال لها، اذا نزلت مصر الفتاة الى ميدان الجهاد وفى قلبها ايمانها، وفى يمينها وادى النيل كتب لها النجاح، فى هذا عصر جديد من عصور مصر الحديثة، بل هو فجر يشرق على الظلمات التى كست مصر سربالا مخيفاً. فحق علينا أن نبتهج وأن نحتفل وأن نتخذ من أول مايو عيدا عظيما نحتفل به فى كل عام مرة، لأنه من أيام مصر البيضاء.

خطتنا وبرنامجنا

بقى أن تتساءلوا : وماهى الخطة وماهو البرنامج، أما خطتنا فطالما كررتها فى خطبى ومقالاتى، وهى اعادة الروح. نريد أن نعيد الروح الى الشباب المصرى، فيمتلىء ايمانا وعزما، ويقدس الرجولة والأخلاق ويعد من نفسه فارسا مقداما. نريد أن ننشىء الجيل الجديد، واثقا بنفسه معتزا ببلاده فخورا بتاريخه، نريد أن نملأ النفوس جرأة وشجاعة وتضحية.

الحرب العالمية القادمة

ونريد أن نهيىء أنفسنا للحرب العالمية القادمة، لأنها هى المخلص، وهى المنقذ. لا أمل لنا فى الاستقلال والتخلص من يد الانجليز الا فى الحرب القادمة، فيجب أن نتهيأ لها منذ الآن، وأن نستعد كى لا نؤخذ على غرة، ولكى نقوم بواجبنا فى الساعة المناسبة. لطالما قلت لكم ما أقوله اليوم، وهو أننا لن نحصل على استقلالنا بمنحة من الانجليز أو بدهاء نسيم باشا، أو مصانعة النحاس باشا فهم لن تحصل على شىء بهذا الأسلوب، ومن السفه بل من الجنون التعويل على هذه الخطة !. سنحصل على استقلالنا عندما نصبح قادرين على أخذه عنوة، وسنحصل على حريتنا عندما نستطيع أن ندفع ثمنها.

واذا كان لامناص من انتزاع الاستقلال بالقوة، كما يعلمنا الله فى كتابه العزيز بقوله: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل »، فالفرصة ستتاح لنا فى الحرب القادمة والتى ستقع من غير شك !. أجل ستندلع نيران الحرب مافى ذلك شك أيها السادة، وان كان هناك مايمكن أن يكون محلا للخلاف فهو موعد حصولها، أهو بعد ثلاثة أعوام

أم خمسة أم عشرة . أجل قد يختلف المختلفون فى تحديد التاريخ أما فى أنها ستقع فلا ! فقد أصبح ذلك حتما لا شك فيه. ان أوربا قد اندفعت نحو التسلح بدون قيد أو شرط ، قد اندفعت نحو التسلح وابتكار المدمرات والمخربات ، وغدا عندما ترى كل دولة نفسها وقد تدججت بالسلاح ، وأنها من القوة والمناعة بحيث تحطم جاراتها ، غدا عندما يمتلىء كل شعب بالزهو والخيلاء ، ويرغب فى الفتح والاستعمار والثأر ، غدا ستقع الواقعة ، فتشتعل النار التى ستلتهم أوربا بأسرها ، وذلك من رحمة الله ومن نعمته ، لكى يتحرر الشرق ولكى ينهض ، ولكى تحطم هذه المدنية القذرة الدنسة ، مدنية الذهب والحديد والمادة ، مدنية الفسق والدعارة والالحاد ، وحتى تحق كلمة الله سبحانه وتعالى: «حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » . أجل فسد الأوربيون وبغوا وحسبوا أنفسهم أنصاف آلهة ، وعبدوا عقولهم ، وعبدوا شهواتهم ، وأعمتهم مخترعاتهم ، فظنوا أنهم قادرون على الأرض والسماء ، وغدا سيجيئهم أمر الله فى هذه الحرب . فعلى الشرق بصفة عامة ، وعلى مصر بصفة خاصة ، أن تتربص وقت هذه الحرب وأن تعد نفسها لها ، فاما أن تترك انجلترا لمصر حريتها كاملة واستقلالها غير منقوص ، وتسحب جيوشها وتجلو عن مصر ، وعندها تقف الى جانبها موقف الحليف من الحليف ، واما أن تناضل عن حريتنا باعلان الحرب على انجلترا ، ونكافح كفاح المستميت ، فاما موت وفناء فى ظل الشرف والكرامة واما انتصار يعيد الى البلاد حريتها ومجدها .

كلمة أخيرة

فهمتنا أن نعد جيلا جديدا ، وأن نهيء النفوس والشعب للحرب القادمة ، فاذا انتصرنا فان برنامجا واسع النطاق ينفذ فى عشر سنوات ، ومن شأنه أن يبعث كل مجد مصر الماضى وأن يخلق منها دولة شامخة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الأسلام . برنامج يقضى على الأمية ، ويقضى على الاستعباد الاقتصادى ، ويبعث روح النبوغ والعبقرية فى العلوم والفنون والآداب ، ويملأ مصر نورا من جديد لتفيء على العالمين ، ولتحمل لواء السلام والايمان .

هذه خطتنا وهذا برامجنا وتلك آمالنا نتحدث بها اليكم مجددين العزم والميثاق من جديد ، أن نكافح من أجل تحقيقها ، وأن نموت فى سبيلها غير راجين جزاء أو شكورا من مخلوق ، ولكن رضا وحبا من الله ، وعلى بركة الله نسير ، وباسم الله نبتدىء الكفاح ، وبعون الله نتحدى به الشدائد والصعاب ، والله يوفقنا ، والله يهدينا سواء السبيل ، والمجد لمصر.

١٣ نوفمبر

سنة ١٩٣٥

انتصار مصر الفتـــاة

اندلاع الثورة

انتصار روح مصر الفتاة

في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥

انفجار

كان آخر عهدنا بجريدة وادى النيل والكفاح في الأسكندرية هو شهر يونيو سنة ١٩٣٠ وقد تراكمت الصعوبات المسادية فحالت بيني وبين مواصلة إصدار الجريدة فعدت إلى القاهرة قلب الحركة الخفاق وكان السخط على وزارة نسيم باشا قد بدأ يشيع فى جميع الأوساط .

وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥ انفجرت عناصر السخط فى أوساط الشبان ، فقابلها نسيم باشا بالرصاص والأرهاب ، فلم يزد ذلك النار إلا اضطراما وتحول السخط إلى ثورة ... بدأت في صفوف الشبان ، وبدأت تنتقل منهم إلى بقية عناصر الأمة رويداً رويداً ... وفى أيام قليلة تحول سكون مصر إلى حركة عنيفة ، وتضرجت شوارع القاهرة بدماء عشرات من الطلاب وشباب الجامعة ، وغصت المعتقلات بمئات وألوف من المقبوض عليهم .

وفى عشية وضحاها ، سرت فى مصر هزة قوية ، أوقل روح عنيفة ، تأبى الذل وتتمرد على خنق الحرية ، وتطالب بالدستور ولا ترضى بأقل من الاستقلال .

فوجئت الحكومة بهذه الحالة وفزع الانجليز من نتائجها ولم يستطيعوا تحليلا لعناصرها ، وعجزوا عن تفسير ماخيل لهم أنه جاء مفاجأة غير منتظرة ، وقد شاطر الحكومة والأنجليز كثيرون من المصريين أنفسهم فى اعتبار أن ماحدث كان مفاجأة غير متوقعة ، وأنه مقطوع الأسباب عن مقدماته .. فهل كان هذا الحكم صحيحاً ؟! وهل لم يسبق هذه الحركة القوية مقدمات تؤدى اليها ؟ هذا هو ماسأحاول تحليله هنا فى هذه السطور ، للذكرى والتاريخ ، والدرس والعبرة .

ولست أحسب أن هناك قارئاً واحداً قد طالع كتابي هذا حتى هذه السطور إلا مبادرا بالقول بأن مصر الفتاة هي خالقة هذه الحركة ، وأنها قد مهدت لها بهذا الجهاد الطويل في بحر ثلاثة أعوام ، تعرضت فيها لشتى صنوف الاضطهاد والتعذيب ، ولم تفتأ تردد في أثنائها مبادىء الوطنية الصحيحة ، وتحض على الجهاد في غير ماخوف أوجزع . والواقع أن هذا الحكم من القاريء هو الحكم الصحيح الصادق في غير مغالاة أو إسراف. ذلك أن الأيمان الذي كان يملأ صدورنا ، والذى مازال يملأ صدورنا ، بل والذي ازداد أضعافا مضاعفة . هذا الأيمان الذي يحركنا ، والذي يغذينا ، والذي يدفعنا دائماً إلى الأمام ، هذا الأيمان الذي يهون لنا الشدائد ، لا يمكن إلا أن يكون قوة مؤثرة تأثيراً مادياً في البيئة المحيطة بنا . وإني لأكاد أتخيل للايمان قوة خفية كقوة المغناطيس أو الكهرباء ، هذه القوة التي تملأ الجو من غير أن يكون لها مظهر مادى ومع ذلك فانها موجودة وهي تؤثر وهي تنتج : بمعنى أن الشخص المؤمن يستطيع أن يؤثر بايمانه ولو كان في حجرة مغلقة الأبواب ، موصدة النوافذ ، وهذا يدل عليه سجن المجاهدين فهو يزيد في قوة عقيدتهم ، وبالتالى في عقيدة زملائهم وأتباعهم ، إذ بالقوة الغشوم سرعان ماتهزم أمام المجاهد السجين ، فاذا بالأبواب تفتح ،والسلاسل تحطم ، ويستأنف المجاهد جهاده ، والناس من حوله أشد إيمانا وإصراراً على الكفاح ! . هذا هو أثر الأيمان الكامن في نفسي ، ونفوس أصدقائي .. فقد كان قوة مؤثرة في البيئة التي تحيط بنا سواء اتصلنا بها أو لم نتصل ، فما بالك ونحن لم نترك دقيقة واحدة في هذه الثلاث السنوات لم نتصل فيها بجموع الشباب والطلاب بصفة خاصة .. فليست هذه السنوات الثلاث إلا عملا متصلا في قوة وعنف ضد مظاهر الضعف والتخنث والجبن الذى ران على القلوب . ولقد طالعتم في الصفحات السابقة ، كيف كنا نقابل السجن بالابتهاج ، ونحتمل الشدة في سرور ، ورأيتم في الصفحات السابقة كيف كانت حياتنا سلسلة متصلة بين السجن والاعتداء

والأبذاء ، ورأيتم كيف أرسلنا الصوت مدوياً من أعماق السجون ، ومن أقفاص الاتهام ، ندعو الشباب إلى التضحية والكفاح ، في غير ماوجل أو تردد ... وفي هذه السنوات الثلاث، لم يمض يوم واحد ، لم نكن فيه نتحدث ونخطب ونعطي القدوة للشباب ، في هذه السنوات الثلاث ذرعنا القطر شمالا وجنوباً ، وغرباً وشرقاً ، ناشرين إيماننا وعقيدتنا ،ومقدمين المثال بهذه الجرأة التي تسخر من الظلم وتهزأ بالاستبداد . ولم يكن ذلك كله بغير أثر ، بل على العكس فقد ترك أثراً عميقاً في نفوس الشباب الذين أحاطوا بنا ، أثر ذلك في نفوس زهرة الشباب ، وأعني بهم طلاب الجامعة ، وليس في قادتهم إلا من هو صديق شخصي لي أو عضو في مصر الفتاة . وإذن فقد تهيأت أذهانهم لروح الكفاح والتضحية ، وروح العمل من أجل مصر أولا وأخيراً ، مهملين الأشخاص ، ومقدسين العمل الصالح ، ولقد كنت هذه البذور في قرارة نفوس الطلاب ، وأخذت تنمو وتزدهر يوماً بعد يوم ، حتى كانت الحرب الأيطالية الحبشية ، وقامت الحبشة تدافع عن استقلالها وعزتها ، ووقف العالم بأسره إلى جانبها ، يتحدث عن سيادتها وقداسة حريتها ، وشرعت جرائد الدنيا تتحدث عن وطنية الأحباش وبسالة الأحباش ، وتستعرض صوراً من كفاح أبطالها ، ورجالها ونسائها ، بل وأطفالها ... وأخذت رائحة البارود تملأ معاطس المصريين ، والدم المهراق يوقظ حواسهم ، ورؤية الكفاح تثير غريزة الكفاح، فلا عجب أن امتلأت نفوس الشباب المصري بالرغبة في الكفاح ، وكل عاطفة قوية إن لم تجد من ينظمها في بداية أمرها ، انحرفت عن طريقها الطبيعي وتبددت أدراج الرياح ، وربما تحولت إلى قوة مخربة كالنار إن لم تنظم أصبحت أداة خراب ودمار ، وقد كاد ذلك يكون النتيجة المحققة لعواطف الشباب المصري في تلك الأيام . فقد اندفع بعض الشباب وفي مقدمته الصحافة ، تدعو للتطوع للدفاع عن استقلال الحبشة ، وحرية الحبشة ، وسرعان ما تألفت اللجان وانهالت ألوف الطلبات، وتقدم

مئات الشبان ، وقد امتلأت صدورهم بحماسة عجيبة ، فكنت تراهم والدم الحار يملأ شرايينهم ، واللهب المقدس يشع من أعينهم ، فأما السذج والبسطاء فقد خيل لهم أن المصريين يريدون الدفاع عن الحبشة ، ويتحمسون للحبشة فراحت الصحافة تطبل وتزمر ، وتهاجم الأيطاليين وتناصر الحبشة ، وتستحث الشباب لنصرة الحبشة . حتى امتلأت البلد بروح غريبة ، روح الدفاع عن الحبشة واستقلال الحبشة ، أما أنا فلم أر فى كل ذلك إلا رغبة الأمة في الدفاع عن نفسها ، وأن هذه الروح القوية ، التى تريد متنفساً لها ، وجدت فى الحبشة فرصة لأظهار هذه الروح . ومنذ الدقيقة الأولى فهمت إحساس الشباب الحقيقى ، ومنذ الدقيقة الأولى عرفت ماذا يجب على أن أفعل ، وماذا يجب على كل الشباب أن يفعل ، فاذا كان الحبشة استقلال قد حطم ، وإذا كانت للحبشة كرامة ينبغى أن تصان ، فان لمصر كرامة يجب أن تسترد ، وإذا كان في عروق الشباب المصرى دم يجب أن يراق ، فان مصر به أولى ، وإذا كان هناك ما يجب أن يقوم به المصريون ، فهو انتهاز هذه الفرصة ، للمطالبة بحقهم واخراج الأنجليز ، واسماع العالم صوت مصر ، والكفاح في سبيل الاستقلال .

وإذن فقد عملت جاهدا على إعادة العواطف التى تملأ صدور الشباب إلى طريقها الطبيعى ، فناديت قومى وناديت الشباب ، وانبث جنود مصر الفتاة ، يدعون فى كل مكان ، أن على هؤلاء الذين يريدون الدفاع عن الحبشة ، أن يدافعوا عن مصر ، وهؤلاء الشجعان أن يبرزوا شجاعتهم فى مصر ، والراغبون في التضحية ، أمامهم الميدان متسعا فى مصر . ولقد بدت هذه الدعوة ، فى وقت اندفعت فيه العواطف إلى مناصرة الحبشة وتأييدها ، بدت دعوة غريبة شاذة ، فأخذ الرأى العام يهجس بأنها دعوة مدسوسة ، وأن للايطاليين فيها دخلا . حتى لقد أشارت إلى ذلك ، مجلة «اللطائف المصورة» أشارة صريحة ، على الرغم من خصومتى للطليان خصومة عنيفة ، ولعل القارىء قد لمحها فى كل سطر ، من سطور مرافعاتى وخطبى وأحاديثى ، ذلك أن

الأمبراطورية الرومانية ، التي يريد أن يبعثها موسوليني، إنما ترتكز في مصر، والبحر الأبيض الذي يريد أن يجعله بحيرة رومانية، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كانت مصر رومانية كذلك. وإذن فإيطاليا الجديدة ذات البرامج الاستعمارية ، هي خطر على مصر أي خطر ، يجب أن تتهيأ له مصر ، وأن تستعد ، وأن تكون منه على حذر ، على أن هذا لا يعني مطلقا أن تنسى مصر أنها واقعة حالا في براثن مستعمر آخر، وأن عليها أن تعمل لفك أغلالها الحالية ، قبل أن تخشى أغلالا مستقبلة ، قد تقيد بها ، بالغة ما بلغت هذه السلاسل المقبلة من حيث الخطر والأهمية ، وما هي الوسيلة لانتزاع استقلال مصر إلا بانتهاز الفرص ، واستغلال الخلافات الدولية بين انجلترا وغيرها من الدول ، فمصر في سنة ١٩٣٥ ، ما كانت تكسب قليلا أو كثيرا من معاداتها لإيطاليا ، وإظهار خصومتها العنيفة ، في وقت كان الاستقلال فيه أثراً بعد عين والانجليز يتحكمون في كل شيء ، ويضغطون على العرش ، ويرفضون الدستور .

ولقد أدركت الأمة كل هذه الحقائق بعد حين ، فبدأت الأحزاب السياسية تنشط بعد تخاذل الوفد،وتأييده لسياسة نسيم باشا المدمرة ،وخرج الأستاذ العقاد على سياسة الوفد والحكومة ، وواصل كتابة هذه المقالات الصادقة ، والتي ليست إلا تكرارا لما سبقته اليه مصر الفتاة ، أو بمعنى آخر ، ليست إلا وليدة روح مصر الفتاة ، روح الكفاح والمقاومة والاستبسال والأيمان ، وفي وسط هذا الجو عاودت مصر الفتاة نشاطها المادي والروحي ، فعاودت الصرخة صدورها بقوة ، وتقابلت مع الأستاذ العقاد في منتصف الطريق وأفسح لي صدر جريدة روز اليوسف أسجل على صفحاتها روح مصر الفتاة ونشاطها . وإذن فقد بدأ تيار الحماسة نحو الحبشة يعود إلى مصبه الطبيعي ، وأعني به القضية المصرية ، والدفاع عن استقلال مصر ، وهذه القلوب الفتية بدأت تتطلع باحثة عما تفعله من أجل مصر ، وأينعت تلك البذور التي غرسناها في النفوس ، لا ، بل بدأت تثمر

وتنضج ، حتى إذا بدأ شهر نوفمبر ، بدأت الحوادث تتوالى بسرعة ، فقد كانت حملة العقاد على سياسة الضعف في أوجها ، وعاد دولة محمد باشا محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين إلى سياسة التعاون بين الأحزاب والائتلاف وتوحيد الصفوف ، وأقام اجتماعا في ٧ نوفمبر شهده كل رجال الأحزاب ماعدا الوفد ، ولأول مرة عقد اجتماع سياسي في يوم وليلة وزاد حاضروه على بضعة عشر ألفا ، جلهم من الشباب ، وشهد رجال الأحزاب المختلفة يجلسون جنبا إلى جنب ، يكرمهم الشباب ، ويهتف بأسمائهم فكان ذلك إيذانا بغليان الأفكار وارادتها في توحيد الصفوف ، استعدادا للكفاح . حتى إذا ما اقترب يوم الأربعاء ١٣ نوفمبر ، أعلنت مصر الفتاة عن اجتماع ضخم ، أخطب فيه باسم الجيل الجديد ، ويخطب معي سعادة محمد علي باشا علوبة ، والأستاذ العقاد ، والأستاذ عبد الرحمن عزام ، ولقد كان معينا لمكان الاجتماع مسرح برنتانيا ، فطبعنا من التذاكر ضعف مايسع من الحضور ، فاذا بها تنفد في دقائق ، وإذا بنا مضطرون أن نطبع من التذاكر ألوفا تلو ألوف ، وإذا بجموع الشباب تضغط على دار الجمعية ضغطا عظيما ، تطالب بشهود الاجتماع ، فاذا بنا ننقل الاجتماع إلى سراي آل لطف الله بالجزيرة ، كما تتسع لهذه الألوف ، على الرغم من أن الوفد ، كان قد دعا إلى اجتماعه السنوي المعتاد ، وقد اضطر تمهيدا لانجاحه أن يعلن تخليه رسميا ، أي في الظاهر ، عن تأييد وزارة نسيم باشا ، فكان ذلك أول ثمرة لضغط الرأي العام ، وهكذا بلغ الغليان الفكري أشده . على أن الشبان كانوا هم كل شيء في هذه الحركة ، فهم الذين نشروا السخط ضد وزارة نسيم وسياسة الاستخذاء ، وهم الذين دعوا لتوحيد الصفوف . واعلان سياسة الكفاح ، فلما كانت صبيحة يوم الأربعاء ١٣ نوفمبر ، كانت القاهرة في جو مكهرب ملبد بقوى غير منظورة ، وفي آخر دقيقة منعت الحكومة اجتماع مصر الفتاة ، بعد أن اتخذنا له كل المعدات ، على الرغم من سماحها بعقد اجتماع الوفد ، فسرت في كل من وصل اليه الخبر ، روح سخط جديدة واستنكار شديد ، وخرجت

جموع الطلاب من الجامعة تزحف نحو القاهرة ، هاتفة متظاهرة ، فاشتبك معها البوليس ، وكانت معارك فى قصر النيل ، وفى ساحة عابدين، أطلقت فيها النار ، وأصيب عشرات من الجرحى ، وأحاطت الحكومة مكان اجتماعنا بصفوف متراصة من البوليس، تحول بين الجموع و بين عقد الاجتماع. وما أن هممت بالاقتراب من مكان الاجتماع وأخذت أتحادث مع بعض الضباط، حتى صدر أمر البوليس بالاعتداء علينا ، فانهالت على عصى البوليس ولكماته ، وأخذت الى مركز البوليس ، وهكذا لم ينقض هذا اليوم العصيب فى حياة مصر دون أن آخذ منه بنصيب ، حقا إنه لنصيب تافه بضع كدمات وضربات عصى ، ولكنه نصيب على كل حال يعزينى اليوم ، وغدا ، وإلى الأبد ، انى لم أكن فى هذا اليوم العاصف قعيد بيتى ، أو ممتطيا سيارة والجرحى تتساقط من حولى ، بل كنت فيه المجاهد الصغير ، الذى أخذ نصيبه من المعركة . ولم أتردد فى قبول اعتذار البوليس ، ساعة أن قدمه لى ، ولقد كان بودى أن يجرى تحقيق على يد النيابة ، وأن يعلم الرأى العام ما وقع ، ولكن الحوادث الدامية التى كانت تحدث من دقيقة الى أخرى ، جعلتنى أنسى هذا الحادث ، أو أتناساه ، لأشتغل بما هو أهم وأروع ، وفى نفس اليوم حدث اصطدام بين البوليس والجموع المحتشدة لدى بيت الأمة ، وقد أصيب فيه عشرات من الجرحى ، واقتيد الى السجن مئات الشباب ، وهكذا انفجرت روح الشباب ، وسرت هزة الكفاح فى أنحاء الوادى .

وكان اليوم التالى ١٤ نوفمبر ، هو بدء اعلان الثورة بمعناه الرسمى ، فقد انحدرت جموع الطلاب من الجامعة ، قاصدة القاهرة ، كما فعلت بالأمس فتصدى لها عند كوبرى عباس بعض أفراد من رجال البوليس الانجليزى ، وفى دقائق قليلة أردوا بعض القتلى والمصابين من طلاب الجامعة ، وسقط عبدالمجيد مرسى ، والجراحى، وابراهيم شكرى، مات الأول سريعا وعاش الثانى أياما . . بعث فيها الحياة فى اخوانه وملأهم ايمانا وعزما ، أما الثالث

فقد برأ من جراحه ، وظل حيا يعمل كما عمل دائما تحت لواء مصر الفتاة ، ليكون مثلا حيا على أثر مصر الفتاة فى هذه الحركة العتيدة . .

كان فى نفوس الشباب سخط . . . وفى نفوس الشباب ارادة ، وفى نفوس الشباب أمل . . . وبحث شباب الجامعة عن شعار يلخص حركته ويعمل بروحه . . . بحث شباب الجامعة عن لواء يلتفون حوله ، ويسيرون فى ظله ، بحث شباب الجامعة عن المبدأ الذى يكافحون من أجله ، ويسقطون فى سبيله ويسجلونه بدمائهم ، فأسعفهم قادتهم من شباب مصر الفتاة بهذا المبدأ وذاك اللواء . أسعفهم شباب مصر الفتاة بالمبدأ السامى الذى يلخص لهم كل شىء ، سخطهم وعقيدتهم وإيمانهم وآمالهم .. أسعفهم شباب مصر الفتاة فهتفوا لهم «مصر فوق الجميع !!» . فاذا بالجموع تردد من أعماق أرواحها . . . مصر فوق الجميع الله أكبر ، هذه هى مصر الفتاة تنتصر ، هذا هو ايمانها ، وهذه روحها ، هذا هو كفاح مصر الفتاة ، مصر فوق الجميع ، ذكرت فرجعت ، وفى دقيقة كانت شعار الحركة فى مصر كلها ، من الاسكندرية حتى أسوان ، فأخفتت كل صوت ، وقضت على كل روح سواها ، حاولت أن ترفع رأسها . .

وقاد الحركة فى عنفوانها طراف (١) ومحيى الدين وحماده ومكى وشكرى وشافعى وسعد وغيرهم من زهرة مصر الفتاة وقوادها الذين تغذوا بلبانها وامتزجت بدمائهم .. هؤلاء الذين قادوا هذه الحركة ، هم جنود مصر الفتاة ، وعندما مات الجراحى ، كانت آخر كلماته مصر فوق الجميع ، فسطر بدمه رسالة مصر الفتاة . وعندما حاول نسيم باشا أن يفزع الحركة برصاصه وسجونه ، أجابوه بكلمات مصر الفتاة ، وما السجن ، وما الموت ، وما الحياة فى ظل الذل . .

---

(١) نور الدين طراف الطب — محي الدين عبد الحليم دار العلوم — حماده الناحل الحقوق — محمود مكى الزراعة — ابراهيم شكرى الزراعة — محمود شافعى معهد التربية — كمال سعد الزراعة

وهؤلاء جميعاً أعضاء فى مجلس جهاد جمعية مصر الفتاة قبل هذه الحركة

فتعالیم مصر الفتاة هی التی انتصرت ، وروح مصر الفتاة هی التی سادت ، وشباب مصر الفتاة هو الذی تزعم . ، وجمعية مصر الفتاة هی التی لبت ارادة الشباب والأمة ، بعد ذلك فنفذت مارغبت الأمة فی تنفيذه ، وسافرت الى أوربا أناوزميلي فتحی رضوان للدعاية لقضية مصر فی انجلترا وأوربا ، لأسماع صوت الضحايا ، وصوت الشباب للدنيا باسرها ، وفی أيام قلائل كنت أحزم أمتعتی ، وفی أيام قلائل كنت مسافرا الى أوربا ، وفی نفسی إيمان بالله ، وفی جيوبی مائتان من الجنيهات ، لا تكاد تكفی نفقات لسفر واحد من أغنيائنا يرغب فی النزهة ، ولقد جمعت هذه الجنيهات من اكتتاب عام فتح على صفحات الجرائد ، وأقبل عليه الناس رويدا رويدا ، وهكذا سيطرت روح مصر الفتاة على الموقف ابتــداء من المقدمة وتدريجا مع الحوادث ، فما كان انفجار ١٣ نوفمبر ســنة ١٩٣٥ بحادث مقطوع الصلة بجهود مصر الفتاة ، ففی مثل هذا اليوم من عامين سابقين على هذا التاريخ ، أی فی ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٣ ، قبض على لأول مرة وزج بی الى السجن عقابا على صرختی الأولى ، والتی كان عنوانها : « ياشباب عام ١٩٣٣ ، كن كشباب سنة ١٩١٩ ، كن كهذا الشباب الذی أشعل الثورة فی وقت لم يتوقع الناس فيه الثورة » فاذا كان الشباب قد لبی هذه الدعوة بعد عامين ، واتخذ شعارا لها ما أردت أن يكون له شعارا فماذا أستطيع أن أقول وأن أسجل ، الا أن مصر الفتاة هی التی انتصرت فی ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥ .

سفر وفد جمعية مصر الفتاة

الى لندن وباريس وجنيف

— ١٢ —

تطورت الحوادث ، كما رأينا ، وشعرت الأمة بضرورة إرسال وفد للدعاية إلى أوربا كما فعل مصطفى كامل وفريد من قبل ، وكما أوفدت مصر وفدها الكبير في سنة ١٩١٩ إلى مؤتمر الصلح لكي يدافع عن القضية المصرية أمام الرأي العام العالمي عامة، والانجليزي بصفة خاصة ، لأطلاعه على الحقائق ومدى الظلم والاستبداد الذى تنزله انجلترا بشعب أعزل من كل سلاح ، وكيف تحول بينه وبين الحرية في الوقت الذى تتشدق فيه بأنها نصيرة الحرية ورائدتها في الدنيا كلها .

أحست الأمة بالحاجة إلى قيام هذا الوفد ، وراحت الأحزاب القديمة ، وعلى رأسها الوفد ، تتناقش في كيفية تحقيق هذا الواجب وأظهرت كثيرا من التردد والأحجام عن تنفيذ المشروع ، بحجة أنه يحتاج إلى مال كثير قد يربي على بضع مئات من ألوف الجنيهات . فكانت هذه هي فرصة مصر الفتاة لتسطر صفحة جديدة من صفحات الجهاد بالاضطلاع بهذا الواجب الوطني .

فقمت وزميلي الأستاذ فتحي رضوان بأكبر مغامرة قمت بها في حياتي حتى اليوم ، لم يكن سلاحي فيها إلا الايمان ، والايمان أولا وأخيراً . فهذا المشروع الذى كان يحتاج إلى بضع مئات من الألوف ، في نظر أحزاب مصر ، نفذناه نحن بما لا يتجاوز بضع عشرات من الجنيهات ..

وعندما غادرنا محطة العاصمة في طريقنا إلى لندن لم يكن في جعبتنا أكثر من مائة وعشرين جنيها ، أو فوق ذلك بقليل جداً ، وقد كان هذا يبدو لوناً من ألوان الجنون أو العبث ، أن يسافر شابان إلى عاصمة بلاد

الانجليز لم يسبق لها أن زاراها من قبل ، وأن يكون سفرهما إليها في صميم فصل الشتاء ، وأن تكون مهمتهما هي القيام بدعاية ضخمة عن القضية المصرية وتمثيل الشباب المصرى ، أو بالأحرى الشعب المصري بأ كله ، وأن لا يكون لديهما من المال للقيام بهذه المهمة إلا مبلغ تافه ، وصغيرجداً لا يكاد يكفى نفقات الطريق .

وسوف تمتلىء دهشة إذا علمت فوق ذلك كله أن معرفتى باللغة الانجليزية لا تتجاوز ما يعرفه أحد طلاب المدارس الثانوية ، بل إن عدم المران على استعمال اللغة الانجليزية كاد أن ينسيني هذا القسم الضئيل الذي تعلمته منها . ومع ذلك ، وبالرغم من كل هذه الظروف مجتمعة ، فقد جاءت الساعة التي احتشد فيها الشــباب لوداعنا على محطة العاصمة . وقد خف رجلان من أكرم الرجال ليكونا في وداعناعلى المحطة، وهما سعادة محمد على علوبة باشا والمرحوم محمد عبد القادر حمزه باشا صاحب البلاغ . وقد كان وداعاً حافلا ورائعاً ألقيت فيه الخطب والكلمات ، وارتفعت نداءات أبناء مصر الفتاة فى حماســة ارتجت لها أروقة المحطة وأرصفتها . وكان آخر هتاف رددته هذه الجموع هو صرختي عند تحرك القطار :

« نريد الحيــاة — من حقنا الحيــاة — وسوف ننتصر » .

وانطلق القطار بعد ذلك نحو عاصمة الانجليز وأبناء مصر الفتاة يهزجون نشيدهم المحبوب « إسلمى يا مصر » .

وبينما كان القطار يشق طريقه نحو الاسكندرية كان الشعب المصري يطالع النداء الذى أذعته بمناســبة سفرى والذى أري أن أثبته بنصه للذكري والتاريخ .

من أحمد حسين الى الشعب المصرى

عهد وميثاق

أيها الشعب المجيد ..

فى الساعة التى نحزم فيها أمتعتنا للسفر الى عواصم أوروبا ، كيما ندافع عن القضية المصرية أمام محكمة الرأى العام الدولى ، وفى الساعة التى تخفق فيها قلوبنا لذكرى مغادرة الوطن العزيز الجريح ، أرى لزاماً على أن أعاهد الأمة على برنامجى ، وأن أطلع الرأى العام على آمالى ومخاوفى .

لسنا ندعى أننا سنحصل على استقلال مصر ، وأننا سنحل القضية المصرية بمجرد ذهابنا الى أوروبا ، ولسنا نجرأ على القول بأننا سنعود الى مصر وفى جعبتنا معاهدة تحقق المطالب المصرية والأمانى القومية .

لا .. لسنا ندعى شيئاً من ذلك فان القضية المصرية ستحل هنا فى القاهرة وليس فى أوروبا ، ستحل القضية المصرية بأيدينا نحن المصريين وليس بأيدى الانجليز ، ولا بأيدى أى نوع آخر من المخلوقات ، سوف تحل القضية المصرية عندما يؤمن المصريون بأنفسهم وقدرتهم على الكفاح والاستبسال فى سبيل النصر — سوف تحل القضية المصرية عندما يتحلى المصريون بالعزم والجرأة والشجاعة ، عند مايسترخصون الحياة، ويحتقرون المناصب ويطئون أعراض الحياة ، سوف تحل القضية المصرية عندما لايهاب الشباب المصري أعماق السجون ولا طلقات الرصاص ، ولا صنوف الحرمان ، سوف تحل القضية المصرية عندما نقف صفاً واحداً كالبنيان المرصوص أمام العدو المشترك ، عندما نفهم دسائسه وأساليب استعماره ، وعندما نحتقر مؤامراته وصنوف اغرائه ، سوف تحل القضية المصرية عندما نعرف كيف نطهر أنفسنا ، ونصونها من العبث والاسراف فى الشهوات والملذات ، عندما نتخلق بالأخلاق الحسنة ونعتنق الثبات ونتعلم الصبر ونصمد للشدائد ، سوف تحل القضية المصرية عندما نعرف كيف نقاطع كل دخيل ، وكل ما هو أجنبى ، وكيف لا نأكل الا من طعام بلادنا ، وكيف لا نلبس الامن صنع بلادنا ، ولانحترم الا ما كان مصريا صميما من أعماق المصريين ، سوف تحل القضية المصرية عندما نرفع الرؤوس افتخاراً واعتزازاً بقوميتنا ، وثقة واعتداداً بأنفسنا ، عندما يحب بعضنا بعضاً وتترك الحسد والبغضاء والحقد ونتعلم التسامح والوفاء والاخلاص ، وأخيراً سوف تحل قضيتنا عند ما نعرف كيف ننظم صفوفنا وكيف نعد أنفسنا بحيث نكون أقوياء ، ونكون أقوياء أولا وأخيراً ، فالحياة صراع وجلاد ينتصر فيها القوي الصالح ويندحر فيها الضعيف الطالح ، لا تفاهم فى الحيـــاة بين السيد

والمسود ، لاتقسام بين القوي والضعيف، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فقضيتنا ستحل بأيدينا نحن ، والاستقلال يؤخذ ولا يعطى ، والحرية تحيا بالدم ويقتلها الجبن والكسل والتفرق .

لا أيها الشباب المجيد ، لا بإسلالة الفراعنة والعرب ، انما أهيب بك أن تأنف تحقق استقلالك وحريتك ، أهيب بك أنت أن ترغم الانجليز على احترامك وصداقتك ، واذا كنا نسافر اليوم كيما نرفع الصوت عالياً في أنحاء العالمين بما يقع علينا من ظلم واعتداء، فليس ذلك الا سلاحا من أسلحة الكفاح ، وليس هو كل سلاح .. اذا كنا نسافر فما ذلك الا لنصرخ في وجه الانجليز ان مصر لم تتغفل عن حقوقها . ولنطالب العالم المتمدن أن يكون منطقيا مع نفسه ومع موقفه في الحرب الحبشية الايطالية فيمير مصر وقضيتها مايستحقان من رعاية وعطف ، فاذا كانت الحبشة تستحق الحرية فان مصر تستحق المجد، اذا كانت دويلات العالم الصغيرة تتمتع بسيادتها الكاملة واستقلالها العتيد ، فان مصر معلمة الانسانية بأسرها !

مصر التي قادت الدنيا طوال مئات القرون .. مصر التي أخرجت الأديان جميعا وحمت الأديان جميعا .. ومجدتها جميع الكتب السماوية.. مصر التي حاربها الزمان فأرتد وانهزم.. وحاربتها الويلات والاحن فخرجت مصر من المعركة ظافرة أشد مضاء وأكثر لمانا ومجدا ..مصر التي قامت منذ نيف ومائة عام فهزت الدنيا هزاً وشيدت امبراطورية تزرى بالامبراطوريات! وأخيرا مصر التي تتزعم الدول العربية اليوم وكعبة الأسلام، من حقها أن تعيش سيدة نفسها . . من حقها أن ترفع الرأس عالية وأن تتبوأ مقعدها تحت الشمس فتكون كما كانت دائما منارة وهدي للعالمين .

لاسلام للعالم الا اذا أعطيت الشعوب الضعيفة حريتها .. لاتوازن بين الأمم الا اذا استقل كل شعب والويل ثم الويل لأوربا ان لم ترحم الأمم الضعيفة وتتركها تعيش في سلام .

تلك هي الرسالة التي نحملها معنا لنبسطها أمام العالم باسم مصر . . وسيستمع العالم لنا وسيشد أزرنا الكثيرون ،وهذا هو كل الذى نطمع فيه .

ونحن اذ نسافر من مصر لاندرى ما الذى تخبؤه لنا الأقدار ، ولكن الذى نؤمن به أننا سنجاهد من أجل مصر حتى النفس الأخير ، سنجاهد من أجل مصر حتى ولولم نجد القوت الذى نتبلغ به ، سنجاهد من أجل مصر وهذا عهد وهذا قسم أن نفنى من أجل مصر ومجدها ، وأن نكرس لها شبابنا وحياتنا وأرواحنا ، انه عهد ، وانه لقسم ، أن نكون للمصريين جميعا وليس لحزب من الأحزاب،لا وليس لأشخاصنا ، انه عهد ، وانه لقسم ، أن نحب المصريين جميعا ، وأن نخلص للمصريين جميعا ، وأن نمجد المصريين جميعا .

أيها الشعب المصري الخالد ...

ان أكن شابا ، وان أكن صغيراً ، الا أن ايماني واخلاصي يحتمان على أن أتوجه اليكم بهذا النداء فى هذه الساعات العصيبة ، وهو أنه لن ينجينا الا الائتلاف والاتحاد . كونوا صفاً واحداً ، وليحب بعضكم بعضاً ، أنسوا الخلافات والأحقاد ، تصافوا وتحابوا تقواء ، واسدلوا ستاراً على الماضى ، وانظروا الى النسر الحلق فى الفضاء ، والذى يرفرف بأجنحته فتدوى فى أنحاء العالمين .. انها مصر .. مصر العزيزة الغالية .. انها تناديكم أيها الأبناء انها تصرخ بكم أن تصالحوا أيها الاخوان ، فاذا أنتم قائلون .. كأنى بكم وليس لكم الا شعار واحد يهز الأرضين:

الجد لمصر ، ومصر فوق الجميع ! ! (انتهى)

***

ما كانت هذه الصرخة الصادقة لتذهب مع الريح ، فلم يكد يمضى على سفرنا بضعة أيام ، حتى تألفت الجبهة المنشودة ، واتحدت الأحزاب ، وعاد الدستور بالتالى فوراً ، وكان ذلك بدءا موفقاً لهذه الرحلة الفذة فى تاريخ الكفاح المصرى .

وبارحت النيل ميناء الأسكندرية فى يوم الخميس ٥ من ديسمبر ، وكنا فى ابتداء شهر الصوم ، وقد آليت على نفسى أن لا أفطر فى المركب أو فى لندن ، إلا مضطرا ومكرها ، وبعد أن يحاط بى ويصبح لا مناص لى من الأفطار ، وأنا أعلم كل العلم أن الأسلام لا يطالب أتباعه بشىء من ذلك ، فقد أباح لهم الافطار لمجرد السفر القريب فضلا عن السفر البعيد الشاق ، ولقد أفطر الرسول صلوات الله عليه فى سفره ليكون ذلك سنة وقدوة للناس من بعده ، ومع ذلك فقد شعرت بحاجتى إلى الصوم ، ورأيت فى ذلك أسلوبا من أساليب الاستعداد الروحى والنفسى . فقد كان إيمانى هو رأسمالى فى هذه الرحلة ، وكنت شديد الحرص على كل ما من شأنه تقوية إيمانى ، وليس هناك ما يقوى الايمان أكثر من أن يشعر الانسان أنه يتقرب إلى ربه بالتقشف والاحتمال والصبر .

وسارت الباخرة تشق مياه البحر الأبيض ، ولم يمض يوم على بدء رحلتنا حتى اكفهر الجو ، وأظلمت الدنيا وهاج البحر وماج ، وفتحت

السماء أبواب أنهارها وبحارها ومحيطاتها ، وسارت النيل في هذه المياه المتلاطمة من تحت ومن فوق ومن اليمين والشمال ، واعتراني الدوار فاستلقيت على أحد الكراسي على ظهر المركب ، بالرغم من البرد القارس ، لأن ذلك كان هو السبيل الوحيد لكي أشعر بشيء من الراحة .

ووصلنا إلى مرسيليا أخيرا ومنها إلى باريس ، ولم نكد نصل إلى باريس ، ونحاول أن نستقر بها ، وأن نرسم خطة للعمل ، حتى جاءت الأنباء من مصر تعلن ائتلاف الأحزاب المصرية وتأليف الجبهة الوطنية ، وأن حكومة نسيم باشا ومن خلفها انجلترا لم يسعها إزاء ذلك إلا أن تخضع لمشيئة الأمة وأن تعلن عودة الدستور ، بعد أن سحب الانجليز اعتراضهم على إرجاعه ، فملأتنا هذه الأنباء بالقوة والحماسة وشجعتنا على المضي في مغامرتنا وجهادنا ، أشد قوة وعزما من ذي قبل ، فقررنا أن نسافر إلى لندن على الفور لنكافح من أجل الاستقلال بعد أن عاد الدستور.



فى عاصمة الانجليز

— ١٣ —

وصلنا إلى عاصمة الانجليز . فاستقبلتنا بضبابها الكثيف وبردها القارس وثلجها الدائم ، ووجدنا أنفسنا ننزل من القطار إلى محطة فيكتوريا الشهيرة .

ثم لم نلبث أن استقر بنا المقام فى أحد فنادق لندن ، كأننا ذرة من الذرات بين رمال الصحراء أو قطرة من الماء وسط مياه المحيط . ولكن العلم الحديث قد أثبت أن هذه الذرة الصغيرة تنطوى على قوة كامنة جبارة تستطيع أن تدك الجبال وتذيب الحديد ، وقد كان ذلك شأننا !! فبالرغم من ضآلة أجسادنا ، وتفاهة ما فى جيوبنا من مال ، وبالرغم من وحدتنا فى هذا الخضم البشري العظيم كانت قلوبنا عامرة بالأيمان ، أو بالأحرى بهذه القوة الفتاكة الرهيبة التى تسيطر على الكون وتديره وتحركه .

وكان أول همنا أن نتصل بالدكتور مصطفى الوكيل الذي كان قد سبقنا إلى لندن مبعوثا من لدن وزارة المعارف للحصول على الدكتوراه فى الرياضة البحتة من جامعة لندن ، وقد كان الدكتور مصطفى صديقاً حميا لنا وعضوا من أعضاء مصر الفتاة المخلصين . وأقول صديقا حميا وعضوا من أعضاء مصر الفتاة لأنى أتحدث عن التاريخ وأذكر الحوادث بترتيبها ، لأن مصطفى الوكيل لم يلبث بعد ذلك أن أصبح كل شىء فى مصر الفتاة ، وكل شىء بالنسبة لى : لم يلبث مصطفى الوكيل أن صار أملى فى الكفاح والجهاد والحياة ، لا بالنسبة لمصر الفتاة كحزب أو جماعة ، ولكن بالنسبة لمصر كلها والعروبة ، بل والشرق الاسلامى بأكمله .

قابلنا الدكتور مصطفى الوكيل ، وانضم إلينا ، وأصبحنا ثلاثة ، وسرعان ما أثبت لنا الدكتور مصطفى أنه لم يكن فرداً ، بل كان جمعاً ،

بل كان أمة بأسرها . وبدأ عمله كدليل لنا فنقلنا إلى فندق رخيص اختاره لنا قبل وصولنا ، ولم يكن الفندق يكلف الواحد منا أكثر من أربعة جنيهات في الأسبوع تقريباً ، فأطمأن خاطرنا من هذه الناحية .

وكان علينا قبل أن نبدأ حديثنا مع الانجليز ، أن نتحدث إلى المصريين فى بلاد الأنجليز ، ليكونوا عونا لنا فيما نحن بسبيله ولكى نتخذ منهم ردءاً لنا في جهادنا وكفاحنا هناك فلم يكن بقدرتنا أن نخطو خطوة واحدة ، إلا بعد أن نطمئن اليهم ويطمئنوا الينا .

وفى ٢٠ ديسمبر، أى بعد خمسة عشر يوما من مغادرتنا للاسكندرية، استطعنا أن نعقد أول اجتماع لنا فى عاصمة الأنجليز ، لنتحدث فيه إلى الطلاب المصريين . وقد أقيم الاجتماع فى مطعم فلورنس،ورأسه ذلك المصرى الذى اتخذ من عاصمة الأنجليز وطناً ثانياً وهو الأستاذ فرياقص ميخائيل ، وحضر الاجتماع عدد كبير من أعضاء البعثات المصرية فى مختلف الجامعات الانجليزية ، بحيث أعتبر الاجتماع من أنجح الاجتماعات المصرية التي شهدتها عاصمة الانجليز .

وإليك نص خطابي الذي ألقيته فى هذا الاجتماع ، والذى يصور لك حالة مصر فى هذه الأيام ، وروح الكفاح التي كانت تغمرها ، والايمان الذي كان يعمر قلوبنا .

اخوانى الاعزاء

فى كفاحى الطويل الذى بدأته منذ خمس سنوات ، عندما ناديت بمشروع القرش وكنت طالبا فى كلية الحقوق . . منذ ذلك الوقت الطويل أيها الأخوان ، لم يمض أسبوع دون أن ألقى خطابا . . بل قد لايمضى يوم واحد لا أكون فيه وسط جماعة من الجماعات أشرح مبادىء مصر الفتاة ، وأدعو لها ، وأتكلم عن الوطنية وبرنامجها . ولكن صدقونى أن اجتماعا من هذه الاجتماعات ، لم يشعرنى بخطورته ، ولم يملأنى هيبة له الا هذا الاجتماع ، فما هو السر فى ذلك ، وماهو تعليله ؟ لاشىء سوى أننا بعيدون عن الوطن العزيز ، وأن بيننا وبينه ألوفا من الأميال ، مابين بر وبحر ، وسهول وجبال . ولأننا

تعيش فى جو مكفهر بالعواصف ، والثلوج ، والأمطار ، والضباب . . أم لأنا نقيم فى عاصمة الامبراطورية الانجليزية الضخمة التى جئنا نطالبها بالحرية والاستقلال ، فلا عجب اذا أحسسنا ونحن فى قلبها بشعور جديد يخالف هذا الذى اعتدناه .

الحق أيها الأخوان ، أن لكل هذه العناصر أثرا الى حد ما ، فى جعل هذا الاجتماع يمتاز عن مئات الاجتماعات التى نعقدها .. على أن العنصر المهم الذى يكسب هذا الاجتماع خطورة ، هو الأفراد الذين تتكونون منهم ، فقد اعتدنا فى مصر أن نخطب بعض أفراد الشعب ، وقد نضطر أنفسنا اضطرارا للهبوط الى مستواهم فى التفكير . . وقد نخطب شيوخا مفكرين من رجال السياسة ، فتبرد عواطفنا ، ونصطنع الحكمة والتدبر اصطناعا ، وأخيرا قد نخطب وسط شبان ثائرين ، فتجرفنا حماستهم وتلقينا فى لجة من الثورة . أما اجتماع الليلة ، فقد جمع بين حماسة الشباب وتعقل الشيوخ وإيمان العامة . فكل قوى مصر المختلفة ، تتركز فيكم أنتم أيها المجاهدون الذين جئتم الى هنا لتقاسوا الحرمان ، والأهوال من أجل تحقيق مثل أعلى لأنفسكم ، ولأوطانكم أولا وأخيرا . ليس فيكم الا من كان نابغة فى فئته ، فبعثته الحكومة الى هنا ، أو مغامرا مقداما متطلعا للمعالى ، فجاء من تلقاء نفسه . وأنتم تعيشون فى بيئة خلقت المجد خلقا . . تعيشون وسط شعب لا يملك الانسان من أن يبدى اعجابه بمزاياه العظيمة ، بالرغم من كل ما بيننا من خصومة ونضال . فجمعتم بذلك بين نبوغ المصريين وعبقريتهم . ومزايا الانجليز وصفاتهم العالية . ولهذا ستعودون الينا لتكونوا قادة ، ولتكونوا زعماء . ولترتفعوا بمصر بمستوى الادارة والحكم ، والسياسة والاقتصاد والأخلاق . وسوف تكونون نواة مصر الفتاة الحقة التى تريد لمصر مجدا تضيق به الدنيا بأسرها . .

ماذا تريدون أن تسمعوا

وبعد أيها الأخوان ماذا تريدون أن تسمعوا منا ، أتريدون أن أحدثكم عن بلادكم العزيزة ، قائلا أن النيل يجرى عذبا رقراقا تجرى فوق صفحاته الزوارق كالأعلام ، وفى طياته الذهب والثروة . . ويحمل لمصر فى كل عام الخصب والنماء والسعادة ، أى والله انه لكذلك .. وهل تشكون فى النيل وفى وفائه .. وهل تشكون فى النيل وفى عطفه ، ونحن الذين نعيش فى فيض كرمه وظل نماه ، منذ عشرات الألوف من السنين .. أم تريدوننى أن أحدثكم عن السماء الصافية ، والشمس المشرقة . . أم أحدثكم عن نسيم الأصيل الذى طالما أنعش أرواحكم وقوسكم المتضجرة من حرارة النهار .. أم أحدثكم عن الأهرام الخالدة رمز المجد والعظمة ، وناقوس اليقظة فى كل عصر وأوان ؟ . أم أن أحدثكم عن بلادكم بلدا بلدا ، وقرية قرية ؟. أم تريدون أن تتذاكروا تاريخ مصطفى وفريد وسعد العظيم وثروت . ؟ ! لا . . انكم لا تريدون أن تسمعوا منى حديثا فى هذه

الناحية ، لازهدا فى الحديث، ولكن لأنه حديث الأرواح ، والأرواح تتناجى بغير الكلام ، فان مجرد وقوفى بينكم ، وأنا القادم حديثا من مصر ، يعيد الى ذاكرتكم كل هذه المناظر الحبيبة الى نفوسكم ، فيختار كل منكم مايحلو له من ذكريات .. ويستلهم الخيال هذه الصورة التى يعشقها أكثر من غيرها ، ويحن اليها حنين الطفل الى أمه .

مصر العاصفة

أفتريدون اذن أن أحدثكم عن مصر العاصفة ، التى تقرأون عنها فى الجرائد . مصر التى قامت شبابا وشيبا تدافع عن كرامتها المهدرة ، واستقلالها المجروح . مصر التى التأمت ساعة الخطر ، فأدهشت الدنيا بأسرها ، وجعلت الانكليز يعملون لمصر حسابا وأى حساب . مصر التى قام شبابها الغض يقابل الرصاص من جديد ، ويهتف فى أنفاسه الأخيرة « مصر فوق الجميع » شباب مصر الذى اندفع يوحد الصفوف وينظمها ، ويعد أساليب الكفاح ، ولكنكم تطالعون الجرائد فى كل يوم ، وهى تحمل دائما عن مصر كل جديد وتطالعون الجرائد المصرية وهى تمدكم بكل تفصيل . . وماذا حدث فى مصر غير ما يتوقعه أى واحد منكم ؟ ! يقول البعض أن ماحدث فى مصر لم يكن متوقعا وأنه جاء مفاجئا . . ولكن هؤلاء الذين يعتقدون ذلك أحرى بهم ألا يكونوا مصريين ، أو أن يكونوا جاهلين بتاريخ مصر . وهل كانت ثورة ١٩١٩ ثورة متوقعة ؟ ! هذه الثورة التى هزت انجلترا هزا والتى أيقظت الشرق بأسره هل كانت متوقعة من قبل ؟ أو لم يخيل للانجليز أنهم فرغوا من القضية المصرية ، وأن الحماية التى كانت علاقة مؤقتة يجب أن تنظم بحيث تصبح علاقة دائمة ، تمهيداً لضم مصر للتاج البريطانى .. ؟ ثورة سنة ١٩١٩ وما أدراكم ما هى أيها الأخوان . أو لم تتألف المظاهرات من الوزراء والمستشارين ؟ ! هل كانت انجلترا تتوقع ذلك ؟ ! هل كان العالم بأسره يتوقع ذلك ؟ ! لا .. ولكنها مصر الخالدة ذات الحيوية الكامنة .. (١)

هذه الحيوية الكامنة هى التى ثارت فى الأيام الأخيرة عندما خيل للانجليز أن مصر لم تعد فى عالم الحياة ، وأنهم يستطيعون أن يتصرفوا بمصيرها كما يشاء لهم الهوى ، وأنهم يستطيعون أن يستردوا ما لمصر من حقوق كانوا هم أول من اعترفوا بها فيحولون بينها وبين الدستور ، ويحولوا بينها وبين أن تدافع عن نفسها .

---

(١) كان الخطيب يستعرض فى هذا الموضع صوراً من الحيوية المصرية مأخوذة من تاريخ مصر وقد سبق سردها فى أكثر من خطبة ماضية ولذلك فقد استغنى عن اثباتها هنا .

عدوان الانجليز على مصر

خيل للانجليز أن الشبان قد امتلئوا جبناً وفزعاً ، وأنهم قد فرغوا الى شهواتهم ، فاذا بهم يزأرون ويزمجرون ، واذا بهم يستقبلون الرصاص ويكلون الأرض بدمائهم ، ليسجلوا على الانجليز العدوان والاستبداد .

وخيل للانجليز أن الموظفين قد استناموا وحرصوا على مناصبهم ، وعلى مطامعهم، فاذا القضاة وأساتذة الجامعة في طليعة الثائرين الناقين .

وأخيراً خيل للانجليز أن الهوة قد اتسعت بين المصريين فلن يتقابلوا أبداً وأنهم قد نجحوا في تمزيق الوحدة الوطنية . فاذا بالمصريين في عشية وضحاها يتقابلون بنعمة الله اخوانا واذا بالنحاس وصدقي ومحمد محمود وحافظ رمضان وعلي الشمسي وعبد الفتاح يحيى يعلنون للملأ بأسره أن مصر تريد ، واذا أرادت مصر فان ارادتها من ارادة الله،لأنها كانت دائماً الأرض المقدسة التي تحمل نعمة الاله .

هاجت مصر وماجت ، ولم يكن هياجها كما خيـل للانجليز ، أو لبعض المصريين ، من أجل دستور يرد أو من أجل وزارة تسقط ووزارة تجيء ، ولـكن مصرهاجت لأنها تريد استقلالا كاملا،وحرية مطلقة، تريد أن تتمتع بحقوقها في الحياة في الوقت الذي يعلنون فيه حمايتهم للأمم الضعيفة واحترامهم للعهود والمواثيق ، وفي الوقت الذي يدافعون فيه عن سلامة الحبشة واستقلال الحبشة ،يطالبوننا بأن ننسى استقلالنا ويستخدمون أرضنا وهواءنا وأموالنا ، من أجل الدفاع عن هذا الاستقلال .. ونحن ،نحن أيها الموطنون ، أو ليس لنا استقلال نحن أيضاً ؟!. أوليست لنا كرامة نحن أيضا؟!. فأية مهانة أكبر من أن يطلب منا أن ندوس كرامتنا كيما ندافع عن كرامة الآخرين!أأي هزل هي أن يطلب منا أن نترك أرضنا للاستعمار والاحتلال من أجل الدفاع عن استقلال الآخرين .

من ذلك الغر الذي يخيل له أن مصر ما كان يمكن أن تثور على هذه الأوضاع المقلوبة وتحنق ؟! من ذلك الجاهل المفتون الذي يعتقد أن مصر لا تفهم ما يجري حولها !! لم يكن عجيبا أيها الاخوان أن تثور مصر ، بل كان العجيب غير ذلك . لم يكن عجيبا أن يتمرد المصريون بل كان العجيب أن لا يفعلوا ذلك.وهل يعوزكم الدليل على قوة المصريين وعلى شجاعتهم التي لا نظير لها في الدنيا بأسرها . . هل تريدون الدليل الذي يجعلكم ترفعون رءوسكم افتخاراً واعتزازاً بمصريتكم . . هذا هو الذي حدث في مصر انه أعظم برهان وخير دليل .. فقد وقعت الثورة في مصر في وقت تقود فيه انجلترا العالم ، جاءت في وقت يرابط فيه الأسطول الانجليزي بأسره في ميناء الاسكندرية ، بينما كان يخيل للانجليز أنهم يخيفون مصر بإرسال بارجة أو بارجتين ، فلما امتلأت مصر بالجنود البريطانية،ولما وفدت الأساطيل الانجليزية كلها الى مصر ، قامت مصر تدافع عن كرامتها ، ولا سلاح لها الا أن تموت من أجل حقها ، ولا سلاح لها الا دم يجري في عروق أبنائها نارا ، وهم على استعداد لاراقته من أجل بلادهم .

انتصار مصر

ولقد هزت مصر انجلترا هزا ، ولقد أحرجت مصر مركز انجلترا احراجا ، ولقد اضطرت انجلترا أن تتراجع واضطرت انجلترا أن تسحب اعتراضاتها ا واذا كان المصريون هم أول من صاح « يسقطهور » فانه لم تمض بضعة أيام على هذه الصيحة حتى سقط هور صريعا ، ألم أقل لكم ان ارادة مصر من ارادة الله .

ائتلفت الأحزاب فى مصر اذن ، وعاد الدستور بالتالى ، ووقفت مصر جبهة واحدة تطالب بالاستقلال الكامل والغاء الامتيازات وتعزيز الدفاع الوطنى والدخول الى عصبة الأمم ، وسوف تدرك مصر كل هذه المطالب بالايمان والعزيمة ، وسوف تدركها حتما ان اليوم أو غداً .. سواء رضيت انجلترا أو لم ترض .

دور الشباب فى الحوادث المصرية

بقي أن نعرف من هو مؤسس هـذه الحركة الأخيرة ، ومن هو مشعلها . بقي أن نعرف من هم الذين ظفروا لمصر بكل هذا الانتصار ، وكل هذا الربح .أهم رجال السياسة والحكمة واللباقة ، أم رجال الايمان والتضحية والتهور .. انهم الأخيرون أيها السادة ، انهم الشباب الذين قادوا الموقعة ، واستبسلوا، انهم الشباب الذين أملوا ارادتهم فى مصر وانجلترا ، فحق لنا الانتصار ، انهم الشباب الذين ماتوا وهم يصرخون «مصر فوق الجميع» هتافا للشباب واكبارا !

هذه حقيقة يجب أن تسجل كما نرسم برنامجنا على ضوئها،هذه حقيقة يجب أن تستقر فى كل نفس كيما نبنى المستقبل على أساسها ، فالشباب اليوم هو كل شيء ، ولا نجاة لمصر الا أن تسلم مقاليدها للشباب . والشـباب هو وحده الذى لم تلوثه المطامع والشهوات، وهو وحده الذي يرغب في الجهاد من أجل الجهاد ، وهو وحده الذى يموت سعيداً مادامت آخر كلماته المجد لمصر . ومصر فى حاجة الى كفاح طويل ، وتضحية ، وقوة ، والشباب هو وحده القادر على الكفاح ، لأن قناته لم تزل صلبة ، وهو وحده القادر على التضحية،لأنه لايملك شيئا يخاف عليه أو يحرص على اقتنائه ، لا أولاد ولامنـاصب ولارتب ولاجاه، والشباب هو وحده الذى يقدر على القوة لأنه قوى بايمانه ، وقوى بأعصابه ، وعضلاته ، وهو القادر لأنه فى كل يوم يزداد قوة بعكس الشيوخ الذين ينحدرون الى هوة الفناء والضعف .

مصر الفتاة والكفاح الجديد

وتلك هي مصر الفتاة أيها الاخوان .. أنها الشباب،وانها الكفاح والتضحية والقوة وهذه هي القواعد الثلاث التي ترتكز عليها حركتنا الجديدة فقد انقضى الوقت الذى كان يخيل للمصريين أن كل مايرونه هو استقلال محدود فى حدود الأمبراطورية البريطانية ، انقضى الوقت

التي كان يخيل فيـه للمصريين أن قدرتهم على مجابهة الأمبراطورية الانجليزية قدرة محدودة . وأننا ان شئنا الاستقلال أو الحرية فلا سبيل لنا الا الاستجداء والاستخذاء والتمسح بأعتاب الانجليز .. لا ، أيها الأخوان ، لقد انقضى ذلك الوقت ، وقت الجهل والخمول ، فان الاستجداء لا يليق الا بالشحاذين لا بشعب عريق يريد الحياة ، فالتمسح بالأعتاب والاستخذاء لا يليق الا بالعبيد، لا بشعب حر سوف يقود العالمين .

ومتى كان الاستخذاء والضعف سبيلا للحصول على الاستقلال ؟! متى كانت هذه هي أسلحة الجهاد والكفاح ؟! لا .. أيها السادة انما ينال الحرية من يشتري الحرية ، والحرية تشترى بالدماء، وينال الاستقلال من يحقق الاستقلال، والاستقلال يحقق بجلائل الأعمال . أي دولة من دول أوربا قد اشترت حريتها واستقلالها بغير الحديد والنار، وبغير الدم والتضحية.

أما بولاندة ، والتي تقاسمتها ثلاث دول عظام ، فقديما قال عنها نابليون ان حدودها سترسم حيث يسيل الدم البولوني .

أما ألمانيا ، فقد قال عنها بسمارك أن وحدتها ستحقق بالحديد والنار، لا بمناقشات في البرلمان.

وأما ايطاليا ، فقد كافحت وحاربت حتى انتصرت .

وأما تركيا ، فقد ظفرت عندما عرفت كيف تطرد الناصب من بلادها .

فنحن أيضا لا سبيل لنا الى الحرية والاستقلال ، الا بأن نكافح ، وان نقوى ، وأن نجاهد ، وأن نضحى ، وأن نعمل ، وهذا هو كفاح مصر الفتاة . نريد أن نحصل على حريتنا ، وألا نبخل بأى ثمن فى سبيل هذه الحرية . نريد أن نحصل على استقلالنا بأن نعمل فى كل يوم من أجل هذا الاستقلال . وذلك بأن نبنى فى كل مكان ونعمل فى كل مكان .

برنامجنا الانشائي

وفى الميدان الاقتصادي ، نريد أن نحصل على استقلالنا الاقتصادى ، فلا نلبس الا ما صنـــع فى مصر ، ولا نأكل الا طعاما مصريا ، ولكي يتحقق ذلك نريد أن نشجع المصانع المصرية ، والصانـع المصرى ونريد أن نؤسس الشركات والبنوك الصناعية لخلق المصانع . وفى الاجتماع ، نريد أن نقضى على الأمية ، وأن نعلم الفلاحين ، وأن ندخـل النور والسعادة الى القرية المصرية ، وأن نعيـد بناءها . ونريد أن نصلح مناهج التعليم ، كيما نخرج رجالا وجنودا عاملين ، وليس كما نفعل الآن نخرج متعطلين . ونريد أن نتطور بالزراعة ، وأن نضاعف كميات الأراضي المنزرعة ، وأن نستغل كنوز الثروة المصرية ، وأن نخرج من مصر الحديد ، وأن نولد الكهرباء . ونريد أن نشجع التأليف والاختراع والأبحاث ، وأن نجند الشعب فى الميادين الرياضية . ونريد أن ننظم المدن المصرية من جديد ، وأن نعود الشعب النظافة ، ونريد أن نعيد السلام الى الأسرة ، وأن نقوى دعائمها وأن نشجع على الزواج .

وفي كلة أيها الأخوان ، نريد أن نبني استقلال مصر بأيدينا ، وعزائمنا، ولكن دون تنفيذ هذا البرنامج وغيره عقبات وعقبات ، هي قيود الاستعمار والامتيازات ، وكل من الاستعمار والامتيازات يجب أن يحطم سريعا، فلسنا نطيق بعد اليوم ، أن تكون انجلترا محتلة لمصر ، وأن نري في القاهرة والأسكندرية جنودا انجليزية ، تخترق الشوارع المصرية. ولسنا نطيق بعد اليوم ،أن نرى أجنبياً يرفع الرأس شامخاً بأجنبيته ، ويحتمي بالامتيازات والمحاكم المختلطة ، فلا أقل من ان يتساوي الأجنبي والمصرى في بلاد المصرى، ويكون الأجنبي بذلك ممتازاً عنه في أى مكان آخر في الدنيا بأسرها حيث لا يتمتع الأجانب بحقوق الوطنيين. فالامتيازات يجب أن تلغى حالا، والمحاكم المختلطة يجب أن تدك من أساسها، والاحتلال البريطاني، وكل تدخل بريطاني في الشؤون المصرية الداخلية ، يجب أن ينتهي حالا وأن يحل محل ذلك كله تعاون ودي صادق بين البلدين ، في شبه معاهـــدة دفاعية هجومية ، وبهذا يكسب الانجليز صداقة المصريين ، وصداقة المصريين ليست بالشيء الذى يستهان به ، بل انها ألزم للامبراطورية الانجليزية من كل قواتها في طريقها الى الهند .لأن مصر اذا انضمت الى أعداء انجلترا ، في أى حرب قادمة ، فان هذا معناه أكبر خطر يهـــدد انجلترا . . واذن فنحن نريد السلام بيننا وبين الانجليز ، نريد التعاون والصداقة ، ولا تعاون ولا صداقة الا اذا أعطينا حريتنا كاملة ، وأطلقت أيدينا في اســتقلالنا ، وفي زيادة جيشنا ، بحيث يتناسب مع مطالب مصر والدفاع عنها .

وسائلنا

هذه هي مصر الفتاة أيها السادة ، وهذا هو برنامجنا ، فاذا سألتموني وما هو الطريق الذي نسلكه للوصول الى كل هذه الغايات ، فاني أجيبكم أن الطريق هو الايمان ثم العمل.

أما الايمان فهو أن نؤمن بالله ، وأن نخلص له ، وأن نعتقد بقدرته ورعايته للمؤمنين فنستمد منه العون والتأييد فطوبى لهذا الذى يكون الله في عونه ، وويل لهذا الذى تتخطاه العناية الألهية . . فالايمان بالله هو رأس مال الكفاح ، لأن الذى لاخير فيه لخالقه لايمكن أن يكون فيه خير لوطنه .

ومن ايماننا بالله نستمد ايماننا بأنفسنا ، واحقيتنا في الحياة ، وماضينا الذهبي وحاضرنا الفتي ، ومستقبلنا المشرق .

طريقنا هو الايمان ، فكل هؤلاء الذين حققوا اســتقلال بلادهم ، ومن قبلهم كل أولئك الرسل ، الذين حملوا للانسانية مشعل النور ، لم يكن لهم من رأس مال الا الايمان . فالايمان يفعل المستحيل ، انه يدك الجبال ويذيب الحديد . فاذا ما آمنا فسيتبع الايمان العمل. والعمل والايمان متلازمان دائماً « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...الآية » . والعمل الذى نعنيــه هو أن ننظم جموع الشــباب في جماعات شبه عسكرية ، تخضع لتعاليم ونظم عسكرية ، تفهم معنى الجهاد وتتدرب عليه ، وتنفذ كل ما يلقى اليها من تعاليم .

هذه الجماعات المنظمة ، وما نسميها فى جميتنا كتائب المجاهدين ، هى التى سوف تحقق استقلال مصر . لابل وسوف تعيد بناء الامبراطورية المصرية وترفع مصر فوق العالمين.

سوف نعيد بناء الامبراطورية المصرية التى تألفت على مر الدهور ، والتى تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام .

أسئلة . . .

لاتسألونى وكم عدد الأعضاء الذين انضموا الى الجمعية ؟ وكم عدد الذين يلبسون الأقمصة الخضراء ، والى أى مدى نجحتم فى مصر ؟ لاتسألونى عن ذلك كله ، ولكن اسألوا انفسكم هل أنتم مستعدون أن تشاطرونا هذا الجهاد وان تشاطرونا ايماننا أم لا ؟ ! هل تعملون وايانا على بناء الاستقلال أم لا ؟!

مهمتنا فى لندره وفى أوروبا

بقى أن تسألوا سؤالا واحدا وهو ما الذى نبغيه من حضورنا الى هنا وما الذى فعلناه حتى الآن — وليس فيكم من لم يقتنع من كل هذا الذى قدمته ، اننا أكثر الناس اقتناعا بأن قضيتنا ستحل بايدينا ، وستحل بجهودنا ، لاباستجداء الانجليز والتمسح بأعتابهم — ولذلك فنحن لم نأت الى هنا كيما نشحذ الأستقلال ، أو نتمسح بأعتاب أحد ، ولكننا جئنا ، بكل اخلاص ، لنعرض قضية مصر على الانجليز . جئنا لنقول لهم ، اننا ونحن أكثر الناس تطرفا فى وجهة نظرهم ، ونحن أكثر الناس كفاحا من أجل الاستقلال ، نستطيع أن نضع أيدينا فى أيديهم باخلاص ، اذا ما احترموا استقلالنا وحريتنا — أما اذا لم يفعلوا ذلك ، فيجب أن يضعوا فى حسابهم أن مصر بشبابها تعمل فى كل يوم ، وتجاهد من أجل غايتها ، وهى سوف تحصل على هذه الغاية رغم أنف الجميع ، وعندئذ تشعر انجلترا انها قد أخطأت ، وأنها قد أساءت التصرف ، يوم لم تصغ لصوت التعاون والصداقة والحرية .

وأحمد الله أن كنت أنا وأخى فتحى أمينين على هذه الرسالة ، فى أحاديثنا مع بعض النواب الانجليز ، مثل ما فى الكراسة التى نعدها للطبع ، مثلما فى خطاباتنا التى سوف نلقيها على مسامع النواب المسؤلين ، تحدثنا ،وسوف نتحدث ،بهذه الصراحة التى حدثتكم بها الآن وبوجهة النظر هذه . وكم يسعدنى أن أقول لكم ان كل من حدثتهم قد أحلوها محل الاعتبار .

وسوف نبارح لندن الى جنيف عندما نرى أن وجودنا فى لندن لم يعد مثمرا ، وسوف نبارح جنيف الى مصر عندما نعرف أن وجودنا فى جنيف لم يعد مثمرا ، وهذا هو كفاحنا أيها السادة ، لانضيع دقيقة واحدة من حياتنا ، لانستغلها من أجل كفاحنا .

وليس هذا بعجيب لأن مبدأ مصر الفتاة يقول :

« حاسب نفسك كل ليلة ماذا قدمت من أجل بلادك » .

وهذا ما نفعله بالليل وبالنهار ، وفى كل دقيقة ، أن نحاسب أنفسنا ماذا فعلنا من أجل بلادنا واستقلال بلادنا ، والله يوفقنا والله يرعانا . والمجد لمصر

قرار المجتمعين

وعقب سماع هذا الخطاب قرر المجتمعون إرسال البرقية التالية لرئيس وزراء انجلترا ووزير خارجيتها وزعماء أحزابها :

« الطلبة المصريون في جامعات انجلترا الذين يرمزون إلى التعاون الودي بين الأمتين الانجليزية والمصرية ، والمجتمعون بحضور الأستاذين أحمد حسين وفتحي رضوان مندوبي مصر الفتاة يلتمسون من الحكومة الانجليزية أن تسرع باجابة المطالب القومية ، بابرام معاهدة التحالف بين البلدين ، وتعزيز الدفاع الوطني ، والاعتراف بحقوق مصر الكاملة في السودان وانهاء الاحتلال ، وعدم الاعتراض على إلغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة ، وبهذا تستطيع انجلترا أن تكون واثقة من اخلاص المصريين ومعونتهم الصادقة المثمرة تحية للامبراطورية العظيمة والمجد لمصر »



الكفاح فى لندن

— ١٥ —

بدأ الفرسان الثلاثة يكافحون في لندن كفاحا مستميتا جبارا ، يفوق كل تصور أو خيال ، فقد كان على هؤلاء الثلاثة أن يهزوا عاصمة امبراطورية ، وأن يحملوها على الشعور بهم ، والأحساس بوجودهم ، والاستماع بعد ذلك لقضيتهم . ولو أن زيارتنا لمدينة لندن كانت في ظروف عادية فى خلال سكون الأحوال فى مصر ، لما استطعنا أن نفعل قليلا أو كثيرا ، ولكن يقظة الشعور فى مصر ، وسقوط هؤلاء الشهداء من شباب مصر ، قد جعل كل انجليزى يلتفت نحو مصر ، فلا يكاد يسمع بنبأ وجود وفد من شباب مصر حتى يتلهف على مقابلته واستطلاع ماعنده من قول . .

ولذلك فقد شرعنا فى كتابة عشرات من الخطابات إلى الشخصيات البارزة ، من رجال السياسة الانجليزية المشتغلين بالقضية المصرية ، نوابا ولوردات ، ورجال صحافة ، ولقد تلقينا الردود دائما على خطاباتنا ، وهى تحدد لنا موعدا لمقابلة من نرجو مقابلته . فقابلنا رؤساء تحرير الصحف جميعهم ، واستمعوا لما عندنا من بيانات ، وقابلنا السير جون وارد لوملن رئيس اللجنة المصرية فى البرلمان الانجليزى ، والسير مردوخ ماكدونالد النائب الانجليزى ، وجرت لنا مع الرجلين أحاديث ومباحثات ، وقابلنا أحد اللوردات المشتغلين بالمسألة المصرية ، والمسائل الشرقية على العموم ، وهو اللورد لانجتون . ثم شرعنا فى مقابلة زعماء المعارضة ، فقابلنا زعماء العمال الثلاثة أتلى ولانسبورى وجرينوود . وقد كان الميجر أتلى هو زعيم العمال البرلمانى الرسمى ، والمستر لانسبورى هو زعيم حزب العمال المحبوب الذى يتمتع بأكبر شخصية شعبية فى انجلترا . وفى كل هذه المقابلات كنا نشرح وجهة نظر الشباب المصرى فى حرارة وقوة ، فكان محدثونا لا يسعهم الآن يتأثروا بإخلاصنا ، وأن يكبروا هذه الشجاعة والجرأة التى دفعتنا الى المغامرة إلى بلاد الانجليز ، بغير حول أو طول أو صفة رسمية ، لكى نحادث قادة الانجليز.

وبدأ البرود الانجليزي يذوب أمام حرارة الايمان المصري ، ففتحت لنا الأبواب ، ودعينا إلى مختلف الاجتماعات ، على أن أعظم ماحصلنا عليه من نصر في هذه الفترة جزاء وفاقا لما بذلناه من مجهود متواصل بالليل والنهار ، هو دعوتنا لشهود مؤتمر العمال الاشتراكي في جامعة كارديف ، والتحدث فيه عن القضية المصرية . وقد كان الفضل الأكبر في تلقينا هـذه الدعوة يعود إلى زميل مصرى ، هو الأستاذ محمد يحيي الذي كان شديد الصلة بحزب العمال فاستطاع أن يحصل لنا على هذه الدعوة الكريمة . ولعل من الطريف أن يعرف القراء أن طلاب جامعة لندن من الانجليز ، وفى جامعة كارديف كان يدعو بعضهم بعضا لسماع خطبنا بالأعلانات الآتية «شاب مصرى ممن يقتلون الانجليز في مصر يعرض القضيـة المصرية » « هل تريد أن تحى طلبة الجامعة المصريين وأن تتلقى عليهم درسا في الشجاعة ومكافحة الظلم » . ولعل ذلك يعطى القارىء فكرة عن كيف استطاع الشباب المصرى في هذه الفترة أن يثير اهتمام شباب العالم كله واعجابه .

وسافرنا الى مدينة كرديف ، وحضرنا مؤتمر الطلبة الاشتراكيين الذى عقد فى جامعة كارديف . ودعيت إلى الخطابة لأول مرة وسـط الانجليز وكان جو البرود الذى يسود اجتماعهم قد ملأنى فزعا ، من مواجهتهم بحرارتى الشديدة ، فالانجليز يخطبون وهم يتثاءبون ، ويتكلمون وهم يغمغمون ، ولا يكاد الخطيب منهم يخرج يديه من جيوبه ، أو يكف عن مواصلة التدخين إبان خطابه ، وإذا كان ذلك هو حال الخطيب فتستطيع أن تتصور حال السامعين . .

والقوم هناك لايبدون الاستحسان بالتصفيق !! وانما يغمغمون بكلمة (اسمعوا ، اسمعوا) كعلامة على الرضاء والتقدير !! فاذا اشتدت بهم الحماسة ، فقد يزيدون على ذلك أن يحكوا أقدامهم في الأرض هذا كل ماهناك .

وقد كنت منذ وطأت أقدامى أرض انجلترا وأنا أتعـلم الانجليزية ، فأطالع الجرائد كل صباح وأحفظ كل كلمة نافعة ومفيدة ، وأحاول أن

أتكلم مع كل انجليزى فى الشارع ، وأخيراً جعلتنى المقابلات والمحادثات المتعددة مع الساسة الانجليز ،أعرف كيف أستعمل الكلمات اللازمة لشرح وجهة نظرى . وقد كنا قد أعددنا الخطبة التي سألقيها في هذا الاجتماع، وكنت سأتلوها من ورقة في جيبى ، ولكنى بعــد أن حضرت هذا الاجتماع وشاهدت كيف تنهال الاسئلة على المتحدث بعد أن يفرغ من القاء حديثه ، تهيبت الموقف وترددت عن الكلام فى هذا الجو الغريب . ولكن رئيس المؤتمر قطع على ترددى إذ أعلن الحاضرين أنه قد وفد إلى الاجتماع مندوبو الشباب المصري وسيحدثوننا عن القضية المصرية في عشر دقائق .

ووجدت نفسى عند منصة الخطابة وعيون الأنجليز تحدق بي من كل جانب فغلى الدم فى عروقى وامتلأت بالأرادة والعزم أن أمثل الشــباب المصري فأحسن تمثيله وأن أتحدث عن القضية المصرية فأجيد الحديث . . واندفعت أتلو الخطبة التي تلوتها من قبل أكثر من عشر مرات ، ونسيت أننى فى انجلترا ، ولم ألق بالا لأسلوب الأنجليز أو برود الأنجليز ، وخطبت كما لو كنت أخطب الشباب المصرى ، وارتفع صوتي مجلجلا فى سماء المكان ، وأهويت على المــائدة بقبضة يدى مؤكداً ما أقول من عبارات ، فاذا بالمعجزة تتم ، وإذا بالحضور يضجون بالتصفيق والتهليل ، وإذا بالاجتماع يتحول إلى اجتماع مصري شرقى يفيض بالحرارة والحماسة .

قلت للقوم « إن وقوفي بين أيديكم وأنا الذى أمثل الشبان المتطرفين هؤلاء الذين يصيحون الآن فى شوارع القاهرة « لتســقط انجلترا » يدلكم على أننا لا نكره البريطانيين ولكننا نكره ســياستهم القائمة على البطش والقوة وانتهاك الحقوق والوعود » . (عاصفة من التصفيق)

إنى أقول لكم أن مثل هذه السياسـة لا يمكن أن تؤدى إلى النجاح لأنها سياسة غير طبيعية . فالطبيعة لا تعتمد على التعسف والبطش ولكن تعتمد على التعاون والتآزر والتآخى (تصفيق) ولقد سبقتكم امبراطوريات ، أذكر منها الامبراطورية الرومانية وقد اعتمدت هذه الامبراطورية على

التعسف والبطش فماذا كانت نتيجتها ، كانت نتيجتها الزوال والانحلال فهؤلاء الذين يتبعون نفس السياســة إنما يحفرون قبر انجلترا بأيديهم ، والكلمة الآن لكم أيها الشبان وأيها العمال . فهل تريدون أن تنهار دولتكم كما انهارت تلك الدول التي سبقتكم أم تريدون الاحتفاظ بكيانكم . . . أن ذلك يتوقف على سياستكم المستقبلة » .

أي والله هذا كلام قيل في وجه الأنجليز وفي عقر دارهم ، قيل في قوة وشجاعة فلم يتمالك الأنجليز إلا أن يصفقوا وأن يؤيدوا . .

ومضيت في خطابي شــارحا مطالب مصر وقضية مصر في ايجاز وانتهيت وسـط عاصفة من التصفيق عند انتهاء العشر دقائق المحددة لي . ووقف المستر جرينوود زعيم العمال الذي كان يشــهد الاجتماع على أثري قائلا « أن هذا التصفيق جزء مما يستحق خطيب الليلة الذي أهاج مشاعرنا وهز عواطفنا وإني لأعجب إذا كان هـذا مبلغ تأثيره فينا نحن الأنجليز فكيف يكون مبلغ تأثيره في مواطنيه في مصر .

والآن أعلن باسمكم جميعا وأبعث بتحياتنا إلى شـبان مصر المجاهدين وأدعوكم إلى وضع قرار نبعث به القاهرة ليعبر عن رأي شـباب هذه المملكة في شباب مصر » .

ودارت مناقشة حول القرارات المقترحة وأخيرا أصدر مؤتمر الطلبة الاشـتراكيين البريطانيين العام المنعقد في جامعة كارديف في أوائل سنة ١٩٣٦ القرارات الآتية :

« أن هذا المؤتمر

١ — يؤكد تأييده المطلق لكفاح الطلاب المصريين من أجل الدستور وحقهم في الاستقلال والانضمام إلى عصبة الأمم .

٢ — يبدي استنكاره الشديد للأسـاليب التي يتبعها بعض الأنجليز في مصر لقمع المظاهرات .

٣ — يؤيد حزب العمال بكل قوة كفاح المصريين . »

وقد وافق المجتمعون على هذه القرارات بالإجماع وسط التصفيق والتهليل وأرسلت صورها إلى جميع الجرائد الأنجليزية والمصرية فكان لها دوى منقطع النظير وشعر المصريون أن وفد مصر الفتاة قد بدأ بحصل للقضية المصرية على انتصارات رائعة فى عاصمة الأنجليز .

رسالة

قد وصلنا إلى انجلترا ، وقد وضعنا نصب أعيننا أن نضع رسالة صغيرة عن القضية المصرية نبسط فيها وجهة نظرنا ، ثم نوزعها على الصحف وعلى رجال السياسة فى كافة أنحاء الامبراطورية ، وبينما كنا نزاول نشاطنا الذى شرحت لك طرفاً منه فيما سبق ، كان العمل فى إعداد هذه الرسالة يجرى فى نفس الوقت . ولقد اشتركنا ثلاثتنا ، الدكتور مصطفى الوكيل والأستاذ فتحى وأنا ، فى وضع أصول هذه الرسالة باللغة العربية ، ثم عمد الدكتور مصطفى إلى ترجمتها باللغة الأنجليزية ، وعاوننا الأستاذ محمد نجيب المصرى النابه الذى يعيش فى انجلترا مشتغلا بالصحافة ، عاوننا الأستاذ فى تركيزها وصبها فى قالب انجليزى محكم . وقد تم وضع الرسالة وعهد إلى إحدى المطابع بطبعها ، فأخرجت لنا بضعة آلاف على ما أذكر . وزعناها فى جميع أنحاء الامبراطورية ، فصادفت نجاحا عظيما وأثنى عليها كل من طالعها من حيث الشكل والموضوع . فقد أعجب الأنجليز بصياغتها الأنجليزية الرائعة ، وقد كان الفضل فى ذلك يرجع إلى الأستاذ محمد نجيب بطبيعة الحال ، كما أنهم أعجبوا بما تضمنته من حجج دفاعا عن القضية المصرية واستعراضا لمختلف أدوارها ، كما طالعوا فيها لأول مرة إيمان الجيل الجديد فى مصر ببلاده وكفاحه ، لا فى سبيل حريتها واستقلالها فحسب بل وفى سبيل مجدها وعظمتها أيضاً .

وإنى أكتفى بإثبات القسم الأخير من هذه الرسالة ، وهو الذى تضمن مطالب مصر فى ذلك الوقت كما عبر عنها الرأى العام . ويلاحظ عليه بطبيعة الحال الأسلوب الهادىء ، المدعم بالحجج ، وذلك أننا كنا نكتب للأنجليز ،

ولا سبيل لحمل الأنجليز على مطالعة مقال ما ، إلا إذا كتب بأسلوب خاص مركز تساق فيه الحجة على كل رأى يبدى . وإليك الآن نص هذا الجزء الأخير من الرسالة :

المطالب الوطنية

١ — تعاون حر ، وتحالف شريف بين مصر وانجلترا .
٢ — استقلال مصر التام ، وسيادتها الكاملة .
٣ — الغاء الامتيازات ، والمحاكم المختلطة .
٤ — الغاء ادارة الأمن العام الأوروبية .
٥ — حق مصر فى تقوية دفاعها طبق حاجتها الضرورية ، وجعل التجنيد اجباريا .
٦ — الاعتراف بحقوق مصر الكاملة فى السودان .

هذه هي المطالب التي تحتاجها مصر سريعا لاستكمال استقلالها وهذا ماجئنا نطالب به لمصلحة الطرفين مصر وانجلترا .

ومن الواضح أن تحقيق هذه المطالب لمصلحة مصر ، ولكن ما يحتاج الى شيء من التفسير هو مصلحة انجلترا فى تحقيقها ، وهذا هو ما سأشرحه فى الأسطر التالية .

انجلترا وايطاليا

أما عن تقوية الجيش والتحالف الحر الشريف فتتجلى أهميته من الأزمة الدولية الحالية، فقد أثبتت الحرب الايطالية الحبشية ، وأثبت النزاع الذى قام بين ايطاليا وانجلترا حول مبادىء عصبة الأمم أن ايطاليا استطاعت أن تحشد على حدود مصر أكثر من مائة ألف جندى وأن تتبعهم بمائة ألف جندى آخرين وهكذا . . واذن فان البضعة آلاف جندى انجليزى فى مصر يصبحون فى مأزق حرج اذا ماقامت الحرب بين انجلترا وايطاليا ، ويصبح مركز انجلترا الحربى معلقا تماما على أسطولها الجوي والهوائى ، فأما أن يحصل على انتصار حربى كامل فى البحر والجو ويحول بين الايطاليين وبين التوغل فى مصر ، وفى هذه الحالة تكون هذه البضعة الآلاف جندى انجليزي في مصر زيادة عن الحاجة ولا عمل لها واما أن يفشل الأسطول الهوائي والجوى فى حماية مصر بحيث تنساب اليها ألوف الايطاليين ، وعندئذ يصبح مصير الجيش الانجليزى فى مصر معروفا منذ الآن ، وأعنى به الفناء عن بكرة أبيه .

فالحد الفاصل اليوم مثل ما كان فى القديم هو الأسطول الانجليزى فى الهواء والماء وقدرته على العمل، فاذا انتصر فلا حاجة لجيش الاحتلال، واذا انهزم فالويل لجيش الاحتلال.

كل هذا بفرض أن مصر تبقى على الحيـاد . . ولـكن مصر لايمـكن أن يكون ذلك موقفها مطلقا حيال حرب تقوم على أرضها وفى سمائها، فهى إما أن تأخذ هذا الجانب أو ذاك، ويتوقف على سياسة انجلترا حيال مصر أى الجانبين تختار .

موقف مصر اذا ما قامت الحرب

هل تقف انجلترا بجانب مصر موقف الحليف الطبيعى، فتحترم عهودها وتعترف لمصر بكل حقوقها ، واذن فان على مصر أن تدافع عن كيانها واستقلالها ومصالح انجلترا حليفتها ؛ أو أن انجلترا تحاول أن تقهر مصر وأن تسلبها حقوقها وأن تحطم سيادتها ؟ اذا كان الأمر كذلك فان انجلترا يجب أن تخرج من حسابها معونة مصر، وأن تتوقع على الضد عداءها، فهل تريد انجلترا معونة مصر القوية دائما، أو تريد أن تبقى فى نزاع دائم من الميدان المصرى ؟ الـكلمة الآن لانجلترا لتفصل فيها .

الامتيازات

أما بالنسبة لالغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة ، فان الغاءها لن يمس بأي حال من الأحوال مصلحة انجليزية ، بل على العـكس يشد أزر مصر على التحرر من نير هذه الامتيازات ، سوف تربح انجلترا كثيرا فى مصالحها الاقتصادية الخاصة فى مصر ، فضلا عن أن مصر والمصريين لن ينسوا لانجلترا هذه الخدمة الثمينة ، التى سيذكرونها دائما بالشـكر والتقدير .

والحق أنه ليس هناك اليوم فى مصر، مايؤذي المشاعر الوطنية والـكرامة الشخصية، أكثر من وجود هذه الامتيازات والمحاكم المختلطة ، التى تعرقل كل تطور وكل اصلاح ، وتحطم كل مظهر من مظاهر السيادة .

فتحت ظل الامتيازات ، لايدفع الأجانب فى مصر شيئا من الضرائب على رءوس أموالهم التى تقدر بمئات الملايين، ولا على دخلهم منها، بل ان البوليس المصرى لايقدر على وقف أى مجرم ، ولايمكن للمحاكم المصرية أن تتولى محاكمته . وتحت ظل الامتيـازات تروج السموم البيضاء وتجارة الرقيق الابيض والخمور والقمار..وتحت ستار الامتيازات ترتكب كل صنوف الجرائم والدنايا .

والعامل .. العامل المصرى المنـكود لايمكن أن يحصل على حقوقه المشروعة ، لايمكن أن ينظم نقاباته واتحاداته وان تعترف بها الدولة بسبب هذه الامتيازات المقوتة .

السودان

وانا لنعود هنا لتـكرار دعامة التعاون الودى بين المصريين والانجليز فى السودان وان انجلترا ستربح من ورائه شيئا كثيرا .

وحق مصر في السودان لا يعنى مطلقا رغبة من رغبات الاستعمار أو الاستغلال ، لأن السودان كان دائما جزءا لا يتجزأ من مصر .

والسودان مفتاح الحياة لمصر والمصريين . كل هذا مضاف الى هذه الروابط العديدة التي تربط القطرين الشقيقين سواء في الدين ، أو اللغة ، أو الثقافة والعادات .

فاذا علمنا بعد ذلك كله ، أن السودان هو مخرج مصر الطبيعي اذا ما اكتظت بسكانها ، استطعنا أن نرى أنه من العبث المجادلة في حقوق مصر في السودان وان فصل السودان عن مصر ليس معناه وقف تطورها ونموها الطبيعي ، بل معناه تهديد كيانها بالذات .

ولكنا نتساءل : أحق أنه من صالح السودان والسودانيين أن ينفصل السودان عن مصر ؟ لا يمكن أن يكون هناك الا جواب واحد وهذا الجواب بالنفي ، فكما أن مصر لا تستطيع الحياة بدون السودان ، فكذلك السودان لا يستطيع الحياة بغير مصر ومعونة المصريين .

ولا أظن أن هناك واحدا من ساسة الانجليز يجهل أن مصر تدفع في كل عام ٧٥٠٠٠٠ جنيه مصرى للسودان أي مقدار ما يساوى خمس ميزانية السودان بأسرها ، التي تناهز في سنة ١٩٣٤ مبلغ ٣٫٧٧٤٫٩١١ جنيهاً ، وبغير هذه المعونة السنوية لا يمكن للحكومة السودانية أن توازن ميزانيتها بل أن تقوى على ادارة السودان .

والسودان في حاجة الى التطور والارتقاء فان مساحاته الضخمة بغير سكان ، وأراضيه الزراعية لا تجد من يستغلها أو يحسن استغلالها . وليس هناك غير رءوس الأموال المصرية والعامل المصرى من يقوى على سد هذا النقص ، وافادة السودان وتحقيق رفاهيته .

وقد يكون من الحقائق التي يجهلها كثير من الانجليز الذين يقدرون العهود والمواثيق والشرف البريطاني ، أن حقوق مصر في ادارة السودان والاشراف عليه غير معترف بها في الوقت الحاضر ، وان القوات المصرية قد أجليت عن السودان في سنة ١٩٢٤ بناء على انذار بريطاني ، وتحت الضغط البريطاني أقيم سد من الحدود والجمارك بين البلدين بحيث تدهورت التجارة بين القطرين .

واذن فان هذه السياسة يجب أن تتغير حالا ليس فقط لمصلحة مصر والسودان ، بل ولمصلحة انجلترا أيضا ، فان المصالح الانجليزية والتجارة الانجليزية لن تنتشر الا في ظلال الصداقة والتعاون مع مصر .

ما هو رأى مصر الفتاة ؟

والآن ، ما هو رأى الشباب في مصر ، نحن فتيان مصر الفتاة ، نقول في غير ما تردد : أننا نرغب من أعماق قلوبنا أن نرى البلدين مصر وانجلترا متعاونين تعاونا وديا صادقا ، فنحن المصريين كأفراد ، نعجب بالانجليز وأخلاقهم وتقاليدهم ، وأننا لنضعهم في مستوى أعلى من غيرهم من الدول .

ما هو برنامجها

ولا أستطيع أن أترك هذه الفرصة تمر دون أن أقول كلمة عن برنامجنا : فان جمعية مصر الفتاة ؛ التي أتشرف برئاستها ، قد وضعت برنامجا وطنيا يعمل لاعادة بناء الأمة المصرية في مختلف النواحي وبعث مجدها القديم .. ففي الصناعة ، نريد أن تمصر الصناعات ، ونريد أن تقضي على الأمية ، ونريد أن تصلح في كل مكان ، نظام الأسرة ، والمدرسة ، والاجتماع ، نريد أن تثير كل معنوية المصريين وحيويتهم وايمانهم ، ونريد أن نرفع مستوى العمال في مصر وان نوفر لهم معيشة طيبة وحياة هنيئة ونريد أن نعيد بناء القرية المصرية وان نعطي الفلاح حقوقه المهضومة ، ونريد أن نكون أحراراً في بحارنا ، وأرضنا ، وجونا ، وذلك كله لمصلحة العالم ومصلحة بريطانيا ، فكل تقدم سياسي لمصر وارتقاء أدبي لها في العالم الاسلامي والشرقي ، يتيح لانجلترا محالفة أضخم كتلة متحدة في العالم ، وأعني بها كتلة المسلمين ويضمن لها صداقتهم .

مصر وانجلترا

هل يريد العامل الانجليزي أن يكون حائلا بين العامل المصري وبين الارتقاء، وأن يحيا كما يحيا العمال في جميع أنحاء العالم ، وان يتمتع بحقوقهم ؟! هل يريد الوطني الانجليزي ، مهما كان محافظاً ، أن يقسو على فلاحي مصر ، وأن يحول بينهم وبين الطعام والحياة ؟

اذا كان لا يوجد الانجليزي الذي يرغب في ذلك ، فلتعترف اذا لنا انجلترا بحقوقنا وحريتنا ، ولتحترم استقلالنا .. فلتمد لنا يد الصداقة ، ولها أن تعتمد على اخلاصنا . .

أما اذا أبت انجلترا الآن تستغل ضعفنا ، وتستخدم أساطيلها وأسلحتها ، في قهر المصريين واذلالهم ، فانها لن تنجح في كسر عزتنا . . ولن تقوى على تأخيرنا الى الوراء خطوة واحدة ، بل هي على العكس ، سوف تزيدنا اصرارا وعزما ، وسوف تمنحنا قوة وايمانا ، أما هي فسوف تخسر كل شيء ، سوف تخسر كل حب لها في قلوب خمسة عشر مليونا من أفراد شعب كانوا وسيكونون دائما أول من حمل رسالة الانسانية رسالة العلم والعرفان .

والمجد لمصر » .



وقد كان من آثار هذه الرسالة ونجاحها ، أن طلبت وكالة اليونيتدبرس التلغرافية حديثا مني عن القضية المصرية وجهاد مصر الفتاة . فأدليت اليها بحديث مسهب تحدثت فيه عن : مكانة مصر في العالم ومجدها التاريخي وحقها

فى استعادة مكانتها التقليدية كدولة حرة مستقلة زعيمة للعرب والمسلمين، وركنا من أركان المجتمع الانسانى المتحضر .

وقد نشر هذا الحديث فى أكثر من خمسمائة صحيفة فى سائر أنحاء أوربا بمختلف اللغات الأنجليزية والألمانية والفرنسية والسويدية والفلمنكية بل والروسية ، وظلت الجرائد التى نشرت الحديث ترد علينا بعد عودتنا إلى مصر ! . فكان يدهشنا إلى أبعد حد اتساع المدى الذي وصل اليه نشر هذا الحديث، إذ أنه لم يحدث أن نجح حديث عن مصر مثل هذا النجاح من قبل.

خطاب عام

وكان علينا بعد ذلك كله ، أن نواجه الشعب الانجليزى فى خطاب تام يعلن عنه فى الصحف ، ويدعى إليه كل راغب في الحضور ، وكنت متهيبا أشد التهيب من هذا الاجتماع ، فلم تكن لغتى الانجليزية بالتي تسمح لى أن أرتجل الحديث ، وإذا كان من الممكن التغلب على هذه العقبة كما فعلت فى مؤتمر كارديف ، وذلك بالمطالعة من الورق ، ففى المؤتمر المذكور لم توجه الى أسئلة عقب القاء كلمتى لضيق الوقت ، أما عندما نكون نحن الداعين إلى الاجتماع ، وتكون القضية المصرية هى محور الاجتماع ، فلابد أن تنهال على الأسئلة ، ولابد أن أناقش وأن أستجوب ، وقد كان ذلك ما أخشاه كل الخشية ، ومع ذلك فقد كان لا بد من عقد الاجتماع ، بل والشروع فى عقد عدة اجتماعات ، تمشيا مع مقتضيات الدعاية اللازمة للقضية . ولذلك فقد توكلت على الله وأقدمت على عقد الاجتماع وفي نفسى عزم وإيمان ، أن أمثل مصر فأحسن تمثيلها ، وأن أدافع عن قضية بلادى فأجيد الدفاع .

ولابد لكل اجتماع فى انجلترا من رئيس يشرف عليه ويقود المناقشات ، ويعرض فى ختام الاجتماع القرارات التى يراد الموافقة عليها ، ولم يكن باستطاعة المصريين الذين سبقونا فى الدعاية للقضية المصرية ، أن يحصلوا

على شخصية مثل التي حصلنا عليها لترأس اجتماعنا ، ونعني بهـا المستر لانسبورى وهو أحـد زعماء الشعب الانجليزي المحبوبين جدا ، زعيم حزب العمال عقب استقالة المستر ماكدونالد ، فكان ذلك آية النجاح الذى وصلنا إليه ووفقنا الله إلى احرازه بفضل اخـلاصنا وإيماننا . واخترنا لعقد الاجتماع أحد صالات لندن المشهورة باجتماعاتها السياسية المحترمة ، وتدعى (كنجزواي هول) ووجهنا دعوة عامـة للجمهور الانجليزى ، لشهود الاجتماع ، وطبعنا بضع مئات من التذاكر وزعناها على رجال الصحافة والنواب والرجال المختارين .

وفى الموعد المحدد لألقاء الخطاب ، اكتظت القاعـة بالجمهور ، رجالا ونساء ، وكان الشبان المصريون في طليعة الحضور بطبيعـة الحال ، وقد جاءوا يشهدون كيف تعرض قضية مصر على الشعب الانجليزي ، ويشدون أزرنا ويدعمون حجتنا .

وافتتح الاجتماع المستر لانسبورى بخطاب طويل أيد فيـه المطالب الوطنية المصرية ، وقد نشرت جميع صحف حزب العمال الانجليزي تصريحات المستر لانسبورى لأهميتها وخطورتها ، فكان لذلك أكبر الأثر فى توجيه الحكومة الانجليزية .

واعقب المستر لانسبورى الأستاذ فتحى رضوان فألقى خطابا عرض فيه للنهضة المصرية ، ومظاهر التطور الاقتصادى والاجتماعى فى مصر ، ورسم الخطوط الأساسية لبرنامج مصر الفتاة الانشائى والتعميرى .

ثم دعيت إلى الخطابة ، فألقيت خطابي العام الأول والأخير ، للشعب الانجليزى فى ذلك الوقت ، فان الحوادث تطورت سريعا بعـد ذلك بحيث أغنتنا عن مواصلة عقد هذه الاجتماعات .

ولست أرى ضرورة لأثبات نص هذا الخطاب لأنه لايخرج فى معناه عن كل ماسبق ، وانما الشيء الذي أحسب أن كل قارئ متشوق إلى معرفته ، وهو الجدير بالتسجيل للذكرى والتاريخ ، هو ذلك التوفيق العظيم الذى

صحبني في هذه الليلة ، فقد وقف المستر جورج لانسبوري عقب القاء خطابي وقال: « كم كنت أتمنى أن يكون هذا الخطاب الذي سمعناه الليلة من الأستاذ أحمد حسين ، قد ألقي في البرلمان الانجليزي ، ليدرك الأعضاء كيف يجيد غير الانجليز نطق لغتهم والخطابة بها ، وكيف تمتلىء نفوس أبناء مصر بالايمان بالحرية والاستقلال ، حتى تمكنوا من الوقوف في صميم عاصمة الانجليز مثل هذه المواقف الرائعة » .

ثم فتح المستر لانسبوري باب المناقشة ، ووجهت إلى الأسئلة ، فإذا بي أجيب عليها في قوة وحرارة ! . وإذا بالأكف ترتفع بالتصفيق لهذه الاجابات القوية السديدة المفحمة، ولعل أصدقائي المقربين جدا كانوا أكثر الناس دهشة لذلك الموقف ، وهم يعرفون مقـــدار تهيبي وترددي مواجهة هذا الموقف من قبل ، خوفا من أن تخونني قدرتي على الارتجال باللغة الانجليزية ! . . ولكنها الضرورة وساعة الخطر وما تبعثه في النفس من قوة واقتدار ... ولكنه الأيمان .

وقد قرر المجتمعون إصدار قرار يؤيدون فيه مطالب مصر القومية ويدعون الحكومة الانجليزية للدخول في مفاوضات سريعة مع مصر لتحقيق هذه المطالب وقد نشرت الصحف الانجليزية ذلك القرار .



كان النجاح الذي صـــادفناه في هذا الاجتماع ، باعثا للتفكير في عقد اجتماع آخر في إحدى قاعات البرلمان الانجليزي ، لكي يتسنى لفريق من النواب الانجليز أن يشهدوه ، وقد وافق المســتر لانسبوري على الاقتراح مغتبطا ، لأنه كان أول من أثاره وأظهر استعداده للاشراف على تنظيم الاجتماع والدعوة اليه .

ولكن نظرا لغياب أعضاء المجلس بمناسبة أجازة رأس السنة ،وعدم عودتهم إلى لندن إلا بعد الأسـبوع الأول من فبراير ، كان لا بد من الانتظار ثلاثة أسابيع قبل التمكن من عقد الاجتماع ، فرأينا أن ننتفع بهذه

الفترة بالعمل فى ميدان آخر . ولما كان من برنامجى أن أسافر إلى جنيف مقر عصبة الأمم لأدعو فى ذلك الميدان الدولى لقضية مصر ، وحقها فى الانضمام إلى عصبة الأمم كدولة مستقلة ذات سيادة ، بغير حاجة إلى إذن الانجليز أو تصريح بانضمامها ، فقد رأيت أن أنتهز فرصة عطلة البرلمان الانجليزى لكى أسرع إلى جنيف ، حيث كان مجلس العصبة يوشك على الانعقاد للنظر فى المشكلة الحبشية وغيرها .

وفى مساء ١٨ يناير سنة ١٩٣٦ الساعة الثامنة مساء ، بارحت أنا والاستاذ فتحى محطة فكتوريا ، وكان فى وداعنا الدكتور مصطفى الوكيل ونفر من اخواننا وزملائنا المصريين ، وعندما وصلنا إلى باريس ، قرر الاستاذ فتحى أن يعود إلى القاهرة ، فواصلت السفر بمفردي إلى سويسرا تنفيذا لبرنامجنا ، واتماما للخطة الموضوعة .

الكفاح فى جنيف

ولم لا أسميه كفاحا ، وقد كان كفاحا مستميتاً لا ينقصه عنصر من عناصر الكفاح . هو كفاح ضد البرود وضد الأهمال ، وضد الضجيج والدوى الذي كانت تحدثه القضايا الكبرى ، هو كفاح ضد الفقر والحاجة وقلة الأنصار والأعوان ، وأخيرا هو كفاح الغريب الفقير الصغير ، عند ما يحاول في زحمة الدنيا أن يرفع رأسه ، وأن ينصب قامته وأن يثبت وجوده ، ويرغم الدنيا على الانصات له .

وصلت إلى جنيف ، وهى هائجة مائجة ، بمناسبة انعقاد مجلس عصبة الأمم الذى سيبحث المشكلة الايطالية الحبشية ، وليصدر فيها قرارا حاسماً بانزال العقوبات على ايطاليا ، التى ترغى وتزبد وتهدد وتتوعد . . . وكانت الأعصاب متوترة ، هل تتفاقم الأزمة فتقع الحرب العالمية الثانية أم تمر العاصفة فى سلام . فى ذلك الجو وصلت إلى جنيف ، ولم أكن أعرف بها أحدا ، ألجأ اليه أو أستعين به سوى الأستاذ على الغاياتى ، صاحب جريدة

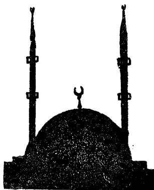
منبر الشرق ، الذى كان يقيم فى سويسرا منذ بضعة عشر عاما ، وقد اتخذها موطنا ثانياً له ، واستقر فيها يرفع لواء القضية المصرية ، وقضايا الأمم الشرقية كلها . لم يكن بينى وبين المجاهد القديم سابق معرفة ، ولكنى كتبت له من لندن أن يحجز لى غرفة ، وأن يتوقع وصولى ، ولقد استقبلنى الرجل فأحسن استقبالى ، وأكرم مثواي ، وعرفنى بالمصريين القلائل الذين يعيشون فى جنيف،وعلى رأسهم المجاهد الصادق الدكتور زكى على ، وأعلنى الأستاذ على الغاياتى أنه يضع نفسه وتجربته وجهده ، في خدمة المهمة التي جئت من أجلها ، وهى الدعاية للقضية المصرية التي وقف عليها حياته .

وبدأ يعرفنى إلى الصحفيين ويجمعني وإياهم كى أحدثهم عن مهمتي،وهى وجوب ضم مصر إلى عصبة الأمم ،وأن يكونذلك بقرار من المجلس ، وبدأت الصحف تنشر الأحاديث نقلا عنى ، وقد أفادني حديث شركة اليونايتدبرس، الذى وزعته من لندن، فقد جعل شخصيتى معروفة لدى جميع الصحفيين ، كما أن شخصية الأستاذ على الغاياتى ومكانته فى جنيف ، قد ساعدت على افساح المجال لى ، فلم يكد يمر يوم دونأنتعرض الجرائد لقضية مصر وفاق الوجهةالتي أدعو لها .

وقد كان برنامجى فى جنيف ، أن أقدم للسكرتير العام لعصبة الأمم مذكرة باسم الشعب المصري ، أقرر فيها حق مصر في الانضمام إلى عصبة الأمم كدولة مستقلة ذات سيادة كاملة ، وأهيب فيها بمجلس العصبة أن يتولى دعوة مصر بالذات إلى الانضمام إلى العصبة .

وكان الدكتور وحيد رأفت ، أستاذنا بكلية الحقوق،قدزودنى قبل سفري بمذكرة ضافية في هذا الموضوع ، فاتخذتها أساسا للمذكرة النهائية التي تقدمت بها إلى السكرتيرالعام لعصبة الأمم . وقد قام الدكتور زكى على بترجمة المذكرة إلى الفرنسية . ثم أعمل فيها الأستاذ على الغاياتي قلمه مهذبا ومصححاً ومختزلا ،حتىانتهى بنا الأمر إلى مذكرة جليلة من

الناحية الشكلية ، والموضوعية ، وفى الثلاثين من شهر يناير سنة ١٩٣٦ ذهبت أنا والأستاذ على الغاياتي إلى مقر عصبة الأمم ، حيث قدمنا مذ كرتنا إلى السكرتير العام ، ووزعنا بعد ذلك نسخاً منها على خمسمائة صحفى يعملون في أروقة عصبة الأمم ، فلم تمض أربع وعشرون ساعة حتى كانت الصحف فى جميع أنحاء العالم تتحدث عن مذكرة مصر التى قدمتها إلى عصبة الأمم ، وقد كان ذلك آخر ما يمكن أن أطمع فيه من نجاح وتوفيق ، بحيث لم أر موجباً لأطالة إقامتى في جنيف ، فاعتزمت العودة من جديد إلى لندن لاستئناف الكفاح والجهاد بها وعقد هذا الاجتماع المنشود فى البرلمان الانجليزى ... ولكنه لم تمض أيام قليلة حتي كنت أشد الرحال لا إلى لندن من جديد ولكن إلى القاهرة ... إلى مصر العزيزة .



النجاح فالعودة

— ١٥ —

سقوط وزارة نسيم — تأليف وزارة على ماهر
الشروع في المفاوضات بين مصر وانجلترا

-افرت من مصر وهى مكبلة مقيدة بحكم ديكتاتورى على رأسه توفيق نسيم باشا ،ذلك الرجل الذي لم يكن ينقصه الا القليل لكى يصاب بالخرف، وكانت ثورة الشباب على أشـدها في طلب الحرية والاستقلال. ولا سبيل لذلك الا باتحاد الاحزاب، وتأليف جبهة موحدة، وعودة الدستور

ولقد أشرت فيما سبق أنني لم أكد أبرح مصر حتى اتحدت الأحزاب، وعاد الدستور، وفي إبان مقامى في جنيف ، جاءت الأنباء المثيرة من مصر تتحدث عن سقوط وزارة نسيم باشا، وتأليف وزارة على ماهر باشا وإعلان انجلترا استعدادها للدخول في مفاوضات لحل القضيـــة المصرية وتدعيم استقلال مصر .

وإذن فقد تحققت كل الأغراض التي قام الشباب قومته من أجلها .. وسقط الطاغية، وعاد الدستور، واتحدت الأحزاب، وبدأت المفاوضات من أجل الاستقلال ، فلم يبق أمامى الا أن أسرع الى مصر لأستأنف العمل والجهاد في داخل البلاد ، لانجاح هذه المفاوضات التي اتخذت القاهرة محلا لها . ولذلك فقد حزمت أمتعتى على عجل وبعثت إلى الجرائد المصرية بالنداء التالى فنشرته جميعها في أعز أنهارها :

نداء الى الشباب والشعب المجيد

بدموع الفرح تلقيت هذا النبأ ، نبأ الشروع في اتمام المفاوضات مع انجلترا ، وحل القضية المصرية ، فان هذا هو ما يتمناه كل مصري ، وهـذا ما سعيت من أجله في عاصمة الانجليز واذن فلم يعد أمامى الا أن أعود الى بلادى ، ساجداً لله شكراً أن وفقنى للقيام بواجبى ، لقد كان عهداً أن أدافع عن قضيتها في كل مكان ، وأحمد الله أن كفاح مصر بأسرها ، قد آتى ثمارها .

الى مصر اذن .. الى مصر الحبيبة العزيزة الغالية .. الى مصر المقدسة الخالدة .. الى المياه العذبة والسماء الصافية ، ووداعا أيها الغرب المكهرب الملبد بالغيوم .. وداعا أيتها الرعود والثلوج والظلام .. وداعا أيتها الطبيعة القاســية ، التي علمت الانسان كيف يقسو على أخيه الانسان . ولكنى اذ أبارح هــذه البلاد ، وأقترب من الوطن العزيز أبعث بندائى الى شباب مصر ، من الاسكندرية حتى أقاصى السودان .. لقد عملت باسمكم، وتكلمت بصوتكم ، واذا كانت مصر قد استعادت دستورها ، فلقد اعدتموه بدمائكم.. وغداً عندما تحقق مصر استقلالها، فستكونون دفعتم ثمن ذلك من أجسادكم. أنتم الذين بعثتم روح مصر ، وأنتم الذين ستسهرون على حراستها ، أنتم الذين أوقدتم الجذوة ، وأنتم الذين ستعملون على اذكائها . لافضل لأحد عليكم ، فأنتم القادة . هذا هو شعاري وهذا هو كفاحى المقبل باسم الشباب وبجهود الشباب . سوف نبنى مصر الحديثة ، وسوف نشيد استقلالها ، وسوف ننسج مجدها ، فهلموا جميعا الى راية مصر صفاً واحداً وصوتاً واحداً واهتفوا من أعماق قلوبكم: « مصر فوق الجميع ».

أحمد حسين

رئيس جمعية مصر الفتاة

***

وأخيراً عدت إلى مصر التي أحببتها الحب كله ، والتي كرست حياتي على العمل من أجلها .

ولقد كان استقبالا رائعاً ، ذلك الذى استقبلت به مذ وطأت أقدامى أرض الوطن المقدس ، فعلى رصيف الميناء مثل مافى محطات السكة الحديد من الأسكندرية حتى القاهرة ، كانت كلها تغص بمئات من أنصار الجمعية وجنودها، وكانت الأقمصة الخضراء تشرق لأول مرة بلونها الجميل البراق وقد ازدهرت وتكاثر عددها ، فلم أتمالك نفسى من أن أذرف دموع الفرح والشكر لله ، الذى كلل جهادى بهذا النجاح ، وأعادنى إلى مصر سالماً غانماً ، لأرى هؤلاء الذين أحبهم ويحبوننى، ويسعدنى الكفاح فى صفوفهم من أجل حريتهم واستقلالهم .

وكان فرع الحزب فى الأسكندرية قد أعد لى اجتماعا حافلا لأخطب فيه بمجرد وصول السفينة إلى الميناء ونزولى منها ، ووزعت ألوف من رقاع

الدعوة إلى هذا الاجتماع بمسرح ديانا، في الساعة الخامسة من اليوم العاشر من شهر فبراير سنة ١٩٣٦، وقد نجح الاجتماع والاحتفال نجاحا منقطع النظير، ونشرت جميع الصحف ملخصا وافيا لخطابي. وقد سافرت بعد ذلك إلى القاهرة، وقد شاء الحظ الحسن أن تسقط وزارة نسيم باشا في هذه الفترة، وأن تتألف وزارة على باشا ماهر، وهو رجل صديق لمصر الفتاة، وكان من بين وزرائه سعادة محمد على علوبة باشا، الذى طالما حضر اجتماعات مصر الفتاة، وأمانها ببعض أمواله، بل والذى كان على رأس الذين ودعوني بالمحطة عند سفرنا إلى لندن. فلاعجب إذا أطلقت الحرية لمصر الفتاة، فصرح لها بعقد هذا الاجتماع في الاسكندرية، ولم يتدخل البوليس في الاستقبال الذي أعد لي في محطة القاهرة. فكانت مظاهرة منقطعة النظير، لم يسبق لمصر الفتاة أن شهدتها من قبل، وكان ذلك آية النجاح والكفاح الذى وصلنا اليه، بعد هذه الثلاث السنوات من الكفاح المتصل الصادق بالليل والنهار، في مصر وخارج الحدود، شرقا وغربا.

ولقد أقيم اجتماع ثان بدار مصر الفتاة، بمجرد وصولى من المحطة، وأقيم بعد ذلك اجتماع ثالث في مسرح برنتانيا، وألقيت في كل هذه الاجتماعات خطبا مستفيضة عن رحلتى ومهمتى في أوربا، وليس يتسع المجال لأثبات كل هذه الخطب، فأجتزىء بنشر خطاب الاسكندرية، الذى دعوت فيه إلى وجوب المحافظة على الجبهة الوطنية، والاتحاد بين الأحزاب، وناديت بوجوب إدخال مصر إلى عصبة الأمم بالفعل، فكان حقا واقعا ما اعتـبر خيالا جامحا، عند تقديمى مذكرة انضمام مصر إلى العصبة.

وهكذا يشاء الله سبحانه وتعالى أن لا ندعو إلى دعوة، أو نتجه إلى وجهة معينة، إلا وتحققها الأيام والحوادث، وهو الأمر الذى يضاعف دائما أبدا في ثقتنا بكفاحنا، وأننا لاشك واصلون إلى كل ما نريد ونعتزم تحقيقه.

خطبة الأستاذ أحمد حسين

فى اجتماع ديانا بالاسكندرية

أيها السادة . . .

مهما كنا نعد أنفسنا جنوداً مكافحين — فى حالة كفاح دائم ! — مهما كان يجب أن نكون على استعداد دائم لخوض المعركة فى أى لحظة وفى أى ساعة ، مهما كنا ومهما كان هذا متعبنا ، فصدقونى ، أن أصحابى كانوا قساة على يوم أن أعدوا هذا الاجتماع لأخطب فيه بعد ساعات من وصولى الى هذا القطر العزيز . وأرى أنهم ليسوا قساة اذ لم يتركوا لى الوقت الكافى لأستريح من وعثاء السفر ، لأن الله ، ولله الحمد ، جعل لنا مراكب مصرية لا نعرف فيها وعثاء السفر . وصدقونى أنى أمضيت أيام البحر فى أكل ونوم وراحة .. واذن فقد صار حتما على أن أنزل الى ميدان العمل بمجرد نزولى ، واذن فهم ليسوا قساة من هذه الناحية . لا وليسوا قساة لأنهم لم يفسحوا لى الوقت لأتمتع فى هدوء بأرض الوطن ، ولأشرب من ماء النيل العذب ، ولأستنشق هواء مصر العليل . فقد تمتعت بأرض الوطن ، وقد شربت ماء النيل ، واستنشقت عبير مصر ، امتد وطأت أقدامي أرض الباخرة . وبارك الله فى طلعت حرب الذى نقل لنا النيل فى مرسيليا .

ولكنكم ستشعرون معى بقسوتهم عندما تلاحظون أنهم لم يتركوا لى الوقت الكافى لأطالع الصحف ، لم يتركوا لى الوقت الكافى لأعرف مجرى الأمور السياسية ولأوازن بين المسائل المختلفة ، حتى اذا تحدثت اليكم حديثى منطبقا على الساعة الراهنة وما يجب أن يكون .. ولكنهم ضلوا ووضعونى أمام الأمر الواقع ، وها أنذا بين أيديكم لأخطبكم .

أنباء مصر :

هل تعرفون من المسئول عن هذه الحالة ؟ انه أخى فتحى ، فلولاه لأشفقوا على قليلا ولقدروا ضرورة اطلاعى على أحوال مصر . ولكنه . . وقد كان معى ، حتى أيام قليلة ماضية ، فهو لا يمكن أن يخدع مثلكم ومثل أصدقائى . ولا يمكن أن يجابه بهذا الاعتراض الذى قدمته ، بل سيبادر بالقول أننا فى أوروبا كنا نطالع أخبار مصر يوما بعد يوم ، وساعة بساعة ، وكنا نطالعها فى الجرائد ، ونسمعها فى الراديو . وكنا نطالعها بالتفصيل بعد أيام قليلة واذن فلا عذر لى من هذه الناحية — وهذا حق ، ولولا هذا لما قبلت بأى حال من الأحوال أن أخطبكم الليلة . فلعله يدهشكم — أو لعله يسعدكم — اننا فى أى مكان من أمكنة أوروبا ، فى باريس ولندن وجنيف ، لا بل

في أصغر قرية ، وفوق قمم الجبال ، كنا نطالع أخبارمصر. وتسمعها وربما قبل أن يطالعها سكان الصعيد !. وأني لأذهب أبعد من ذلك فأقول ما سوف لا تصدقونه ، وأعني به اننا نسمع بعض الأخبار قبل أن يسمعها من في القاهرة أنفسهم . ففي مصر لا تصدر الجرائد الا في الصباح وفي الساعة الثالثة وما بين هذين الميعادين مجهول . أما في أوربا ففي كل ساعة ، وفي كل نصف ساعة ، تصدرجريدة جديدة تحمل بالتلغراف آخر أنباء مصر، وفي أظهر مكان وفي أكثرها احتراما ، أنها لظاهرة بديعة أيها السادة ، بل أنها لظاهرة تملؤنا أملا وايمانا وتزيدنا عزما على عزم . فقد بدأت مصر تحتل مركزها في العالم الدولي كأمة حية ناهضة ، لها كل مظاهر الحياة ، وحقوق الأحياء كما يفهمونها. بدأت مصر تحت تأثير حوادثها الأخيرة تقرع أسماع العالم بشدة، وتذكر العالمين أن على ضفاف النيل شعبا جديرا بالحياة والمجد مسلوب الحقوق ، مهدر الحرية ، وقد حانت الساعة التي يرفع فيها هذا الظلم ، وينعم هذا الشعب بالحرية والاستقلال .

..

صوت مصر

واذا قلت لكم ان العالم بدأ يشعر ان الساعة قد حانت لأن يرفع الظلم عن مصر وعن شعبها ، فاياكم ان يخيل لكم ، ان هناك يداً ستمتد لكم لرفع هذا الظلم وإياكم ثم اياكم ان يخيل لكم ان هناك في العالم صوتا سيرتفع للدفاع عن قضيتكم ، لا يوجد الاصوت واحد ويدواحدة، وهذا الصوت هو صوتكم، وهذه اليد هي يدكم أنتم .أتعرفون لماذا سمع العالم صوتكم ، لان هذا الصوت قد ارتفع على صوت البارود ومدافع الاساطيل أتعرفون ، لماذا وقف العالم ليسمع شكاتكم ؟ لأن شبابكم قد عبد الطريق بدمه فهزأ بالموت والسجن والتعذيب. انصفوا أنفسكم ينصف العالم لكم، حلوا قضيتكم بأيديكم فيصفق لكم العالم طربا وكونوا أقوياء فيخافكم الأقوياء . وهذا هو مبدئي الذي سافرت به ، والذي عدت به ، وأنا أشد ايمانا واعتقادا به واصراراً على تنفيذه .

العهد والميثاق

عندما بارحت القاهرة ، أذعت على الناس عهدا وميثاقا ، وسأذكر هذا العهد في هذه الساعة وأنا مثلج الصدر راضي النفس ، فلم يكن فيه حرف واحد لم يتحقق .ولم يكن فيه جزء خاص بي لم أنفذه . قلت اني اذ أسافر الى أوروبا ، فلن أعود وفي حقيبتي الاستقلال أومشروع معاهدة . لا! لست أسافر لحل القضية المصرية لان القضية المصرية ستحل هنا في القاهرة ، لا في أي مكان آخر . ستحل القضية المصرية يوم تأتلف الاحزاب ، وتتوحد صفوفنا ، يوم يترفع كبراؤنا عن المناصب ويحتقرون الذهب،وسوف تحل قضيتنا عندما نقبل على التضحية ونسترخص الأرواح من أجل مصر ــ وسوف تحل القضية المصرية عندما نؤمن بضرورة حلها .

جدا لله ! لم أكد أسافر ، ولم تكد آمزابنا تأتلف ، حتى عاد الدستور سريعا .
ولم تكد بضعة أرواح تزهق على مذبح التضحيـة ، حتى استمعت انجلترا لمطالب مصر ،
تقدمت تجيب بعض المطالب وتستعد للمفاوضة .

انتصار ارادة الامة

وهأنذا أعود لأرى مصر العزيزة متمتعة بالدستور ، ولأرى الأحزاب كتلة واحـدة ،
والأمة من خلفها صفاً واحداً، ولأرى الشباب مازال متحفزاً ومستعدا فى كل لحظة لبذل
تضحيات جديدة وأرواح جديدة . وفى الحكم وزارة لعلها الأولى فى تاريخ مصر، بل
لعلها نقطة حاسمة فى تاريخ مصر ، وزارة رفعتها الى الحكم الأحزاب المؤتلفة بأرادة
واحـدة ، وتؤيدها ويحبوهـا بعطفه جلالة الملك فالأمة بأسرهـا ، تؤيد هـذه
الوزارة التى تنتظرها مهام جسـام : اجراء مفاوضـات ، واقامة برلمان ، وتنفيذ عدة
مشروعات اصلاحية ، عرف بها رئيس هذه الوزارة وبعض زملائه . وانى أرى فى كل
ذلك انتصارا لأرادة الأمة ، أرى فى كل ذلك مصر القوية التى تظهر كل عظمائها فى
الساعات التى يخيل للناس وللدنيا انه قد قضى عليها .

لا أرى الآن فى مصر الا كل ما هو جيل ، يزهى به شـعب صـالح للحياة . ملك
أحس بالأيام الحرجة التى يجتازها شـعبه ، فامتزج به بواسيه ويحبه ويشاطره الرجاء
والأمل والكفاح ، ويخلع عن أكتافه رداء الملكية الذى يلبسه، لأجل اعزازوطنه،
كيما يخاطب الشعب بألفاظ الأبوة ، وكى يقول لكبار الأمة اجلسوا فليس بيننا اليوم
عظيم او صغير ، ولكننا أفراد أسرة واحدة يعملون لأجل رفعة وطنهم .

ألسّم ترون أيها السادة : أن كل هذا جيل ، وان روح الشباب التى انتصرت هىروح
الديمقراطية الحقيقية ، وان مصر هزمت كل أعدائها الذين طالما تحدثوا فى مصر عن ملك
وشعب ، وشعب وملك ، فاذا بهم لايرون الا مصر ، ولا يرون الا أسرة واحدة ياالهى!
وهذه الأحزاب المجتمعة فى صعيد واحد ، محمد محمود بجانب النحاس بجانب صدقى ألستم
ترون قوة الشعب التى فعلت ذلك، لطالما كانوا يقولون ان جلوس هؤلاء على مائدة واحدة
مستحيل ، ولم يتزعزع ايماني لحظة واحدة بأن مصر وشعبها يجعلان المستحيل دائما . لقد
كانت انجلترا تسرح وتمرح ، وكانت مطمئنة راضية فهى ليست فى حاجة الى أن تعترف
بوجود مصر ، لاوليست فى حاجة الى أن تبقى على شبه هذا الاستقلال الذى تتمتع به مصر،
بل لماذا لاتتخذ من الاسكندرية قاعدة بحرية اذا راق لها ذلك . وما هذا الصراخ حول
الدستور ، ومن أنتم حتى تحصلوا على الدستور . ؟ فعلت انجلترا ذلك مطمئنة الى اختلاف
الأحزاب فى مصر ، واختلافها معناه ان تحكم انجلترا مصر بواسطة المصريين الى الأبد
وبين عشية وضحاها ، اذا بالشباب لا يعرف الأحزاب، وبين عشية وضحاها اذا بالأحزاب
جبهة متحدة ، واذا بالمعجزة قد تمت ، محمد محمود بجانب النحاس الى جانب صدقى .

معجزة الائتلاف

لو تعلمون كم هللت طربا في انجلترا ، وكم أحسست بالسعادة والغبطة عندما كنت أجد الانجليز حيارى مبهوتين ، يسألونني تارة : بم أعلل ذلك ، وكيف تم الائتلاف ، وتارة يظهرون حقدهم وبغضهم بهذه الجبهة ، ومقياس الأجادة هنا هو الغيظ هناك . ومقياس الأصابة هنا هو الحقد هناك . فاذا ما أحسنتم فسوف يلعنون ويصخبون ، واذا أسأتم فهناك التصفيق والتهليل ، لأنكم اذا ما كنتم أقوياء ألزمتموهم الحجة، واذا ما أسأتم مهدتم لهم طريق ابتلاعكم والقضاء عليكم . ولقد أحسست عظمة مصر كلما علوا عليها، وكنت أتمثل ضخامة هذا العمل الذي قام به الشباب ، كلما بدا لهؤلاء الانجليز مستحيلا .

فى قلوبهم مرض

لقد شرعوا يحملون على مصر ، وشرعوا يأخذون من هذا الائتلاف حجة ضد مصر ، وضد صلاحيتها للحياة ، فكيف تنسى مصر لصدقى باشا ما فعله ، وكيف تنسى لمحمد محمود باشا ما فعله ، وكيف يجلس هؤلاء على مائدة واحدة ؟ لا . اننا شعب ضعيف، وانى لواثق أيها السادة ان فى المصريين بعض المرضى الذين يشاطرون الانجليز هذه النظرة ، هناك بعض الأطفال وهناك بعض الأشخاص الذين فوت عليهم هذا الائتلاف بعض المصالح، كما فوت على الانجليز. هناك أشخاص تؤرقهم هذه الجبهة ويحاولون أن يطعنوا مصر وأخلاق مصر ، ولكن لمثل هؤلاء أقول مثل ما قلت للانجليز ، ان هذه الجبهة هي التي يجب أن يستمد منها كل مصرى ايمانه بقدرتنا على القيام بجلائل الأعمال ! . لقد طالما نعوا على المصريين تشتت كلمتهم ، وأقسم لكم أن الانجليز كانوا فى مقدمة الناعين كى يتخذوها حجة على عدم صلاحية مصر للحياة الدستورية والحياة الراقية ، فاذا ما ائتلفت الأمة ساعة الخطر ، اذا ما نسيت أحقادها وأحزابها ، وتكاتفت أمام العدو المشترك ، اذا ما تلاقى المصريون بنعمة الله اخوانا ، فهزوا الناصب وأحرجوه ، اذا ما أعطت مصر للشرق ، بل للعالم بأسره ، مثلا رائعا فى توحيد الصفوف ساعة الخطر ، جاء هؤلاء الأعداء ، وهؤلاء المرضى ، ينعون على مصر توحيد كلمتها وجمع قواها .

لا أيها السادة : عاش النحاس باشا ، وعاش طويلا وعاش طويلا ، وعاش صدقى بجانب النحاس وعاشت الجبهة كلها متراصة متحدة . ان هذا مثل أعلى للتضحية وانكار الذات، مثل أعلى للفناء من أجل الوطن ، ويجب أن نشكرهم من أجله ، ما بقوا يعملون للوحدة ويسمون اليها .

الوحدة . . الوحدة

تألفت الجبهة كما قلت لكم ، فعاد الدستور ، وسقطت هذه الوزارة العاتية ، والتى كان يجب أن تسقط منذ أمد بعيد . هذه الوزارة التى راحت ، ولست أملك الآن ، أنا الذى

لا أعرف الكره والحقد ، لست أملك بالرغم منى الا لعنة أصبها على أيام هذه الوزارة السوداء ، وعلى كل ما اقترفت فيها من آثام ، والتى لم تشأ أن تبارح الحكم الا بعد أن تلطخ صفحاتها بدماء الابرياء والشبان .

عاد الدستور ، وسقطت الوزارة ، وتألفت هذه الوزارة ، وتقدم الانجليز يظهرون استعدادهم للمفاوضة . ولست أعرف ما يجرى وما يتم من محادثات فى هذه الأيام . ولكنى أبعثها اليكم من فوق هذا المنبر ، كلمة حارة ، كيما تستقر فى نفوسكم ، وكيما تنفذ من هذه الجدران لتستقر فى نفوس الأربعة عشر مليونا ، أبعثها اليكم من هذا المنبر كلمة حارة ، لتقرع أذن كل زعيم ، وكل شاب : هى أن تحافظوا على وحدتكم ، على جبهتكم ، تقووا ايمانكم تحصلوا على كل شىء .

هذه الوحدة التى دفعنا ثمنا لها كل هذه الآلام يجب أن تبقى ، وأن تستمر . فهى التى سننتصر بواسطتها ان لم يكن اليوم فغداً .

وإنى فأنى أعلن باسم مصر الفتاة ، بل باسم الشباب قاطبة ، أن الوحدة يجب أن تستمر بإخلاص ، والويل لكل من تحدثه نفسه بالخروج على هذه الوحدة كائنا من كان . أن الشباب لن يرحم كل من يعبث بإرادة الأمة . ومصر الفتاة اليقظة لن تسمح لكائن من كان أن يحطم سفينة النجاة . وأعود الى سياق الحديث فأقول: انه قد وقع كل ما تنبأت به ، وقطعت الأمة شوطاً بعيداً فى سبيل أمانيها .

مهمتى فى أوربا

أما مهمتى فى أوربا ، كما جاءت فى العهد الذى أخذته على نفسى ، فهى أن أسمع العالم المتمدين صوت مصر وارادتها . هى أن أهيب بهؤلاء السادة الذين يتحدثون عن حرية الشعوب وحماية الضعفاء ، الذين يدافعون عن استقلال الحبشة ، أن مصر أيضا لها استقلال ، ومصر أيضا لها كرامة ، ومصر أيضا لها حرية ، فماذا فعلوا بهذا الاستقلال ، وماذا فعلوا بهذه الحرية وهذه الكرامة .

وأشهد أيها السادة : لقد فعلت ذلك أنا وأخى فتحى رضوان فى لندرة ، وبعد ذلك فى جنيف .. فى لندرة قابلنا زعماء ، وقابلنا موظفين وكان الجميع يحسنون الاصغاء لنا ! أتعرفون لماذا ؟ لأن الحوادث التى كانت تجرى فى القاهرة كانت تضطرهم للاصغاء . ولقد عقدنا اجتماعات وشاهدنا اجتماعات . ووزعنا نشرات ومقالات وأحاديث ، وفى كلمة فهمنا الانجليز وفهمونا . فما الذى فهمنا منهم وما الذى فهموه منا .

خصوم شرفاء ولكن ...

فهمنا الانجليز أيها السادة وأعجبنا بهم : أعجبنا بآدابهم ، أعجبنا برقيهم ، وأحسسنا كما أحس زعيمنا سعد زغلول بالأمس أنهم خصوم شرفاء معقولون ، ولكن على شرط . . على شرط

واحد أيها السادة ، وفي اغفالهذا الشرط خطر وأى خطر ، اغفال هذا الشرط هو السر في النكبة التي أصابتنا في العشر السنوات السابقة على هذه الحوادث الأخيرة ، اغفال هذا الشرط هو الذي أعجز حكوماتنا المتوالية أن تفعل شيئا من أجل مصر . نعم ان الانجليز خصوم شرفاء معقولون ، أقوياء يأبى صوتي ، ولكن على شرط أن يكون خصومهم أقوياء ، أما ان كان خصومهم ضعفاء فالويل كل الويل للضعفاء ، سوف يصبح الشرف والعقل وسيلة للقضاء على الخصوم الضعفاء .

القميص الأخضر

فان ارادت مصر أن تتفاهم مع الانجليز ، أن أرادت مصر أن تجنى ثمرة شرف الانجليز ومعقوليتهم ، فيجب أن تكون قوية بتوحيد صفوفها ، بيقظة بشبيبتها واستعدادها الدائم للتضحية . يجب أن تكون مصر قوية بنظامها ، والنظام هو نصف برنامج مصر الفتاة . فمنذ الساعة الاولى نادينا بضرورة النظام وتنظيم الشباب ، منذ الساعة الأولى أحسسنا بهذه القوة الكامنة في توحيد الزى ، وارسال الاناشيد ، فنادينا بالقميص الاخضر ، وفرق المجاهدين . هزأ منا أقوام ، وسخر غيرهم ، وحاربنا آخرون ، ولكننا ظللنا على عزمنا ومبدئنا ثلاث سنوات كاملة ، عاني فيها القميص الاخضر ما عاني . فكم اقتيد شباب منا الى السجون ، وكم مزقت العصي أجسادنا . وفي هذه القاعة بعض الضباط يشهدون على ذلك ، فلما كنت في أوروبا وسمعت عن تأليف فرق القمصان الزرق ، أسعدني هذا الانتصار . أسعدني أن شعر الشباب بالحاجة الى النظام ، أسعدني أن فكرة مصر الفتاة في النظام والعسكرية قد انتصرت ، فالنظام هو القوة ، ومتى صرنا أقوياء فسوف يحترمنا الانجليز ، سوف يصغون لنا . وكلما زدنا في القوة زاد حبهم لنا ، وعطفهم علينا ، فليسمعها كل مصري وليسمعها كل شاب ، ليسمعها كل زعيم ، علينا أن تكون أقوياء وأن نكون أقوياء بالنظام .

هذا هو ما فهمته من الأنجليز ، أماما أفهمته لهم فهو اننا في مصر ، المتطرفون او المعتدلون سواء ، نرغب في صداقتهم ، نرغب في التحالف معهم ، تحالف الحر للحر . فان قبلوا هذه الصداقة فمرحبابهم . فليعطونا حقوقنا وسوف نكون أصدق حلفائهم أما اذا رفضوا هذه الصداقة فيجب ألا ينتظروا منا الا خصوما أشداء ، لا نكل ولا نمل ولا نلين . نعرف كيف نحاربهم وكيف نستخلص حقوقنا ، وكيف نهدمهم في الساعة المناسبة .

وفي جنيف

أما في جنيف ، أيها السادة ، فلقد فهمت أشياء أخرى على جانب عظيم من الخطورة ، فهمت أن مصر قد قطعت شوطا بعيداً في الحياة الدولية ، وأن العالم بأسره يتطلع لها ويترقب حضورها .

حضرت جلسات مجلس العصبة ، عدة أيام متوالية ، وتتبعت كل أعمـــالها باهتمام ، فترت لى ذهني عدة نتائج هي التي أعود مزوداً بها من جنيف ، وهي التي ستصبح مبدأ من مبادئي. أما الملاحظات التي لاحظتها في حضوري كل جلسات مجلس العصبة ، فهي أهمية هذه الأداة الضخمة من حيث الدعاية والتأثير على الرأي العام الدولى . أجل قــد يكون هذا التأثير اليوم ليس من القوة بحيث يؤدى الى نتائج عملية ضخمة ، ولـكنه، تأثير على كل حال ولست أشك لحظة فى أن هذه العصبة ، لو عاشت عدة سنوات أيضاً، فإنها ستنتهي بأن يصبح لها تأثير مادى فعلا .

تصوروا أيها السادة ، خمسمائة صحافى ، يمثلون صحافة العالم بأسره ، يتلقفون كل كلمة صغيرة أو كبيرة ، هامة أو تافهة ، كى يطيروا بها الى بلادهم ، فاذا بالعالم بأسره يتناقل ما قيل فى جنيف بعد التائه بساعات قليلة . ولقد رأيت أمماً صغيرة تدافع عن قضيتها والعالم بأسره يتتبع هذا الدفاع ، ولقد رأيت دولا صغيرة استطاع ممثلوها فى المجلس بما لهم من شخصية أن يؤثروا حتى على الدول الـكبيرة . ولقد رأيت وزير خارجية انجلترا المستر ايدن يشترك فى أعمال العصبة عدة أيام متوالية ، ليل نهار بالرغم من وفاة ملك الأنجليز .

ورأيت مندوب دولة باراجواى يتحدى دولة عظيمة كروسـيا ، ويستشهد بالعالم على حقه ، ولم تجد أمامه ثورة لتيفنوف وزير خارجية روسيا . وفى كلمة أحسست بلذعة الألم فى نفسى لغياب مصر عن هذا المجتمع الدولى ، وتخيلت مقدار التفوق الذى يمكن أن يحوزه ممثل مصر على كثير من ممثلى العـالم ، والذين لا يكاد بعضهـم يبين أو يفهم ، بينما تستطيع مصر أن ترسل عقولا متبرعة ، وأدمغة مفـكرة . أحسست بالألم أن لا يدوى صوت مصر ، فيتناوله هؤلاء الصحفيون وتنشره صحافة العالم ، فى الوقت الذى تنفق مليونا من الجنيهات على المفوضيات والقنصليات ، وبضع مئات من الألوف على هذه المؤتمرات والمظاهر التى قلما تحرك أصبعا فى سبيل القضية المصرية . وأحمد الله أنى قت بواجبي الجزئى، فأعددت مذكرة بحق مصر فى الدخول فى عصبة الأمم ، وقدمتها لسـكرتير العصبة العام ، فتلقفتها صحافة العالم ، واهتمت بها دوائر العصبة .

تقصير معيب

وبعد أن تحدثت مع أكثر من مندوب من مندوبي الدول ، وبعد أن تحدثت الى عشرات الصحفيين ، لا بل بعد أن تحدثت مع بعض المسئولين فى جمعية الأمم نفسها ، تحول ألمى الى غضب وحنق على كل هذه الحكومات التى قصرت حتى الآن فى الانضمام للعصبة ، وكل شىء مهيؤ لقبولها . فلن تقدر انجلترا أن تعارض طلب مصر فى وقت تدافع فيه عن الحبشة ، لا عقبات قانونية أو سياسية ، الطريق ممهد أمام مصر لتصبح عضواً فى جمعية الأمم ، وهذه مسـألة من أخص المسائل المصرية التى لا يمكن للأنجليز أن يعترضوا عليها ، فالدخول فى عصبة الأمم لا يسـاوى أكثر من التوقيع على أى معاهدة من المعاهدات الدولية .

الى رئيس الوزراء

واذن فاني ألفت نظر رئيس الوزارة المصرية الى هـذه الحقيقة ، ينبغي المبادرة الى الانضمام الى عصبة الأمم سواء نجحت المفاوضات أولم تنجح ، هذا حق لمصرولا ينبغي تعليقه على نجاح المفاوضات أو فشلها . وهناك ، هناك في عصبة الأمم ، ستبرهن مصر على حيويتها وقدرتها ، فتدافع عن استقلالها وكرامتها ، و سوف تـكون آذان العالم بأسره مفتوحة لها ، وســوف يكون الرأي العام بأسره في جانبها ، ولـكن على شرط واحد ، أيها السادة ، وهو أن نـكون أقوياء ، وأن نكون أقوياء أولا وأخيرا .

لقد عدت

وها أنذا أيها الســادة قد عدت ، فاذا ما سألتموني عن برنامجي فاني أقول لكم انه يتلخص في هذه الـكلمة ، التي كررتها لـكم ، وأعني بها أن نـكون أقوياء ، وأن تعد الشباب لأن يكون كامل السلاح والعدة ، هناك مفاوضات ستأخذ مجراها عما قريب ، وسأتـكلم في القاهرة عما يجب أن تتمخض عنه هذه المفاوضات ، ولـكني أبادرمنذ الآن فأعلن رغبتي من صميم قلبي . في أن تنجح هذه المفاوضات ، وسوف نتحاشى كل عمل يكون من شأنه أن يعكر الجو أمام الحـكومة وأمام المفاوضات .

لن نضيع الوقت

و لكننا في انتظار ذلك لن نضيع الوقت ، بل سنمضي في طريقنا مسقطين من حسابنا نجاح المفاوضات أو اخفاقها ، ذلك أنه اذا نجحت هذه المفاوضات فسوف يكون ذلك نقطة الابتداء في جهادنا لبعث مصر واعادة كل مجدها القديم ، أما اذا فشلت فان جهادنا متواصل ومستمر . واني أدعو الشباب للتهيؤ والاستعداد ، مع ضبط الأعصــاب ورباطة الجأش . أدعو الشباب الى الالتفاف حول راية مصر الفتاة ، ومبادىء مصر الفتاة . أدعو الشعب المصري بأسره الى مواصلة كفاحنا السلمي في ميدان الاقتصاد مثل ماقي ميدان الاجتماع والاخلاق .. لا تشتروا الا من مصري ، ولا تلبسوا الا ما صنع في مصر ، لا تتكلموا الا بالعربية ، ولا تردوا على من لا يخاطبكم بها .. قووا أرواحكم وعزائمكم بالامتناع عن الخمور ، وعدم الأسراف في الملاهي . تمسكوا بالفضيلة والأخلاق ، امتثلوا ايمانا بالله وايمانا بأنفسكم ووطنكم ، فقد كنتم سادة الدنيا يومامن الأيام ،وسوف تصبحون سادتها بقوتكم وايمانكم ، سوف تصبحون سادتها بدينكم وعلومكم ، سوف تصبحون كذلك يوم تعرفون تاريخكم جيداً ، وتثقون بأنفسكم وتملأون قلوبكم شجاعة وجرأة .. والمجد لمصر »

مات الملك عاش الملك

وزارة على باشا ماهر

— ١٦ —

وكانت وزارة على باشا ماهر ، وعلى باشا ماهر رجل من رجالات مصر النابهين وهو فذ بين رجال الجيل القديم ، ولقد بادر بمناصرة مصر الفتاة منذ اليوم الأول الذى طلبت منه نصرته ، خاصة وأن مصر الفتاة كانت تحفظ للرجل مواقفه المشرفة فى ثورة ١٩١٩ ، وجهاده الموفق لجعل الدستور المصرى على أحدث النظم العصرية ، وتحفظ له أخيراً ثورته فى التعليم عند ما كان وزيرا للمعارف فى سنة ١٩٢٥ ، فقد قلب مناهج التعليم رأساً على عقب،وحولها من برامج الاحتلال إلى برامج الحرية والاستقلال، فأدخل اليها التربية الوطنية ، واللغة الفرنسية لتنافس اللغة الأنجليزية ، وصحح مناهج التاريخ ،ووضع للمدرسين القواعد التى يجب أن يعالجوا على أساسها التاريخ المصرى ، وأخيرا جعل الرحلات فى جميع أنحاء البلاد ، بل وخارج القطر ، جزءا لايتجزأ من مناهج التعليم . وأدخل السينما فى فى المدارس ، إلى غير ذلك من الأصلاحات الرشـيدة ، ولقد استطاعت مصر الفتاة أن تتنفس الصعداء فى ظل وزارته لأول مرة فى تاريخها ، فرحنا نجتمع فى حرية ، ونجوب البلاد فى حرية ، وسرعان ما اشتد نشاط مصر الفتـاة فى كل مكان ، فتألفت الشعب ، وأقيمت الاجتماعات العامة ، ودعيت الخطابة فيها فى سرادقات تتسع للألوف من المستمعين . وبدأت روح مصر الفتاة تسرى فى كل مكان . ولما أن كان العيد اجتمعنا ، بعد ثلاث سنوات كاملة من اجتماعنا الأول ، فوق صخور الأهرام ، وألقيت فى ذوى الأقمصة الخضراء الذين وفدوا إلى الاحتفال بالعيد من كافة أنحاء القطر ، ومنهم من حضر سيرا على الأقدام ، خطابا ناريا ، هاجمت فيه خصوم

«مصر الفتاة» هجوما عنيفا لأول مرة ، وفندت الإتهـامات التي وجهوها لمصر الفتاة ، وأظهرت كيف كذبتها الحوادث والوقائع واحدة بعد أخرى.

ولقد نشر هذا الخطاب في طبعة إعاني الأولى وهو منشور في العدد ٧٢ من جريدة الصرخة الصادر في ١٠ مارس سنة ١٩٣٦ والذي يحوي فوق ذلك صورا رائعة لهذا الاحتفال العسكري المهيب لذوي الأقمصة الخضراء.

وكانت المفاوضات بين مصر وانجلترا تجري في هذه الأيام في القاهرة ، وكان حتما علينا أن نتربص نتيجة هذه المفاوضات وما تسفرعنه ، ولم يكن باستطاعتنا أن نسبق الحوادث ، أو نسرف في الهجوم أو الانتقاد ، فانصرفنا إلى تقوية صفوفنا وإعادة تنظيمها ، ونشر دعايانا .

مصر الفتاة والانتخابات

وكان مقرراً ، وقد عاد الدستور أن يجري علي باشا ماهر انتخابات عامة في أنحاء البلاد لأعادة تأليف البرلمان المصري ، بنوابه وشيوخه ، ولقد أجرى علي باشا ماهر الانتخابات في جو من النزاهة والحرية لم يسبق له مثيل من قبل أو من بعد ، وكانت فرصة سانحة لمصر الفتاة أن تظهر مدى ما وصلت إليه من تمثيل للرأي العام ، وتعبير عن إرادته ، لولا أن قانون الانتخاب يحتم أن يكون سن المرشح ثلاثين سنة ميلادية على الأقل ؛ ولما لم يكن فينا من بلغ هذه السن ، بل لم يكن فينا من بلغ خمسة وعشرين سنة فقد كان ذلك سببا قاهراً حال بيننا وبين خوض المعركة الانتخابية ، وقد أصدرت باسم مصر الفتاة بيانا نشرته الصحف بصدد موقفنا من الانتخابات ، وهذا نصه :

الانتخابات وجمعية مصر الفتاة

راع الكثيرين ألا يجدوا في المعركة الانتخابية صوت الشباب الذي حمل لواء الكفاح ، والذي أعاد للأمة دستورها وهيبتها ، راع الرأي العام ألا يجد مرشحين لمصر الفتاة ، مرشحين يعبرون عن الجيل الجديد وآمال مصر الحقيقية ، فوجهت

اليّ مئات الأسئلة عن سبب عدم اشتراكنا في الانتخابات وخوض غمارها ، أهو عجزمنا، أو ضعف أو زهد في الانتخابات . والحق أن الأمر ليس هذا ولا ذاك ، ولكنه نتيجة حتمية لقانون الانتخابات . فواضعوه قد تعمدوا أن يقصوا الشباب عن معركة الانتخابات ، فحددوا سن النائب بثلاثين عاما على الأقل ، معارضين في ذلك كل ماجرى عليه العرف في البلاد الدستورية ، وهو أن لكل ناخب الحق في أن يفوز بعضوية مجلس النواب . ولما كانت مصر الفتاة ، وليس في قادتها ، وكلهم من الشباب ، من بلغ هذا النصاب من السن ، فنحن بهذا محرومون من خوض المعركة الانتخابية .

وكم كنت أود من صميم قلبي أن تكون هذه الانتخابات وسيلة لاظهار روح الشباب والكفاح ، كم كنت أود أن تدور هذه المعركة الانتخابية حول المبادىء والبرامج ، لاحول الألقاب والأشخاص ، كم كنت أود أن أعرض على الأمة برنامج الشباب السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي من شأنه أن يبعث من مصر مصراً جديدة ، وأن يحقق استقلالها وسيادتها وعزتها ، ولكن تشاء الأقدار أن تضم هذه المعركة الانتخابية القادمة الى سابقاتها من المعارك بكل ما فيها من خصائص وأشكال . على أن كفاحنا خارج البرلمان سيكون أشد منه تحت قبته ، وها نحن أولاء ماضون في طريقنا والله يرعانا ويهدينا سواء السبيل .

احمد حسين

رئيس جمعية مصر الفتاة

مات الملك

وشاء الله أن يقع في هذه الفترة حادث يختم صفحة من تاريخ مصر ليفتح صفحات جديدة ، فقد مات الملك أحمد فؤاد العظيم ، مات الملك فؤاد بعد أن جمع القلوب حوله ، وكان له أكبر الأثر في تأليف الجبهة المتحدة من الأحزاب المصرية ، وبعد أن أعاد الدستور للبلاد ، ورسم للمفاوضين طريق الحرية والاستقلال . مات الملك فؤاد فبكته مصر بأسرها ، بعدأن أظهرت لها الأيام والسنون والحوادث المتعاقبة ، كم كان هذا الملك عظيما محبا لمصر ولعظمة مصر ومجد مصر . لقد كان الملك فؤاد ممن يؤثرون العمل في صمت ومن وراء ستار ، فلم يجعل ذلك منه إبان حياته ملكا شعبيا، بل لطالما أساء الشعب فهمه وفترت عواطفه بالنسبة له . ولكن الموقف الرائع الذي وقفه أخريات حياته ، عندما جابه الانجليز بالرغم من مرضه وضعفه ،

وعندما جمع رجالات مصر حول فراش مرضه وناشدهم الله والوطن أن يتحدوا من أجل مصر ، هذا الموقف الخالد فى تاريخ مصر الحديثة ، فتح عيون الشعب على عظمة الملك فؤاد ووطنيته ، وما بذله من جهد فى سبيل أمته ، فأفعمت قلوب الشعب بالمحبة له والأشادة باسمه . وكأن ذلك كان مسك الختام ، وكأن الله قد أراد أن يكافىء الملك أحمد فؤاد على اخلاصه وصدقه فيارح هذه الدنيا هو في ذروة مجده ، وليس في مصر كلها من لا يبكيه بالدمع المتون .

مات احمد فؤاد ، ووجفت القلوب واضطربت ، وتساءل كل انسان وماذا يكون موقف مصر ، وماذا يكون موقف انجلترا ،وهذه أول مرة يموت فيها الملك فى ظل الاستقلال والدستور المصرى ؟ ! ! هل يتدخل الانجليز كما اعتادوا التدخل من قبل، وماذا يكون موقف الشعب المصرى إزاء هذا التدخل ؟ !

وهنا تجلت مقدرة على باشا ماهر الفائقة ، ووطنيته واخلاصه ، فقد تصرف بسرعة وحزم شديدين، فى تطبيق قواعد الدستور .فاجتمع مجلس الوزراء ونادى بولى العهد فاروق ملـكا على مصر ، وبهذا صح فى مصر ما يصح في كل بلد مستقل عندما يقولون « مات الملك ، عاش الملك ! ! » ولم تكد الدنيا تسمع بأنباء وفاة الملك فؤاد حتى كانت تسمع بعد ذلك بساعات قلائل تولية الملك فاروق عرش آبائه وأجداده ،وتم ذلك بدون تدخل الأنجليز عن قرب أو بعد ، بل بدون أن يعرض الأمر على الأنجليز الذين وجـدوا أنفسهم أمام الامر الواقع المحـكم ، فلم يستطيعوا الا أن يقروه وأن يرضوا عنه ، خصوصا وأن المفاوضات كانت في ذلك الوقت جارية لوضع هذه المحالفة والمعاهدة التى كانت تحرص انجلترا كل الحرص على إبرامها .

ولقد كتبت في جريدة الصرخة مقالا تاريخيا أؤبن به الملك الراحل ، وأستقبل به الملك الجديد وهو جدير بالتسجيل لخطورة المناسبة .

مات الملك الشيخ وجاء الملك الشاب

هى صفحة تطوى وجيل بأسره يفسح الطريق

وهى صفحة تنشر وجيل بأسره يتقدم الى الامام، فى عزم وثبات ويقين

مات فؤاد صاحب الأمجاد الكثيرة والأعمال الباهرة ، مات فؤاد العاهل المعظم الذى حرر مصر من ربقة الاستعباد وقادها الى التحرر والاستقلال ، الذى قاد مصر الضعيفة الفقيرة الهزيلة حتى صيرها قادرة غنية رافعة الرأس موفورة الكرامة . مات فؤاد الذى اقترن اسمه طوال سبعة عشر عاما بكل ما هو جميل وجليل ، بكل ماهو نافع ومفيد، مات فؤاد الذى نقش اسمه على ألوف من المؤسسات والمشاريع التى ملأت مصر بالحياة والعزة والثروة ،هذه الشركات وتلك المصانع ، أى واحد منها لا يحمل حجره الأساسى اسم فؤاد ، هذه المدارس ودور التعليم ، هذه الجامعة وهذا الأزهر ، هذه الجمعيات وكل هذه الأعلام ألم يزينها دائما اسم احمد فؤاد وأنها شيدت فى عصر أحمد فؤاد . مات فؤاد الذي حكم مصر سبعة عشر عاما لم تخل من هنات هينات ، ما فى ذلك شك، ولكن هل يكون الكمال الا لله وحده ... وأين هذا الأنسان الذى تنزهت صفاته وجلت أعماله عن الخطأ، الا الرسل عليهم الصلاة والسلام ، أو لم يقل لنا شاعر الحكمة أن « كفى المرء نبلا أن تعد معايبه » فهو مختار ما بعده مختار لجلالة الملك الراحل ، ومجد ما بعده مجد أن يبحث الناس فى حكمه الطويل فلا يجدون الا كل ما هو حسن وجميل ، ولا يجدون من الأغلاط الا النذر القليل وكان حسن النية فيه من غير شك وربما لم يكن مسئولا عنه الى حد كبير .

هذا هو جلالة الملك الراحل وهذه أقدار أول ملك لمصر المستقلة الذي قاد سفينة مصر فى أعصب الساعات وسط الرياح والعواصف حتى قربها من الميناء ، وهو بعد ذلك المصلح المصر البناء، الذى ملأ مصر عملا وتجديداً .

على أن وفاة جلالة الملك فؤاد، وارتقاء جلالة الملك فاروق تبعث فى نفوسنا أملا وتفاؤلا وايمانا جديدا ، فلست من هؤلاء المتشائمين الذين ينظرون الي المستقبل بمنظار أسود ، بل ان ايماننا ليجعلنا نشعر بالاغتباط واليقين بأن مستقبل مصر سيكون أسعد من ماضيها ، وأن الحوادث تقربنا من غايتنا العظيمة، هذه التى نرى عندها مصر القوية التى تمتد حتى خط الاستواء ، والتى تحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام، بأن جلالة الملك فاروق أول ملك قدعيته الأرادة الشعبية منذ أكثر من مائة عام أى منذ أن اتفقت كلمة المصريين على انتخاب محمد على باشا رأس العائلة المالكة فان جلالة الملك الراحل قد تلقى خطابا من المندوب السامي يبايعه بالسلطنة . ومن قبله السلطان حسين بايعه المندوب السامى كذلك .

ومن قبل كانت الفرمانات التركية تتدخل في تعيين والي مصر . أما جلالة الملك فاروق فهو أول ملك مصري عتيد جاءت به ارادة شعب مصر المستقلة السعيدة ، وهنا لا يسع الانسان الا أن ينحني اعجابا وتقديرا لهذا الرجل الذى قام بهذا العمل العظيم وأعنى به صاحب الدولة علي باشا ماهر رئيس الوزراء ورجل الساعة الذى أنقذ مصر من شر كبير. مات فؤاد وقد طويت بموته صفحة الجيل القديم ، فلقد كان علما على هذا الجيل ، وكان ممثلا لكل صفاته ، وكان أعظم من في هذا الجيل فلا يوجد رجل واحد من جيل الملك الراحل يستطيع أن يتزعم الجيل كما تزعمه الملك فؤاد وإذن فقد طويت هذه الصفحة الى غير نشور حتى يوم الحساب بكل ما فيها من حسنات وسيئات ونشرت صفحة جديدة هي صفحة الجيل الجديد صفحة الشباب بكل ما في هذه الصفحة من قوة واعتزاز وتطلع لمستقبل أسعد وأمجد وبارك الله في جلالة الملك فاروق الذى عبر عن عهده فأحسن التعبير، والذى تكلم باسم الشباب فأجاد الكلام فقد قال « واني أتعهد أن أعمل حتى تتبوأ مصر المكانة اللائقة بها بين الأمم » أجل سوف يعمل جلالة الملك فاروق وسوف نعمل جميعا معه . سوف نكافح وسوف نناضل وسوف نعمل وسوف نصلح . سوف نكون أقوياء أشداء أعزة بسيادة لبلادنا ، لا نعرف مستعمرا ولا نقره ، ولا نرضى بدخيل ولا نقره ، ولا نرضى بذل أو عبودية . استغفر الله ، بل لا نرضى برائحة ذل أو ذكر الذل . هذا هو العهد الذي نستقبله في ظل جلالة الملك فاروق . فليصمت الناعقون ، ولتنقطع ألسنة المتشائمين وليفسحوا الطريق للشباب والجيل الجديد . ليفسحوا الطريق للملك الشاب ولجموع الشباب، ليفسحوا الطريق فأن لنا سواعد وفي قلوبنا ايمان، ولنا ارادة تهد الجبال وتذيب الحديد ، والمجد لمصر ،

أحمد حسين

رئيس جمعية مصر الفتاة

انتصار الحياة الدستورية

وزارة الوفد

— ١٧ —

لم يدم حكم على باشا ماهر طويلا ، فقد كانت وزارته في صبغتها بمثابة وزارة انتقال ، وقد دام حكمها مائة يوم ، كانت كلها خيراً وبركة على مصر من غير شك ، ووقعت في هذه المائة يوم أحداث جسام لا تمر في حياة الأمم أمثالها كثيراً ، فكان على مصر أن تؤلف وفداً للتفاوض مع انجلترا في قضية الاستقلال ، وقد ألف على باشا ماهر هذا الوفد من جميع الأحزاب برئاسة مصطفى باشا النحاس ، وكان على الوزارة أن تعيد الحياة النيابية ، فأجرت الانتخابات التي أشرنا إليها فيما سبق ، والتي جرت في حرية لم يسبق لها مثيل ، ثم كان هذا الحادث الذي مات فيه الملك فؤاد ، وتولى الفاروق عرش البلاد .

ولما كان الملك فاروق لم يبلغ سن الرشد بعد ، فقد أقيم مجلس الوصاية المؤلف من صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي ، وشريف باشا صبري ، وعزيز باشا عزت ، وقد كان الرأي العام يخشى كل الخشية أن يكون نسيم باشا واحدا من هؤلاء الأوصياء ، لما كان معروفا ومشهورا من أنه واحد منهم بناء على طلب الأنجليز بالذات ، ولكن عند ما فتحت وصية جلالة الملك تبين أن اسمه قد استبعد في اللحظة الأخيرة ، فتنفست البلاد الصعداء .

لم يكد علي باشا ماهر يفرغ من توطيد أركان الدولة ، حتى كان عليه بحكم الدستور أن يفسح الطريق لوزارة الأغلبية التي أسفرت عنها الانتخابات ، ولم تكن هذه الوزارة سوى وزارة الوفد التي جاءت الى الحكم بأغلبية كبيرة . ولم يكد صاحب الدولة مصطفى باشا النحاس يتقلد منصب زمام الحكومة حتى بادرت بتهنئته ، فبعثت إليه بالبرقية التالية :

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

مجلس الوزراء

إن تقلدكم الوزارة انتصار باهر للحياة النيابية ، وتوطيد لدعائم الدستور يقابله المصريون جميعاً بفرح وابتهاج ، وإني لأتمنى لحكومتكم كل توفيق في تحقيق برنامجها الذي تفضلتم باعلانه ، والمجد لمصر

احمد حسين

رئيس حزب مصر الفتاة

ولقد شرحت باستفاضة ماتنطوي عليه هذه البرقية من معان ، في مقال افتتاحي أرى أن أسجله بنصه لأهميته وخطورته بالنسبة لتاريخ العلاقات بيننا وبين الوفد ، وستظهر هذه المقالة أننا لم نجن على الوفد في يوم من الأيام ، وأننا رغم الخصومة الشديدة التي وجهها إلينا ، ظللنا ننظر إليه كممثل أعلى للشعب والأغلبية ، وعملنا دائماً أبداً على التعاون معه فيما يعود على البلاد بالاستقلال والنفع ، وعلى الشعب بالحرية ، والرفاهية ، والفائدة وأننا لم نكن ، ولن نكون في معارضتنا للوفد ، ولغيره من الأحزاب إلا طلاب حق ، وإنصاف ، وحرية

الوزارة الجديدة . وكيف نستقبلها

تهنئة وترحيب وصراحة في الحق

وأخيراً جاءت الوزارة الدستورية ، وزارة الأغلبية ، وزارة الوفد لحق على كل مصري الابتهاج ، والفرح ، ولنا في ذلك عدة أسباب :

أما أول هذه الأسباب ، فهو ما أجبت به يوماً السير جون وارد لوملن رئيس اللجنة المصرية في البرلمان الانجليزي ، عند ما كنت في لندرة في الشتاء الماضي ، فقد عرف الرجل من تقارير وزارة الخارجية البريطانية ، انني لست على وفاق تام مع الوفد ، فرأى أن ينتهز هذه الفرصة ، وأن يستغل ذلك فسألني :

علام تتحمسون لدستور سنة ١٩٢٣ ، وأنتم واثقون أنه يرفع الوفد الى الحكم بأغلبية ساحقة ، وأنه يقصي الأكفاء عنه ؟ فأجبته اجابة قاطعة ، اضطرت الرجل أن يحترم ما فيها من وطنية ومنطق ، واخلاص لمصر وحريتها . اذ قلت له ان دستور مصر ،

مظهر من مظاهر استقلالها ، وسيادتها فكل عدوان على هذا الدستور ، انما هو عدوان على استقلال مصر ، قبل أن يكون عدوانا على الدستور ؛ واذن فقد وجب على كل مصري أن يدافع عن الدستور ، دفاعه عن الاستقلال ، والا كان مفرطا ، وخائنا ، ومارقا ، وانني لأرجو أن أرى أعدائي يتحكمون في باسم استقلال مصر وسيادتها ، خير من أن أراني منعما مترفا بالحرية في ظل استقلالها المحطم ، وكرامتها المهدرة .

أما ثاني الأسباب التي تحدو بي للترحيب بالدستور ووزارة الأغلبية ، فهو ما يحدثه من الثقة في نفوس أفراد الشعب ، وشك خصومهم في امكان التغلب على ارادتهم ، فاليوم يشعر كل مصري أن له ارادة وله قدرة ، وأن كفاحه الطويل ونباته قد نصره وحقق أمانيه . واذن فالكفاح الكفاح ، والثبات الثبات دائما .

واليوم يشعر المصريون أنهم ليسوا أولئك الضعفاء الذين لا يملكون لأنفسهم قليلا أو كثيرا . واليوم يعرف من تحدثهم أنفسهم بالاعتداء على ارادة الأمة وكرامة الأمة أن مصيرهم الهزيمة والاندحار . وهذا المعنى وحده ، يكفي لحمل على الهتاف من أعماق قلبي اليوم للدستور ، وانتصار ارادة الأمة .

انني في بلد مثل مصر ، يحاول الانجليز أن يسيطروا على حريتها ، وأن يتدخلوا في مرافقها أن في بلد مثل مصر مغلوبة على أمرهـا ، ويراد بها أن تبقى طويلا في الأسر والتأخر ، ليس من شيء سوى الحياة الدستورية يلقى الضوء على جميع تصرفات الحكومة ، ويجعلها تجرى تحت رقابة الشعب ونوابه . ليس غير الدستور تتطور في ظله الآراء الحرة ، وتنطلق الأقلام ، وترتفع الأصوات المدوية ، تهيب بالأمة أن تتطور ، وأن ترقى وأن تحصل على حقوقها . وهذا هو ثالث الأسباب الذي يحدو بي وبكل مصرى ، أن يقابل تقلد الأغلبية للحكم بالابتهاج والترحيب .

فما بالك وقد أعلن رئيس الأغلبية برنامجا نص فيه على اتمام الاتفاق مع انجلترا ، وتسوية المسائل المعلقة التي تشوب استقلال مصر ، وأنه سيضمن العدالة والحرية لجميع الأحزاب على السواء . وأنه سيصلح في كل مكان ، وأنه سيجعل محور اهتمام الحكومة خاصا بالفلاح ، وكل هذه مسائل لا يسعنا الا أن نقابلها بالابتهاج والترحاب ، والا كنا خائنين بعهودنا التي قطعناها على أنفسنا ، وهي أن نمجد كل ما فيه خير لمصر ، وتحقيق لاستقلالها ورفاهيتها .

فالاتفاق مع الانجليز بما يحقق استقلال مصر وسيادتها الكاملة غير المشوبة بنقص ، هو حلما يصبو اليه المصريون ، من الاسكندرية حتى خط الاستواء .

وهو أمر ما يصبو اليه جنود مصر الفتاة ، الذين يريدون أن تفرغ مصر من بعض مشاغلها مع الانجليز ، وأن تتحلل من كثير من قيودها ، حتى تنطلق الى الامام في تنفيذ برنامجنا المتيد ، والذين تريدون به أن نحيوا مجد أمة ، حتى ليشرق على العالمين .

ومن ذا الذي لا يطرب لسماع كلمة العدالة ، وهي نور الله ، ورحمته على العالمين . من

ذا الذى لا يبايع الوزارة على نشر العدالة ، والحرية والمساواة بين الجميع. من ذا الذى لا يتمنى من الله أن يوفقها فى تحقيق هذا الذي أخذته على عاتقها .

بارك الله في وزارة تتعهد أن تجعل الفلاح محور اهتمامها . فالفلاح هو مصر وكل تجاهل الفلاح ، تجاهل لمصر ، وكل تقصير فى حقه ، تقصير فى قضية الوطن والانسانية . فنحن نهنىء الوزارة الجديدة ما بقيت عاملة على تحقيق هذا البرنامج . نهنىء الوزارة ما نشرت الحرية ، والعدالة ، وحققت المساواة . نهنىء الوزارة ما عملت على استكمال مصر سيادتها . وهـذا هو العهد بيننا وبينها ولعنة الله على من يحنث بالعهد ، أو يخرج عليه .

أجل فوالله لن نسكت على ضيم ، ولن نتغاضى عن تفريط . ووالله لنكونن كما كنا ، دائما أشداء فى الحق ، لا يثنينا بطش أو وعيد ، ولا يؤخرنا ارهاب أو تهديد .

ونسأل الله أن يهدينا جميعا سواء السبيل ... والمجد لمصر .

احمد حسين

رحلة فى الصعيد

سيرا على الأقدام

— ١٨ —

كان مؤدى الخطة التى قررنا انتهاجها بالنسبة للوزارة الجديدة ، خطة التهنئة والترحيب ، ثم التربص بها لمعرفة إلى أى حد تطابق أفعالها أقوالها ووعودها ! وكان مؤدى استمرار المفاوضات بين مصر وانجلترا من ناحية أخرى ، أن فكرت فى استغلال هذه الفترة من الهدوء والانتظار فى عمل إيجابي لتحقيق أغراضنا وأهدافنا ، ففكرت فى القيام برحلة أبتدىء فيها من الشلال صوب القاهرة ، مخترقا صعيد مصر كله سيرا على الأقدام ، أي مايقارب ألف كيلو متر . وكان هدفى من هذه الرحلة أن أجوس خلال الوطن المصرى بلدة بلدة ، وقرية قرية ، وشبرا شبراً ، ولاسبيل إلى ذلك إلا عن طريق السير على الأقدام . فرأيت أن أقدم على هذا الأسلوب لما فيه من دعاية لصلابة عودنا وقوة مراسنا ، ولما فيه من تعويد للشبان على استسهال كل صعب ، والصبر على كل مشقة . فليس كالسير على الأقدام مايغرس في الانسان عديداً من الفضائل ، على رأسها فضيلة الصبر. ولقد تحمس للفكرة معى بضعة نفر من أعضاء مصر الفتاة ، قرروا أن يزاملونى فى رحلتى ، وأن يشتركوا معى فى هذه الغزوة السلمية لصعيد مصر . وكانت الرحلة يعد لها منذ زمن بعيد ، فلماجاءت وزارة النحاس باشا كان ذلك ميعاد تنفيذها ، فأعلن عنها فى الصحف.

ولقد كانت هذه الرحلة بهذا الأسلوب محل دهشة وتهكم ، فى بعض الأحيان ، وادعاء بأنه من المستحيل تنفيذها . . ودهش الناس بالأخص من أن نختار فصل الصيف لهذه الرحلة ، وأن نجتاز صعيد مصر فى أيامه المحرقة سيراً على الاقدام . . ولكن كل هذه الصعوبات والتهويلات

لم تكن تزيدني إلا عزما على وجوب الاقدام على هذه الرحلة . ولذلك فقد حددت اليوم والساعة التي تقوم فيها البعثة إلى الصعيد، وهي الساعة الثامنة من مساء يوم الخميس ٢٨ من شهر مايو .

ونشرت في مصر الفتاة ووزعت على جميع الصحف البيان التالي :

بعثة مصر الفتاة في الصعيد

مطالب مصر الفتاة من الحكومة

« أسافر في مساء الخميس ٢٨ مايو في تمام الساعة الثامنة الى الشلال مصطحبا معي عشرة من مجاهدى الجمعية القدماء . ومن الشلال سوف نقصد القاهرة سيراً على الأقدام متنقلين من بلد الى بلد ، ومن قرية الى قرية ، متحدثين الى الفلاحين جماعات وأفرادا . وليست هذه الرحلة الا تنفيذا لعهد قطعته على نفسي أن أحيا كما يحيا الفلاحون ، وأن آكل كما يأكلون ، وأن أشرب مما يشربون ، وأن أتحمل شظف العيش الذى يتحملون . فقد طالما أهملنا الفلاح وهو سر الحياة في مصر ، وسر مجدها . فلقد جعلنا من الفروق والحواجز بين رجل السياسة والفلاح سدودا وأى سدود . ومصر الفتاة التى لها سياسة جديدة وروح جديدة ، تقدم دليلا على صدق كفاحها ، تختار فصل الصيف للقيام بهذه الرحلة الشاقة ، التي نسأل الله أن يوفقنا لاتمامها . واخترنا أن تكون رحلتنا مظهراً من مظاهر الكفاح الروحي والنفسي ، فنصبر على الشدة ونسير على الأقدام ، بالحثين عن روح مصر الحقيقية بين ثنايا الريف ، روح مصر الخالدة التى صارعت الزمن وبهرت الدنيا وأشرقت على العالمين .

واذا كنت أرجو أن تتم هذه الرحلة في ظل الحرية العامة التي أباحها الدستور ، والتى أعلنت الوزارة تحقيقها لجميع الأحزاب على السواء ، فاني أتوجه قبل سفري ، الى الحكومة والبرلمان ، ببضعة مطالب يؤمل الشباب تحقيقها على وجه السرعة في أشهر الصيف المقبلة ، ولا يقبل فيها مهادنة أو تأخيرا وهي :

أولا — العمل على زيادة الجيش زيادة سريعة كافية للدفاع عن مصر ، فان خطر الحرب أصبح يهدد مصر أكثر من تهديده لأى بقعة أخرى في العالم .

ثانيا — العمل على حل مشكلة المحاكم المختلطة باصدار قرار والغائها ، بعد عام من تاريخه تطبيقا لمرسوم انشائها ، واتخاذ الاجراءات التمهيدية لالغاء الامتيازات ، لتدبير المال اللازم لزيادة الجيش ، ويكون ذلك باعلان من جانب الحكومة المصرية .

ثالثا — الغاء قانون الاجتماعات وحماية الموظفين واضراب معاهد التعليم وجميع القوانين الاستثنائية والمقيدة للحرية .

رابعا — تخفيض مرتبات كبار الموظفين الذين يتقاضون فوق المائة جنيه ، وذلك أسوة بما فعل جلالة الملك ، وبنفس النسبة ، وصرف جزء من الوفر لصغار الموظفين لتحسين حالهم .

هذه هي المطالب التي يرجو الشباب المبادرة بتنفيذها . وانى أسأل الله أن لا تنقضي أشهر الصيف الأربعة حتى نكون قد فرغنا منها ، كيما نواجه الطوارىء الجديدة في العام المقبل ، بأكثر مانحن قوة ومناعة واستعداداً لتحقيق رسالتنا . رسالة السلام . والمجد لمصر .

الحكومة تعترضني

وقبيل سفر البعثة بأربعة وعشرين ساعة تلقيت دعوة من حسن باشا رفعت وكيل وزارة الداخلية لمقابلته ، فذهبت اليه في الموعد المحدد فاذا به يحيطنى علما أن ارتداء القميص الأخضر في هذه الرحلة ممنوع ، وأن دولة رئيس الحكومة يسلم على ، ويطلب منى العدول عن هذه الرحلة أو على الأقل عدم ارتداء الاقمصة الخضراء فيها .

فقلت له أما عن العدول عن الرحلة فهذا مالامحل له بحال من الأحوال وما لا أعرف سببا يدعو اليه ، فأنا حر أذهب حيثما اشاء ، وأنى اشاء ، وأنا كرئيس كجماعة سياسية أختار الوقت الذى يناسبنى للسفر فيه الى هذا المكان أو ذاك . أما بالنسبة للاعتراض على ارتدائي واخوانى القميص الأخضر فهو اعتراض غير مفهوم ، لأن الحكومة الحاضرة قد أنشأت فرقا للأقمصة الزرقاء ، فلست أعرف كيف تبيح لنفسها ما تحرمه على الناس . ولست أعرف ، ونحن في ظل الدستور ، بأي سلطان تحول الحكومة بين مصرى وبين أن يلبس ما يشاء ويختار من زى ، ما دام أنه لا يخالف القانون . فاذا كانت الحكومة تريد أن تحظر علينا ارتداء القميص الأخضر فلتحظر أولا على اتباعها لبس القميص الأزرق ، أو فلتصدر قانونا يحرم على المصريين لبس الأقمصة الملونة ، وعندها يكون

هذا المنع مفهوما . أما في ظل الدستور والحرية ، فلست أجد أي مسوغ لأن تحجر الحكومة على حريتي بهذا الأسلوب .

قال لي حسن باشا رفعت: ولكن الحكومة ستكون مضطرة الى مضايقتك والاصطدام بك ، اذا قمت بهذه الرحلة مرتديا هذا القميص الأخضر .
قلت له إن ذلك ليس سببا يدعوني بحال من الأحوال للرجوع عن عزمي فسوف أسافر ، وللحكومة أن تفعل بي ما تشاء قوة واعتسافا ، ولكني لن أسمح لها أن ترهبني لكي أكف من تلقاء نفسي عن ممارسة حقوقي .

وافترقنا على ذلك فكان ذلك أول نذير بالشر المستطير الذي سيقع بيننا وبين حكومة الوفد . ولعل المطالع لهذا الكتاب يلحظ أننا لم نكن البادئين بالعدوان ، وأننا على العكس من ذلك هنأنا الحكومة ورحبنا بها وتمنينا لها كل نجاح وتوفيق ، وكنا مخلصين وصادقين في رغبتنا في التعاون مع حكومة الوفد لمصلحة البلاد . ولو أن دولة مصطفى النحاس باشا استدعاني شخصيا لمقابلته والتفاهم معي لتغير الموقف من غير شك ، أما أن يوسط بيني وبينه حسن فهمي رفعت باشا وهو الذي كان يمثل في كل عهد وفي ظل كل حكومة قوة البطش بمصر الفتاة ، فقد ساعد ذلك على خلق جو من سوء التفاهم بيننا وبين الحكومة ، ظل يشتد ويتفاقم حتى وصل الى درجة سيئة خسر فيها الوفد كثيرا ، وخسرنا من جراء هذا الصدام الذي كان أولى منه التفاهم والتعاون على كل ما يحقق مصلحة للبلاد .

بدء المعركة

رأينا أن نسافر في الموعد المحدد من محطة الجيزة بدلا من محطة العاصمة لكي نتفادى اجراءات المنع في محطة العاصمة . وقد نجحت خطتنا فلم يعترضنا أحد ، وأسرع بنا القطار قاصدا الشلال ، فوصلنا الى نهاية الخط الحديدي المصري .

والحق أنني لا أعرف ماذا أثبت وماذا أغفل من انباء هذه الملحمة التي بدأت بيننا وبين الحكومة، فقد وصلنا في صباح الجمعة ٢٩ مايو سنة ١٩٣٦، ولقد كان ذلك حدثا في تاريخ مصر الفتاة، بل وفي تاريخ مصر الحديثة كلها، بغير شبه أو مثيل. فقد بدأ صراع بين الدولة والحكومة، ممثلة في رجال البوليس، وبين نفر من الشبان الذين لا حول لهم ولا قوة، ولا يملكون من أسلحة الدنيا الا ايمانهم وعزيمتهم التي لا تقهر. وقد استمر هذا الصراع طويلا الى انتهى بانفجار مدو هز مصر من أقصاها لأدناها، بل وتجاوز مصر الى خارج الحدود، واهتزت اسلاك البرق تبعث بانبائه الى جميع انحاء العالمين.

بدأ الصراع بمجرد وصولنا الى محطة الشلال، حيث وجدنا قوات ضخمة من رجال البوليس في انتظارنا، ولم نكد ننزل من القطار حتى أحاطوا بنا إحاطة السوار بالمعصم، وقادونا الى مكان بعيد عن كل عمران تحيط به مياه راكدة، وحتموا علينا أن يكون ذلك هو محل اقامتنا، فرضينا بذلك، وأسرعنا الى نصب خيامنا والاستقرار في ذلك المكان. وضرب البوليس حصارا على هذا المعسكر لكي يحول دون اقتراب أحد منه، أو دون تسرب أحد ممن في داخله. وبدأت بعد ذلك سلسلة من الحوادث والاحتكاكات والأزمات والاعتداءات والمغامرات، وامتلأت صفحات جريدة الصرخة بالأنباء المفصلة يوما بعد يوم، وساعة بعد ساعة لهذه المعركة التاريخية، والمجهود العجيب الذي قامت به هذه البعثة في قطع عشرات من الكيلومترات سيرا على الأقدام وليس يتسع المجال هنا لأثبات ذلك كله، وإلا احتاج ذلك إلى كتاب آخر في حجم هذا الكتاب وأكتفي بتسجيل بيان، أصدرته مصر الفتاة بعد قليل من بدء الرحلة، إلى الأمة مصدر السلطات، وفي ذلك البيان إشارات سريعة وموجزة لبعض مالقيته بعثة مصر الفتاة من أحداث، في تلك الفترة من تاريخها.

جمعية مصر الفتاة

تطلب حماية الدستور لبعثتها فى الصعيد

بيان إلى الأمة مصدر السلطات

١ — أعلن رئيس جمعية مصر الفتاة ، أنه وعشرة من مجاهدى مصر الفتاة ، سيقومون برحلة من الشلال الى القاهرة سيراً على الاقدام ، للاتصال المباشر بالفلاح فى كوخه وقريته ، والتعرف الى آلامه وآماله ، وحدد للسفر من القاهرة مساء يوم ٢٨ من مايو سنة ١٩٣٦ .

٢ — وقبل الميعاد المحدد ، وفد على دار الجمعية ضابط مباحث قسم الموسكى ، وطلب من رئيسها باسم الحكومة الاقلاع عن الرحلة ، أو على الأقل عدم ارتداء القميص الأخضر في أثنائها .

٣ — وكان حتماً أن يقابل ذلك الطلب الغريب بالرفض ، ثم كان اتصال رئيس الجمعية بكبار موظفى وزارة الداخلية ، الذى تمسك بعده كل فريق برأيه .

٤ — ولكن البعثة سافرت فى الميعاد المحدد ، وبقمصانها الخضراء ، ولم يعترضها عندئذ معترض .

٥ — ويظهر أن الأمور يشق على أن تبتدىء مشاق البعثة ، والاعتداءات عليها ، عند وصولها الى بداية الرحلة . حيث يمكن ارتكاب كل شيء وحيث يعز الدليل ويسهل الأنكار .

٦ — فما ان وصلت البعثة الى الشلال حتى تلقفها البوليس ، وحاصر خيامها ، ومنعها من الاتصال بالناس ، ومنع الناس من الاتصال بها . وكان من أثر ذلك أن أعيد الى اسوان خمسة من شباب اسوان ، تسللوا الى البعثة خفية من البوليس ، وفى غسق الليل ، وعن طريق النيل ، وبعد سفرة دامت خمس ساعات ، أعاد البوليس الى اسوان هؤلاء الشبان الخمسة بعد اكتشاف أمرهم . وكان من أثر ذلك أيضاً ان ضرب ضابط البوليس أحد أعضاء شعبة مصر الفتاة باسوان الجاهد سامى جورجى بالسوط على وجهه فأدماه ، لانه حاول الاتصال بالبعثة ، ومدها بالمؤونة .

٧ — ثم طلب مدير اسوان من البعثة ، أن تلبس أقمصة (كاكية) تفضل بها متبرعا ، وجعل هذا شرطاً لاستمرار البعثة فى رحلتها ، قائلا ان تلك ارادة الحكومة .

وشاء خمسة من اعضاء البعثة ، أن يتعرفوا مدى ماتريد الحكومة فتظاهروا بقبول رغبة المدير ، وتطوعوا للتضحية التالية فخلعوا شعارهم الأخضر المقدس رمز مصر وأملها ، ولبسوا قميص الحكومة الكاكى ثم سافروا الى اسوان . ولشد ما دهشوا عندما أحاط بهم البوليس بمجرد وصولهم ، وشحنهم فى عربة من عرباته وأعادهم تحت الحفظ الى الشلال ، حيث اودعوا من جديد خيام البعثة .

٨ — ولما كان فى اخذ من حريات أعضاء البعثة ، واستعمال القسوة مع افرادها، ومع الأهلين ، لما كان فى هذا أو ذاك جرائم يعاقب عليها القانون العام ، فقد أبرق بها المركز العام للجمعية فى مصر الى النائب العام ، كما أبرق بها رئيس البعثة الي النائب بنيابة اسوان ، وكلاهما يطلب من جهة القانون حماية القانون .

٩ — وفى نفس الوقت ، كانت الحكومة بيتت للبعثة اجراء أشـد عنفاً ، وأبلغ فى الجرأة والاعتداء على الحريات العامة والاستهتار بها ، اذ أبلغت سلطاتها باسوان البعثة بأنها ، أى الحكومة ، اعتزمت أعادتها بالقوة الي مصر في قطار الخامسة والنصف مساء . وكان رد البعثة مطابقاً لتقاليد جميتها: ان تلك ارادة الحكومة، ولكن ارادة البعثة هى أن تبقى وأن تقوم برحلتها ، وانه لا توجد فوق الارض قوة تستطيع أى قوة منعها واذا أرادت أي قوة ذلك المنع فدون ذلك ارادة الاعضاء ، وتقاليد جميتهم ، وهي الدفاع عن حرياتهم وحريات المصريين فى اشخاصهم ، بكل ما اوتوا من يقين وكرامة ووطنية ثم ليكن ما يكون .

١٠ — وأمام ذلك اليقين القوي ، وتلك الكرامة الوطنية ، تراجعت الحكومة عن عزمها فى « شحن » البعثة بالقوة الى مصر ، ثم رأت ان تهجم على ارادة اعضائها من من طريق آخر ، هو طريق منع القوت والمؤونة ، الأمر الذى اضطر رئيس البعثة الى أن يوجه الى مدير اسـوان خطابا يسجل فيه تلك « الوحشية » كما أسماها ، ويعلن فيه عزمه ، وعزم صحبه ، أن يقابلوا الحكومة فى تعسف الطريق الذى تريد ، بأن يخففوا عنها بعض العبء ، فيضربوا باختيارهم عن الطعام .

١١ — وكان المركز العام للجمعية يوالي الصحف بتلك الأنباء حال ورودها عليه من سكرتيرية البعثة أو رئاستها ، فكانت الصحف تتحاشى نشر تفاصيلها لغرابتها . حتى دلت الصحف بأن بعض الوقائع أبلغ الى النائب العام والى رئيس مجلس النواب فتيقنت أن الأمر جد لا هزل فيه ، ولا مبالغة ، وأنها أمام أمور واقعة ، وان كانت شاذة فى غرابتها فتوسع بعضها فى النشر ، وكتب البعض الآخر مملقاً مستنكراً وكان من جراء ذلك أن تقدم نائب محترم هو سعادة هارون سليم ابو سحلى بك ــنائب فرشـوط ليستجوب الحكومة عنها .. فطلبت الحكومة اسبوعين لرد على الاسـتجواب ، وينتهى الأجل الذى ضربتـه فى يوم الاثنين ٢٢ يونيو ، وانا لجد شغوفون بأن نسمع ما تقول ، وعسانا لا نسمع شيئاً من تلك الردود التي كانت تذاع فى « العهد البائد » ، أو العهود البغيضة ، عندما كان رجال الحكومة الحاضرة فى مثل موقفنا .

١٢ — وكان لابد مما ليس منه بد . كان لا بد للموقف من تغطية ، وكان لابد وأن تكون تلك التغطية بالسماح للبعثة فى متابعة رحلتها ، فسمح لهـا ، ولكن فى كنف البوليس وفى حراسته ، اذ تلقتها أفراده وجماعاته على طول الطريق ، يمنعونهـا

عن الناس ، ويمنعون الناس عنها فطورا ينجح البوليس وتارة لا ينجح . حتى قطعت البعثة ، وفي هذا الحر المضني ، نحو ٥٠ كيلومترا وصلت بعدها الى دراو ، حيث كانت تنتظر أن يكون حامل خيامها قد ضربها في مكان مريح تستطيع البعثة ان تجدد فيه نشاطها ، ولكنه ضربها بأمر البوليس داخل «قشلاق» قديم متهدم بعيد عن العمران وفي جوف الجبل .

١٣ــ واهتزت أسلاك البرق بالاحتجاج الى مختلف المصادر الحكومية ، ولكن بدون جدوى ، فاضطرت البعثة دون ان تأخذ قسطها الكافي من الراحة، أن تتابع سيرها الى كوم امبو ثم الى ادفو ، حيث أشرفت عليها يوم الجمعة ١٢ يونيو . وهناك علمت أن حامل خيامها وكان سبقها بطريق القطار قد اعترضه حكمدار البوليس نفسه بمحطة ادفو ، ولم يسمح له بالنزول الى البلدة . وقد كان فيها من أهلها من ينتظر مقدمه ليستضيفه ويستضيف البعثة . وتركه حكمدار البوليس هكذا محجوزاً دون أن يمده بطعام أو ما يسد به رمقه ، وقد تصادف ان كان خالي الوفاض اذ لم يعمل حسابا لتلك المعاملة الشاذة ، فاضطر الرسول ان يستنجد تلغرافياً بالمركز العام يعتز ظالباً امداده بنقود لتأكل .

ومنعت البعثة هي الأخرى من دخول ادفو ، كما منعت من تأدية صلاة الجمعة بأحد مساجدها ، فاللهم الغفر لأخي . . . انه مأمور ! !

١٤ــ ومضى يوم السبت ١٣ يونيو ، ونصف يوم الأحد ، ولم ترد على المركز العام أنباء من البعثة ، وقد تركناها خارج ادفو . بأمر البوليس ، فقلقت عليها الخواطر وأرسل المركز يستفهم تلغرافياً من ادفو ، فردت اليه برقيته ، ومعها ما يفيد بأنها لم تسلم لأن البعثة سافرت شمالا .

وبعد ذلك بقليل ورد من رئيسها البرقية الآتية :

« اصبحت حالة البوليس لا تطاق ، أبلغوا رئيس ، الوزارة الحالة حرجة .

« احمد حسين »

ونحن نختم بهذه البرقية بياننا الأول الى الأمة مصدر السلطات ، وهي غنية بما فيها عن كل تعليق ولا شك أننا سنسمع قريباً ، وقريباً جداً ، صوت الرأي العام مدويا بالاحتجاج على من اعتدوا على الحريات التي كفلها الدستور ، وضمنتها قوانين الدولة .

١٥ــ وجمعية مصر الفتاة لا تشكو ولا تتململ ، فليست الشكوى او التململ في برنامجها وانما وهي الدستورية الصميمة ، وهي التي كانت في مقدمة مهنئي دولة رئيس حزب الأغلبية بعودة الدستور ــ تريد لمصر حياة دستورية سليمة . وليس من سلامة الحياة الدستورية في شيء امتهان الحريات العامة ، والاستهتار بها ، ومعاملة مصري ووضع العراقيل في طريقه كلما اراد التنقل داخل بلاده ، والدستور صريح في أن حرية الانتقال مكفولة .

١٦ — وجمعية مصر الفتاة ، مركزها العام ومجلس جهادها، وشعبها، وجنودها، وأنصارها ، في كافة أنحاء القطر المصري ، ترى من الوفاء عليها لرئيسها ، ومن معه من المجاهدين، أن لا تختم بيانها هذا قبل أن تعلن مشـــاركتها لهم في كل ما يقولون ويفعلون ويتحملون، في سبيل الله والوطن والملك . والله أكبر والمجد لمصر . »



ذلك هو بيان مصر الفتـــاة الذى أذاعه المركز العام في ذلك الوقت. وهو لايعطى سوي فكرة ضئيلة عن هذه الملحمة بين بعثتنا والحكومة ..

هل يتصور القارىء أننا اضطررنا في بعض المراحل إلى أن نقطع خمسين كيلوا متراً في نهار واحد . بل هل يتصور القارىء أو يصدق أننا قطعنا في شوط واحد المسافة بين اســـنا والأقصر ، وهي تربي على السبعين كيلو مترا ، لأن البوليس كان يحول بيننا وبين أن نميل شرقا أو غربا ، أو أن نرجع القهقرى ، فلم يكن أمامنا إلا أن نسير نحو الأمام ، ونحو الأمام دائماً . . .

ولقد تورمت قدماى في نهاية الأمر، وعطبتا وكان ذلك أشدمايؤلمني في هذه الفترة ، ولكنني صممت بالرغم من ذلك كله أن أمضى في رحلتي بالرغم من كل شيء . . . وحسبي الآن أن أذكر أسماء بعض هذه البلاد التي اجتزناها في رحلتنا وهي : الشلال — أسوان — دراو — الجعافرة — دار السلام — جبل السلسلة — الكاجوج — سلوى — الرديسية — أدفو — السباعية — الترعة — أسنا — العديسات — المطاعنة — الشغب — أرمنت — نجع الجسور — البياضـــية — الأقصر — خزام — السنهورية — قوص — الأشراف — قنا — الخادمة — دشنا — فاو .

وحسبي أن أقول للقارىء: إنه مامن مكان من هذه الأمكنة إلا ولنا فيه قصة ولنا فيه واقعة تروى ، وتحكى فليرجع إلى جريدة الصرخة من شاء أن يطلع على تفاصيل هذه الملحمة الـكبيرة.. وكان ولابد لهذاالمجهود أن يحدث أثره في الرأى العام . . . وكان لابد لهذا المجهود الذى بذلناه وهذا الضغط الذى احتملناه أن يؤتى ثماره في الرأى العام . . . فكانت القنبلة وكان الانفجار المدوي الذى اهتزت له أرجاء العالمين .

اتهام مصر الفتاة

بالخيانة العظمى

— ١٩ —

كانت فتيلة هـذه القنبـلة المدوية ، ذلك الاستجواب الذى تقدم به سعادة هارون باشا ابو سحلي نائب فرشوط ، وأحد رجالات الادارة المشهورين في مصر. كنت قد تعرفت بسعادته ابان رحلتي على ظهر الباخرة النيل الى ايطاليا . واتصـل بيننا الود بعد ذلك وتبادلنا الزيارات فلما ان وقعت بنا هذه الاضطهادات لجأ اليـه اخواني مستغيثين لكى يستجوب الحـكومة فى هذه المخالفات الدستورية ، فتقدم بأول استجواب فى هذه الدورة النيابية ، أو فى هذا العهد الدستوري الجديد . فكان مجرد تقديم الاستجواب ونشر نصه في الصحف أكبر انتصـار لبعثة مصر الفتاة ، ودعاية لها ، لفت الأنظار الى ما تعانيه وما تـكابده . واليك نص هذا الاستجواب :

« هل أصدر دولة وزير الداخلية أمراً بمنع سفر أعضاء جمعية مصر الفتاة فى رحلة الى الصعيد ما داموا يلبسون القميص الخاص بهذه الجمعية ؟

وهل سمح دولته بعد ذلك بسفر هؤلاء الاعضاء بهذا القميص حتى وصلوا الى أقصى الصعيد وعسكروا في خيام لهم بالشـلال ؟ ثم هل عاد دولته فأمر بمحاصرة هذه الخيام بحرس دائم من البوليس يرد عنهـا الزائرين ، ويحول بين هؤلاء الشبان وبين التجول والاتصال بالناس ؟

وهل أصدر أمراً بضرب الزائرين لهذه الخيام بالسياط على وجوههم واستعمال العنف والشدة معهم ؟

وهل سمح دولته ان مدير أسوان قد وزع على أعضاء الجمعية المعسكرين في الشلال قمصانا كاكية ما يلبس عساكر البوليس حتى لا يشاهد أعضاء

هذه الجمعية بالقمصان الخضراء الخاصة بهم فلما لبسوها وذهبوا الى اسوان أعادهم الى الشلال بالقوة ؟

إذا كان دولته قد أصدر هذه الأوامر ، فهل هناك فى قانون الدولة ما يبيح للداخلية ان تمنع أحدا كائناً من كان من لبس الزى الذى يريده ، والأقامة فى المكان الذى يحبه ، ونشر الدعوة التى يهواها ، مادامت فى حدود القانون والدستور ؟ وهل يعلم دولته ان رئيس الوزراء قد استعرض هو ووزير الزراعة شبابا يلبسون قمصانا زرقاء فى سيدى جابر وأنه أعلن رضاه عنهم وعن نظامهم ؟

فاذا كان دولته يعلم ذلك فهل هناك نص فى الدستور أو القانون يبيح لجماعة ما يحرمه على جماعة أخري ؟ »

هارون سليم ابو سحلي
نائب فرشوط

* * *

رد واتهام

هذا هو الاستجواب الذى تقدم به هارون باشا وهو على فراش المرض وقد أحدث تقديمه هزة فى الرأى العام لغرابة الوقائع التى احتواها ، وتشوق كل انسان فى مصر لسماع مايقوله رئيس الحكومة رداً على هذا الاستجواب. ولكن انساناً واحداً فى مصر لم يدر بخلده لحظة من اللحظات أن الرد سيكون بمثابة قنبلة تنفجر فى سماء الحياة المصرية ، لم يتخيل أحد أن رئيس الحكومة سيرد رداً يخلق مصر الفتاة خلقاً ، ويرتفع بها إلى الصف الأول من عطف الأمة المصرية واهتمام العالم الخارجى ، لم يتوقع إنسان فى مصر أن هذا الاستجواب سيثير فى طول البلاد وعرضها عاصفة مدمرة تجرى الدماء أنهاراً فيكون قتال فى كل مدينة وفى كل قرية ، وتكون مشاجرات وتكون مساجلات حادة وعنيفة ، تدخل إلى كل شارع وإلى كل حارة وكل زقاق ،

بل وإلى كل بيت . وينقسم المصريون إلى قسمين قسم صغير يؤيد رئيس الوزارة ويوافقه على قوله، وقسم يؤلف الأغلبية العظمى فى البلاد يستنكر هذا الرد وينحاز بكل عواطفه وتأييده إلى مصر الفتاة . لقد كان ما يتوقعه كل انسان أن يجيء رد رئيس الحكومة منكراً لهذه الوقائع التى وردت في الاستجواب وأن يقول أن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وأن مصر الفتاة وبعثتها تتمتع بالحرية المطلقة فى تجوالها وأن الاجراءات التي تتخذ إنما هى لحماية أعضاء هــذه البعثة من غضب الشعب الحانق عليها ... أجل كنا نتوقع أن يصور رئيس الحكومة قوات البوليس التى تحيط بنا وتحاصرنا وتحول بيننا وبين الاتصال بأحد إنما تفعل ذلك رحمة بنا وحماية لأرواحنا، وقد كان مجرد تصورنا هذه الأجابة يملأ قلوبنا بالغيظ والحنق ولم نكن نعرف كيف نرد على رئيس الحكومة لوقال مثل هذا القول، ولم نكن نعرف كيف نطلع الرأى العام على عدم صحة هذا الادعاء . ولكن شاء الله أن لايرد رئيس الحكومة هذا الرد، أو أن يرد أي رد مألوف في مثل هــذه الظروف ... شاء الله أن يكون رد رئيس الحكومة صدقاً في تاريخ البلاد وأن يكون مقدراً له أن يقيم الدنيا ويقعدها ..

واليك الآن هــذا الرد الذي أصبحت مشوقا لمطالعته كل التشوق . لقد اعتذر المرحوم هارون باشــا مقدم الاستجواب عن حضور الجلسة بسبب مرضه بل وطلب من مجلس النواب أجازة حتي آخر دور الانعقاد، ولــكن الاســتجواب فى هذه الحالة لايسقط لأنه ملك المجلس بأ كله ولذلك فقد تقدم الأستاذ عبد العزيز الصوفانى وأعلن تمسكه بالاستجواب، وأن المجلس فى انتظار رد رئيس الحكومة . فوقف رئيس الحكومة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا . وألقى من فوق منصة مجلس النواب الرد التالي :

« ثبت لدى وزارة الداخلية أن جمعية مصر الفتاة تعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البلاد (ضجة) ولذلك قررت الوزارة حرصا على مصلحة

الدولة أن تمنع تجوال أعضاء هذه الجمعية في القرى بزى خاص . وقد بذلت لرئيس الجمعية النصيحة الودية بالعدول عن السفر إلى الصعيد فلم يستمع لهذه النصيحة ،وسافر هو ومن معه إلى أسوان ولم يتعرض لهم أحد،ولكن اتخذت الاجراءات للحيلولة بينهم وبين التجوال فى القرى بزي خاص والاتصال بالأهالي وذلك للسبب الذي بيناه .

« وليس صحيحاً ماذكر في الاستجواب من إصدار الأوامر بضرب الزائرين لخيام الجمعية . وقد ادعى أحد الأشخاص في أسوان أن البوليس ضربه عندما كان يريد الاتصال بأعضاء الجمعية فى خيامهم وحققت النيابة هذه الشكوى فثبت عدم صحتها وحفظها النائب العام إداريا .

« أما عن القمصان الكاكى فأن مدير أسوان أخبر أعضاء الجمعية بعدم موافقته على تجوالهم بالقمصان الخضراء ، فادعوا عدم وجود لباس آخر معهم فأعطاهم قمصانا من الكاكى فلبسوها . . ولكن لما اتصل بعلمنا ذلك أصدرنا إليه أمرنا بمنعهم من التجوال فى الزي الكاكى أيضا .

« هذا ولم تعرض الحكومة لجمعية مصر الفتاة في المدن الكبرى ، بل تركت أفرادها أحراراً يلبسون ما يشاءون فى حدود القانون .

« وسبق لهذه الجمعية أن طلبت عقد اجتماع عام بمدينة الفيوم في شهر إبريل سنة ١٩٣٦ وصرحت وزارة الداخلية بعقد هذا الاجتماع على غير رأى مدير المديرية ، فتسبب عن هذا التصريح تجمهر كاد يؤدي إلى إخلال خطير بالأمن العام، واضطر البوليس إلى إطلاق النار،والمحافظة على أعضاء الجمعية ، إلى أن رحلوا من مدينة الفيوم فى فجر اليوم التالى عائدين إلى القاهرة .

« كما أنه قد وصلت لوزارة الداخلية أخيرا تقارير من حضرتى مديرى أسوان وقنا تفيد عدم ارتياح الأهالي لوجود هذه الجماعة بين ظهرانيهم ، وممن أمضوا هذه التقارير حضرة نائب إسنا المحترم .

« وإن هذه الجماعة التى تنطوى أغراضها وعلاقاتها على مايضر بمصلحة

الدولة الكبرى لا يصح مقارنتها بجماعة الشبان الذين يلبسون القمصان الزرقاء والذين تقوم مبادؤهم على احترام النظام والقانون والعمل لخير البلاد وينتمون إلى هيئة سياسية مسئولة » (تصفيق)

* * *

ألقى دولة النحاس باشا رده ، ولم يكد يغادر المنبر بعد إلقائه حتى هبت العاصفة ، ولم تلبث أن تحولت خارج البرلمان إلى عاصفة جائحة .

ذهل أعضاء مجلس النواب لهذه الاجابة ، فحلق على رءوسهم الطير ، ومرت لحظات قبل أن يستردوا أنفاسهم . ثم بدأ رد الفعل ، لما قال رئيس الوزراء ، يتجلى .

طالب الأستاذ فكرى أباظه بوجوب جعل الجلسة سرية لمناقشة هذا الاتهام الخطير ، ولكى يتمكن رئيس الحكومة من تقديم ما لديه من أدلة الاتهام ، ولكن رئيس الحكومة رفض أن يجعل الجلسة سرية ، وقرر أنه لن يقدم للبرلمان أي دليل ، فالمسألة تتعلق بسلامة الدولة وأسرارها العليا ، التى لا يمكن البوح بها ، وعلى المجلس أن يثق بالحكومة بدون مناقشة ، لأن الحكومة لم تصرح بما صرحت به إلا بعد التثبت والتحقيق .

ولكن المجلس لم يرض بذلك ، ولم يسكت عليه ، فاندفع الأعضاء من هنا وهنالك يناقشون رئيس الحكومة ، ويحرجونه ، ويطالبونه بالدليل . وكان ممن تكلموا فى هذا اليوم ، فأحسنوا الكلام دفاعا عن مصر الفتاة ، سعادة عبد المجيد ابراهيم صالح باشا ، فقد راح يناقش إجابة رئيس الحكومة ويظهر ما انطوت عليه من تناقض ، وضعف يدل على عدم صحة الاتهام .. فكيف يثبت لدى وزارة الداخلية ما ثبت لها من اتصال هذه الجماعة بدولة أجنبية ، ثم تسمح لهم بالتجول وبنشر الدعاية فى المدن دون الريف ، فى الوقت الذى كان يجب أن تضرب على أيديهم ضربا يحول بينهم وبين أى عبث بمصالح البلاد فى المدن قبل الريف . .

وكيف تسكت الحكومة عن تقديم أمثال هؤلاء الخونة إلى المحاكمة ، ليدافعوا عن أنفسهم فتثبت براءتهم أو يحكم عليهم فينالوا جزاء ما كسبت أيديهم.

ويبدأ رئيس الحكومة يرى جو المجلس النيابي مكفهرا ، ويبدأ يشعر بموقفه الضعيف ، وأن اتهامه لم يلق هوى في نفوس النواب ، بل على العكس قد أحدث رد فعل جعل الجماعة لديهم محل عطف وتقدير .

فأسرع رئيس الحكومة إلى استخدام سلاحه الأخير ، وهو أن يهيب بالنواب أن يثقوا به وأن يكفوا عن كل مناقشة ، ووضع شخصيته وكرامته في الموضوع .

ولما كانت أغلبية المجلس الساحقة من الوفديين ، فقد أقفل باب المناقشة وتقرر الانتقال إلى جدول الأعمال .

ولكن المناقشة التي أقفلت في مجلس النواب ، قد فتحت على مصاريعها خارج البرلمان : في الشوارع ، وفي المقاهي ، وفي النوادي ، وبين جدران المدارس والمصانع والمتاجر ، وفي الحقول وفي المزارع .

لقد راح كل مصري يسائل أخاه المصري هل سمعت ما قاله النحاس باشا في البرلمان من اتهامه مصر الفتاة بالخيانة ، فيجيبه الآخر في أسف أجل لقد سمعت . فيسأله الثاني عن رأيه ، فلا يكون الجواب إلا في اتجاه واحد ، هو عدم تصويب النحاس باشا فيما قال وفعل . لقد كان حقا عليه أن يقدم الدليل ، لقد كان واجباً عليه أن يقدم هذه الجماعة إلى المحاكمة ، فأما وهو لم يفعل فما كان عليه أن يلقي الكلام على عواهنه ، ويمس شبانا أطهارا بهذه القسوة ، ويقذفهم بهذا الاتهام الخطر ، دون أن يقدم على ذلك دليلا أو شبه دليل ، ودون أن يهيء لهم فرصة الدفاع عن أنفسهم .

كان ذلك هو حكم الرأي العام ، بل حكم الوفديين أنفسهم ، ولم يتحمس لكلام رئيس الحكومة إلا هذا الفريق من الوفديين النزقين من لابسي الأقمصة الزرقاء . .

أما الصحف الوفدية نفسها ، أما نواب الوفد ، أما عقلاء الوفد ، أما كل صاحب رأي في الوفد ، فقد أنكر ذلك الموقف كل الانكار ، وإذا كان ذلك هو موقف الوفديين استطعت أن تتصور ماذا كان موقف غير الوفديين من هذا الاتهام .

ولقد كانت خطورة الاتهام بحيث جعلت البلاد تهتز له من أقصاها إلى أدناها ، وصدرت الصحف العربية والافرنجية وليس لها موضوع رئيسي إلا هذا الاتهام ، ولم يجد مراسلو الصحف الأجنبية في مصر مايبرقون به إلى أربعة أركان المعمورة إلا هذا الاتهام لمصر الفتاة ، والمناقشات التي دارت حوله .

فلو أن مصر الفتاة جاهدت عشر سنوات متواصلة لتعلن عن نفسها لما استطاعت أن تعلن عن وجودها بمثل ما أحدثه هذا التصريح من ضجة وإعلان ، وفي عشية وضحاها انتقلت مصر الفتاة من حركة صغيرة محلية إلى حركة عالمية تتطلع الدنيا كلها إلى أبنائها ، وتحاول أن تعرف من أمرها كل شيء . فقد حاولت انجلترا أن تعرف ماهي هذه الدولة الأجنبية ، وأطلت ايطاليا وألمانيا برأسيهما ليعرفا كنه هذه الدولة الأجنبية ، وتلمست روسيا الشيوعية حقيقة هذه الدولة ، وهرع المراسلون لصحف الدنيا كلها إلى دار مصر الفتاة يبحثون وينقبون ويعلمون عن مصر الفتاة ما لم يكونوا يعلمون .

في صفوف مصر الفتاة

أما رد الفعل في صفوف أبناء مصر الفتاة فقد كان رائعا وجليلا ، لقد انفجرت حماستهم ، وثارت كرامتهم ، وغلا الدم في عروقهم ، وأعلنوا عزمهم على الدفاع عن شرفهم وعرضهم بدمائهم ... وعلى عكس مما كان يتصور النحاس باشا ، من أن هذا الاتهام من شأنه أن يصرف شباب مصر الفتاة عنها ، زاد تعلقا واستمساكا بها ، بل وعصبية لها ، واستعدادا

للتضحية فى ظل رئيسها . فنى جميع انحاء القطر من الاسكندرية حتى أسوان، هرع أعضاء مصر الفتاة الى النيـابة العمومية ، يضعون أنفسهم تحت تصرف النيابة للتحقيق معهم ، ويعلنون تضامنهم مع رئيسهم ومجلس جهاد مصر الفتاة ، الذى بادر بمجرد إلقـاء هذا البيان بالابراق الى النائب العـام ، يضعون أنفسهم تحت تصرفه للتحقيق معهم فيا ادعاه عليهم رئيس مجلس الوزراء ، فكان ذلك مظهراً رائعا لتضامن أبناء مصر الفتاة ، وقوة إيمانهم واخلاصهم ، فاهتزت البلاد كلها اعجابا بذلك التضامن العجيب .

ولقد أسرع المركز العام في القاهرة باقامة اجتماع فى مسرح برنتانيا ليرد على اتهام رئيس الحكومة ، فكان تهـافت الرأى العـام على حضور هذا الاجتماع لا مثيل له من قبل ، بحيث أعيد طبع التـذاكر بضع مرات ، واحتشد فى مسرح برنتانيـا أضعاف أضعاف ما يتسع له حتى خشى عليه الانهيار .

وفى ذلك الحشد وقف سكرتير الجمعية العام ومساعده يخطبان مدافعين عن موقف مصر الفتاة ، فاستقبلها الجمهور بالتصفيق المتواصل بضع دقائق تكريما لهما ، واعلانا للثقة بمصر الفتاة . وكانت موجة من الحماسة لم يسبق للبلاد أن شهدتها فى اجتماع سياسى منذ سنوات وسنوات .

الاقمصة الزرقاء تهاجم

على أن قيادة الاقمصة الزرقاء كانت قد قررت منذ علمت بنبأ الاجتماع أن تهاجمه ، وقد تسربت أنباء هذا الهجوم قبيل الاجتماع ، ولكن أعضاء مصر الفتاة لم يحفلوا به ، وظنوه إشاعة من الاشاعات ، ولما جاء أوان الاجتماع ورأوا هذه الجموع الغفيرة من البوليس الذى يحيط بمكانه أمنوا واطمأنوا الى انه لن يكون هناك عدوان ، لأنهم لم يتصوروا أن تكون هذه القوات الضخمة من البوليس متآمرة مع فرق الاقمصة الزرقاء ، وأنها ستفسح لهم الطريق ، وستعينهم على الفتك بأبناء مصر الفتـاة . وقد

تمت المؤامرة، فعمل البوليس منذ أول الاجتماع على اعتقال كل الأعضاء البارزين من ذوى الأقمصة الخضراء ، بحجة أنهم اعتدوا على بعض الوفديين الذين جاءوا لحضور الاجتماع . فلما جاءت الساعة المتفق عليها إذا بألوف من ذوي الأقمصة الزرقاء ينقضون على مكان الاجتماع ، وهم مسلحون بالخناجر ، ويحاولون الفتك بهذا العدد القليل من ذوي الأقمصة الخضراء الذي كان في الاجتماع . ودارت معركة رهيبة أبدى فيها بعض مجاهدى مصر الفتاة ألوانا عجيبة من البطولة والاستبسال التي أذهلت المهاجمين . فقد استطاع مجاهد واحد هو سليمان افندى الماوردى أن يتصدي لجموعهم ، وأن يبطش بكل من يحاول الهجوم عليه ، فكانوا يفرون مذعورين ، الى أن تكاثروا عليه وظلوا يضربونه ويقاومهم حتي أثخنوه بالجراح ، فسقط مغشيا عليه بعد أن أصاب منهم ما يزيد عن العشرين ، ولم يسقط إلا بعد أن جاءالمدد ، وهرع اليه بعض نفر من أبناء مصر الفتاة يذودون عنه .

ولقد أصيب في هذه المعركة عدد كبيرمن ابناء مصر الفتاة ، وجاءت عربات الاسعاف الى ميدان المعركة تنقل الى مستشفى قصر العينى الجرحى الذين سقطوا نتيجة المؤامرة الدنيئة .

وقد كان لهذه المعركة بعد تصريح رئيس الحكومة أثر بالغ في الرأي العام ، الذي ازداد عطفا على مصر الفتاة ، والذى استنكر عن بكرة أبيه هذا العدوان الوحشى الذى لا يدل إلا على الفوضى وانقلاب الأوضاع . ولم تخف الصحف عن بكرة أبيها اشمئزازها من هذا الاعتداء الذى وقع من ذوي الأقمصة الزرقاء المسلحين بسلطان الحكومة .

عودتى الى القاهرة

دهمتنى هذه الأخبار ، كما دهمتنى الأخبار السابقة عليها ، الخاصة باتهام رئيس الحكومة، وكنا قد وصلنا فى رحلتنا الى مدينة نجع حمادى ، عندما وصلتنا أنباء معركة مسرح برنتانيـــا ، فرأيت ان أسرع بالعودة الى

القاهرة ، بعد أن وصلت الأمور الى هذا الحد من الخطورة . كنت قد تعمدت أن أتجاهل تصريح رئيس الحكومة ، وأن لا أجعل له تأثيراً في إتمام رحلتي ، واكتفيت بأن بعثت الى النائب العام في مصر برقية أضع فيها نفسي تحت تصرفه للتحقيق معي في اتهام رئيس الحكومة ، وأعطيته مهلة للشروع في هذا التحقيق ، بحيث اذا لم يفعل اعتبر اتهـــام رئيس الحكومة ضربا من ألوان العبث ، ولا يبقى على إلا أن أستأنف رحلتي التي بدأتها من الشـــلال ، وقد انقضى الموعد المضروب للنائب العـــام . ولم يصلني منه أي رد على برقيتي ، فاستأنفت رحلتنا ووصلنا إلى نجمع حمادي . وقد أتيح لي في الأيام القليلة التي مرت بعد القاء تصريح رئيس الحكومة أن أشهد العطف الشديد الذى أحاطنا به الرأى العام ، بمــا في ذلك رجال البوليس أنفسهم الذين علا صوتهم باستنكارهم لاتهام رئيس الحكومة ، وبدأوا يحسنون معاملتنا قدر استطاعتهم ، ثم كانت أنبـاء معركة برنتانيا ، وأنباء هذه الدماء التي أريقت من أبناء مصر الفتـاة ، وأنباء هذه الموجة من الاضطهاد الخانق الذى بدأ حول مصر الفتـاة في القاهرة ، وهنا لم يسعني إلا أن أقرر العودة لأكون الى جوار إخواني في هذه المحنة . وقد كان من رأيي دائما ، وسيبقى من رأيي حتى نهاية العمر ، أن أكون على رأس إخواني وزملائي في أي معركة من المعارك التي تخوضها مصر الفتاة .

ولم نكد نصل إلى القاهرة حتى اشـتركنا في المعركة على الفور . ففي مساء اليوم الذى وصلت في صباحه إلى القاهرة أحاطت جموع الشبان الغفيرة من ذوي الأقمصة الزرقاء بدار الحزب في العتبة الخضراء ، وهى تنادى بالويل والثبور وبسقوط احمد حسين الخائن ، فرأيت أن أطل على هذه الجماعة وأن أخطب فيها ، و قد كان ذلك تحديا للخطر المحدق بي ، ولم يكن هناك غير هذا الأســلوب لدفع هذا الخطر ، فقد فوجيء القوم عندما وجدوني أطل عليهم وأصيح فيهم طالبا منهم السكوت . . ولقد

سكتوا وبدأت أخطب فيهم ، وبدأ تأثير موقفي وحديثي يسيطر على الموقف ، ولكن واحداً من بين الجموع الزرقاء صاح بهم كيف تسكتون عليه اقتلوه ! . قال ذلك وقذفني بحجر ، فانهالت الأحجار من كل مكان ، واضطررت للتراجع تحت وابل من الأحجار ، ولكن الله سلم في هذه الليلة فلم أصب بسوء ، وكان الدخول إلى مقر مصر الفتاة دونه عدة أبواب ودهاليز وسلالم فتحصن بها أعضاء مصر الفتاة واستعدوا بالعصى والأسلحة في حالة اقتحام الدار ، ولكن ذوي الأقمصة الزرقاء تهيبوا الهجوم علينا في عقر دارنا ، فظلوا محاصرين المكان عدة ساعات ، والبوليس لايحرك ساكنا ، إلى أن بدأ عددهم يقل بالتدريج في ساعة متأخرة من الليل ، ثم لم يلبثوا أن انصرفوا ، وانصرف كل منا إلى بيته .

وهذا الذي حدث في القاهرة ، حدث مثله في كل مدينة من مدن القطر المصري ، حيث هاجم ذوو الأقمصة الزرقاء نوادي مصر الفتاة وأعضاء مصر الفتاة ، ودارت معارك رهيبة سقط فيها جرحى بل وقتلى . وشاءت الظروف أن يكون القتلى من ذوي الأقمصة الزرقاء ، فكان منهم قتيل في كفر الزيات وقبض على أعضاء مصر الفتاة بتهمة ضرب أفضى إلى موت ... وكان قتيل آخر منهم في دمنهور ، وقد كان ذلك حادثا هز البلاد هزا ، وكنت سأفقد حياتي في هذا الحادث ، مما يجعلني أعود اليه بشيء من التفصيل بعد قليل .

الدفاع

أمام الشيوخ والنواب

— ٢٠ —

كان لابد من دفاع يقال رداً على اتهام رئيس الحكومة ، بصورة منظمة ، تبلغ أسماع الرأى العام المثقف، فرأينا أن خير طريقة لذلك هو أن ندعو لفيفا من أعضـاء مجلس الشيوخ والنواب ، ومندوبى الصحافة المصرية والأجنبية ، لكى ألقى فيهم خطابا أدافع فيه عن نفسى وعن حركة مصر الفتاة ، فأقمنا لذلك حفلة شـاى فى محل « على الدلة » ، وأرسلنا بطاقات الدعوة إلى أكثر من مائة من المدعوين الذين اخترناهم من بين الشيوخ والنواب ورجال الصحافة .

ولكن الحكومة لم تسمح بهذا الاجتماع وصادرته ، وحال البوليس بين الشيوخ والنواب وبين الدخول إلى مكان الاحتفال ، فكان هذا التصرف الجديد من جانب الحكومة ، أحد التصرفات التى عززت جانب مصر الفتاة وأضعفت جانب الحكومة . فالنحاس باشا قد اتهم ولم يقدم دليلا ، فاذا أضيف إلى ذلك محاولته أن يسد علينـا الطريق للدفاع عن أنفسنا بأى أسـلوب من الأساليب ، فقد أصبح ذلك هو الدليل الذى لا ينقض، على أن ما قاله كان لونا من ألوان الحرب الحزبية التى أراد أن يكيد بها لرهط من الشبـان الأطهار ، ومع ذلك فقد استطعنا أن ننشر الخطبة فى مجلة الصرخة ، وأن نطبعها على حدة ، ونوزع منها آلاف النسخ . وقد كان ذلك آخر العهد بانتظام جريدة الصرخة ، فهى لم تلبث عقب نشر هذا الخطاب أن أصبحت محلا للاضطهاد والمصـادرة ، عددا بعد عدد دون استثناء ، إلى أن اضطررنا فى نهاية الأمر إلى الكف عن إصدارها جملة ، لأن صدورها بات مستحيلا فى ظل هذه المصادرة المتعاقبة ،

حتى بعد أن كففنا عن كل كتابة في السياسة ، ورواح الاستاذ فتحي رضوان يملأ الجريدة بمقالات تهكمية حول مارلين ديتريش وجريتا جاربو وأيهما أجمل وأبرع ، وحول الفاكهة المصرية ومصيرها ، ولكن ذلك كله لم ينج الصرخة من المصادرة ، فكان لابد من وقفها .

واليك الآن نص ذلك الخطاب ، الذي كان مقررا أن يلقى على الشيوخ والنواب ، وحالت الحكومة دون إلقائه ، وإن لم تحل دون نشره ، والاشارة اليه في سائر الصحف .

خطاب

« باسم الله ، والله أكبر » أيها السادة ، أبدأ حديث هذا المساء «باسم الله ، والله أكبر » هذه الكلمة التي نرددها كلما اشتد علينا الأمر وادلهمت الخطوب ، فنجد فيها قوة ، ونجد فيها أملا وحياة . هذه الكلمة التي فتح بها أجدادنا الدنيا بأسرها،وذابت تحت حرارة ايمانهم بها الحصون ، ودكت تحت معاول اخلاصهم الجبال . وبهذه الكلمة السرمدية نجابه بدورنا حصون الاتهام فندكها ، وجيوش الباطل فنهزمها .

وهل أستطيع قبل أن أمضى فى حديثى الا أن أشكركم من أعماق قلبي .. أشكركم لهذه الفرصة الذهبية التى أتحتموها لى ، كيما أحدثكم قليلا عن مصر الفتاة . وحديثى عن مصر الفتاة لن يقف عند حد دفع الاتهام وازالة الشبهات . لا أيها السادة ، فان الاتهام الذى قذفنا به لم يعلق بنا حتى الآن ، فان الصحافة (وليبارك الله لنا فيها) والرأي العام ، مستودع القوة والسلطات ، ومن قبل هؤلاء النواب المحترمون ، كل هؤلاء قد حكموا لنا سلفا، وأصدروا حكما ببراءتنا ، براءة مشفوعة بالعطف والتأييد . فهذه الألوف من التأييدات التى انهالت علينا ، وهذه البرقيات ، وهذه الرسائل بل هذه المقالات التى فاضت بها الصحف دفاعا عنا ، ان لم يكن من ناحية الشكل على الأقل ، كل هذه أدلة على أننا قد ربحنا قضيتنا ، وأننا خرجنا من هذه التهمة التى ألصقت بنا مرفوعى الرأس موفورى الكرامة ، لا ، بل أكثر كرامة ، وأكثر رفعة من ذى قبل فليست المحنة الا كالنار بالنسبة المعدن النفيس ، يخرج منها أشد لمعانا وشعاعا ، وكذلك نحن .. خرجنا من المحنة أكثر قوة وعصبية ، وايمانا بمستقبلنا وجهادنا ، وحصلنا على ما لم يكن لنا من قبل .. حصلنا على عطف الرأى العام وتأييده .

محكمة الرأي العام

أصدر الرأى العام حكمه فى صالحنا اذن ، ولو سألتم الرأى العام لماذا حكمت لصالح هذه الجماعة ، لما استطاع الرأى العام أن يجد جوابا غير أنه قد حكم لنا لأن دافعا فى نفسه قد حمله على أن يحكم لنا ، ولكن هل دافعنا عن أنفسنا ، اللهم لا .

لقد قال رئيس الحكومة ، وهو أكبر رجل فى الدولة بعد جلالة الملك ، اننا قوم نعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة بلادنا .

ورئيس الحكومة المتكلم يمثل حزب الأغلبيــة فى مصر ، فكان جديراً بالناس أن يصدقوا هذا القول ، كما اعتادوا أن يصدقوا كل ما قيل لهم بالأمس عن هذا السبيل ؟ أجل كان جديراً بهم أن يفعلوا ذلك ، ولكنهم لم يفعلوا لماذا !؟ هل قدمنا مستنداتنا ودفعنا التهمة ؟ كلا اننا لم نفعل ذلك ! حقيقة لم يقدم رئيس الحكومة دليلا على اتهامه ولكن ، ألم يقل انه من أسرار الدولة التى لا يجوز الأباحة بها .ألا يكفى ذلك فى اقناع الرأى العام بأن هناك أدلة وأن سلامة الدولة تقتضى كتمانها ؟ حتى هذا أيها السادة لم يوقف تطلع الرأى العام للدليل ، ولذلك فلم يقتنع بهذا الرد ، وأصدر حكمه لصالحنا ، ما فى ذلك شك . وأقسم لكم أن الرأى العــام ، يوم ان أصدر هذا الحكم لم يفكر طويلا قبل اصــداره ، وأقسم لكم أن الرأى العــام يوم أن حكم لم يوازن الأدلة و يقرع الحجــة بالحجة . فان أناساً ممن انتصفوا لنا لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ، ولم يزد ما عرفوه عن الجمعية الا أن رئيس الحكومة قد قال عنها : انهــا تخون بلادها . ومع ذلك فانه لم يصدق ذلك ، بل واستنكر هذا القول قبل أن يفكر فيه ، أو يعيه ، أو يتدبره ، لأنه غير قادر على التفكير أو التدبر ، أتعرفون اذن أيها السادة بأى وسيلة حكم لنا الرأى العام ، لقد حكم لنا بضميره ، لقد حكم لنا بقلبه ، لقد حكم لنا بغريزته . وصدقونى أن القول بأن ارادة الجماعة هى من ارادة الله ، وأن ارادة الشعب من ارادة الله ، صدقونى أن هذا القول هو من سنن الله سبحانه وتعالى ، والتى لن تجد لها تبديلا . ذلك أن الضمير المشترك بين الجماعة ، محور العواطف الانسانية بأسرها ، لا يمكن الا أن يكون قبساً من روح الله سبحانه وتعالى ، والذى يحوى كل هذا الكون وأودعه كل صفاته . ومن هنا كان الشر من صفات الفرد ، ولكنه لا يمكن أن يكون من صفات الجماعة ، والجريمة من صفات الفرد ولا يمكن أن تكون من صفات المجتمع ، فالمجتمع هو مصدر الخير ، وهو مصدر الشرائع العادلة ، والرأى العام فى مجموعه لا يخطىء الا تحت مؤثرات وقتية ، لا يمكن أن تدوم طويلا ، سرعان ما يعود بعدها الى طبيعته الأولى ، والتى وصفتها لكم . فالجماعة ضمير والجماعة عاطفة ، والجماعة غريزة . هذا الضمير ، وهذه العاطفة هى التى حكمت لنا ، وبرأت ساحتنا ، قبل أن نتقدم اليها بدليل واحد .

شباب الأمة لا يخونون

أجل ! لقد فزع الناس ولم يصدقوا . وأقسم أنهم لو جاءوهم بألف دليل ودليل لما صدقوا ، لأن هناك ماهو أقوى من الأدلة . هناك القلب الذي لا يخطىء مطلقاً ، والذي يرتفع فوق الأدلة ، وفوق الحجج . فنحن لا ندرك الله بعقولنا ، مثل ما ندرك بأحساسنا ، وقلوبنا . ذلك أن العقل من المادة ، أما العاطفة فمن الروح ، والروح من أمر الله سبحانه وتعالى .

والا فأى قلب يصدق أن شباب الأمة وزهرتها ، شباب الأمة الذين هم فى كل أمة عدتها وذخيرتها ، الذين هم مستودع أملها ورجائها ، من الذى يصدق أن جنود الوطن هم الذين يخونونه وأن آخر حصن من حصون الدفاع هو الذى يسقط قبل غيره ، من الذى يقول ان شباب الجامعة ، وهم الذين قدموا أرواحهم ثمنا للدستور والمفاوضات ، شباب الجامعة ، وهم الذين ضرجوا الأرض بدمائهم هاتفين « مصر فوق الجميع » ، فكان ان تحركت مصر بأسرها ، وتحرك الانجليز بالتالى ، فتراجعوا عن موقفهم المعروف ازاء الدستور . شباب الجامعة ، هؤلاء لا يمكن أن يعملوا لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة بلادهم ، لأن جمعية مصر الفتاة ليست الا شباب الجامعة . فنحن الذين أسسناها كنا بالأمس من طلاب الجامعة ، وجنودها اليوم هم شباب الجامعة . وهؤلاء الذين يحيطون بكم هم زعماء الجامعة وأعز شبابها . هؤلاء هم الذين وصفهم رئيس الحكومة بأنهم يخونون بلادهم . فنإذا الذى يصدق هذه الدعوى ، وأى مصرى له قلب يمكن أن يستمع لها ؟ ذلك أن هذه التهمة لو صحت ، أيها السادة ، فعلام كل هذه الضجة اذن ؟! وعلام هذا النعيق وهذا الصراخ ؟! ألا فلتمزق الأعلام ، ولتحطم الصروح ، ولتقطع الألسنة ، أو لتكم الأفواه !! ولتحل الأحزاب ، ولتعطل الصحف ، وليبصق فى وجه الهاتفين بالحرية والاستقلال ! ! ولنسجل على أنفسنا الخزى والعار ، ولنطأطىء الرءوس راضين بالذلة والعبودية ، ذلك أن شباب مصر يخونون بلادهم لحساب دولة أجنبية . . .

هذه هى النتيجة المنطقية لاتهام رئيس الحكومة . فأى مصري يرضى بهذه النتيجة ويقرها ؟ وأي مصرى لا يثور عليها ويستنكرها ! فهل عرفتم بعد ذلك لماذا حكم لنا الرأى العام بدون أن تتقدم دليلا أو بيانا ؟! هل عرفتم لماذا أحاطنا بالعطف والتشجيع ؟! ذلك لأنهم يريدون الحرية والاستقلال ، ذلك لأنهم يريدون المجد لبلادهم ، يريدون الكرامة والشرف والرجولة ، ومن هنا فقد انتصروا لنا . واذن فاجتماعنا اليوم للدفاع عن قضيتنا ، وهى قضية قد فصل فيها ، ليس لأنكم فى حاجة الي دليل ، فالبديهيات لاتحتاج الى دليل . ولكن لنشكر صاحب الدولة رئيس الحكومة ، فقد أتاح لى بإتهامه فرصة الحديث عن جمعية مصر الفتاة ، وبرنامج مصر الفتاة . وأنتم الذين صمتم القذف فى جمعية مصر الفتاة ، جئتم الليلة لتسمعوا كلمة الخير عن مصر الفتاة .

ماهي جمعية مصر الفتاة

فما هي مصر الفتاة أيها السادة ؟ أهي جمعيـة ، اهي حزب ، أهي جيش ، أهي ثورة أهي حركة ، أم هي فـكرة من الفـكر ؟ ! .

قد تكون جمعية مصر الفتاة مزيجاً من كل ذلك في الظاهر ، ولـكنها في نهاية الأمر ليست الا ايمان شاب ، ليست الا ايماني الذي نشـأت ودرجت عليه ، اختلط بلحمي وعظمي ، وسري في شراييني مسرى الحياة ، مصر الفتاة وماتنطوي عليه من فكرة ومبدأ هي الحياة التي أحيا بها ، هي الأمل ، وهي الرجاء ، هي التي ضحيت من أجلها بكل شيء : بشبابي ورواحتي وحبي ، ولست أحسب نفسي أنني قدمت شيئاً ، هي التي آثرت من أجلها أن أحيا فقيراً وأن أموت فقيراً ، وأن يمضي كل اليوم واليومان بغير قوت ، ولست أحسب نفسي الا أغنى الناس طراً ، وأسعد الناس طراً ، مصر الفتاة هي ايماني بأن هذه البلاد عظيمة ، خلقها الله لتعلم الدنيا بأسرها وأنها يجب أن تعود سيرتها الأولى ، معلمة للانسانية ، وهادية ومرشدة للناس فهي في ملتقى الطرق بين الشرق والغرب ، وفي وسط الدنيا بأسرها بلادنا الغالية التي قدسها الله وكرمها ، وأعدها كيما تـكون زعيمة للعالمين. أعدها لتـكون زعيمة للعالمين ، يوم أن أجرى فيها النيل فحول الصحراء الى جنات عدن ، وحول الفنـاء الى وجود قبل أن توجد الحياة وتوجد المدنيات ، وأكرمها وقدسها يوم أن تجلى فيها وتحدث في أراضيها بما لم يحدث في أي بقعة أخرى من بقاع الدنيا ، وهذا هو ما تعلمنا اياه الـكتب السماوية بأسرها . . فالتوراة والانجيل والقرآن كلها تحدثنا عن الله سبحانه وتعالى ، وأحاديثه مع موسى وتجليه فوق جبل الطور .

مصر بلاد الدين والعلم

بلاد مقدسة ، قدسها الله وأكرمها يوم أن أخرج منها الاديان جميعاً ، وحمى فيها الاديان جميعاً ، فاليهودية والمسيحية والاسلام كلها وجدت موئلاً حصيناً في مصر ، وعاشت بين آهلها جنباً الى جنب في صفاء وولاء . . لااضطهاد ، ولاتعذيب ، ولاتعصب ، ولا قتـال . فمصر هي التي أخرجت الديانة الموسوية ، وهي التي حمت المسيحية عندما كانت كنائسها تقفـل في كل مكان ، تحت مسـاول روما ، ومصر هي التي كانت تحمي المسيحيين ، وما عيد الشهداء الذي يحتفل الأقباط به حتى اليوم الا أثراً من آثار مصر التي قاومت الوثنية بدماء أبنـائها . وهي مصر بعد ذلك التي تزعمت الاسلام ، وحملت لواءه ، وقاومت أوربا الصليبية بأسرها ، عندما حاولت أن تعتدي عليه . فمصر هي التي قدمت للانسانية ذخيرتهـا الروحية وهي التي قـدمت لهـا ذخيرتهـا من المعرفة والعلوم والحضارة . فجامعة عين شمس هي التي علمت الدنيا قديماً ، واليها جاء فلاسفة الاغريق

والرومان ، فلما أغلقت جامعة عين شمس أبوابها فتحت الاسكندرية جامعتها . وهي التي قامت من جديد تنشر النور وتضيء أرجاء العالمين . فلما توالت الحوادث وانتهت جامعة الاسكندرية بعثت جامعة الازهر منذ ألف عام . وبينما كانت أوربا والعالم يسبح في ظلمات العصور الوسطى ، كان الازهر هو المنارة التي لم تقدم للانسانية الاسلام وعلومه فحسب ، ولو أن هذا في حد ذاته هو أعظم تراث يقدم للانسانية ، بل كانت تقدم له أيضا علوم الطب والفلك والرياضة . وكل ميراث الانسانية من العلوم والمعرفة .

ومصر ، أيها السادة ، هي التي لم يجدها الحرفي من حين لآخر فبهر الدنيا بأسرها . ولست أعود بكم الى عهد الفراعنة ، أو الى عصر صلاح الدين ، لست أعود بكم الى هذه العهود التي حاربت فيها مصر أوربا كلها فانتصرت عليها ، ولكني أذكركم بمصر منذ نيف ومائة عام ، عندما كان سكانها لا يتجاوزون ثلاثة ملايين ، وميزانيتها لا تزيد عن المليون . في ذلك الأمس القريب بدأت مصر نهضتها الحديثة فهزت الدنيا هزا ، وسار الفلاح المصري ، خلف ابراهيم باشا ، يهزج أهازيج النصر ، حتى قرع أبواب أوربا . في ذلك الأمس القريب سارت جيوشنا المنتصرة ، في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فصيرت البحر الأحمر بحيرة مصرية في أراض مصرية . وبسطنا سيادتنا على شرق البحر الأبيض المتوسط ، ووقفت ممالك الدنيا تشاهد هذه النهضة الباهرة ، من بلاد خيل للناس أنها من سقط المتاع .

العهد الذي قطعته على نفسي منذ الطفولة

منذ طفولتي أدركت هذه الحقائق ، ومنذ طفولتي أقسمت أن أقف نفسي ، وحياتي وشبابي على بعث هذه الأمة بعثاً جديداً أحول ضعفها قوة ، وشكها ايماناً ، وفرقتها وحدة، وتخلفها تطورا وارتقاء ، ومنذ اللحظة الأولى التي كرست فيها نفسي لهذه الغاية، لم أدخل في حسابي ، هل أقدر على اتمام هذه المهمة ، أو لا أقدر ... لم أدخل في حسابي ، هل أنا الشخص الذي تحتاجه هذه الامة ليقظتها ، أم لا ... لم أدخل في حسابي ، هل أنا كفء لانجاز هذا العمل العظيم ، أم لا .. : وكل الذي فكرت فيه أن كل مصري عليه أن يقوم بواجبه ، ولقد آمنت بمصر وبمجدها ، فأيقنت أن واجبي هو أن أنشر هذا الايمان ، وأن أعمل لنشره غير مدخر في هذا جهدا ، أو ما لا ، أو باخل بنفس ، أو نفيس .. منذ اللحظة الاولى آليت على نفسي أن لا أتكلم الا عن مصر ، وأن لا أعمل الا من أجل مصر ، وأن لا أحيا الا من أجل مصر ، وهذا هو تاريخ طفولتي وشبابي بأسره ، سلسلة متصلة الحلقات في هذا الكفاح الذي رسمته لكم ، ولقد أخذ هذا الكفاح سمته العملي ابتداء من سنة ١٩٢٨ ، أي عندما كانت سني قد بلغت السابعة عشرة ففي هذه السنة عهد الى بتحرير مجلة المدرسة الخديوية ، وكان ذلك عقب رحلة الى صعيد مصر،

وزيارة آثارها ، كان لها أكبر أثر في ايقاظ نفسي . وأخذت أكتب في هذه المجلة سلسلة مقالات بعنوان «رسالتي» لو أنكم طالعتم هذه المقالات ، وأرجو أن تسمحوا لي أن أتلو عليكم بعض فقرات منها ، اذن لعرفتم كيف أن مصر الفتاة هي كما قلت لكم ، ايمان اختلط بدمي وعظمي مذ كنت صغيرا ، وانني اليوم لا أقول حرفا واحدا لم أقله بالأمس قبل أن تتصل بي الدول الاجنبيـة ، وقبل أن أعمل لحسابها ... ذلك أنني كنت حدثا لا يسمع عني الناس .

انشاء جريدة الصرخة

فلما أن حصلت على البكالوريا ، واجتمعت وأخي فتحي ودخلنا الى الجامعة ، اتفقنا مع واحد من معارفنا أن يحصل لنا على رخصة لجريدة أسميناها الصرخة وقد صدر عددها الأول في ٣ مارس سنة ١٩٣٠ .

في مارس سنة ١٩٣٠ ، أصدرنا العدد الأول من الصرخة ، وكنا ولا نزال في المهد أيها السادة ، بالنسبة لرجال السياسة ، والوزراء ، والزعماء . .

منذ ست سـنوات . وكنا كما يريدون أن يصورونا في هـذا المهد ، مغمورين ، مستضعفين . . فماذا قلنا في هذه الجريدة ، وماذا كتبنا ، والى أي الأفكار دعونا . . أحمد الله أن بقي في محفوظاتي نسخ من هذه الجريدة ، سأوزعها عليـكم كيما تلمسون بأيديكم كيف أن مصر الفتاة التي تتهم اليوم بأنها صنيعة أجنبية ، لم تقل حرفا واحداً لم تقله منذ ست سنوات ، ولم تتحول ، ولم تتبدل قيد شعرة عن هذا الايمان الذي نشأ في صدورنا ، اذ كنا أطفالا لا نعرف من الدنيا الا الله خالقنا ، ومصر وطننا . .

في هذه الأعداد الأولى ، دعوت لمصر الفتاة كما أنقدها اليوم . . في هذه الجريدة دعوت لبعث مصر ، كما أدعو اليوم لبعثها . . لا أيها السـادة . . بل في هذه الجريدة علقت على المفاوضات بمناسبة سفر الوفد الرسمي الى انجلترا بكلام لا أستطيع أن أزيد عليه حرفاً واحداً اذا أردت أن أعلق على مفاوضات اليوم . .

فـماذا أستطيع أن أقول للمفاوض المصري اليوم أكثر من ذلك . . . وماذا تقول مصر الفتاة غير ذلك . . .

مشروع القرش

تابعت كفاحي أيها السادة ، وقد بدأت جموع الشباب تنصرف عن السياسة وتخلد الى السكينة ، وقد زهدت في كل كفاح ، أو جهاد ، ففكرت في حركة أستطيع بها أن أوقظ الشباب من سباتهم العميق ، وأن أتدرج بهم الى مصر الفتاة ، فناديت بمشروع القرش الذي تعرفونه .. دعوت المصريين الى جمع قرش من كل مصرى ، وتشييد مؤسسة

بالأموال المتجمعة ترد على مصر كرامتهـا ، وتوفر عليها نقودها،وتزيدنا عزة ووطنية ، فكان أن سخر الناس مني ، واعتبروا ما أقول خيالا في خيال ، وهاجتني الجرائد ، وهاجتني بعض الأحزاب ، ولـكني سرت في طريقي حتى نجح المشروع ، وجمعنا سبعة عشر ألفا من الجنيهات ، ثم أربعة عشر ألفا في العام التالي ، فلما شرعنا في التفكير في انشاء مصنع، قلت نزيد طرابيشاً فقالوا مستحيل . فقلت وماقيمة الرجل وماقيمة الأمة ، ان لم تحاول المستحيل .

وبعد صعوبات ، وعقبات ، ودسائس ، ظفرت بانشاء مصنع الطرابيش،فكان انتصار للايمان والشباب .

وكان النجاح قذى في عين الشانئين ، والحاسدين،فشرعوا يحاربونني ويكيلون لي التهم، فقالوا عني سارق الألوف من مشروع القرش،وأني اقتنيت من مشروع القرش السيارات والعمارات ، والله يعلم أنني في هذه الآونة أجوب القاهرة على ساقي ، لأنني لا أملك أجرة الترام .

انشاء جمعية مصر الفتاة

على أنني كنت قد انتهيت من دراسة الحقوق ، وخرجت الى ميدان الحياة ، وكنت قد ابتعثت حولي شبابا يؤمن ايماني بمصر ، ومجد مصر ، ويضحي بكل شيء من أجل مصر، فرأيت أن الساعة قد حانت كيما أخطو الخطوة الاخيرة ، في سبيل تنفيذ مبادىء مصر الفتاة ... فأعددت برنامجها ، ومبادئها ، ودعوت زملائي لتأسيس الجمعية فوافقوني ، وهم أكثر حماسة وغليانا مني ...

ولما كنت أعتقد أن رسالتي في مشروع القرش قد كملت بانشاء المصنع ، فقد قدمت استقالتي ، ونزلت الى ميدان الجهاد بكل ما أملك ، وكل ما في الطاقة البشرية من قدرة ومجهود ...

هكذا خرجت جمعية مصر الفتاة الى الوجود كهيئة سياسية منظمة ، فما هي الدعامات ، وما هو البرنامج الذي اتخذناه نبراسا لنا في كفاحنا الجديد ...

فأولا لمصر الفتاة غاية تختلف عن غايات الأحزاب الأخرى ، ونظرة للحوادث تختلف كل الاختلاف عن نظرة أي سياسي في مصر ، أو زعيم من الزعماء . . .

فرجال السياسة في مصر ، أو قل زعماء السياسة ، كل مايصبون اليه ويفكرون فيه ، هو أن يحصلوا لمصر على معاهدة من انجلترا تحقق لها شيئا من استقلالها في ظل الاحتلال، ولذلك فان كل أساليبهم ، وكل جهادهم محصور في هـذه الدائرة الضيقة ، ولما كانت وسيلتهم الى تحقيق ذلك هي المفاوضة ، فقد أصبحت المفاوضة هي الطريق الوحيد للحصول على استقلالنا . .

أما جمعية مصر الفتاة أيها السادة ، فإن نظرتها تباين ذلك كل المباينة ، فنحن نؤمن بأن بلادنا عظيمة ، وبأن لها رسالة للدنيا بأسرها ، وأننا يجب أن نعمل للمجد والتفوق ، وأن الاستقلال ، أو بمعنى آخر اي معاهدة تقدمها لنا انجلترا ، ليست إلا الخطوة الأولى في سبيل ارتقاء السلم الذي يوصلنا الى زعامة الدنيا الروحية على الأقل ، فمصر الفتاة قد اتخذت غاية لجهودها أن تصبح مصر فوق الجميع ، دولة شامخة تتألف من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية ، وتتزعم الأسلام ، هذه غايتنا أيها السادة ، وهي غاية قد يرى الشيوخ أنها خيال في خيال ، ولكني مؤمن بامكان تحقيقها ، بل انى مؤمن أنها ستتحقق ، كما أنا مؤمن برؤيتي لكم الآن ومحدثي معكم ، وانى لأرى العقبات في طريق تحقيق ذلك البرنامج هينة لينة ، ولست أرى كما يخيل للبعض أن انجلترا ستحول دون تنفيذ هذا البرنامج ، لأني واثق أن الساعة ستأتي ، يوم أن ترى انجلترا نفسها في حاجة الى أن تتبوأ مصر هذه المكانة العليا لتكون لها حليفة قوية قادرة .

وسائلنا الايمان والعمل

وغايتنا هذه كما ترون ، تحتاج الى ايمان وعمل كيما تحقق ، وهذه هي كل وسائلنا ، الايمان والعمل . . فنحن نؤمن بحقنا ، ونحن نؤمن بغايتنا ، فنحن نؤمن بوسائلنا ، ونحن نؤمن بالنجاح في نهاية الأمر .

أما العمل ، فهو عمل في ثلاثة ميادين : الميدان الروحي الخلقي ، والميدان الاقتصادي ، ثم الميدان النظامي أو العسكري . وعن طريق هذه الثلاثة ميادين ، ستحقق هذه الغاية العظيمة التي حدثتكم عنها . .

ففي الميدان الروحي والخلقي نريد أن نعيد للدين قدسيته ، وأن نعيد للأخلاق قوتها ، ذلك أن الدين للنفس والجماعة عدة روحية تجعلها تصبو الى الكمال ، والمثل العليا ، هؤلاء الذين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأرواحهم ، هؤلاء الذين يعرفون أن هناك سيداً يرتفع اليه العمل الصالح ويثيب كل امرىء بما عمل ، هؤلاء هم فقط الذين يخدمون أوطانهم ، وهؤلاء هم الذين يعرفون معنى الرجولة ، والشرف والكرامة ، وعلى العكس ، أولئك الذين انصرفوا عن الدين ، وزهدوا في المثل العليا ، وأضعفت في أنفسهم قوة الضمير والرقيب الداخلي الخفي ، هؤلاء هم الذين يدمرون المجتمعات بشهواتهم ، وهؤلاء هم الذين يصانعون المستعمر ، ويرضون بالاحتلال في سبيل مصالحهم الذاتية ، التي يرفعونها فوق كل شيء . .

ومن هنا أيها السادة أدعو الى الدين ، والتمسك بالدين ، وفضائل الدين وروحه ، وأنا أقدس الأخلاق وأمجدها ، وأحارب كل اعتداء عليها ، ولذلك فقد جاء في مبادئنا : تطهير مقاطع الخمور ودور اللهو والحرام . وجاء في برنامجنا : تطهر فصل لربك ، وأم المسجد يوم الجمعة ان كنت مسلما ، والكنيسة يوم الأحد ، ان كنت مسيحيا ، ويوم السبت ان كنت اسرائيليا .

وجعلنا شعارجهادنا يبتدىء بكلمة الله ، ايمانا منا وثقة منا أن الذى لا خير فيه لربه لايمكن أن يكون فيه خير لوطنه ، وأن الدين منبع الأخلاق ، ولقد قال شاعرنا الخالد ان الأمم هى الأخلاق .

هذا هو الميدان الأول من ميادين جهادنا .

كفاحنا الاقتصادى

أما الميدان الثانى ، فهو كما قلت لكم الميدان الأقتصادى ، فنحن نريد أن نعالج كل هذا الفقر الذى يعانيه السواد الأعظم . . ونريد أن نعالج الاختلال فى ميزانية الأفراد فى مصر ، ونريد أن توفر لمصر من الأموال مايمكنها فى المستقبل القريب من أن تلعب هذا الدور الذى نصبو اليه ، ولا سبيل لاصلاح ذلك كله ولا تحقق هذه النتائج ، الا بأن نشجع كل ماهو مصرى ، ونقبل على كل ماهو مصرى ، فمصر يجب أن تمتلىء بالمصانع التى تغزل قطننا وصوفنا ، وكتاننا ، ومصر يجب أن تمتلىء بالمصانع التى تنتج لنا كل مالحتاجه ، فنوفر بهذا عشرات الملايين من الجنيهات نصرفها كل عام فى التافه والحقير ، مما يمكن عمله فى مصر بأيد مصرية .

والفلاح المصرى ، يجب أن يكون محور اهتمامنا تخفيف الضرائب عنه ، وذلك يكون بانقاص مرتبات الموظفين الباهظة ، فان هذه المرتبات نوع من الاختلال الاقتصادى فى مصر ، فبينا هناك بضعة ألوف من الموظفين يتقاضون مرتباً يزيد على المائة جنيه ، هناك ثلاثة عشر مليوناً قد لايدخل فى يدهم الا بضعة قروش فى العام بطوله ، يأكلون اللحم مرة واحدة ، ويرتدون الجلباب الى أن يمزق على أجسادهم .

هذا الاصلاح الاقتصادي بتشجيع كل ماهو مصرى ، وانشاء المصانع والمتاجر ، وتوفير قليل من الثروة فى يد الفلاح كفيل بأن يغنى مصر فى عشر سنوات ، ويملأها بمئات الملايين من الجنيهات التى تمكننا من تحقيق برنامجنا العظيم .

كفاحنا العسكرى

أما ميداننا الثالث ، فهو الميدان النظامى أو العسكرى ، فانا من المؤمنين بالقوة أيها السادة ، وأن الأرض ارث للقوى ، وأن الشعب الضعيف جدير بالفناء . فسنة الله فى أرضه هى تنازع البقاء ، هذه هى النظرية التى سجلها القرآن بقوله « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » وقال الله سبحانه وتعالى فى موضع آخر « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل »

فالقوة هى حصن الفرد ، وهى حصن الجماعة والشعوب ، واذا كان زعيمنا الراحل يقول الحق فوق القوة ، فانى أقول ان الحق هو القوة . . والقوة لايمكن أن تنبع الا من الحق . . فيوم أن أومن أنى على حق فأنا قوى ، والعكس بالعكس .

ونحن المحامين ، أكثر ما نكون شعوراً بذلك ، فنحن ما ندافع عن قضية حق فنحن أقوياء ، ونحن على استعداد أن نتحدى النيابة ، وأن نتحدى القانون ، وأن نتحدى الدنيا كلها بعدالة قضيتنا .

فالحق اذن مصدر للقوة ، وعلى صاحب الحق أن يتذرع بالقوة للحصول على حقه ، والا فلا حق له . هذا هو ما تعلمنا اياه حوادث القانون الدولي بأسرها ، ولست أحسب أن ما جرى في الحبشة ببعيد . فلم أكن أعتقد يوماً من الأيام أن الحبشة ستدفع عنها عصبة الأمم ، أو الحسين دولة التي طبقت العقوبات بقادرة على أن تدفع عن الحبشة رصاصة واحدة . وعندى لو أن الدول بدل كل هذه الضجه صدرت الأسلحة الى الحبشة في الساعة المناسبة لتغيرت نتيجة هذه الحرب .

فعلى الشعوب التي تريد الحياة أن تتذرع بالقوة : القوة الروحية أولا ، والقوة المادية ثانياً . ومن هنا فنحن نجاهد لخلق جيل قوى من الشباب المصري ، قوى بنيته وجسمه ونظامه . فالنظام هو قوة الجيوش الحديثة ، ونحن نريد أن نغرس روح النظام في مصر فتتضاعف قوانا .

هذه هي التسلات قواعد التي عليها كفاح مصر الفتاة ، فاذا انتصرنا وسارت هذه المبادىء فان لنا برنامجاً عمرانياً انسانياً ، يجدد مصر في كل الميادين ويعدها لأداء رسالتها

محاربة خصوم الجمعية بتسير الاتهامات

منذ خروجنا الى الحياة الرسمية ، من ثلاث سنوات ، والحكومات المختلفة تحاربنا ، ما عدا حكومة ماهر باشا . حاربنا حزب الوفد فاتهمنا أول ما اتهمنا أننا صنائع الانجليز ، ثم قالوا انا سارقو مشروع القرش ، ثم قيل عنا صنائع الابراشي . واذن فالاتهام الجديد ليس الا صورة جديدة من الصور التي يراد تصويرنا بها كيما نهزم ، وتتوقف عن جهادنا . ولو عرف النحاس باشا حقيقتنا ، لعرف أننا بحيث لا تؤثر فينا هذه الاتهامات ، ولا يمكن أن ترتفع الى مستوي أقدامنا . ذلك لأننا لا نطمع في حياتنا الا أن نؤدى واجبنا . واذن فنحن لا يمكن أن نهزم : فلا مطامع شخصية لنا ولا لذاتنا . لسنا نريد كراسى الحكم فالاتهام يبعدنا عنها . ولسنا نتقدم في الانتخابات فالاتهام يسقطنا فيها . واننا نقول كلاماً لا يمكن أن يرفض سماعه مصرى واحد ، اننا نقول كلاماً لايمكن أن يتأثر به مصري واحد . والا فأي مصرى لا يحب أن يسمع أناشيد المجد والفخار التي نلقيها ونتحدث بها . . أى مصرى واحد يغضبه أن نقول له « لا تشتر الا من مصري ولا تلبس الا ما صنع في مصر ، ولا تأكل الا طعاماً مصريا » . أي مصرى واحد لا يفرحه أن نقول له « بلادك هي مصر والسودان لا ينفصلان ولا يتجزءان » .

أي مصري واحد لا يسعده أن يري الشباب في صفوف منتظمة تستعد لبذل أرواحها في سبيل قضية بلادنا . فحركتنا لا تهدم لأنها صوت الجيل الجديد وجهاده ، ومن يرد أن يحطمنا كمن يريد أن يحطم مستقبل مصر ، وجيش الغد القريب .

من أين تجيء النقود ؟

يتساءلون من أين تحضر النقود التي نقيم بها هذا العمل العظيم ؟ ولو أنهم دخلوا الى أصغر شعبة من شعب مصر الفتاة وأجروا فيها تحقيقاً بسيطاً ، لعرفوا من أين نصرف على هذه الحركة . فهذه القروش التي يدفعها كل عضو هي التي تؤلف رأس المال الصغير . فاذا كان الله يبارك فيها ويجعلها تعادل عشرات الألوف من الجنيهات ، فذلك هو عمل الايمان وذلك هو سر الله سبحانه وتعالى .

وهل ذنبي أيها السادة أن يكون خصمي جاهلا بقوتي ؟ ! فخصومهم يكونون اعتقادهم منا على الوجه الآتي : « دول شوية عيال منين يجيبوا الفلوس ؟! » ولست مطالباً بالرد على هذا السخف ، ولست مطالباً بالرد على هذا الجهل . فجمعية مصر الفتاة هي جيل بأسره ، ولا يوجد شاب واحد مثقف في مصر ، وفي نفسه وطنية صحيحة لا ينضوي تحت لوائها وجمعية مصر الفتاة لها مئات الشعب في أنحاء مصر ، وجمعية مصر الفتاة فيها عشرات الألوف من الأعضاء ، ومن بين هؤلاء الاعضاء الغني والفقير ، ومن بينهم من يتبرع بمبالغ كبيرة للجمعية . فبدلا من أن يحاول خصومنا أن يتعرفوا حقيقة حركتنا وخطورتها أن لا يتعامون عن الحقائق ، ثم يصرخون من أين يجيئون بالنقود ؟! من أين يجيئون بالنقود هل لكم أيها السادة ان تزوروا دار مصر الفتاة كيما تعرفوا منها أن تاجر الورق يداينا بسبعين جنيها . هل لكم ان تزوروا الجمية لتعرفوا اننا لم نسدد بعد ايجار الشقة التي نقيم فيها منذ شهرين . ولست اقول لكم هذه الاشياء كيما اشكو أو أتضجر بأننا فقراء ، ولكنني أسرد هذه الحقائق كيما اظهر لكم اننا لاسر لنا ، وأي بوليس سري من مئات رجال البوليس السري الذين يملئون جمعيتنا ، يعرف هذه الحقائق ويعرف الصعوبات التي نعانيها في الحصول على المال .

خذوا مثلا هذا الاجتماع . . من أين حصلنا على نقوده ؟ حصلنا عليها من الاكتتابات التي جمعناها بالقرش والقرشين ، حتى جمعنا اربعة جنيهات هي مصاريف هذا الاجتماع . اليس سخفاً ما بعده سخف ان يقال عنا اننا نشتغل لحساب دولة أجنبية ، أسائل نفسي عن هذا الذي يخون بلده ما الذي يضطره لذلك الا أن يرغب في الثروة والجاه والمال . فلماذا لم يحاول أي واحد من هؤلاء الذين يدعون هذه الدعوى أن يزورني في بيتي ليرى في أي حجرة أنام ، وأي طعام آكل . كيف يتخيل هؤلاء الذين قالوا هذه الدعوة أن خائنا لبلاده يسافر الى الصعيد في الصيف كيما يسير على أقدامه . وليسهم من التقارير أنني كنت أسير حافي القدمين وانني كنت أسير أحيانا وأقدامي قد تمزقت من السير . وليسهم من التقارير أن هذا الخائن كان يأكل في رحلة هو واخوانه خبزا وجبنا ، وأننا كنا نشرب مياه البرك . هذا نحن أيها السادة ، وهذا هو أسلوب حياتنا ، أن نقدم كل شيء من أجل بلادنا .

وليهنأوا هم بوطنيتهم التامة عليهم الذهب ، والتي أسكنتهم القصور .

صفحتي وصفحتهم :

هذه هي صفحتي أيها السادة وتلك هي صفحتهم ، لقد كنت أستطيع أن أبقى مديراً في مشروع القرش ، وأن أشيد في كل عام مصنعاً أكون مديراً له . وكنت أستطيع أن أكون محامياً أكسب مئات الجنيهات من حين لآخر ، وكنت أستطيع أن أكون موظفاً في أعلى الدرجات ، كما عرض على أكثر من مرة . ولكن ها أنذا لست في وظيفة ، ولا أملك مليماً واحداً . ها أنا يحاربونني من كل جانب ، حكومة وغوغاء ، فما الذي يغريني على احتمال ذلك كله ؟ ! ومن أين أستمد الشجاعة لمجابهة ذلك كله ، الا أن أكون مخلصاً لبلادي ؟ مخلصاً لبلادي أولاً وأخيراً . . والله وحده هو الذي يعلم ذلك ، فهو الذي يمنحني القوة والتأييد .

يقولون أيها السادة « ان البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » ولم يقدم خصمي دليلاً على قذفه ، وها أنذا قدمت الدليل لكم على براءتي ، بأن سردت لكم صفحة أعمالي وهي كل ما أملك دليلاً على طهارة جهادي وسلامتي من الأغراض . على أني أذهب الى أبعد من ذلك فأقسم لكم اليمين . لا بل اني أفعل ماهو أكثر من ذلك ، أفعل مادعا اليه رسول الله خصومه عندما قال لهم : « تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين »

فتعالوا يامن ثبت لكم أننا نعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة وطننا ، تعالوا نبتهل الى الله أن يجعل لعنته على الكاذبين ، واني لأبادر منذ الآن ، فأستعوضك يارب !؟ يامن تعلم مافي القلوب وحنايا الضلوع ، يامن تعرف اخلاصي ، يامن أنطقتني وأجريت الدم في شراييني . . يارب ! ! يامن تحصي علينا الأنفاس وخلجات الأعين . . اللهم إن كنت تعرف عني الكذب والخيانة ، فاللهم زلزل الأرض تحت قدمي ، اللهم اسحقني سحقاً ، ولا تبق على الأرض منافقاً واحداً . وان كنت تعرف الأخلاص والصدق مني ، فاللهم أنزل سخطك وغضبك على الكاذبين المنافقين ، اللهم أنزل سخطك وغضبك على الخائنين المارقين ، اللهم أنزل سخطك وغضبك على من يقذف الناس بالباطل ، وهو يعرف أنه باطل .

نحن والدولة الاجنبية

يقولون انني في خدمة دولة أجنبية ، وأنا الذي تحاربني ادارة الأمن العام الأوربية لأنها تعتقد أنني عدو الأجانب . أنا في خدمة دولة أجنبية ، وهاهي « الاجيشيان جازيت » تقول عنا أننا جمعية لا هم لهم الا طرد الأجانب . ذلك أنه عرف عن مصر الفتاة مقاطعتها لكل ماهو أجنبي . عرف عن مصر الفتاة أن محور جهادها هو تعظيم كل ماهو مصري ، والتقليل من شأن كل ماهو أجنبي ، عرف عن مصر الفتاة أنها متعصبة ضد الأجانب ، والأجانب جميعاً من غير استثناء . فدولة ايطاليا قد طلبت من الحكومة

المصرية في عهد وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ، أن تحاكمنا وقد قدمنا للمحاكمة بالفعل ، ولا تزال القضية منظورة أمام محكمة الجنايات ، وهى مؤجلة الى دور مقبل . ويستطيع أي واحد منكم أن يطلع على هذه القضية .

أما ألمانيا فقد كان لها موقعة معنا ، بمناسبة سيرك هاجنبك الألماني ، فقد دعونا لمقاطعته ، وقبض على عشرات من أعضاء الجمعية بسبب مقاطعته .

وانجلترا هاهي ذي تخاصمنا ، وترسل علينا صواعقها ، على لسان رئيس الوزارة بأياز من ادارة الأمن العام الاوربية .

أما روسيا فليس في مبادئنا سطر واحد ، أو كلمة واحدة ، أو حرف واحد ، لا يحارب الشيوعية ولا يناقضها . فنحن الذين ندعو للأديان ، ونحن الذين ندعو للوطنية المتطرفة ، ونحن الذين نقدس الملك ، ونحن الذين نقاطع كل ماهو أجنبي ، لا يمكن أن يقال اننا من دعاة الشيوعية .

فاذا بقى من الدول الاجنبية لنكون متصلين به ضد مصلحة وطننا ، الا أن تكون اليونان أو رومانيا أو الحبشة تفكر في امتلاك مصر ! يالها من كبيرة ! يالها من كبيرة أيها السادة ، لا تؤثر فينا نحن بقدر ماتؤثر في مصر بأسرها ، يالها من كبيرة طعنت مصر طعنة نجلاء أمام الدنيا وأمام العالم ، أن يقول رئيس وزارتها أن شبابها يخونونها . ألا ترون أن رئيس الحكومة قد وصم مصر وصمة عار الي الأبد . ألا ترون أنه قد أضعف حجته في المفاوضات غدا ، عندما تقول انجلترا « أريد كذا وكذا من الضمانات » فاذا حاول أن يعارضها جابهته بكلامه ، وأن هناك دولا أجنبية بمساعدة المصريين تريد أن تحتل مصر . سامح الله النحاس باشا ، كنت أحسبه اذا اكتشف خيانة مثل هـذه الخيانة أن يقدم رأسنا للجلاد ، كما يبرهن للدنيا أن ثمن الخيانة في مصر هو القتل ، أو اذا لم يكن لديه من الأدلة مايكفي لأعدامنا ، أن يستر قليلا وأن يدارى هذا الخزي ، لا أن يسجله على أمته .

نحن والاجانب

نحن دعاة دولة أجنبيـة ، نحن الذين تصيح منا الاجانب ، ويتهموننا بالتعصب ، وهنا أريد أن أقف قليلا وأن أفسر هذه الناحية من برنامجنا . وهل نحن نكره الاجانب ؟ اذن اصمعوها مني أيها السادة كلمة صريحة جريئة ، اسمعوها كلمة لا مواربة فيها ولا اعداء . اننا لا نكره الاجانب ، ولكننا نكره أن يتحكم فينا الاجانب . أجل فنحن لا نكره احدا ، ونحن لا نضمر حقدا لأحـد ، ولكننا نريد ان نكون السادة لبلادنا . نريد ان نكون أحراراً في بلادنا ، وبعدها سنكون كرماء لضيوفنـا . فلسنا نرضى بعد اليوم عن وجود الامتيازات ، ولسنا نرضى عن وجود المحاكم المختلطة ، هذا هو الحاجز ، فأني أعلن بأعلى صوتي أن مصر قد خلقها الله لا لتكون موئلا للأجانب ..

ونحن على استعداد أن تقاسم الأجانب خيرات هذه البلاد ، على استعداد أن تفتحها لهم على مصاريعها ، فلا يجدون فيها الا كل اكرام وترحاب ، ولكن على شرط أن نكون على قدم المساواة . أما أن يظن الأجانب أننا نقل عنهم رتبة في الأنسانية ، فهذا مالا نرضاه وهذا هو مانقاومه بكل قوانا . وهذا مايجعل الأجانب يظنون خطأ أننا نكره الأجانب ولا نحبهم . وعلى أية حال فهذا يدلك كيف جاء اتهام النحاس باشا في أقوى نقطة من مصر الفتاة ، فكان هجومه علينا من هذه الناحية كمن يهاجم الأسلام من ناحية التوحيد ويدعى أن الأسلام يعدد الآلهة .

نحن والانجليز

يحاول الانجليز أن يفهموا النحاس باشا أن الاتصال بدولة أجنبية معناه الخيانة فيصدقهم النحاس باشا ، ويقذفنا بهذا القذف الشنيع والذى أساء به الى مصر قبل أن يسيء الينا ، وانى أصرخ بأعلى صوتى كيما يسمعها السادة الانجليز وليسمعها النحاس باشا ، نريد لهذه البلد حريتها واستقلالها ، نريد لهذه البلاد حقوقها ومجدها ، فان أعطاناها الانجليز فبها ونعمت ، هدماً بديننا نمدها لهم فى وضح النهار ومعها قلوبنا و صداقتنا ، أما ان أبوا الآن يغتصبوا حقوقنا وأن يهدروا كرامتنا ، فلن ندخر وسعاً فى العمل على استخلاص حقوقنا ، ولورأينا أن الاتصال بدولة أجنبية سيقربنا من الاستقلال والحرية ، فلن نتأخر دقيقة واحدة عن هذا الاتصال ، لأننا نعتقد أننا ان لم نفعل ذلك نكون خونة لبلادنا ، مصر وانجلترا ، اما أن نكون فى سلام ووئام وصداقة على قدم المساواة ، واما أن نكون حرباً عوانا لا تعرف هوادة ولا لينا ، هذا هو رأيى فى الاتفاق بين مصر وانجلترا ، تلتها فى لندن ، وسجلتها فى مذكرتى التى وزعتها هناك ، وها أنذا أتلوها على رؤوس الاشهاد كيما تبلغ أسماعهم من جديد ، ان مصر ترغب من صميم قلبها أن تكون حليفة مخلصة لانجلترا ، ونحن على استعداد لأن نصون مصالح انجلترا بأموالنا ودمائنا ، ولكن فليتركونا أولا أحرارا فى جيشنا ، وفى بلادنا ، فليردوا لنا سوداننا ، فليعاملوننا كدولة كاملة السيادة ، ولها حق البقاء والمساواة ، لئن نظر الانجليز لنا هذه النظرة فهاأنذا أحد حسب الذين يقولون عنى متطرف ، انى سأكون أول رجل يقف بجانب انجلترا ، أو يدافع عن قضايا انجلترا ، أما ان أبى الانجليز الا أن ينظروا لنا هذه النظرة الحقيرة ، الا أن يحتلوا بلادنا ، ويجردونا من السلطان والسيادة فى الداخل والخارج ، فلا ينتظر الانجليز منى ومن اخوانى ومن كل شباب مصر ، بل من كل مصرى الا ينتظرون منا الا اننا سنعرف كيف نموت فى ميدان الشرف . .

ليست الدنيا ذهبا ومناصبا وقصوراً أيها السادة ، بل الدنيا حرية وكرامة وشرف ، ونحن جيل جديد نأبى الخنوع والذل ، ولا نرضى بأقل من الحصول على الشرف الكامل ، أو الموت فى سبيله . .

كلمة أخيرة

هذه هي مصر الفتاة ، وهذه هي مبادؤها وبرنامجها وروحها ، فليقولوا عنا اننا نعمل لحساب دولة اجنبية ، فليقولوا عنا أننا خونة لبلادنا ، فليقولوا عنا ما شاء لهم الهوى ، فهذه هي صفحتنا فليرونا صفحتهم ، وهذه هي مبادؤنا فليرونا مبادئهم ، وهذا هو موقفنا من الانجليز فليرونا موقفهم ، وهذا هو موقفنا من الأجانب ، فليرونا موقفهم . انني أتحداهم ان يكون لهم برنامج مرسوم في أي ناحية من نواحي الحياة المصرية ، أتحداهم ان تكون لهم مبادىء ، أو أن تكون لهم وسائل ، اذن فعلام يتهمون الناس بالباطل ، وينسون أنفسهم ، علام يهاجمون الناس والدليل يعوزهم ، لا انها ارادة لله سبحانه وتعالي في ان يظهر حقيقتنا ، وان يكشف عنا للدنيا بأسرها ، فكان هذا الاتهام كيما يكون هناك دفاع .

فشكراً للنحاس باشا من أعماق القلب على ما أتاحه لي من فرصة للدفاع ، وشكراً لكم يا من جئتم الي هذا المكان لتسمعوا أقوالي ..

وبعد أيها السادة اننا ماضون في طريقنا على بركة الله ومعونته ، ووالله لن يثنينا وعد ولا وعيد ، ولن يخيفنا ارهاب او اضطهاد ، اننا مع الله ومن كان مع الله فالله معه .

والله أكبر



رفع دعوى على رئيس الحكومة

— ٢١ —

ورأيت بعد هذا الخطاب أن أتقدم خطوة جديدة في الهجوم على رئيس الحكومة ، فرأيت أن أرفع عليه دعوى مدنية ، أطالبه فيها بتعويض مقداره عشرة آلاف من الجنيهات . فكان لرفع هذه الدعوى رنة اعجاب في جميع أنحاء البلاد ، فقد أظهرت مدى ما وصلنا إليه من السيطرة على الموقف ، بحيث تحولنا إلى مهاجمين لرئيس الحكومة بعد أن كان هو المهاجم لنا . وفيما يلي صورة من عريضة الدعوى التي رفعناها على الحكومة في ذلك الوقت :

انه فى يوم

بناء على طلب الأستاذ احمد حسين المحامى عن نفسه وبصفته رئيساً لجمعية مصر الفتاة ، ومقيم سكنا بشارع عمر بن عبد العزيز رقم ٧ بالمنيرة .

ومحله المختار مقر الجمعية المذكورة رقم ٥ بالعتبة الخضراء .

أنا   محضر بمحكمة

قد انتقلت فى التاريخ المذكور بعاليه الى الجهة المذكورة حيث المحل والمقر الرسمى لحضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا بصفته الشخصية، وبصفته رئيسا لمجلس الوزراء ووزيرا للداخلية، مخاطبا اياه وأعلنته بالآتى .

أعلن الطالب فى ابان شهر مايو سنة ١٩٣٦ باعتزامه القيام برحلة الى الوجه القبلى هو ونفر من أعضاء — جمعية مصر الفتاة — سيراً على الأقدام ، ابتداء من الشلال حتى القاهرة ، متنقلين من بلدة الى بلدة ، ومن قرية الى قرية ، مستطلعين حالة الفلاح ، وناشرين ما يقدرون على نشر من مبادىء الجمعية التي تدعو لعبادة الله وتقديس الوطن والاخلاص للعرش، والتى تدعو لتشجيع كل ماهو مصرى وملء النفوس بالايمان والاخلاص والرجولة ، ويظهر أنه عز على الحكومة أن يقوم حزب غير حزبها بهذه الدعاية ذات الأثر الكبير فى صفوف الفلاحين ، فأرسلت الى الطالب تنبه عليه ألا يرتدى القميص الأخضر ، ولما كان هذا الطلب لا يستند الى أى قانون بل أن الحكومة تشجع ارتداء قميص من لون آخر هو الأزرق، فقد رفض الطالب اطاعته وسار فى رحلته هو وثمانية من رفاقه غادروا القاهرة فى قطار الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٨ مايو ، وبمجرد وصولهم الى الشلال

أساطهم البوليس بضروب من الاضطهاد والتضييق تتنافى مع أبسط قواعد الحرية التي يفرضها القانون والدستور ، فمن حصار يحول بينهم وبين اتصال الناس بهم ، ومن منعهم عن شراء الطعام أحيانا ، بل وصل الاضطهاد الى درجة منعهم من (صلاة الجمعة) في أكثر من مكان واحد ، ففي مدينة ادفو من أعمال مديرية أسوان مثل ما في مدينة حزام من أعمال مديرية قنا ، وقد حققت النيابة في هذه الواقعة الأخيرة وتحرر بذلك محضر ، وقد هال مجلس النواب هذه الاجراءات الشاذة التي تتعارض مع أبسط قواعد الحرية ، فقدم حضرة النائب المحترم هارون سليم أبو سحلي باشا استجوابا للحكومة يسألها عن صحة هذه المعلومات ، والداعي الذي يدفع الحكومة لاتباعها ، وكيف توفق بين هذا وبين قيام الحياة النيابية والدستورية.. ولقد كان المفهوم أن الحكومة سترد على هذا الاستجواب بأن تنفي حوادث الاضطهاد وأن تدعي أن البوليس أنما يقوم بأجراءاته الشاذة لكي يحمينا ، كان المفهوم أن يرد دولة رئيس الحكومة هذا الرد خصوصا وقد أوعز الى بعض الجرائد الموالية له بالكتابة في هذا المعنى ، فأشارت اليه جريدتا المقطم والكوكب .

أجل كان منظوراً أن يجيب رئيس الوزراء هذا الجواب ، وهكذا يتخلص من هذا المأزق بما لا يسيء به الى أحد ، بقدر الأمكان ولكن رئيس الحكومة ، والذي هو رئيس الوفد في الوقت نفسه ، رأى أن ينتهز هذه الفرصة كيما يقضي على — جمعية مصر الفتاة — ويحطم شخصية احمد حسين المعنوية ، وصمه بأشنع الوصمات ، فاذا به يفاجيء مجلس النواب والأمة بأسرها في مساء يوم ٢٢ يونية سنة ١٩٣٦ ، بتصريح مؤداه أنه قد ثبت لدى وزارة الداخلية أن — جمعية مصر الفتاة — تعمل لحساب دولة أجنبية .

أي أنه قد وصم الجمعية ابتداء من رئيسها الى آخر أعضائها بتهمة الخيانة العظمى وهي أشنع جرائم الدنيا بأسرها ، وقد يصفح الناس عن القاتل أو أشد المجرمين خطرا . ولكنهم لا يتسامحون مع الخائن ، هذا الذي يبيع وطنا بأسره للعدو .. ولقد تكون التهمة معقولة بعض الشيء لو أن رئيس الحكومة صرح أنه قد ثبت لديه ، أو أنه قد علم أن — جمعية مصر الفتاة — متصلة بدولة أجنبية ، اذن لما كان في كلامه كثير من الحرج أو خروج عن جادة القانون ، ولكنه أبى الا أن يقذف الطالب ورفاقه بجريمة الخيانة العظمى كاملة الأركان والصفات ، وأن يقذف الطالب بها في أسلوب لا يتطرق الشك الى صحته ، ذلك أنه استعمل عبارة « قد ثبت لدى وزارة الداخلية » والثبوت معناه اجراء التحقيق وموازنة الأدلة ، ثم اصدار الحكم .. ولقد هال مجلس النواب هذه التهمة الشنيعة فطالب رئيس الحكومة بالدليل فاعتذر عن الدليل ، بحجة أنه من أسرار الدولة ، فدعوه الى جلسة سرية فامتنع كذلك ، فطالبوه بتقديم المقذوف في حقهم الى القضاء ولكن هذا لم يعجبه أيضا ، وهكذا أصبحت أمام حالة قذف لا دليل عليها ، أستغفر الله بل قذف لم يترك للمقذوف في حقه فرصة الدفاع وتبرئة نفسه .. ولذلك لم يسع الطالب هو واخوانه الا أن يتقدموا للنائب الصعوي الذي لم يحرك ساكنا في الموضوع ، وهكذا ظل اتهام رئيس الحكومة قائما بغير دليل.

وعلى هذا فقد أوجد رئيس الحكومة الطالب واخوانه فى حالة شاذة فهم موصومون بأشنع جرائم الدنيا بأسرها ، التى تحترم أمام مواطنيهم ، لا بل تبرر الاعتداء عليهم وسفك دمائهم دفاعا عن الوطن العزيز ، بدون أن تعطى لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم .. ولسنا فى هذا نتجنى على رئيس الحكومة ، فان تصريحه قد أوجد هذه النتائج الطبيعية فاذا بجموع الشباب التى تتبع دولته والتى كال لها الحمد والثناء فى مجلس النواب عندما كان يقذف ويسب فى « جمعية مصر الفتاة » ، بل صنوف الاعتداءات ، فما تهيأت فرصة اجتماع صرحت الحكومة بعقده فى مساء الجمعة ٢٦ يونيه بمسرح برنتانيا فهاجمته بقوتها المسلحة واصطدمت مع جنود مصر الفتاة فأسفرت المعركة عن كثير من الجرحى .

وقد أعقب هذا الاصطدام اصطدام جديد فى يونيه بمناسبة عودة الطالب من الصعيد ، والتى هالته هذه الجرائم التى ترتكب ضده وضد أعضاء جمعيته فقرر العودة السريعة وقد أحاطت جموع شباب الوفد بدار « جمعيـة مصر الفتاة » وأخذت تهتف بسقوط (احمد حسين الخائن . . والكلب احمد حسـين) وتقذف دار الجمعية بالطوب ، ولم تقتصر هذه الاعتداءات على القاهرة فحسب ، بل تناولت جميع شعب مصر الفتاة فى جميع أنحاء القطر المصرى كما سنبينه فى المرافعة .

واستمرت هذه الحالة عدة أيام توالت فيها الاعتداءات ، ولم يوقفها الا سخط الرأى العام واشمئزازه من هذه الحوادث ، وحملة الصحافة على الحكومة ورجال الأمن العام وصاحها بهذا العبث والاعتداء .

ولم يكن ذلك كله الا نتيجة طبيعية لهذا القذف الذى رمى به رئيس الحكومة رئيس جمعية مصر الفتاة وأعضائها ، ولما كان الطالب محروما من أن يشكو دولة رئيس الحكومة الى النيابة بسبب قانون حماية الموظفين من ناحية وبسبب الحصانة النيابية من ناحية ثانية ، وبسبب ان ماقيل كان فى مجلس النواب من ناحية ثالثة . .

وبناء عليه ونظرا لأن الطريق الجنائى مسدود على الطالب وهو الطريق الوحيـد الذى يثبت براءته ويرد له شرفه وشرف اخوانه ، فلم يبق أمام الطالب الا أن يلجأ الى المسئولية المدنية مطالبا فيها بالتعويض لرد شرفه المهان والخسائر التى تكبدها بسبب هذا التصريح الخطير . . اذ لما كان الطالب ليس رئيسا للوزارة ، وليس من الأغنياء ، فيستطيع بجاهـــه أو ماله أن يشكل حزبا . . وكل الذى يملكه هو شرفه وكرامته وجهاده ، فاذا أصيب فى هذا الشرف وهذه الكرامة من رجـل كرئيس الحكومة ، دون أن تعطى له فرصة الدفاع عن نفسه . . ويظهر أثر هـذا الاتهام عمليا فى هذه الاعتداءات المتكررة التى على الجمعية ، فان هذه الأضرار كلها لايمكن أن تقوم بحال فى الواقع ، ولـكن الطالب يكتفى بعشرة آلاف جنيـه مصرى تعويضا عن جزء من هذه الاضرار .

بناء عليـه :

ولما سيبديه الطالب فى جلسة المرافعة والمذكرات .

أنا المحضر سالف الذكر ، قد أعلنت دولة المعلن اليه بما تقدم ، وكلفته بالحضور أمام قاضى التحضير بمحكمة مصر الكلية الابتدائية الأهلية الكائن مركزها بسراى المحكمة بباب الخلق بمصر بالجلسة التى ستعقد بها علنا فى تمام الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٣٦ ، حتى بعد تحضير القضية تحال على احـدى الدوائر المدنية لمحكمة مصر الابتدائية الأهلية ، لسماعة الحكم عليه بأن يدفع للطالب عشرة آلاف جنيـه والمصاريف والأتعاب وشمال الحكم بالنفاذ المؤقت ، مـع حفظ كافة حقوق الطالب الأخرى .



ولقد ظلت هذه الدعوى تتداول فى الجلسـات طوال أيام حكومة النحاس باشا ، إلى أن سقطت وجاءت وزارة محمد باشا محمود ، وفى هذه الأثناء كان اتهام النحاس باشا لم يعد له أى أثر ، بل إن رفعته قد عدل عنه فيما بعد. وأدرك أن مصر الفتاة فوق كل شبهة، وكل ريبة ، وأن رجال القسم المخصوص فى وزارة الداخلية الذين أمدوه بهذه المعلومات الخاطئة قد غشوه وخدعوه . وقد كان لعدول رفعة النحاس باشـا عن موقفه بالنسـبة لمصر الفتاة فيما بعد أكبر الأثر فى تحسين جو العلاقات بين مصر الفتاة والوفد ، وعلى ذلك فقد جاء الوقت الذى رأيت فيه أنه لم يعد هناك محل للاستمرار فى هذه الدعوى التى كان من الجائز أن أخسرها من الناحية القانونية باعتبار أن رئيس الحكومة لا يمكن أن يسـأل بأى حال من الأحوال عن تصريحات ألقاها فى مجلس النواب ، ولذلك فقد تنازلت عنها ، وأسـدل الستار بذلك على هذه العاصفة الهوجاء .

مأســـــاة دمنهور

— ٢٢ —

على أننا لا نستطيع بحال أن ندع هذه الصفحة من تاريخ مصر الفتاة دون أن نشير لهذه المأســـــاة الرهيبة التى وقعت فى دمنهور ، والتى بدأت بمهزلة إجرامية كدت أفقد فيها حياتى ، لولا أن نجانى الله منها بأعجوبة من الأعاجيب .

فقد أشرت فيما سـبق لهذه الموجة من الاضطهاد التى غمرت البلاد ، وكانت مصر الفتاة هدفاً لها ، وكان أصحاب الأقمصة الزرقاء هم القائمون بها . وكانت مدينة دمنهور إحدى المدن التى وقع فيها ما وقع فى غيرها من بلاد القطر ، فكثرت حوادث الاصطدام والمشاجرات بين أعضـاء مصر الفتاة وذوى الأقمصـة الزرقاء . فعمد رجال الادارة إلى إغلاق دار مصر الفتـاة بحجة أنه ناد بدار بغير رخصة . فرفع أعضـاء مصر الفتاة دعوى مسـتعجلة يطلبون فيها إعادة فتح الدار ، وذهبت إلى دمنهور لأترافع فى هذه القضية ، فلم أكد أصل حتى بدأ الفصل الأول من هذه المأساة ، أو بالأحرى المهزلة الاجرامية .

أحسست باكفهرار الجو بمجرد وصولى إلى المحطة ، فقد أحاط بى أعضاء مصر الفتاة وهم فى حالة عصبية ، وعلمت منهم أن هناك مظاهرات تطوف بالبلد احتجاجا على حضورى إليهـا ، ولـكنى سـخرت من ذلك ولم ألق إليه بالا . وركبت عربة قادتنا إلى المحـكمة ، وقد أحاط بعض نفر بالعربة ، وهتفوا ضـدي هتافات عدائية ، ولـكن وقف الامر عند هذا الحد ، واستطعنا أن نصل إلى المحكمة فى سـلام . ونفذت إلى قاعة الجلسة ، وجلست فى المقاعد الأمامية المخصصة لحضرات المحامين ، وانتظرت ريثما يأتى دور قضيتنا . ولـكن لم يكد يستقر بى المقام حتى سمعنا المظاهرات

وهى آتية من بعيد تهتف بسقوط احمد حسين وسقوط مصر الفتاة .
ولما كان هناك بوليس يحيط بدار المحكمة فلم يدر بخلدنا أبداً أن البوليس سيسمح للمتظاهرين بالاقتراب من دار المحكمة ، ولذلك فقد كانت مفاجأة مزعجة أن سمح البوليس للمظاهرة بالاقتراب من أبواب المحكمة الخارجية ، بل سمح لهم بالدخول إلى ساحة المحكمة الداخلية ، ثم حدث ما لم يحدث في تاريخ مصر أبداً ، فقد اقتحم المتظاهرون قاعة الجلسة نفسها ، لكى يبطشوا بأحمد حسين ويقتلوه ، إذا استطاعوا ، في ساحة العدالة نفسها .

وهرب القاضى إلى حجرة المداولة ، ودخلت معه إليها . وهنا ، وهنا فقط رأى البوليس أن يحول بين المتظاهرين وبين اقتحام حجرة المداولة ، حتى لا يعتدوا على القاضى نفسه ، فلم يكن هناك أحد يعرفنى شخصيا .
وفى حجرة المداولة المحاطة بالرعاع والغوغاء الصاخبين ضد أحمد حسين ، نظرت قضية إغلاق دار مصر الفتاة ، ولست أحسب أن لذلك مثيلا في تاريخ القضاء المصرى بأكمله ، فلقد كان الطوب ينهال علينا فى أثناء المرافعة . وكان من الطريف أننى أردت أن أتحدث عن الاضطهاد الذى تلقاه مصر الفتاة ، فاذا بالقاضى يقول لى تكلم فى الموضوع يا أستاذ . فصرخت فى وجهه ممسكا بهذا الطوب الذى كان ينهال علىنا « أترى حديثى عن الاضطهاد ليس في الموضوع ؟ فهل هذا الطوب وهذه الأحجار في الموضوع يا حضرة القاضى ؟! » .

ورحت أندد بالحكومة وتصرفاتها ، وأندد بهذه الفوضى التى أصبحنا نعيش فيها ، ولم يستطع القاضى إلا أن يسمعنى حتى النهاية فقد كان ما يجرى حولنا غريباً ، بل فى غاية الغرابة .
وأخيرا تمت المرافعة ، وأجل القاضى اصدار حكمه أسبوعا ، وصعدوا بنا إلى الدور الأعلى من بناء المحكمة ، بينما كانت المظاهرة التى تحيط بدار المحكمة قد تحولت إلى ثورة عاتية يطالب فيها الثائرون برأس أحمد حسين .

واقترح على رجال الأدارة أن يهربونى من بناء المديرية المتاخم لدار المحكمة ، وأفهمونى أنهم سيضعون لى سيارة على باب المديرية ، فما على إلا أن أركبها لكى تنطلق بى وتخرجنى الى خارج المدينة .

وكانت السيارة المقترحة تقف على باب المديرية وسط الثائرين ، ومع ذلك فقد جازفت وذهبت اليها ، ولم أكد أستقر بها حتى كشفت أن ليس بها سائق ، وأن الجمهور الغاضب المحنق الذى كان يحيط بالسيارة إحاطة السوار بالمعصم قد بدأ يستريب فى هذا الشخص الجالس بالسيارة وحانت منى التفاتة إلى باب المديرية فوجدت أحد رجال البوليس السرى يشير الى المتظاهرين من طرف خفى إلى ناحيتى ، وأنتى أحمد حسين الذي يطلبونه ، فلم أكد ألمح هذه الحركة حتى قفزت من السيارة وعدوت على سلم المديرية في نفس اللحظة التى كشف فيها المتظاهرون أن ذلك الشخص الذى دخل الى السيارة أمامهم لم يكن سوى احمد حسين .

وقد كانت هذه مؤامرة سافرة على قتلى ، ولذلك فقد اقتحمت باب مدير المديرية ، الذى كان في ذلك الوقت هو محمود بك غزالى ، ونددت بتصرفات الأدارة وطالبت بتمكينى من السفر حالا ، ووضع حد لهذه المهزلة .

ولكن المدير لم يحرك ساكنا ، وانصرف عند الظهر من دار المديرية بهتف له المتظاهرون طويلا ، وسمحوا له بالمرور لأنهم في ذلك الوقت كانوا قد ألقوا من أنفسهم حرسا وطنيا ، وأعلنوا الحصار على دار المديرية والمحكمة ، فلا يخرج منها انسان الا بأذن ، ولا يدخلها أحد إلا بأذن من حضرات الثوار .

وخرج جميع الموظفين فى منتصف الساعة الثانية ، وبقيت بمفردي ، ومعى ابن عم لى كان قد صحبنى من مصر ، وكان حكمدار البوليس يجلس معنا وهو ثائر على هذه الحالة من الفوضى والهمجية ولكنه أعلننا بأنه مغلول اليدين لا يستطيع أن يفعل شيئا ، فالأوامر المعطاة له أن لا يتعرض بحال من الأحوال للثائرين .

واستدعى الحكمدار بالتلفون ، وكلف القيام بمهمة من المهات ، وعبثا حاول أن يظهر خطورة الموقف وأن تركي في هذه الساعة معناه تعريضي لأشد الخطر . لقد كانت الأوامر صريحة ، فيجب أن يتركني وينفذ ماطلب منه خارج مدينة دمنهور بأكملها .

وتركنا الحكمدار وأبقى معنا اثنين من الكونستبلات وكانت هـذه هي القوة الوحيدة التي بقيت إلى جوارنا لحمايتنا من القتل على يد هذا الجمهور الساخط ، الذي كان يطالب برأسنا . على أنني قررت أن اخرج من المديرية بأي ثمن من الأثمان ، فطلبت من رجلي البوليس، وكانا قد امتلأ بالأخلاص لي ، أن يحضرا لي سيارة البوليس ، وأن يوقفاها على الباب ، وأن يتركا محركاتها في حالة حركة حتى تنطلق بمجرد ركوبي بهـا . فأسرع أحد الرجلين إلى إحضار العربة وكان أمينـا هذه المرة فلم يخبر أحدا بأني سأركبهـا ، ولم تكد تقف على البـاب حتى بادرت بالنزول ، وسلم المديرية في دمنهور يواجه البـاب الكبير . فلم أكد أظهر على أول السلم حتى لمحني الجمهور ، ولكن المفاجأة أذهلته كل الذهول إذ لم يتصور أحد أن يكون هذا الهـابط على الدرج بهذا الهدوء وهذا الابتسام هو احمد حسين ، ولكنه كان احمد حسين الذي أكمل الشوط في هدوء حتى وصـــل إلى باب السيارة ، وسط الاندهاش أو الذهول ، الذي ولدته المفاجأة وقوة الشخوص . ولم أكد أضع قدمي في داخل السيارة حتى كانت الدهشة قد زالت من الجماعة ، فانقضوا على السيارة وانهالت عليها الأحجار كالمطر ، ولكن السيارة كانت قد انطلقت وزاد في انطلاقها هذا السيل من الأحجار ، الذي أصاب السائق فجعله كالمجنون ، فراح يعدو وسط الجماهير لا يلوي على شيء !. كانت هذه ثواني دقيقة وخطيرة من أخطر ما مر بي في حياتي ، وما يمكن أن يمر بها بعد الآن . لقد تحول زجاج السيارة الذي كان يحيط بي من كل جانب الى ذرات ، تحت تأثير هذا المطر من الأحجار ، ومزقت جوانب السيارة شر ممزق ، وأصيب

السائق ، وسقط ابن عمى وسط المتظاهرين لأن السيارة انطلقت قبل أن يتمكن من التعلق بها .. ومع ذلك كله فقد وجدت نفسى بعد قليل خارج المدينة سليما معافى ، لم أصب بأى سوء . . . وقد كان ذلك معجزة إلهية من غير شك ، وكان معنى ذلك أن الله قد أجاب دعائى وحمانى فى هذا اليوم العصيب بعظيم قدرته ، وانجانى من الضيق والكرب العظيم ، فله الشكر والحمد ما بقيت حيا ، ويوم أموت ، ويوم أبعث فى الموقف العصيب . لم يكن لى سلاح فى ذلك اليوم إلا ايمانى بالله ، وبينما كان الثوار يصيحون نريد رأس أحمد حسين ، الموت لأحمد حسين ، وبينما كان رجال البوليس يتسللون لواذا من حولى ، لم أجد أمامى إلا أن أسجد لله طالبا منه العون والمدد ، فجاءتنى النجدة فنجوت على هذه الصورة الكريمة ، حيث خرجت جهارا نهارا ، وفى وسط المتظاهرين الذين أسقط فى أيديهم ، وامتلأوا بالغضب عندما نجوت من شرهم .

لقد انهالوا ضربا على ابن عمى الذى أوقعه سوء الطالع فى أيديهم ، وظلوا يضربونه حتى خيل اليهم انه قد مات وقضى نحبه ، ثم انطلقوا بعد ذلك فى البلد يعيثون فسادا ، يقتحمون بيوت أعضاء مصر الفتاة ، ويعتدون على كل من يتخيلون أنه من مصر الفتاة ، وعندما يتحول الأمر إلى هذه الفوضى ، فان حياة الناس تصبح فى خطر ، سواء منهم الوفدى وغير الوفدى ، ولم يكن طبيعيا أن تنتهى هذه الحالة إلا بعد أن تقع مأساة دامية ، ولقد وقعت هذه المأساة ، وكان ضحيتها من ذوى الأقمصة الزرقاء ، بل لعله رئيس من رؤسائهم . واتهم رئيس شعبة مصر الفتاة عبد الرحمن افندى أبو الوفا بقتله ، واتهم معه بعض نفر من أعضاء مصر الفتاة ، وأدرك البوليس انه يجب أن يضع حدا لهذه الفوضى ، وخشع ذوو الأقمصة الزرقاء بعد إذ سقط منهم قتيل فى الصراع بينهم وبين أعضاء مصر الفتاة . وعادت السكينة إلى دمنهور من جديد ،وهدأت هذه العاصفة العاتية ، ولكن بعد أن مات ضحية من ضحايا الفوضى والاضطراب والعدوان .

كان لهذا الحادث تأثير عميق في أنحـاء البلاد ، فقد كشفت على أثره اعتداءات ذوى الأقمصة الزرقاء ، ورأت الحكومة أن من واجبها أن تفرض على أتباعها شيئا من الهدوء والنظام ، غير أنها انتهزت فرصة هذا الحادث لكى تصدر أمرها باغلاق دور مصر الفتاة فى جميع أنحاء القطر المصرى ، بما فى ذلك المركز العام . ولكن مصر الفتاة أثبتت أن لحمها مر يستعصى على الآكلين ، وأن الخير كل الخير فى الاقلاع عن كل تحرش بها أو محاولة للاعتداء عليها فى ظل الفوضى والهمجية . .

وقد حكم القضـاء بعد ذلك ببراءة مصر الفتاة من دم هذا القتيل ، إذ قضى ببراءة عبد الرحمن افندى أبى الوفا ، فكان ذلك نصراً رائعاً اهتزت له جنبات مصر . ولم يكن بوسع محكمة الجنايات أن تقضى بغير ذلك ، بعد أن استعرضت حوادث دمنهور الغريبة ، وما سـادها من فوضى وروح إجرامية ، وصلت إلى حد اقتحام مجلس القضاء ، ومحاصرة دار الحكومة لقتل احمد حسين تحت سمع الحكومة وبصرها .



معاهدة سنة ١٩٣٦

— ٢٣ —

وفي ذلك الوقت الذى كان فيه الخصام قد بلغ أشده بيننا وبين الوفد وحكومة الوفد ، كانت المفاوضات الجارية بين مصر وانجلترا قد بلغت نهايتها ، ولم يبق الا التصديق عليها ، وقد كان من الواضح أن هذا العنت الذى لقيته مصر الفتاة ، كان خطة مدبرة تسبق التصديق على المعاهدة حتى لاتستطيع مصر الفتاة أن تتصدى لانتقاد هذه المعاهدة ومحاربتها . فقد اشتهرت مصر الفتاة بالتطرف فى الوطنية ، وكانت نصوص المعاهدة التى تم الاتفاق عليها أبعد مايكون عن تحقيق المطالب الوطنية ، فهى تجعل الاحتلال الأنجليزى فى مصر شرعيا ، وهو ماكان يصبو اليه الانجليز منذ ستين سنة ، وهى تربط بين مصر وانجلترا فى تحالف أبدى إلى نهاية العمر ، وهى تجعل من مصر دولة مشدودة إلى عربة الامبراطورية الانجليزية ، كما كان يشد الأسرى والمغلوبون على أمرهم فى الزمن القديم . . وكان مقدرا أن مصر الفتاة ستثور فى وجه هذه المعاهدة ، وستؤلب الجماهير عليها وتدعوها الى رفضها ، فرأى القسم المخصوص فى وزارة الداخلية ، وهو ممثل الاحتلال فى داخل الحكومة المصرية ، أن يقذف مصر الفتاة بهذا الاتهام الشائن ، ليتخذه ذريعة فى الوقت المناسب للقبض على رؤساء مصر الفتاة ، وليقلل من قوة مصر الفتاة وقوة دعايتها ، ولكن هذه الخطة قد حبطت كما رأينا وظلت مصر الفتاة قائمة فى الميدان يدوى صوتها فتتجاوب به البلاد من أقصاها لأدناها . . وجاء الوقت الذى أعلن فيه أنه قد تم التوقيع على نتائج المفاوضات ، وأن وفد المفاوضات المصرى سيسافر إلى لندن لابرام المعاهدة ، وفى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ أبرمت معاهدة التحالف والصداقة بين مصر وبريطانيا العظمى ، ولما كانت هذه الوثيقة تؤلف

صفحة تاريخية فى حياة مصر الحديثة ، وتعتبر أساس الحياة السياسية فى مصر طوال العشر السنوات التالية ، فقد رأيت أن أثبتها بنصها فى هذا الكتاب للذكرى والتاريخ ، غير أننى اقتصرت فى نشرها على ذكر المواد الرئيسية دون الملاحق والمذكرات والمحاضر الملحقه بهذه المعاهدة لأن المقام يضيق عن إيرادها ، ويمكن تلخيص هذه الملاحق فى أنها تقض لما جاء فى المعاهدة من أن الاحتلال لمصر قد انتهى ، فقد عملت هذه الملاحق على تثبيت دعائم الاحتلال الفعلى لمصر .

وسيأتى فيما بعد إشارة كاملة لهذه النصوص والاشتراطات الجائرة ابان مناقشة المعاهدة والتعليق عليها فى خطابى العام الذى ألقيته لهذا الغرض .

معاهدة تحالف

بين حضرة صاحب الجلالة ملك مصر
وحضرة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة

لندن فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦

بين حضرة صاحب الجلالة ملك مصر .

وحضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأرلندا والأملاك البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند .

بما أنهما يرغبان فى توطيد الصداقة وعلاقات حسن التفاهم بينهما والتعاون على القيام بالتزاماتهما الدولية لحفظ سلام العالم .

وبما أن هذه الأغراض تتحقق على الوجه الأكمل بعقد معاهدة صداقة وتحالف تنص لمصلحتهما المشتركة على التعاون الفعال لحفظ السلام وضمان الدفاع عن أراضيهما وتنظيم علاقاتهما المتبادلة فى المستقبل .

قد اتفقا على عقد معاهدة لهذه الغاية وأنابا عنهما المفوضين الآتية أسماؤهم :

حضرة صاحب الجلالة ملك مصر .

قد أناب عن مصر :

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء .
« « السعادة الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب .
« « الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء سابقا .
« « « اسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزراء سابقا .
« « « عبد الفتاح يحيى باشا رئيس مجلس الوزراء سابقا .
« « المعالي واصف بطرس غالى باشا وزير الخارجية .
« « المعالى عثمان محرم باشا وزير الأشغال العمومية .
« « المعالى مكرم عبيد باشا وزير المالية .
« « المعالى محمود فهمي النقراشي باشا وزير المواصلات .
« « أحمد حمدي سيف النصر باشا وزير الزراعة .
« « السعادة حافظ عفيفي باشا وزير سابق .

وحضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والأملاك البريطانيـة وراء البحار وامبراطور الهند (الذى سيشار اليه فى نصوص هـــذه المعاهدة بعبارة صاحب الجلالة الملك والامبراطور)

قد أناب عن بريطانيا العظمىوأرلندا :
سعادة الرايت أونورابل أنتونى ايدن وزير جلالته للخارجية .
سعادة الرايت أونورابل جيمس رامزى ماكدونالد رئيس المجلس الخاص .
سعادة الرايت أونورابل الســير جون سيمون مستشار ملكى وعضو مجلس العموم ووزيرالداخلية.
سعادة الرايت أونورابل فيكونت هاليفاكس حامل أختام جلالة الملك .
سعادة السير مايلز ويدربيرن لامبسون المندوب السامى لجلالته فى مصر والسودان .
الذين بعد تبادل وثائق تفويضهم التى تخولهم ســـلطة كاملة والتى وجدت صحيحة ومستوفية الشكل قد اتفقوا على ما يأتى :

(المادة الأولى)

انتهى احتلال مصر عسكريا بواسطة قوات صاحب الجلالة والامبراطور .

(المادة الثانية)

يقوم من الآن فصاعدا بتمثيل صاحب الجلالة الملك والامبراطور لدى بلاط جلالة ملك مصر وبتمثيل صــاحب الجلالة ملك مصر لدى بلاط سان جيمس سفراء معتمدون بالطرق المرعية .

(المادة الثالثة)

تنوى مصر أن تطلب الانضمام الى عضوية عصبة الأمم . وبما أن حكومة صــاحب الجلالة فى المملكة المتحدة تعترف بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة فانها ستؤيد أى طلب

تقدمه الحكومة المصرية لدخول عصبة الأمم بالشروط المنصوص عليها في المادة الأولى من عهد العصبة .

(المادة الرابعة)

تعقد محالفة بين الطرفين المتعاقدين الغرض منهـا توطيد الصداقة والتفـاهم الودى وحسن العلاقات بينهما .

(المادة الخامسة)

يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين بأن لا يتخذ فى علاقاته مع البلاد الأجنبية موقفـاً يتعارض مع المحالفة وأن لا يبرم معاهدات سياسية تتعارض مع أحكام المعاهدة الحالية .

(المادة السادسة)

اذا أفضى خلاف بين أحد الطرفين المتعاقدين ودولة أخرى الى حالة تنطوى على خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة تبادل الطرفان المتعاقدان الرأى لحل ذلك الخلاف بالوسائل السلمية طبقاً لأحكام عهد عصبة الأمم أو لأى تعهدات دولية أخرى تكون منطبقة على تلك الحالة .

(المادة السابعة)

اذا اشتبك أحد الطرفين في حرب بالرغم من أحكام المادة السادسة المتقدم ذكرها فان الطرف الآخر يقوم في الحال بانجاده بصفته حليفا وذلك مع مراعاة أحكام المـادة العاشرة الآتى ذكرها .

وتنحصر معـاونة صاحب الجلالة ملك مصر ، فى حالة الحرب أو خطر الحرب الداهم أو قيام حالةدولية مفاجئة يخشىخطرها ، فيأن يقدم الىصاحبالجلالة الملكوالامبراطور داخل حدود الأراضى المصرية ومع مراعاة النظـام المصري للادارة والتشريع ، جميع التسهيلاتوالمساعدة التيفي وسعه بما فيذلك استخدام موانيه ومطاراته وطرق المواصلات .

وبناء على هذا فالحكومة المصرية هى التى لها أن تتخذ جميع الاجراءات الادارية والتشريعية بما في ذلك اعلان الأحكام العرفية واقامة رقابة وافية على الأنباء لجعل هذه التسهيلات والمساعدة فعالة .

(المادة الثامنة)

بما أن قنال السويس الذى هو جزء لا يتجزأ من مصر هو في نفس الوقت طريق عالمى للمواصلات كما هوأيضا طريق أساسىللمواصلات بينالأجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية فالى أن يحين الوقتالذى يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على أن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة على القنال وسلامتها التـامة يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن يضع فى الأراضى المصرية بجوار القنال بالمنطقة المحدودة فى ملحق هذه المادة قوات تتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عن القنال . ويشمل ملحق هذه المادة تفصيل الترتيبات الخاصة بتنفيذها .

ولا يكون لوجود تلك القوات صفة الاحتلال بأي حال من الأحوال .
كما أنه لا يخل بأي وجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية .
ومن المتفق عليه أنه اذا اختلف الطرفان المتعاقدان عند نهاية مدة العشرين سنة المحدودة في المادة السادسة عشرة على مسألة ما اذا كان وجود القوات البريطانية لم يعد ضروريا لأن الجيش المصرى أصبح في حالة يستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة على القنال وسلامتها التامة فأن هذا الخلاف يجوز عرضه على مجلس عصبة الأمم للفصل فيه طبقا لأحكام عهد العصبة النافذ وقت توقيع هذه المعاهدة أو على أى شخص أو هيئة للفصل فيه طبقا للاجراءات التى قد يتفق عليها الطرفان المتعاقدان .

(المادة التاسعة)

تحدد باتفاق خاص يبرم بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة ما تتمتع به من اعفاء وميزات في المسائل القضائية والمالية قوات صاحب الجلالة الملك والامبراطور التى تكون موجودة فى مصر طبقا لأحكام هذه المعاهدة .

(المادة العاشرة)

ليس فى أحكام هذه المعاهدة ما يمس أو ما يقصد به أن يمس بأي حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التى قد تترتب لأحد الطرفين المتعاقدين أو عليه بمقتضى عهد عصبة الأمم أوميثاق منع الحرب الموقع عليه بباريس في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٨ .

(المادة الحادية عشرة)

١ — مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل لتعديل اتفاقيتى ١٩ يناير و ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ قد اتفق الطرفان المتعاقدان على أن ادارة السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين ويواصل الحاكم العام ، بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين ، مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين .
والطرفان المتعاقدان متفقان على أن الغاية الأولى لادارتهما فى السودان يجب أن تكون رفاهية السودانيين .
وليس فى نصوص هذه المادة أى مساس بمسألة السيادة على السودان .
٢ — وبناء على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين فى السودان وترقيتهم مخولة للحاكم العام الذى يختار المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين فى الوظائف الجديدة التى لا يتوفر لها سودانيون أكفاء .
٣ — يكون جنود بريطانيون وجنود مصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلا عن الجنود السودانيين .
٤ — تكون هجرة المصريين الى السودان خالية من كل قيد الا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام .

٥ — لا يكون هنــاك تمييز فى السـودان بين الرعايا البريطانيين وبين الرعايا المصريين فى شؤون التجارة والمهاجرة أو فى الملكية .

٦ — اتفق الطرفان المتعاقدان على الأحكام الواردة فى ملحق هذه المادة فيما يتعلق بالطريقة التى تصبح بها الاتفاقات الدولية سارية فى السودان .

(المادة الثانية عشرة)

يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن المسئولية عن أرواح الأجانب وأموالهم فى مصر هى من خصائص الحكومة المصرية دون سواها وهى التى تتولى تنفيذ واجباتها فى هذا الصدد .

(المادة الثالثة عشرة)

يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن نظام الامتيازات القائم بمصر الآن لم يعد يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة .

ويرغب صاحب الجلالة ملك مصر فى الغاء هذا النظام دون ابطاء .

وقد اتفق الطرفان المتعاقدان على الترتيبات الواردة بهذا الشأن فى ملحق هذه المادة .

(المادة الرابعة عشرة)

تلغى المعاهدة الحالية جميع الاتفاقات أو الوثائق القائمة التى يكون استمرار بقائها منافياً لأحكام هذه المعاهدة . ويجب أن يعد باتفاق الطرفين المتعاقدين ، اذا طلب أحدهما ذلك ، بيان بالاتفاقات والوثائق الملغاة وذلك فى مدى ستة أشهر من نفاذ هذه المعاهدة .

(المادة الخامسة عشرة)

اتفق الطرفان المتعاقدان على أن أى خلاف ينشأ بينهما بصدد تطبيق أحكام المعاهدة الحالية أو تفسيرها ولا يتسنى لهما تسويته بالمفاوضات بينهما مباشرة يعالج بمقتضى أحكام عهد عصبة الأمم .

(المادة السادسة عشرة)

يدخل الطرفان المتعاقدان فى مفاوضات ، بناء على طلب أى منهما فى أى وقت بعد انقضاء مدة عشرين سنة على تنفيذ هذه المعاهدة ، وذلك بقصد اعادة النظر بالاتفـاق بينهما فى نصوص المعاهدة بما يلائم الظروف السائدة حينذاك . فاذا لم يستطع الطرفان المتعاقدان الاتفاق على نصوص المعاهدة التى أعيد نظرها يحال الخلاف الى مجلس عصبة الأمم للفصل فيه طبقاً لأحكام عهد العصبة النافذ وقت توقيع هـذه المعاهدة أو الى أى شخص أو هيئة للفصل فيه طبقاً للاجراءات التى يتفق عليها الطرفان المتعاقدان .

ومن المتفق عليه أن أى تغيير فى المعاهدة عند اعادة نظرها يكفل استمرار التحالف بين الطرفين المتعاقدين طبقاً للمبادىء التى تنطوى عليها المواد (٤ و ٥ و ٦ و ٧) .

ومع ذلك فى أى وقت بعد انقضاء مدة عشر سنوات على تنفيذ المعاهدة يمكن الدخول فى مفاوضات برضا الطرفين المتعاقدين بقصد اعادة النظر فيها كما سبق بيانه .

(المادة السابعة عشرة)

يصدق على المعاهدة الحالية ويتبادل التصديق عليها فى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ويبدأ تنفيذها من تاريخ تبادل التصديق عليها وعندئذ تسجل لدى السكرتير العـــام لعصبة الأمم .

واقرارا بما تقدم وقع المفوضون السابق ذكرهم هذه المعاهدة ووضعوا أختامهم عليها .

وتحررت فى لندن من صورتين فى اليوم السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٦



مصر الفتاة تحارب المعاهدة

- ٢٤ -

لم تكد نصوص هذه المعاهـــدة تعلن وتذاع حتى هبت مصر الفتاة لمحاربتها ، وعمل كل ما من شأنه ان يحول دون تصديق البرلمـان المصرى عليها ، وقد جاء توقيع المفاوضين المصريين على هذه المعاهدة بمثابة مهماز شحذ قوانا من جديد ، وبعث فينا كل نشاطنا وكل حيويتنا وكل عنادنا وقدرتنا على الكفاح والجهاد ، فأستاجرنا دارا جديدة اتخذتها مكتبا لى بدلا من دار مصر الفتاة القديمة التي أغلقتها الحكومة وحالت دون إعادة فتحها ، واستأجرنا جريدة جديدة وهى جريدة الضياء بدلا من الصرخة التى اضطررنا لوقفها نظرا لتوالى المصادرة عليها ، وانتهزت فرصـــة تصريح الحكومة بعقد الاجتماعات العامة لمناقشة نصوص المعاهدة لـكى أتقدم بطلب تصريح لنا لعقد اجتماع عام نعقده بدار الحزب الوطنى ، الذي كان قد حل محل جمعية الشبان المسلمين فى هذه الدار التى تقع فى شارع مجلس النواب ، وفى الموعـــد المضروب للاجتماع وهو مساء السبت ٣٠ أكتوبر سنة ٩٣٦ عقد الاجتماع وسط حماسة بالغة لم يسبق لها مثيل في كل تاريخ مصر الفتـاة ، وحسبك أن تعلم أن الموعد المقرر لبـدأ الاجتماع كان هو الساعة الخامسة ، ولـكن سرادق الاجتماع امتلأ بالجمهور ابتداء من الساعة الثانية بحيث لم يتمكن ألوف من الراغبين فى حضور الاجتماع أن يحضروه ، لأن قوات البوليس الضخمة التي أحاطت بمكان الاجتماع قد حالت بين الجمهور وبين الوقوف بالقرب من سرادق الاجتماع ، ولقد حدثت مصادمات ومناوشات صغيرة في خلال الاجتماع ، ولـكن ذوى الأقمصة الخضراء استطاعوا أن يسيطروا سيطرة تامة وكاملة على الموقف فى الاجتماع حتى نهايته دون أن تتمكن قوات الشعب التى أرسلت خصيصا للاخلال بالنظام ، من أن تعمل شيئا .

وفيما يلى الخطاب الذى ألقيته فى هذه الليلة ، وحللت فيه بعض نصوص المعاهدة وأظهرت مواضع الخطر فيها على حرية مصر واستقلالها ومستقبلها مما حققته الحوادث وأظهرته الأيام ، ولما كان هذا الخطاب هو أول خطاب ألقيته على الجماهير بعد اتهام النحاس باشا لنا بالخيانة العظمى ، فقد كنت مضطرا أن استهل الخطاب بالأشارة إلى هذا الاتهام ، وبالدفاع عن مصر الفتاة .

خطاب

أيها السادة :

يظهر أن هناك مقدمة لابد منها فى مستهل حديثى ، فلست أشك لحظة فى أن بين صفوفكم من يخالفوننى فى العقيدة السياسية ومن يتحمسون للحكومة الحاضرة والمعاهدة . . ولست أشك فى أن الكثيرين من هؤلاء قد جاءوا تحدوهم الرغبة الطيبة فى التفاهم والاقتناع ، وأن هناك غيرهم قد جاء معتزما احداث حدث من الأحداث ، فالى هؤلاء والى هؤلاء أوجه كلمة الابتداء ، وكل الذى أرجوه أن تلتى آذاناً صاغية وقلوبا واعية .

اننا فى جمعية مصر الفتاة لا نحمل حقداً لمصرى واحد ، ولسنا نكره مصريا واحداً ، ذلك لأننا نعلم أن الأنجليز اذا كانت قد استطاعت أن تحطم استقلالنا ، وأن تتصدق علينا بعد مائة سنة من تحطيم امبراطوريتنا بهذه المعاهدة الهزيلة المشوهة . . فهل لهذه المعاهدة التى تتفرض علينا الاحتلال والفقر ، اذا كنا قد وصلنا الى هذه الحالة التعسة فليس ذلك الا لأن الغاصب قد عرف كيف يحطم كتلتنا ، وكيف ينفذ الى وحدتنا فيمزقها . . اذا كنا قد رسفنا فى العبودية خمسين عاما ، فما ذلك الا لاختلاف كلمتنا ومحاربة بعضنا لبعض ، وتراشقنا بالتهم والسباب . ولم يستطع الغاصب أن يتغلغل فى بلادنا الا لأننا انقسمنا شيعا وأحزابا ، كل فريق منا يعتدى على الآخر وتركنا الغاصب يسرح ويمرح ويغنم ويربح ، فهو يكسب من هؤلاء وهؤلاء وهو الفائز أولا وأخيرا .

ومن هنا فنحن لا نحقد على مصرى واحد ، ولكننا نحب الجميع ونتمنى لهم الخير ، حتى لو آذونا واعتدوا علينا لما أنقص ذلك مقدار شعرة من حبنا لهم ، لأنهم مصريون أولا وقبل كل شىء . ولما كنا قد كرسنا حياتنا من أجل مصر والمصريين ، ولما كنا لا نطمع فى هذه الحياة الدنيا فى مال أو منصب أو عرض من أعراض الحياة ، فنحن لايمكن أن نحقد على مصرى مهما أساء أو اعتدى . وكل الذى نفعله اذا اشتد بنا الأذى وتضاعف البلاء أن نرفع أكف الضراعة الى المولى سبحانه وتعالى ، ونقول كما قال سيد الخلق (رب اغفر لقومى فانهم لايفقهون) .

هذا هو مبدؤنا وهذا هو طابع جهادنا . أجل قد نشتد فى خصومتنا ، وقد نهاجم معارضينا بقوة وعنف ، ولكنا نفعل ذلك لاكرها منا فيهم ولا حقداً عليهم ، ولكن رغبة منا فى إصلاحهم ورؤيتهم أطهاراً أقوياء أعزاء . فنحن نحب الخير لخصومنا ونرجوه، وهذا لا يمنعنا أن نصارحهم بخصومتنا غير هيابين ولا وجلين ، فاذا عرف خصومنا الحق كنا أول من يفرح لذلك . بل كنا أول من يسير فى صفوفهم ويشد أزرهم ، غير بخلاء بتضحية مهما عزت ومهما غلت .

هذا نحن وهذا موقفنا ، وإذن فإلى هؤلاء الذين جاءوا الى هذا الاجتماع وفى قلوبهم شيء من الحقد على مصر الفتاة ، أرجو أن ينتزعوه مؤقتاً ، ليستمعوا الى فى رفق وهدوء ، حتى اذا انتهيت من خطابى كنتم قضاة وحكاماً عدولا . فان وجدتمونى محقاً ، فهذه يدى ، وهذا كتاب الله أعاهدكم عليه ، أن أبقى طوال حياتى مخلصاً لما تريدون . أما ان وجدتم أنى مخطىء فهذا دمى فاستفكوه حلالا لكم .. وهذه روحى فانزهقوها كما يحلو لكم، العهد بينى وبين الناس طراً أن أعمل من أجل مصر ومجدها ، فان رغبتم فى ذلك فهو الفضل من ربى ، وأن رغبتم عن ذلك فلا فائدة لحياتى وانى أهبها لكم تتصرفون فيها كما تريدون . ولكنى أسألكم شيئا واحداً هو أن تستمعوا الى وأن تحسنوا الاستماع ، ثم احكموا فى نهاية الأمر .

لماذا دعوناكم

دعوناكم لنتحادث سويا فى شأن المعاهدة المعروضة علينا ، والتى ستعرض على البرلمان بعد يومين ، وقد جئتم الى هنا لتسمعوا هذا الرأى حتى تقرنوه بما عندكم من آراء ، ولكن قبل أن يكون من حقنا أن نناقش المعاهدة ، قبل أن يكون لنا شرف النصح والارشاد والقيادة ، ألا يجب على قبل ذلك أن أقول كلمة أبدد بها هذه الغيوم وهذه السحب التى أظلت مصر الفتاة . ألا يجدر بى أن أقضى على هذا الشك الذى خيم فى سماء جهادنا ، وأن أزهق الباطل الذى التصق بنا ، ألا يجدر بى قبل أن أحاسب المفاوضين على ما جاءوا به ، أن أحاسب نفسى أولا وأن أردعلى ماوجه الى من تهم ..؟

اتهام الهاسى باشا

قيل عنا أيها السادة اننا نخدم دولة أجنبية ، وانا نعمل لصالحها ضد مصلحة وطننا ، وهذه تهمة أيها السادة لو صحت لكانت رءوسنا جديرة بالمشنقة ، ولكان بطن الأرض أولى بنا وأحق . ولو أن هذه التهمة كانت صحيحة أيها السادة ، لوجدتم الأرض وقد تزلزلت تحت أقدامى ، ولوجدتم السماء وقد تساقطت كسفا فوق رأسى . لو أن هذه التهمة كانت صحيحة اذن لوجدت فى كل مصرى منتقما ، ولخفت النور وخفت الناس ،

وتواريت خزيا وعارا .. ولكن ها أنتم ترونني واقفا أمامكم رافع الرأس شامخاً معتزا .. معتزاً بمصريتي، معتزا بإيماني، معتزا بجهادي .. لا أخاف على ظهر الأرض انسيا واحدا، ولكني أخشى الله وحده، فهو الذي خلقني وهو الذي هداني، وهو الذي يميتني وهو الذي يحييني .

لو انى كنت الرجل الذي وصفوه، لما وجدت حجة أخدعكم بها، ولما وجدت جنانا أجابهكم به : ولما وجدت مستمعا واحداً يستمع الى فضلا عن هذه الألوف المؤلفة، فالمجرمون ان عاشوا فهم يعيشون فى الظلام، والمتآمرون لا يتحدثون الى الناس .

اتهمونا أيها السادة فقيل لهم فى مجلس النواب أبرزوا الدليل، فقالوا لا فهذه أسرار لا تذاع . فطلبوا منهم عقد جلسة سرية، فقالوا لا، ان هذه مسائل لا تطرح على البرلمان. فقيل لهم قدموهم الى المحاكمة فقالوا لسنا نريد أن نلجأ الى المحاكم . فاعجبوا، اعجبوا من هذه الحكومة التى تترك الخونة يفسدون فى الأرض . اعجبوا من هذه الحكومة التى تسمح لنا بالسير والتحدث والخطابة والاجتماع وهى تقول عنا : اننا نعمل ضد مصلحة مصر. ألستم ترون معى أنه لو صح ما تدعيه هذه الحكومة لوجب أن تسقط حالا لأنها عاجزة عن الضرب على أيدى الخونة والمفسدين ؟! ولكنهم يعلمون أننا أطهار كالأطفال، أنقياء كالثلج، وهم لا يستطيعون أن يجابهونا اذا ما قرع الدليل بالدليل .

محاولاتنا الدفاع عن أنفسنا

على أننا من ناحيتنا لم ندخر وسعاً فى دحض اتهامهم عن أيسر طريق فتقدمنا ببلاغ الى النائب العام ورجوناه سرعة التحقيق معنا . . فماذا فعل . . انه لم يفعل شيئا ولا يستطيع أن يفعل شيئا لأننا أطهار أبرياء . .

فكرنا بعد ذلك فى دعوة فريق من نواب الأمة لنعرض عليه بعض الحقائق، ولندافع عن أنفسنا . فدعوناهم الى حفلة شاى متواضعة ولكن الحكومة لم تصبر على هذه الدعوى فقالت بيننا وبين عقد الاجتماع بالقوة، فاعجبوا لهذه الحكومة الدستورية التى تحول بين النواب وبين شخص من الأشخاص، فهل فعلت ذلك الا لأنها تعرف أننا أطهار أبرياء .

فماذا بقى بعد ذلك لنعمله، لقد رفعنا قضية مدنية على رئيس الحكومة نطالبه بتعويض عن قذفه ايانا . وقد نربح هذه القضية ماديا وقد لا نربحها لاعتبارات قانونية ولكن نحن المنتصرون معنويا على كل حال .. فان أولئك الذين يعملون فى الظلام لا يقفون فى المحاكم ولا يطالبون رئيس الحكومة بتعويض، ولكنهم يهربون من وجه القضاء والعدالة . ولكنا فعلنا ذلك أيها السادة لأننا مطمئنون الى براءتنا ماضون فى طريقنا الى الأمام فى غير ما تردد أو ضعف . . أما هذه الاتهامات فانها عنوان شرفنا . . فلا يوجد مصلح واحد فى الدنيا لم توجه اليه الاتهامات .

وهل هناك أشرف أو أجل من سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ، أذكروا كم أوذى في جهاده وأى اتهامات قد وجهت اليه . اذكروا كيف اضطر بعد ثلاثة عشر عاما من جهاده أن يهاجر من بلدته تفاديا من القتل .. وقد كان الله قادراً أن يحميه من أذاهم وأن يجعل الدنيا طيعة له في طرفة عين ولـكن الله أراد أن يكون قدوة نبراساً في الصبر والثبات واحتمال الأذى في سبيل العقيدة . . وقد جاءت الساعة التى انتصر فيها نور محمد عليه الصلاة والسلام . جاءت الساعة التى قال فيها كلمته المشهورة وهو يحطم أصنام مكة « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » وأين نحن من رسول الله أيها السادة، ولـكن واجبنا أن نتأسى به وأن نعتبر بحياته. وسوف تأتى الساعة التى نقول فيها بدورنا « لقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » .

المفاوضات والمعاهدة

صبرنا على هذا الاتهام وصبرنا على صنوف من الأعنات والأرهاق ، فلقد صودرت جريدتنا مرات متعاقبة ، ثم أغلقوا دور جمعيتنا فى أنحاء مصر ثم اعتدى علينا . وكان ذلك كله بحجة قيام المفاوضات . كانوا يقولون سوف تأتى للأمة بالاستقلال التام لمصر والسودان، وأو كانت الناس تروم ذلك. ولما كنا نعكر عليهم هذا الجو فلاما نعم من اضطهادنا لمصلحة المجموع وسلامته ، ولاما نع من أن نكون كبش الفداء لهذه الأمة وأن نكون قرباناً لحريتها واستقلالها .

ثم أعلنت المعاهدة التى طال انتظار الأمة لها فاذا رأينا أيها السادة . رأينا عجبا وغماً . ثم جمعنا ما أفزعنا وملأنا رعباً . رأينا معاهدة تفرض على مصر احتلالا وتسلب مصر حقوقا مشروعة كانت لها دائما أبداً ورأينا هؤلاء الذين نادوا دائماً بالاستقلال التام لمصر والسودان يقبلون ما هو أقل من الاستقلال الذاتى لمصر ، الذى عرض علينا منذ عشرين عاما فرفضناه بأباء . ورأيناهم يرضون بأن يصبح السودان مستعمرة انجليزية . ولو وقف الأمر عند هذا الحد لما كان هناك محل للفزع والخوف . ولـكننا فزعنا عندما رأينا أن هذا الاحتلال يراد فرضه على مصر باسم الاستقلال والشرف . امتلأنا فزعا عندما رأينا أن كل من يشير الى هذه المعاهدة بنقص يصبح خائنا، وأن كل من يذكر الأمة بجهادها الصحيح يصبح مارقا ، وأن كل من يذكر السودان أو الجلاء يصبح زنديقاً طريداً .

فصر الفتاة تعمل لحساب دولة أجنبية ، والحزب الوطنى لحساب دولة أجنبية، وكل معارض فى مصر هو معارض مأجور ولحساب دولة أجنبية .

هذا هو ما أفزعنا وملأنا خوفا على هذه الأمة، وما يدبرلها ويحاك من خلف الستار، فان الرضا بالذل أشر من الذل نفسه، والرضا بالعبودية أشنع من العبودية نفسها . ولا عيب فى أن يتغلب قوى على ضعيف فيستعبده ، ولـكن العيب كل العيب أن يرضى الضعيف

بذلك وأن يعتاده . فما بالكم اذا تعدى الرضا الى التحبيـــذ، واذا انقلب التحبيذ الى تمجيـد . فأقيمت مهرجانات وزينـات ودقت طبول ايذانا بالعهد الجديد . والعهد الجديد فيه ما فيه من تحطيم لسيادتنا واهدار لـكرامتنا .

قبول وقبول

كنت أفهم أيها السادة من الناحية النظرية كما قال لى أحد النواب أن يقبل فريق من المصريين هذه المعاهدة ، وهم كارهون مضطرون ، يقبلونها وهم يكونون بمقدار ما تمس كرامتهم وبمقدار ما تهدم من سيادتهم .

انني أفهم أن يقف بعض النواب فيقولون انا نقبل هذه المعاهدة على ما فيها من عيوب وما فيها من عدوان وسنعمل على تعديلها بما يصون استقلال مصر وكرامتها ويحقق آمالها بعد عام واحد أو عامين . أجل كنت أفهم هذا الوضع وأستسيغه الى حد ما ، ولـكن الذى لا أفهمه وأراه مخيفا ومفزعا أن يحرص الناس على تمجيد المعاهدة وهي تفرض عليهم الذل والعار ، وان تحشد الألوف للهتاف والتصفيق، وأن تشحن قطارات السكة الحديد من كل صنف من الناس وأن تقام أقواس النصر وتكلل الهامات بالغار وأن تحارب المعارضة لأنها تنادى بمجد مصر ، واستقلال مصر وحريتها .

لا . . لا أيها السادة هذه هى الجريمة بعينها وهذا هو ما أعلن من فوق هذا المنبر بقوة وعزم انى سأحاربه ، وسأحاربه بكل ما أوتيت من قوة، ولن يقعدنى وعد ولا وعيد ولن يؤخرنى سجن أو تشريد .

المعاهدة ومشروعية الاحتلال

هذه المعاهدة المعروضة على مصر معاهدة باطلة لا تساوى الحبر والورق الذى كتبت عليه ،على رأى بعض الأساتذة المحترمين الذين رأوا فيها استقلالا لا شك فيه .

هذه المعاهدة باطلة، وهى نكبة النكبات على مصر اذا حاول المحاولون ان يظهروها فى مظهر الاستقلال ، وواجب كل مصرى بل واجب كل شاب بصفة خاصة ان يحول دون وقوع هذه الـكارثة . فاذا قبلها البرلمان فقد أصبح واجبنا وواجب الأمة أن لا نعترف بمشروعيتها وان نعمل على تمزيقهـا بأسرع ما نستطيع، لأنهـا مابقيت قائمة فلن تقوى مصر على ان تخطو خطوة واحدة نحو الأمام ، بل سوف ترون ان مصر ستتدهور الى الحضيض فى ظل هذه المعاهدة لأنها قد جعلت مركز مصر اسوأ بمراحل مما كانت عليه .

فقد دخلت انجلترا مصر فى سنة ١٨٨٢ . ودخلت بخدعة ودسيسة ، فلما قيل لها ان دخولك الى مصر هو اغتصاب وهو عمل غير مشروع قالت انى لا أحتل مصر وليس فى نيتى ان أحتلها، ولـكننى دخلت لحماية العرش ولتوطيد الأمن، وسأخرج منها حالما تنتهى هـذه المهمة . فلما انتهت المهمة وأصبح العرش موطدا أكثر مما كان مقررا له لم يخرج الانجليز. وظلوا يحتلون أرض مصر غصبا وعدوانا .

فلما ذكروا بوعودهم قالوا : بلى بلى نحن لا نريد أن نحتل مصر وسوف نجلو عن أرض مصر، ولكنا فقط نريد أن نحمي أصحاب الجلاليب الزرقاء من عسف الباشوات. فلما ثار في وجهها الفلاحون بمناسبة حادثة دنشواي، وسخر الفلاحون من دعوتها حمايتهم وقيل لها اخرجي فانهم لا يريدونك واصلت انجلترا عدوانها واغتصابها مدعية في هذه المرة انها انما تحمي الاقليات . فلما ثارت مصر في سنة ١٩١٩ وقد اتحدت كل عناصرها وقف جميع المصريين صفا واحدا يناوئونها ويدافعون عن كرامة وطنهم، قالت انجلترا أنا في مصر لأنها لازمة لنا ويجب أن نبقى فيها الى الأبد . وهكذا انكشف الستار عن نواياها وتجردت من كل تبابها وظهر للعالم اغتصابها كريها بغيضا ، بينما تجلت ارادة الأمة في أن تعيش حرة سيدة، فأصبح لا مناص للانجليز من أن يعودوا لستر موقفهم وتبرير وجودهم في مصر . وأي مبرر أجل من أن يظلوا محتلين مصر باسم الصداقة والتحالف . واذن فلتدفع مصر الى التحالف مع انجلترا دفعا . ولتجبر على قبول معاهدة تخول للانجليز حق احتلال مصر الى الأبد، فيصبح بقاؤهم في مصر شرعيا ويعود اخراجهم من مصر من رابع المستحيلات، فلن توجد قوة في العالم بعد ذلك تستطيع اجلاءهم عن مصر الا بعد أن تحطم الامبراطورية الانجليزية أولا .

وفي ظل التحالف والصداقة يستطيعون ان يجندوا مصر، بسكانها وأموالها ، لخدمة الامبراطورية الانجليزية .

هذا هو المثل الأعلى للسياسة الانجليزية كما استقر بعد ثلاثين سنة من الاحتلال عندما رسمها لهم اللورد ملنر في تقريره المشهور . واذن فقد أصبحت بغية الانجليز أن يحصلوا من مصر على معاهدة تجعل احتلالهم مشروعا وتطلق أيديهم في مصر اذا قامت الحرب ابان الأزمات الدولية ، ولكن من أين لهم بهذا الرجل الذي يقبل مثل هذه المعاهدة . من أين لهم بالرجل الذي يعتدي على بلاده هذا العدوان فيفرط في حقوقها ويسلمها للانجليز .؟ ان رجال الحزب الوطني وهم الذين خلقوا الوطنية في مصر خلقا قد رفضوا دائما أن يتحدثوا مع الانجليز قبل الجلاء المطلق . واذن فلا مناص من تحطيم هذا الحزب لأنه خطر على سياسة الانجليز المقبلة أي خطر، وبهذا أشار اللورد ملنر في تقريره أيضاً .

أما سعد زغلول ذلك الرجل الذي كان يعتبر بالنسبة للحزب الوطني معتدلا فهو لا يرضى بدوره بأقل من الجلاء، واذن فلينف وليشرد حتى تلين قناته، وليشجع الأحرار الدستوريون لأنهم في ظن الانجليز أكثر اعتدالا ومرونة . ولكن الأحرار الدستوريين لم يكونوا أقل من غيرهم تمسكا بحقوق بلادهم في الاستقلال التام الكامل فرفضوا أن يسلموا بما خيل للانجليز أنهم سيسلمون به ، وقطع عدلي باشا المفاوضات وعاد الى مصر رافع الرأس لأنه لم يرض بالتسليم للانجليز والتفريط في حقوق البلاد ، فعل ذلك وهو الموصوف بالاعتدال وهو الذي ضرب بالطماطم والبيض عند عودته لما عزاه الناس اليه من التفريط والتهاون .

وهنا لم تر الانجليز مناصا من أن تجرب أسلوبا جديدا ، فأعادت سعد زغلول من المنفى ، ورفعته الى الحكم ، ودعته للمفاوضة ظنا منها أن الحكم سيلين قناته .. فلما أصبح رئيسا للوزارة دعته الى لندرا وعرضت عليه ما تريده من مصر ، وهو أقل بمراحل مما حصلت عليه في معاهدة آخر الزمن ! فقد كان كل ما تصبو اليه انجلترا هو أن تضع بعض الجنود البريطانية في شرق القنال ، على أن تقدم لنا كل ما نطلبه من الضمانات والتعهدات حتى نأمن تدخل هذه القوة في شئوننا ، فرفض سعد زغلول بإباء وشمم ، وقال قولته المشهورة « دعونا للانتحار فأبينا أن ننتحر » ثم شرح مطالب الانجليز وموقفه منها في خطابه الذي ألقاه عقب عودته والذي قال فيه :

« انهم طالبونا أن تكون لهم قوة عسكرية في أرض مصر على شرط الا تتدخل في شئوننا ، ولنا الحرية التامة في أن نشترط ما نشاء من الشروط ، ونطلب ما نريد من الضمانات لئلا تتمكن هذه القوة من التدخل في شئوننا ، فرفضنا رفضا باتا ، لاننا نعلم أن وجود عسكري واحد على الأرض المصرية مخل بالاستقلال . رفضنا ذلك وما أظن أن رفضي هذا عمل من الأعمال الجليلة ، لأن الرجل لا يعتبر فاضلا ولا ذا عمل جليل بمجرد كونه امتنع عن خيانة وطنه » .

الفرق بين الامس واليوم

هذا هو كلام سعد ، بل هو كلام كل مصري ، بل هو كلام أي وطني في الدنيا بأسرها ، فهل فيه خفاء وهل فيه غموض ... وهل يجوز لنا بعد ذلك أن نناقش وأن نحاجج كيما نقول بأعلى صوتنا ان معاهدة سنة ١٩٣٦ هي كارثة وطنية وجريمة لا تغتفر..

يقول سعد بل يقول كل مصري ان بقاء جندي واحد يهدم الاستقلال ، فماذا تقولون في معاهدة آخر الزمن التي تجعل الجندي الواحد عشرة آلاف والتي تجعل من مصر مطاراً للطائرات البريطانية ، والتي تطلب من مصر أن تبني لها ثكنات أشبه بالقلاع وأن تخط مدينة كاملة لتكون رمزاً للعبودية والاستعمار .

ماذا تقولون في معاهدة آخر الزمن التي تحتم علينا أن نفتح لها طرقا ، حتى يسهل عليها اخماد كل حركة واخفات أي صوت .

ماذا تقولون في معاهدة آخر الزمن التي تطلب منا أن نصرف على الاحتلال وأن ندفع تكاليفه ، وأن نخرب ماليتنا من أجل سواد عيونه .

ماذا تقولون في معاهدة آخر الزمن التي تجعل للانجليز الحق اذا ما قامت أزمة دولية في أن تحتل مصر من أقصاها الى أقصاها ، وأن تستخدم مواصلاتها وأرضها وجوها ، وأن تستغل كل مواردها وأن تفرض على الحكومة المصرية أن تعلن الأحكام العرفية ، وتفرض الرقابة على الصحف والرسائل ، أي أنه يكفي أن تقوم أزمة في الشرق البعيد بين روسيا واليابان لنرى جحافل الانجليز تسد علينا نور الشمس ، وتسلبنا القوت والهواء ، باسم الصداقة والتحالف .

واذا كان سعد زغلول قد قال عن ابقاء قوة في شرق القنال لأجل محدود انه انتحار ، فاذا كان يمكن أن يسمى هذا البلاء الذي تقبله المفـــاوضون المصريون اليوم اذا كان الانجليز يجرأون على عرض مثل هذه المقترحات عليه ؟ .

واذا كان سعد زغلول ومن خلفه الأمة قد رفضت ذلك الانتحار في سنة ١٩١٩ وفي سنة ١٩٢٤ ، فما الذي جعلها تقبله بعد ذلك ؟

هل تدهورنا الى الخلف فأصبحنا كالعبيد كلما امتد بنا الزمن رخصت قيمتنا .. أم هل عقمت أرحام النساء فلم تعد تنجب رجالا . أم هل أصيبت العقول بجنة ومرض .

ما الذي حل بنا وما الذي أصابنا فأقبلنـــا على الانتحار راضين مغتبطين مهللين مكبرين ؟!!

لا والله أيها السادة ، لم نرجع الى الوراء ولم ننهزم ، ولم تتقهقر مصر ، ولم تضعف ، ولم تتبدل السماء غير السماء ، والأرض غير الأرض ، ولـكن الذي تبدل هم هؤلاء الساسة الذين نكصوا على أعقابهم ، فأنهكهم الاضطهاد ، فسلموا وسئموا طول الطريق ...

لم تتبدل الأرض غير الأرض ، ولـكن الذي تبـدل هم هؤلاء الذين كانوا شـــبابا فأصبحوا شيوخا ، وعجزوا عن حمل الأمانة فاستقالوا ، ومن خلفهم جيش لم يصبه الوهن أو الـكلال .

نجاح الانجليز

وهكذا نجح الانجليز أخيرا ، وكللت مساعيهم بالفوز . فان جاز لأحد أن يضفر اكاليل الغـار على هامته فهم الانجليز ، وان جاز أن تقام أقواس النصر ففي لنـدرا وليس في القاهرة . وان كان هناك بطل في هذه الصفقة فهو السـير مايلز لامبسون ، الذي اعاد فتح مصر لانجلترا .. ولـكنه هذه المرة فتح أبدي شرعي يتم وسط التصفيق والتهليل .

لقد كان الانجليز يطمعون في رجل واحد ليوقع لهم المعاهدة باسم الأمة ، فجمع لهم مايلز لامبسون أحزاب الأمة بأسرها ماعدا الحزب الوطني في صعيد واحد . جمع لهم صدقي باشا مع محمد محمود مع عبد الفتاح يحيى مع الشمسي وعفيفي ، وعلى رأس هؤلاء بطل الوطنية ورمز الاستقلال النحاس باشا الزعيم الأمين!!

هؤلاء جميعا ، ومن خلفهم مجلسا نواب وشـيوخ ، يوقعون على صك العبودية والذل الى الأبد ، فأي نجاح كهذا النجاح ، وأي فوز كهذا الفوز ! !

لقد فتح مايلز لامبسون كما قلت لـكم مصر ثانية من غير تـكاليف .. أستغفر الله بل بتـكاليف تدفعها مصر .

كيف وصلت الأمور الى هذا الحد .. كيف تدهورنا كل هذا التدهور . .

ابحثوا عن سر ذلك في هذه السـنوات الطويلة التي قضاها هؤلاء السـادة بعيداً عن كراسي الحـكم .

ثم ابحثوا عن سر ذلك ؟ تجدونه السبيل الوحيد لاستدامة الحكم فى المستقبل كما خيل لهؤلاء السادة .

بعض نصوص المعاهدة

ليس فى نيتى أن أستعرض معكم نصوص المعاهدة نصاً نصاً . . وأن نناقش ما فيها فإن هذا يكون امتهانا لوطنيتكم وكرامتكم ، هذه الوطنية وتلك الكرامة التى ترى فى وجود جندى أجنبى واحد اهدارا لاستقلال مصر .

ليس فى نيتى أن أوقر أسماعكم بتفاصيل المخازى التى تملأ هذه المعاهدة ولكنى سأعرض عليكم مثلا من أمثلة التضليل التى يراد وقوع الأمة فيها . . سأعرض عليكم مثلا من أمثلة التغرير بهذا الشعب المسكين . يقولون لكم اننا جئناكم بمعاهدة أفضل بمراحل من معاهدة ١٩٣٠ ، ولست أريد أن أستعرض الفروق العديدة بين هذه المعاهدة ومعاهدة آخر الزمن وبين معاهدة سنة ١٩٣٠ ، لست أريد أن أطيل الحديث لأبين أن معاهدة سنة ١٩٣٠ ، لم يكن بها طرق ولا ثكنات ، ولم يكن فيها احتلال الاسكندرية ، ولم يكن فيها احتلال جوى كأشنع احتلال يمكن أن يتصوره العقل ، فكل هذه تفاصيل تستطيعون الوقوف عليها بمجرد القاء نظرة على المعاهدتين ولكن تعالوا أضع أيديكم على نص صغير يختلف فى المعاهدتين ، ومع ذلك يترتب عليه جعل الاحتلال أبديا . فقد جاء فى مفاوضات سنة ١٩٢٠ فى المادة الخاصة بابقاء الجيوش الانجليزية فى مصر ما يأتى :

« بما أن قنال السويس الذى هو جزء لا يتجزأ من مصر هو فى نفس الوقت طريق عالمى للمواصلات كما هو أيضا طريق أساسى للمواصلات بين الأجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية فإلى أن يحين الوقت الذى يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على أن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها بموارده الخاصة أن يصد هجوما على القنال حتى يصل مدد الحليف فان جلالة ملك مصر يرخص لصاحب الجلالة البريطانية بابقاء قوات بريطانية للدفاع عن القنال » .

فبقاء الجيوش البريطانية فى مصر معلق بقدرة الجيش المصرى على صد هجوم مفاجىء على القنال بموارده الخاصة المدة اللازمة لوصول مدد الحليف . . وقد أخبرنى أحد الذين اشتركوا فى هذه المفاوضات أن هذه المدة التى يجب على الجيش المصرى فيها أن يدافع حتى يصل مدد الحليف قدرت بثمانية أيام ، وهو الزمن اللازم لوصول الجنود البريطانية من انجلترا . واذن فقد كان يكفى أن يصبح جيش مصر فى حالة تمكنه من المقاومة لمدة ثمانية أيام حتى يخرج الانجليز من مصر ، أو بمعنى أصح يكفى أن يبلغ الجيش المصرى عشرين ألفاً من الجنود حتى يخرج الانجليز من مصر ، لأنهم لا يضعون لحماية القنال أكثر من عشرة آلاف جندى .

اسمعوا الآن ما هو النص الجديد في معاهدة آخر الزمن :

« بما أن قنال السويس الذي هو جزء لا يتجزأ من مصر هو في نفس الوقت طريق عالمي للمواصلات كما هو أيضا طريق أساسي للمواصلات بين الأجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية ، فإلى أن يحين الوقت الذي يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على أن الجيش المصري أصبح في حالة تستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة على القنال وسلامتها التامة يرخص الخ . . . »

أي أن الجيوش الانجليزية لا تخرج من مصر الا بعد أن يصبح الجيش المصري قادرا على الدفاع عن مصر . والدفاع عن مصر ضد من ؟ . ضد ايطاليا لأنها هي الخطر الملحوظ في الوقت الحاضر ، ولما كان موسوليني قد صرح مرارا وتكرارا أنه يستطيع تجنيد ثمانية ملايين عسكري في ساعتين ، ولما كان يستطيع أن يهاجم مصر بمليون عسكري ، فإن مصر لا يمكنها أن تقف أمام هذه القوة بأقل من مثلها ، أي بمليوني عسكري ولما كان من المستحيل أن تتوفر لمصر هذه القوة في زمن السلم ، فقد أصبح من المستحيل بالتالي خروج الانجليز من مصر .

أنظروا أيها السادة شناعة هذا التغيير ، الذي حسبوا أن الأمة لن تفطن اليه . . . أنظروا كيف تلاعبوا بالنصوص فحولوها من نصوص معقولة الى حد ما ، الى نصوص جائرة تفرض على مصر عبودية أبدية .

مغزى وجود العساكر الانجليزية

يقولون لنا ولماذا تهولون في تفسير بقاء العساكر الانجليزية في مصر ، وهي لم تعد جنود احتلال ، ولكنها جنود دولة حليفة . وهل قال الانجليز في أي يوم من الأيام غير ذلك ، فيا للسخرية ويا للعبث ! !

وإذن علام تبقى انجلترا هذه الجنود وتصرف عليها هذه المبالغ الطائلة ان لم يكن لاذلال مصر واحتلالها ! يقولون ان ذلك للدفاع عن قنال السويس ، ويجدون من المصريين البلاهة الكافية لتصديق ذلك ! اسمحوا لي أن أقول انه من البلاهة أن نصدق ذلك ، وأن يجوز علينا بعد خداع طال خمسين عاما . فإن قنال السويس ان كانت مهددة بهجوم مفاجيء فسيكون ذلك عن طريق ايطاليا أو المانيا أو دولة من هذه الدول العظمى ، وقد رأينا كيف أن أي دولة من هذه الدول تستطيع أن تهاجم مصر بنصف مليون جندي على الأقل . فاذا كان الحال كذلك فهل يستطيع أي فرد فيكم أن يقول لي ماذا تساوي العشرة آلاف جندي انجليزي ازاء هذا الطوفان من الجنود المهاجمة تؤيدها بضعة مئات من الطائرات ؟ . ألا تشعرون معي أن هذه العشرة آلاف جندي ستكون ذبيحة لأول هجوم جدي مفاجيء من هذه الدول القوية ؟ ! . انما يحتاج الدفاع عن قنال السويس في أيام السلم الى مائة ألف جندي . أما اذا قامت الحرب

فلا أقل من مليون عسكري . سيقولون أن انجلترا سترسل هذا المليون اذا ما شبت الحرب أوشمرت بقرب وقوعها . فنقول لهم وما قيمة العشرة آلاف اذن بجانب المليون ما دام لامناص من ارسال هذا العدد الضخم من الجنود ابان الحرب ، وما قيمة هذه العشرة آلاف جندي أيام السلم وهل توجد دولة واحدة فى الدنيا تضع جنوداً على أرض حليفتها أيام السلم ؟

الغرض الحقيقي من وضع الجنود

الحق أنهم لا يبقون هذه الجنود للدفاع عن قنال السويس ، فهى لا تصلح لهذه الغاية ولكنهم يبقونها لغرض آخر تصلح له تماما أتعرفون ما هو ؟ أجل انكم تعرفونه هو احتلال مصر واذلالها ، وفرض ارادة الانجليز عليها ، واظهارها فى مظهر الدولة التابعة الذليلة . . واشعار الدنيا بأسرها أنها مستعمرة انجليزية .

عشرة آلاف جندى لا تصلح الا لشيء واحد ، وهو أن تكون عدة للسفير الانجليزى المثاز يتعد بهـا أمام الحكومة المصرية اذا فكرت فى أن تتجاهل وصاياه وارشاداته .

عشرة آلاف جندي تخيم على بعد ثلاث ساعات من العاصمة ، وأربعمائة طيارة مجهزة أقوى تجهيز يمكنها أن تصل الى أى جزء من أجزاء مصر فى أقل من ساعة ، وهى قادرة على أن تقلب المدائن رأسا على عقب يوم أن تفكر مصر فى أن ترفع رأسها كدولة مستقلة أمام الانجليز .

كارثة الطرق

ان اعوزكم الدليل على ذلك ... فدونكم هذه الطرق التى تشق مصر من مشرقها الى مغربها ومن شمالها الى جنوبها ، هذه الطرق التى جعلت شرطا أساسيا للجلاء عن القاهرة والاسكندرية ، ماذا تعنى وما هى أهميتها للدفاع عن مصر ضد المغير الأجنبي ؟. بل هي على العكس كما يقرر العسكريون سلاح ضد مصر ، وضد الدفاع عنها اذا ما سقطت ثغور مصر ، ووطأت أقدام المغير أرضها . . اذ تنقلب هذه الطرق أكبر مسهل لغزو مصر .

واذن فان انشاء الطرق ضد مصلحة الدفاع عن مصر من غير شك ، ولكنها فى الواقع موجهة ضد مصر ، فقد فكروا فيها لاخماد كل ثورة يمكن أن تشتعل فى أقصى الصعيد . . فهم يريدون أن يسيطروا على مصر بأسرها وهم فى قلاعهم على ضفاف القنال .

ولما كان سلاح الحروب الحديثة هو الطيران ... فليكن الاحتلال أتم وأظهر جويا ، واذن فلتنشىء لهم مصر المطارات فى كل بلد يريدونه ولتخصص لهم الحظائر وليطيروا أنى شاءوا ومتى أرادوا وكما يحلو لهم ..

فائدة انشاء الطرق فى افلاس مصر ! !

على أن بناء الثكنات وانشاء الطرق لاتقف فوائده العظيمة للمحتل عند هذا الحد، كلا، فان له فوائد مزدوجة . . بل فوائد لا تعد ولا تحصى ، ولا يمكن أن تستقصى ، كما يقولون . . اذ ينفع من ناحية أخرى في تدمير الثروة المصرية ، وعرقلة النهوض وعدم امكان أى اصلاح واعداد .

سوف يبنون الثكنات بعشرة ملايين ، وسوف يشقون الطرق بما يزيد على العشرة الملايين ، وسوف ينشئون مطارات للسادة الانجليز تكلفنا بضعة ملايين أخرى . . وسنكلف ببناء ثكنات جديدة للجيش المصري في السودان بعد أن احتلوا ثكناتنا القديمة ، وسوف يكلفنا هذا بضعة ملايين أخرى ، وهذا هو الخراب المالى قبل أن نستفيد أية فائدة من الاستقلال المزعوم . يريد الانجليز أن يعيدوا التاريخ من جديد ، وأن يمثلوا مأساة الدمار المالى مرة أخرى . . وليس فيكم من يجهل ان انجلترا حاولت أن تغزو مصر بالقوة فى سنة ١٨٠٧ فأرسلت حملة الى مصر ، بقيادة فريزر يؤيدها أسطول انجلترا سيد البحار ، فما كان من مصر والمصريين الا أن طردوهم وقذفوا بهم الى البحر . . وفى موقعة رشيد أبادوا الجيش الانجليزى عن بكرة أبيه ، ففر الانجليز مذعورين وأسرعوا الى سفنهم وبلادهم أذل ما يكون المهزومون . .

وكان ذلك درساً قاسياً للانجليز لم ينسوه مدى العمر ، تعلموا منه أن الشعب المصرى لا يؤخذ قسراً . . فشرعوا يحيكون الدسائس للحصول ، عن طريقها ، على ما عجزوا عن الحصول عليه بالقوة فاذا فعلوا . .

لقد وقفوا بالمرصاد لمصر أيام محمد على . لما وجدوا الامبراطورية المصرية قد تكونت . . لما وجدوا مصر قد أصبح لها جيش يزيد على ربع مليون مقاتل ووجدوا لها أسطولا يهز الأساطيل ، عند ما وجدوا مصر المنتصرة تنتقل من فتح الى فتح ومن نصر الى نصر ، أثاروا أوروبا بأسرها علينا ، وعقدوا حلفا لتحطيم مصر فتم لهم ما أرادوا ونجحوا فى سلب مصر حقوقها فى معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠ ، ثم أخذوا بعد ذلك يزينون لاسماعيل باشا وسائل الاسراف ويلوحون له بالقروض تلو القروض . . حتى اذا كبلوا مصر بالديون أخذوا يضغطون عليها فى وحشية لا تمكنها من تنظيم شئونها ، وهكذا ساقوا مصر الى هاوية الافلاس . . وهكذا دخلوا الى مصر فى ظل الافلاس والدسائس .

ويظهر لى أن انجلترا تريد بمعاهدة سنة ١٩٣٦ أن تكرر هذه المأساة بأن تدفع مصر الى صرف ثلاثين مليونا أو يزيد لتنفيذ المعاهدة . ونحن لا نكاد نعرف من أين نحضرها وليس شك فى أن ذلك لا يمكن أن يكون الا رغبة فى افلاس مصر . .

والا فهل يستطيع هؤلاء الوطنيون العظام أن يقولوا لنا من أين سيجيئون بالمال . ؟!

يقولون انهم سيفرضون ضرائب جديدة . . وفضلا عن أن هذه الضرائب ستكون عبئا

جديدا على المصريين فهي لن تزيد قيمتها كما قدروها عن ثلاثة ملايين من الجنيهات على أقصى تقدير.. فماذا تفيد هذه الثلاثة الملايين ؟ وإذا اعترفنا بها لإنشاء الثكنات والطرق فمن أين لنا المال اللازم لتكبير جيشنا وتزويده بالمعدات الحديثة الأمر الذي يحتاج إلى عشرات الملايين .. وإذا فرضنا واستطعنا أن نأخذ نصف الميزانية لهذا الغرض فماذا يكون مصير المشروعات العمرانية التي تحتاجها مصر ، والتي ينبغي القيام بهـا فوراً ، كإصلاح القرية ونشر التعليم وتكوين أسطول جوي وأسطول بحري تجاري .. وحربي؟! سيقولون ان هناك الاحتياطي تؤخذ منه هذه الأموال وكأنهم نسوا أن الاحتياطي لا يكاد يكفي لشيء من هذا كله ومع ذلك فقد أصبح هذا الاحتياطي أساساً من أسس المالية في مصر فأصبح المساس به يعرضها لهزة عنيفة قد لا تسلم منها أبداً .

وإذن فليس أمام الحكومة المصرية الا ما يشيعونه من ضرورة عقد قرض ، أو أن يعد مشروع قنال السويس لخمسين سنة جديدة في مقابل مبلغ من المال . هذا المشروع الذي رفضته مصر منذ سنوات بأباء وشمم. اذ كل من القرض ومد امتياز قنال السويس نكبة لا تعد لها نكبة .

وهكذا ترون أيها السادة أن مصر لا توجد بها الأموال اللازمة لتنفيذ المعاهدة ، وان وجدت بها فان هذا يكون معناه تعطيل باقي مرافق الدولة فلا ينالها الاصلاح . فهل فكر هؤلاء الساسة الكبار ، هل فكر هؤلاء الذين عقدت لهم ألوية النصر في هذه الكارثة المالية التي ستحل بمصر من جراء المعاهدة . .

لقد كانت هناك مشاريع حيوية لكل مصر مثل مشروع اصلاح القرية المصرية ورفاهية الفلاح . فوقف هذا المشروع ، وغيره ، لعدم وجود المال اللازم . وسيظل الفلاحون المصريون يشربون السم الناقع ويعيشون مع البهائم ، سيظل الفلاحون المصريون يكدون ويشقون كيما تبنى ثكنات جيش الاحتلال تزدان بالمسارح والملاهي ، وكل مظاهر الترف والنعيم . !

لقد كنا نفهم أيها السادة أن الانجليز تحتلنا بالقوة رغم أنوفنا ، ولكنا لم نتصور مطلقاً أن ستأتي الساعة التي نبني فيها لجيوش الاحتلال ثكنات وطرقا ، ونحن نعرف أن ذلك يدفع بنا نحو الخراب . . لم نكن نتصور أن هناك مصريا واحداً سيقدم على ذلك في يوم من الأيام أو يوافق عليه .

يقول البعض ان مصر اذا كانت قد خسرت في النقطة العسكرية ، فقد كسبت في نقط أخرى ، ويخيل لهم أنهم ماداموا قد سموا الاحتلال بالنقطة العسكرية فقد جعلوه هينا بسيطا تافها ، كما يبدو من التسمية .. وأعني بها كلمة (النقطة) .

ولكنها نقطة أيها السادة أشبه بهذه التي تقع على العين فتحيل نورها ظلاما . . أو هي نقطة كتلك التي تقع على الانسان فتسرع به الى القبر .

النقطة العسكرية هي كل القضية المصرية ولا يوجد بين مصر وانجلترا سوى هذه النقطة لأنها الاحتلال ، الذي عملت له انجلترا دائما أبداً . فهذه المعاهدة تمكن انجلترا

من أن تظل محتلة مصر احتلالا أبديا ، وهى بعد ذلك ترعى مصالح انجلترا الاقتصادية ، وماذا يريد الانجليز أكثر من ذلك ؟ وما الذى نكون قد ظفرنا به . بعد ذلك ؟ يقولون لنا ظفرنا بالسودان ، فلنر ماذا فعلوا بالسودان .

السودان

أجل من حقنا أن نتساءل بعد ذلك كله ، وماذا فعلت المعاهدة بالسودان ، ماذا فعلت بقلب مصر النابض وينبوع حياتها . ماذا فعلت بالسودان الذى فتحناه بدمائنا وأموالنا ، والذى يسكنه شعب هو من أفراد شعبنا يدين بديننا ، ويتحدث بلغتنا ، ويحس باحساساتنا ؟ ماذا فعلوا بالسودان الذى تدخل الانجليز فى أدارته ممتنا بمعاهدتى سنة ١٨٩٩ ، فاعتبرنا ذلك اجراما ما بعده اجرام . ولم يوجد وزير واحد بعد ابرام هاتين المعاهدتين رضى أن يعترف بهما أو يرضى عنهما .

يقول النحاس باشا فى كتابه الأخضر عن مفاوضات سنة ١٩٣٠ والذى أصدره فى هذه الأيام فى صفحة ٣٣ ، للمستر هندرسون فى صدد الحديث عن السودان :

« ان كل ما نريده هو عدم الاشارة الى معاهدتى سنة ١٨٩٩ لأنهما ممقوتتان فى مصر كل المقت . »

هذا هو موقف مصر من السودان ، وهذا هو موقف النحاس باشا نفسه من السودان فهو لا يرضى عن الاشارة الى معاهدتى سنة ١٨٩٩ ، لأنهما ممقوتتان كل المقت فى مصر .

فاذا فعلت معاهدة آخر الزمن بالسودان؟ أتعرفون ماذا فعلت .. لقد جعلت اتفاقيق سنة ١٨٩٩ مثلا أعلى وحلما من الأحلام ، وفرضت علينا أن نحترم الأمر الواقع .. والأمر الواقع هو أن السودان من ممتلكات انجلترا يديره موظف انجليزى هو حاكم السودان . على أن معاهدة آخر الزمن كى تسخر منا سمحت أن يكون سكرتير هذا الحاكم مصريا ، وأن يسمح لمفتش الرى بحضور مجلس الحاكم حينما يعرض على المجلس مسألة تخص الرى . .

الله .. الله .. وهذا هو كل مالنا فى السودان .

« وقالوا لنا سيعود الجيش المصرى الى السودان ، ولكن هل تعرفون سيعود على أى شكل ؟ سيعود على اعتباره فرقة فى الجيش الانجليزى تخضع لحاكم السودان . وان كنتم تعجبون لشىء فاعجبوا لهذه الأمة التى ترسل أبناءها ليكونوا تحت امرة رجل أجنبى يتصرف فيهم كما يريد وكما يحلو له . . واعادة انجلترا الجيش المصرى الى السودان كيما يرابط على الحدود الحبشية فاذا بدأ الطليان فى الاغارة على السودان كان أبناء مصرهم أول من يتلقون الصدمة . وأول من يموتون دفاعا عن السودان ، اذا فكر الايطاليون فى الاغارة عليه .

هذا هو سر ارسال الجيش بهذه الطريقة العجيبة التي لم نسمع بها من قبل ، وأعني بها وضع الجيش المصري تحت امرة موظف انجليزي — ولقد أرادوا بهذا أن يقطعوا كل صلة بين جيش مصر في السودان وبين وزير الحربية ، وهكذا يستطيع حاكم السودان اذا لزم الأمر أن يأمر جيش مصر بالعدوان على السودان ، أو المصريين أنفسهم ، فان فكروا في الاحتجاج أو الامتناع كانوا عصاة متمردين يرمون بالرصاص .

فاضحكوا ، اضحكوا أيها المصريون على مامنحتموه في السودان بل اضحكوا أكثر، فان المهزلة لم تتم فصولا ! فقد سمح لكم أن تهاجروا وأن تتملكوا في السودان مثل الانجليز سواء بسواء . الله أكبر ! أيها المصريون .. يجب أن تطربوا لأنه قد سمح لكم بأن تتملكوا في السودان مثل الانجليز .

أيها السادة .. ان الألم يحز في نفسي حزاً فلا أستطيع مواصلة الكلام في موضوع السودان ، فان الخطب أجل من أن يوصف أو يتحدث عنه . لقد أصبح المصريون خداما للانجليز في السودان ، وأصبح السودان بموجب هذه المعاهدة ملكا للانجليز ، فلا حول ولا قوة الا بالله ! !

الامتيازات

أما عن الامتيازات فيقولون سامحهم الله : ان مصر قد كسبت فيها كسباً كبيراً ولكن أرجو أن تسمحوا لي أن أقول لكم ان هؤلاء الذين يظنون هذا الظن لايمكن الا أن يكونوا ضعفاء الثقة بأنفسهم وبيلادهم . . ومن هنا هم يرون أن تعديل ماتحن فيه من ذل كسب عظيم ماعده كسب . . هؤلاء الذين يخيل لهم أن هذه المعاهدة قد فعلت شيئا في مسألة الامتيازات هم هؤلاء الذين ينظرون الى الاجانب نظرة الوضيع للرفيع ، والصغير للعظيم . . والا فأي انسان مكتمل الوطنية والايمان بوطنه يرضى أن يكون الأجنبي في بلاده أرفع منه درجات ، أي مصري يعرف قدر نفسه يرضى أن يكون للأجانب محاكم مختلطة الى أجل غير مسمى .. وكيف نرضى أن نساوم الدول وأن نرجوها أن تتنازل عن بعض امتيازاتها فتحولها الى المحاكم المختلطة . هذه المحاكم التي رأيتم كيف أنها تمتهن لغتنا وتمتهن كرامتنا ، فضلا عن أنها محاكم أجنبية تعمل لصالح الأجنبي ، من الذي يرضى بهذا الحل في الامتيازات الا المستضعفين والذين لا يعرفون لوطنهم ماينبغي له من احترام وتقدير .

يقولون ان هذه المعاهدة هي معاهدة الشرف والاستقلال ، فلما قلنا لهم وكيف توفقون بين الاستقلال وجيش الاحتلال ، قالوا لنا : ان هذه جيوش دولة حليفة !!

فلنسائلهم هذه المرة وكيف توفقون بين الاستقلال ، وبين وجود محاكم مختلطة، نسائلهم أرونا دولة واحدة في الدنيا بأسرها توجد فيها محاكم يجلس فيها قضاة أجانب ليحكموا على الوطنيين الا في مصر ، بلد العجائب . كنا نتوقع أيها السادة الغاء هذه

المحاكم ، والغاء الامتيازات الأجنبية ، منذ أمد بعيد فاذا بهذه المعاهدة توطد أركان المحاكم المختلطة الى مدة من الزمن معقولة غير محدودة ، وأرجو أن تضحكوا معي من هذه التعبيرات التي لايمكنكم أن تعثروا عليها في أي معاهدة من معاهـــدات العالم .
ولـكنكم تجدونها في معاهـــدة آخر الزمن لأنها معاهدة الشرف والاستقلال . مدة معقولة غير محدودة ، وكم تساوي معقولة هذه من الزمن ، من الذي يحدد هذه المعقولية .
من الذي قال لهم ان مصر ترضى أن تحيي في ظل المحاكم المختلطة سنة واحدة ، بل يوما واحداً ، تصوروا أيها السادة أن الأجانب في كل بلاد العالم يتمتعون بحقوق أقل مما يتمتع بها أصحاب البلد الأصليين . . أما في مصر فان وثيقة شرفها واستقلالها تسجل عليها أن يبقى المصريون أذلة بالقياس الى الأجانب . .

ان الامتيازات يجب أن تلغى بجرة قلم ، وحالا . والمحاكم المختلطة يجب أن تلغى بجرة قلم ، وحالا . فاذا كانت معاهدة آخر الزمن تبقي على الامتيازات والمحاكم المختلطة فما ذلك الا لأنها تريد أن تظل مصر ناقصة السيادة ، وأن يظل العالم ينظر الى مصر نظرته الى دولة غير متحضرة ، تعيش في ظل الانجليز والأجانب .

ملخص .

واذن فان هذه المعاهدة أيها السادة تسجل الاحتلال وتجعله مشروعاً بعد أن كان غصباً ، ونحن مضطرون نتيجة لهـــذا التخول أن ندفع تـكاليف الاحتلال ونفقاته ، ونثبت دعائمه بانشاء الطرق والثكنات والمطارات . وهذه المعاهدة قد حولت السودان الى مستعمرة انجليزية ، وأضـاعت علينا حقنا في الغاء الامتيازات بجرة قلم . واذن فـكل دفاع عن المعاهدة وكل ادعاء بأنها حققت لمصر استقلالها ، وأنها معاهدة الشرف ، هو ادعاء باطل لا أساس له .. وعلى هؤلاء الذين توجوا جهادهم بهذه المعاهدة المشوهة أن يعتزلوا السياسة ، وأن يقبعوا في عقر دارهم . لقد طال مانادوا في هذه الأمة أنهم سيحصلون لها على استقلالها التام أو الموت الزؤام . لقد طال ماقالوا للأمة الاستقلال التام لمصر والسودان ، ولم تتردد الأمة تبعاً لذلك أن تمنحهم ثقتها التي لاحـــد لها وها هي جهودهم تتمخض عن هذه المعاهدة .

واذن فليفسحوا الطريق للشباب . وليفسحوا الطريق للجهود الجديدة ، والـكفاح الجـديد . أما اذا حاولوا أن يعترضوا طريقنا وأن يخفتوا أصواتنا ، وأن يصادروا جهودنا ، فان جنايتهم على الامة تـكون جناية مضاعفة . وعندها فسنقاومهم بكل مالدينا من وسائل ، وسوف ننتصر عليهم من غير شـك باذن الله .

معاهدة باطلة

أما موقفنا الآن بالنسبة للمعاهدة فهو انا لانعـــترف بصحتها أو مشروعيتها ، فهي معاهدة باطلة ، سواء قبلها البرلمان أو لم يقبلها . . فان قبول البرلمان لمثل هذه المعاهدة

لا يقدم ولا يؤخر ، ولا يمكن أن يؤثر على سيادة الأمة بأى حال من الأحوال ، فان مجلس النواب لايجوز له أن يتنازل عن أى حق من حقوق مصر ، ولا أن يبرم اتفاقات من شأنها المساس لسيادة مصر . فما بالكم وهـذه المعاهدة تتنازل عن مصر بأسرها للانجليز ، وتحطم سيادة مصر الى الأبد . . فاذا وافق البرلمان على هذه المعاهدة فهى موافقة من لايملك هذا الحق ، وهى موافقة لاتقيد الا أشخاص الوزراء والنواب ، أما باقى الأمة فسوف تعرف كيف تتحرر من هذه المعاهدة وتمزقها .

نحن والسير مايلز لامبسون

ويحضرنى الآن موقف كان بينى وبين السير مايلز لامبسون بمناسبة المفاوضات التى تمخضت عن هـذه المعاهدة ، ولاشك أنكم تذكرون أن المحادثات كانت قد طالت واستغرقت عـدة أشهر ، وأخذ مايتسرب عنها من الأنبـاء لايدل الا على أنها ستصل الى هذه النتيجة السيئة التى وصلت اليها . فبـادرت بارسال خطاب الى السير مايلز لامبسون احذره فيه من ضرر المراوغة ، وألفت نظره الى أن الشيوخ أصبحوا لا يمثلون روح الأمة تمثيلا حقيقياً ، وأن الجيـل الجديد أصبح لا يرضى بأقل من الاستقلال التام لمصر والسودان ، وأن أى اتفاق لا يحقق هذه الآمال فهو اتفاق يرفضه الشباب وترفضه الأمة . . . وأنه ليس يكفى أن يوقع دولة النحاس باشا ومن معه هذه المعاهدة كيما ترضى الأمة بأسرها ، ذلك أن النحاس باشا ومن معه لا يستمد قوته الا بمقدار ما يترجم عن ارادة مصر القوية الشابة المتجددة ، فاذا فشل النحاس باشا فى ترجمة هذه الارادة فان المعاهدة التى سيوقعونها لا تقيد أحدا فى مصر ، الا هؤلاء الذين وقعوها ، أما من عداهم فانهم براء من هذه المعاهدة .

وقد غضب السير مايلز لامبسون غضبا شـديدا ، أو غضبت معه كل دار المندوب السامى ، كيف يجرؤ احمد حسين على أن يرسل هـذا الخطاب . فأوفدوا المستر مارت لمقابلة دولة على باشا ماهر ، بالرغم من ان جلالة الملك فؤاد كان قد توفى يومها المرحمة الله ، فى هذا اليوم العصيب ذهب المستر صمارت ليلفت نظر دولة ماهر باشا لهذا الخطاب ويطلبه بعدم رضاء الدار . .

ولـكن دولة ماهر باشا فضلا عن انه كان مشغولا بالحوادث الجسام ، والتى كانت حاسمة فى تاريخ مصر ، ما كان يمكنه وهو الذى عرف بالوطنية والنزاهة أن يؤثر على تصرفات مصر الفتاة بأى شكل من الأشكال ..

ثم انتهت مدة الوزارة الماهرية بعد أيام قليـلة من هذه الشكوى ، وجاءت الوزارة الوفدية وبدأت معها اضطهادات مصر الفتاة ، التى أريد بها اخماد انفاسها عقابا لها على هذا الخطاب .

ولـكن السير مايلز لامبسون لو كان ممن يحبون الصراحة لوجب أن يطرب لهـذا الخطاب ، فها هو دولة النحاس باشا ومعه كل رؤساء الاحزاب قد وقعوا على معاهدة آخر الزمن ، فاذا بها معاهدة لا ترضى مصر الهرمة فضلا عن مصر الفتاة .

واليوم أروني مصريا واحدا يعرف تفاصيل هذه المعاهدة ورضى بهـا ، أجل انـكم تسمعون تصفيقا ، وتسمعون سفسطة من بعض الأشخاص ، ولـكنى أقسم لـكم أن كل مصري سليم يدافع عن المعاهدة فهو لم يطالع نصوصها ، ولم يقف على محتوياتها ، والا فانه يوم يفعل ذلك لا يستطيع أن يتمالك نفسه من الغضب والحنق على المعاهدة . فالذين يروجون المعاهدة انما يستغلون جهل الجمهور وسذاجته ولـكن بقي أن نتساءل الى كم من الزمن يمكن أن يستمر هذا التمويه وهـذا الاستغلال ؟!. أجل قد يستمر شهرا وقد يستمر شهرين ، وقد يستمر أكثر من ذلك ، ولـكن غداً عند ما يرى أحوالهم تنتقل من سيء الى اسوأ ، عند ما يقولون لهم سنشرع في تنفيذ المعاهدة فلا يرون بعدها الا ثكنات تبنى ، وطرقا تشق وملايين من الجنيهات تصرف لتوطيد دعائم الاحتلال ، فهلا تظنوا أن المصريين سيبقون بعد ذلك يطربون للمعاهدة أيضاً ... أؤكد لـكم أن هذا لن يكون ...

واذن فسوف تفتح الأمة أعينها عما قريب وعندها يعلم كل مصرى أننـا لم نكن نتجنى عليه يوم أن أظهرناه على ما فى هذه المعـاهدة من نكبات . . . عندما تعرف انجلترا أننا لم نتجن عليها يوم ان أنذرناها بأن كل معاهدة لا تحقق أماني الأمة كاملة فهى لا تساوى الحبر أوالورق الذى كتبت عليه ، لأن الانجليز اذا كانوا قد خيل اليهم أنهم قد فرغوا من المسألة المصرية بتوقيع المعاهدة ، فسيرون انهم جد خاطئين ، وان المسألة المصرية سوف تصبح أشد قوة مما كانت قبل المعاهدة .

وسوف يغضب الانجليز علينا عند ما يسمعون بنبـأ اجتماعنـا هذا ، وما قيل فيه ولـكنهم لو أرادوا مجابهة الحقـائق لوجب عليهم أن يشكرونا لانا ندلهم على الحقائق التى لا يمكن اخفاؤها ، فهذه المعاهدة سواء وقعها البرلمان أو لم يوقعها فهي معاهدة باطلة .. لأنها تسلب سيادة مصر ، وتفرض عليها احتلالا .. والقانون الدولى لا يعترف بهذه المعاهدة التى تمس سيادة الأمم . لانها تكون قد تمت تحت الاكراه أو الغش ، وكلا الأمرين مفسد للرضـــا ، وبالتالى لصحة العقود.

الطريق الصحيح للاستقلال

واذن أيها السـادة فعلينا أن نبدأ أنفسنا للطريق الصحيح للاستـقلال ، والطريق الصحيح للاستقلال هو أن يصبح الشعب قويا ، وهذا هو ما نادت به مصر الفتاة منذ اللحظة الأولى . لقد نادينا دائما أبدا أن الحياة ارث القوى ، وأن المسـتقبل للشعب الظافر ، وأن لاحياة للضعيف . فلا المعاهدات ولا القوانين بكافية لحماية الضعيف ، ومن كان يعوزه الدليـل فهذه هي الحبشة وقضيتها لا تزال ماثلة في الأذهان ، لم يغنها تأييد العالم بأسره أمام القوة ، فعلى هؤلاء الذين يخيل لهم أن الاسـتقلال يمـكن أن يـكون

نتيجة للمفاوضات وأن يتم عن طريق المعاهدات ، على هذا النفر من المصريين أن يفسحوا الطريق لمن هم أكثر علماً بحقائق الأشياء منهم ، ومن هم أكثر استعداداً للكفاح منهم . .

لا كرامة لنا الا اذا كانت لنا عدة ، وكانت لنا قوة ، وهذه العدة نستطيع أن نخلقها رغم أنف الغاصب ، اذا ما نظم الشباب صفوفه تنظيماً عسكرياً ، وأخذ نفسه على الخشونة والتقشف والرجولة .

وهذا هو برنامج مصر الفتــاة فنحن الذين نعمل لنشر الروح العسكرية ولمحاربة الضعف والتخنث والخور . . نحن الذين نعمل لتنظيم الشباب في جماعات شبه عسكرية ، يربطها رباط المبدأ والعقيدة ، وكيف تحتمل في سبيل مثلها الأعلى كل تضحية وعناء . .

نحن الذين نادينا وعملنا لجعل الشباب قوى الجسد عن طريق الرياضة والعسكرية . . وقوي الروح عن طريق التطهر والتدين . . نادينا بذلك وعملنا له فابتكرنا القميص الأخضر ليكون شعاراً للجد والجهاد . .

ابتكرنا القميص الأخضر ، أو ألهمنا الله اياه لتتمثل فيه كل آمال الأمة وكرامتها ، كل عزها ومجدها . . فطلعوا علينا بالقميص الأزرق ، الذي تحول سريعا ليكون أداة من أدوات الطغيان والارهاب . .

وهكذا انحرفوا بالفكرة . فبعد أن كان التنظيم موجهــا لتحرير مصر ، ولخدمة قضيتها ، أصبح موجهاً للاعتداء على المصريين وارهابهم . . . وبعد أن كان الأصل في المجاهد ، أن يكون مثلا أعلى للاخلاق والرجولة والتفاني في خدمة أبنــاء وطنه ، أصبح عكس ذلك . . وهذا ما يجعلنا أشد حرصا على أداء رسالتنا والتمسك بقميصنا . . هذا ما يجعلنا أشد ايمانا بأن النصر لنا في نهاية الأمر . . وليست تخيفنا هذه الجموع الزرقاء فهي جموع تعيش الآن في كنف الحكومة ورعايتها ، وقد أصبحت ملجأً لكل غير ذي حرفة ، ولكل من يرغب في الاختفاء عن عين البوليس . .

ليست تخيفنا هذه الجموع الزرقاء ، فانها سريعة الزوال ، فلا مبدأ لها ولا عقيدة ولا رســالة ، فهي اذا ما قورنت بالقميص الاخضر فانها تكون أشــبه شيء بمعاهدة آخر الزمن ، اذا ما قورنت بالاستقلال الصحيح . .

أن طريقي في الكفاح أيها السادة ، أن أعطي خصومي دائما فرصة ليثبتوا فيها جدارتهم ولذلك فقد أعطيت الوفد والحكومة فرصة طويلة للقيام بأعباء الأقمصة الزرقاء ، فاذا بهم قد انتهوا الى هذه النتيجة التي بينتها لكم والتي يعرفهــا كل مصري ، وهي أن الأقمصة الزرقاء قد أصبحت عبئا على الناس وعبئا على النظام وعبئا على القانون ، واذن فقد أصبح وجود الأقمصة الخضراء وانتشارها أكثر لزوما من ذي قبل ، حتى لا تشوه الفكرة ، وحتى يوجد التوازن بين هذه القوى التي لا ضابط لها ، وقوة أخرى لها ألف ضابط وضابط . . ضابط من العقيدة . . وضابط من الثقافة . . وضابط من شرف الغاية . . وضابط من الدين . .

سوف نشرع في تنظيم صفوف الأقصة الخضراء ، بعد اذ فشلت الأقمصة الزرقاء . .
وسوف تقاومنا الحكومة ، ولن نجد المال الذي يتوفر لدى الحكومة ، ولن نجد البوليس وكل موظفي الدولة في خدمتنا ، ولكننا مع ذلك سنقوى وننتصر ، لأن سيدنا هو الله ، ومن كان الله سيده فلا لعبد لا يرهبه .

وسوف ترون غداً أيها السادة عندما تستيقظ الأمة وتنتصر مصر الفتاة ، سوف ترون كيف نحصل على الاستقلال الصحيح لمصر والسودان ، كيف نؤلف الحلف العربي ونتزعم الاسلام . .

سترون كيف نرتقي بالأخلاق ، ونعيد للدين قدسيته ، لأن محور جهادنا هو الدين . انا من المؤمنين بأن من ينصر الله ينصره ، ومن يخذل الله يخذله .. وان ما نعيش فيه من ذل ، انما هو لتركنا الله والدين ، فقد قال الله وهو أصدق القائلين : « ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

سوف ترون أيها السادة عندما تنتصر مبادىء مصر الفتاة مبادىء الفضيلة والوطنية ، كيف تنتشر العدالة الحقيقية والحرية والمساواة .

سترون كيف ينتشر الرضا فلا يصبح هناك عامل متعطل ولا فقير واحد .

سترون كيف يقضى على المحسوبية ، والرشوة والوســاطة ، وكيف لا يلي المناصب الا الاكفاء .

سترون كيف يصبح الفلاح عاملا منتجا ، يعيش كما يعيش الناس . وفي كلمة أيها السادة عندما تنتصر مصر الفتاة سترون مصر جديدة تهز العالمين وتقود الدنيا الى عصر جديد من النور والسلام تحت لواء الاسلام . .

والى أن يتم ذلك فاني أدعو طبقات الشعب جميعا أن يؤمنوا بوطنهم وأن يثقوا بأنفسهم أدعوكم جميعا الى تشجيع كل ماهو مصري فقط ومقاطعــة كل ماهو أجنبي .. أدعوكم الى طعام بلادكم وملابس بلادكم ، اعتزوا بمصريتكم واحتقروا كل ماهو أجنبي وطهروا أنفسكم من الأرجاس ، وحاربوا الشهوات .

وهذا ، وبهذا فقط سوف نسرع نحو غايتنا ، وسوف نحقق رسالتنا . . هــذه هي مصر الفتاة أيها السادة لاعدة لها الا الله سبحانه وتعالى ، فهو رأس مالنــــا ، وهو سلاحنا ، وهو كل شيء بالنسبة لنا ومن أجل هذا فمن أجل هذا فنحن لانهاب ولانخاف ، يقولون أن طريقنا طويل وانه مليء بالصعاب ولكن مانسعى لبلوغه جدير بكل ثمن وجدير بكل تضحية ، انى أعلن هنا بأعلى صوت أن مصر الفتاة تنتقل من نصر الى نصر ولن يوهنها بطش حكومة ولا تعسف المتعسفين ، ان روحنا تسرى في كل مكان ، وسوف تنتصر بأذن الله ، وعندها يفرح المخلصون . .

والله أكبر . . .

وبعـــد . . .

وبعد : فقد رأيت أن أقف عند هذا القدر من تاريخ كفاح مصر الفتاة تاركا بقية الكتاب إلى أجزاء أخرى تصدر فيما بعد ، فلا نزال أمامنا عشر سنوات من الكفاح المتصل الشاق المليء بكل صنوف التضحيات والمعارك الرهيبة بين الحق والباطل ، كم من محنة تعرضت لها مصر الفتاة ، كم من الاتهامات الخطيرة التي أريد بها العصف بمصر الفتاة قد وجهت إليها ، ثم لم تلبث أن ارتدت مهزومة مدحورة ، كم من مرة فتحت أبواب السجون وفتلت أحبال المشانق للقضاء علي، وعلى جهادي ، ولكن الله الذي يعرف ما في قلبي من إخلاص وصدق إيماني من ذلك كله ، وأخرجني من كل ضيق ومن كل مأزق ، رافع الرأس موفور الكرامة لأواصل كفاحي ضد الغاصب الأجنبي .

وكانت أول محنة وأكبر محنة صادفتها في هذه الفترة ، عندما أطلق عز الدين عبد القادر الرصاص على رفعة النحاس باشا في نوفمبر سنة ١٩٣٧ ، فقد كان هذا الحادث سبيلا لاضطهاد مصر الفتاة اضطهادا بالجملة لا مثيل له من قبل ، فزج بكل من تسامع البوليس عن انتمائه إلى مصر الفتاة في السجن من الاسكندرية حتى أسوان . فغصت السجون بأعضاء مصر الفتاة، وسارت المظاهرات في الشوارع تهتف بسقوط مصر الفتاة ، وبوجوب القضاء عليها، وشنق المجرمين ، وكنا نقيم في «الزنازين» التي لم تكن تفتح علينا إلا بضع دقائق في كل نهـار ، ولقد كانت ملحمة من أكبر الملاحم ، لم يكن لي سلاح فيها إلا الصوم والصلاة والابتهال إلى الله بالليل والنهار ، فلم تلبث حكومة النحاس باشا أن أقيلت ، ولم تلبث أبواب السجون أن فتحت لنا ، ولم يلبث التحقيق النزيه أن أسفر عن براءتنا الناصعة ، وعادت مصر الفتاة إلى الحياة والحركة، أكثر نشاطا وأوفر عدة وعددا، مما كانت في أي يوم من الأيام .

على أن الاصطدام بين مصر الفتاة وبين الحكومة الجديدة ، حكومة محمد باشا محمود ، لم يلبث أن تجدد بالرغم من الصداقة التي كانت تربطنا بمحمد باشا محمود ، فقد أصدرت الحكومة قانوناً بحظر ارتداء الأقمصة الملونة فترتب على ذلك حل الأقمصة الخضراء، التي كان يتمثل فيها كل روعة مصر الفتاة وجهادها وإيمانها وتضحياتها .

ورفض محمد باشا محمود أن يجرى تعديلا فى قانون الانتخاب بحيث نستطيع أن نتقدم للانتخابات بالرغم من أن سننا لم يبلغ الثلاثين ، وهو النصاب الذى يشترطه القانون الحالى ، وبذلك حرمنا جميعا من الاشتراك فى هذه المعركة الانتخابية على الرغم من أننا كنا العنصر الحى الفعال في السياسة المصرية . على أن ذلك كله لم يكن هو الذى باعد بيننا وبين وزارة محمد باشا محمود ، بل لقد باعد بيننا وبينه أنه لم ينفذ حرفاً واحداً مما كان يدعو إليه وهو فى المعارضة وماحاربنا الوفد من أجله ، فلم يكن باستطاعتنا أن نجاريه أو نؤيده لشخصه ، ولعل القارىء لهذا الكتاب قد أدرك أنه لم يكن بيننا وبين الوفد خصومة شخصية ، وإنما كان خلافنا على المبادىء ، وهذا الخلاف نفسه هو الذى وقع بيننا وبين محمد باشا محمود ، فبينما كنا نريد إصلاحا عاجلا وسريعاً يقلب البلاد رأساً على عقب ، كان محمد باشا محمود ككل رجال الجيل القديم، لا يبذل جهداً في سبيل هذا الاصلاح .

وسافرت إلى أوربا مرة ثانية ، وزرت هذه المرة ايطاليا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا وانجلترا ، وقمت في هذه الأخيرة بدعاية واسعة النطاق لتعديل المعاهدة ، وقد نجحت في رحلتي هذه بأضعاف أضعاف ما نجحت فى رحلتى الأولى ، ولقد تعدلت نصوص المعاهدة الخاصة بموضوع الثكنات ومقدار النفقات التي يتحملها كل من الجانبين ، وقد كان التعديل الذى تم على يد محمد باشا محمود تافها ولاخطورة فيه ، ولكن أهمية التعديل كانت من حيث المبدأ ، فقد كانوا يقولون إن هذه المعاهدة لا يمكن أن

تتغير أو يتبدل حرف منهـا قبل عشرين سنة ، ولكننا استطعنا بكفاحنا وجهادنا أن نحمل الحكومة على المطالبة بتعديل هذه المعاهدة بعد عام واحد من توقيعها ، فهدمنا بذلك قدسيتها والخرافة القائلة بأنها نهائية ، وأنها كاملة.

وفي إيطاليـا نظم لى برنامج استقبال حافل ، وكذلك فى المانيـا وتشيكوسلوفاكيا . وعدت إلى مصر ، فأقيمت احتفالات ضخمة ألقيت فيها خطبا عن مشاهداتى ومجهوداتى فى أوربا ، وبدأت أضغط فى خطبى ودعاياتى الى وجوب إنصاف العامل والفلاح ورفع مستوى معيشتهما ، بما يتفق مع ما وصل اليه العالم من تطور .

وكان محمد باشا محمود قد أدخل السعديين فى وزارته ، وكان النقراشى باشا وزير الداخلية ، والنقراشى باشا رجل يحقد على مصر الفتاة حقدا عجيبا لاتفسير له إلا أن تكون نفس ذلك الرجل تنطوى على نفسية معينة . وقد كان صراع وكان صـدام عنيف بيننا وبين النقراشى ، وقبض على عشرات من أعضاء الحزب، وعلى رأسهم الدكتور مصطفى الوكيل، بتهمة محاولة اغتياله ، ولكن النيـابة لم تلبث أن أطلقت سراحهم ، وفى هذه الفترة زرت السودان لأول مرة ، فكانت رحلة موفقة كل التوفيق تركت أثرها العميق فى نفسى ونفس السودانيين ، وعدت من السودان لأرى النقراشى باشا وقد أعد لنا سلسلة من المحاكمات الخطيرة ، وعلى رأسها الاتهام بمحاولة قلب نظـام الحكم بالقوة ، وكان الحزب فى ذلك الوقت يدعو لعقد مؤتمر عظيم كأعظم ماشهدت هذه البلاد من مؤتمرات سياسية، فقد دعى اليه خمسون الفا ، وانفقت مبالغ ضخمة على الاستعداد لعقده ، ولكن النقراشى باشا الذي كان قد وافق على عقده أولا ، عاد فسحب موافقته ومنع الاجتماع، وزج بنا فى السجون من جديد بدلا من ذلك ...

وفى هذا الوقت قام أعضاء مصر الفتاة فى جميع أنحاء مصر بحركات ضد الحانات والخمور، نزولا عند حد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فحطمت بعض حانات للخمر فى القاهرة والأسكندرية وبنى سويف وبور

سعيد وقنا والزقازيق وغيرها ، ولقد حملت مسئولية هذه الحركة فيا حملت ولا تزال القضية الخاصة بها معلقة حتى الآن لم يفصل فيها ، أما سائر القضايا الأخرى فقد صدر عنها عفو ملكى عندما سقط هذا العهد وجاء الوفديون من جديد الى الحكم .

وعلى ذكر الوفد ، فقد كان خروجه من الحكم وعودته الى صفوف المعارضة فرصة لكى تتقارب وجهة نظرنا من جديد ، فقد قدر فى مصر الفتاة أنها قوة فتية تضم صفوف الشبان ، فليس من الخير معاداتها وخصومتها فى غير داع أو موجب ، وقد كان لذلك التحول أكبر الأثر فى تطور العلاقات بين مصر الفتاة والوفد، إلى أن جاء الوقت الذى أصبحت فيه مصر الفتاة فى شبه تحالف مع الوفد .

وقد كان من أبرز الأعمال التى تمت فى هذه الفترة السابقة على قيام الحرب ، تلك الرسالة التى بعثت بها الى الهر هتلر زعيم ألمانيا أدعوه فيها الى اعتناق الاسلام، كوسيلة محققة لانقاذ ألمانيا مما توشك أن تتردى فيه ، ولقد رحت فى هذه الرسالة أحلل سياسة ألمانيا وسياسة هتلر ، وأظهرت ما تنطوى عليه هذه السياسة من اخطاء فاحشة من شأنها أن تؤدى إلى انهيار ألمانيا ودمارها ،ولقد كان هذا الكلام يبدو فى ذلك الوقت لونا من ألوان الجنون والخيال ، فقد كانت المانيا فى أوج قوتها وعظمتها ، وكان نجاح هتلر فوق كل شك وريبة ، واتخذ الكثيرون من هذه الرسالة فرصة للتندر والتنديد بأفكار مصر الفتاة ، ومع ذلك فقد جاء الوقت الذى تحقق فيه حكم ما جاء فى هذه الرسالة بالحرف الواحد حتى لكأنها نبوءة صادقة ، وسوف يتسع الجزء الثانى من هذا الكتاب ليفصل ذلك كله .

وقامت الحرب ، ورحنا نعد أنفسنا لأخذ نصيبنا منها، وسقطت فرنسا وأوشكت انجلترا على السقوط فأعددنا أنفسنا للاستفادة من هذه الفرصة ، واتهمتنا من جديد بالثورة والاعداد لها ، وكانت أول جناية عسكرية من نصيب مصر الفتاة ، حيث اتهم الأستاذ توفيق الملط باحراز ديناميت لأغراض ثورية .

وأوفدنا الدكتور مصطفى الوكيل إلى العراق فلم تلبث حركة العراق أن بدأت فاشترك فيها نائبا عن مصر الفتاة ، وتطوع في الجيش العراقي وساهم بماله ونفسه من أجل إحراز النصر على الانجليز ، ولكن الثورة لم تلبث أن أحبطت واضطر رشيد عالي الكيلاني والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين إلى الفرار من العراق ، فسافر معهما الدكتور مصطفى الوكيل وظل ينتقل معهما من قطر إلى قطر ، والانجليز تلاحقهم باحتلال هذه الأقطار حتى استقر بهم الحال في برلين .. وفي برلين استشهد الدكتور مصطفى الوكيل حاملا لواء المثل الأعلى في مصر الفتاة ، استشهد الدكتور القديس لأنه أبى أن يفر من برلين ، وإلا أن يظل على رأس ذلك المعهد الأسلامي الذي أنشيء هناك وكان استاذا فيه .

أما نحن في مصر ، فقد زج بنا جميعا إلى المعتقلات ، حيث أمضينا في الاعتقال نيفا وثلاث سنوات ، وخرجنا من الاعتقال قبيل نهاية الحرب لكي نستأنف كفاحنا من جديد . ومرة أخرى تجدد الاضطهاد وتجددت حرب الانجليز وحكومة السعديين لنا ، التي وليت الحكم بعد سقوط وزارة النحاس باشا الرابعة ، وقد جرت في هـــذه الفترة انتخابات عامة رشحنا لها ، وكدنا ننجح في كثير من الدوائر . بل لقد نجحت بالفعل في دائرتي « محــكمة السيدة » ولكني أقصيت عن النجاح قوة واقتدارا . ولم يلبث القدر أن انتقم لنا فاغتيل احمد ماهر وخر صريعا في دار البرلمان ، وتألفت وزارة النقراشي الذي كان أول أعمالها هو حرب مصر الفتاة والقضاء عليها ، ولقد زج بي في السجن أربعة أشهر كاملة بتهمة الاشتراك في مقتل احمد ماهر ، ولكن التهمة كانت كاذبة ، وخرجت منها بريئا ، واستأنفنا الحرب مع النقراشي باشا ، وفي هذه المرة شاطرتنا الأمة كلها هذه الحرب ، فلم يلبث أن سقط ، وتألفت وزارة صدقي باشـا التي جاءت لتحقيق مطالب البلاد القومية .

وتجرى الآن مفاوضات لوضع معاهدة جديدة تنظم العلاقات بين مصر وانجلترا ، والذي يهمنا أن نسجله الآن هو أن هؤلاء الذين وصفوا معاهدة

سنة ١٩٣٦ بأنها معاهدة الشرف والاستقلال هم أشد الناس اليوم نقمة على هذه المعاهدة ، فالوفد وعلى رأســه النحاس باشا يحمل اليوم لواء التطرف فيحارب كل فكرة تحالف مع الانجليز ، وعندما أصــدر الانجليز بلاغهم الرسمى أنهم عرضوا على الحكومة المصرية الجلاء برا وبحرا وجوا بشرط عقد محالفة مع المصريين ، كان الوفد أشد الاحزاب سخطا على هذا الوضع لأنه يرفض أي تحالف مع الانجليز . وهكذا تطور الزمن وما كان يعتبر خيالا جامحا من شباب مصر الفتاة أصبح هو السياسة الحكيمة المتزنة التي ينادى بها الوفد ، وليس فى الشعب اليوم من لا يطالب بالجلاء ، وليس فى الشباب والطلاب والعمال من لا يدعو إلى الجهاد والثورة لاخراج الانجليز ، وهكذا نرى أنفسنا بعد اثنتي عشرة سنة من كفاحنا ، وقد ازدهرت جهودنا وأثمرت .

وإننى أكتب هذه السطور ، وقد وقفت المفاوضات بين مصر وانجلترا ولست أعرف ماذا يكون مصير هذه المفاوضات ، ولكن هناك حقيقة لا أشك فيها أبدا ، وهى أن الانجليز لن يخرجوا من هذه البلاد ، إلا إذا أكرهناهم على الخروج منها بجهادنا السياسى، والاقتصادى، والأدبى . لن يخرج الانجليز من مصر ، إلا إذا عرفنا كيف نموت فى سبيل الحرية .. لن يخرج الانجليز من مصر إلا بعد أن ينقرض هذا الجيل القديم من المستوزرين والمستضعفين ، ويقبض على زمام الأمور فى مصر حكومات شجاعة جسورة تعرف كيف تعلن الحرب على انجلترا إذا لزم الأمر .

شكر وتقدير

لا أستطيع أن أختم هذا الكتاب دون أن أتوجه بشكر عميق لأخوى العزيزين ابراهيم شكرى وابراهيم الزيادى لتعاونهما على إصدار هذا الكتاب .
كما أنوه بكل تقدير واحترام لجهود صديقي الأستاذ محمد رضوان احمد لما بذله من جهد فى تصحيح هذا الكتاب .

انتهى الجزء الاول

ويليه الجزء الثانى وفيه تفصيل لما أجمله
هـــذا الفصل الأخير

لا يزال الكتاب
مفتـــــوحا

وبعد فلايزال الكتاب مفتوحا ، ولا تزال غايتنا بغير تحقيق ومادام فى العمر بقية فهذا عهـد الله على أن لا أكل ، ولا أمل ولا ألين ، حتى أرى مصر حرة مستقلة ، ذات سيادة وسلطان، تتألف من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية وتتزعم الأسلام ، وتحمل للدنيا كلها رسالة السلام والأخوة ، والمحبة العالية ، والله أكبر والمجد لمصر .

فهرس الكتاب

مطبعة الرغائب بالقاهرة